٩٧

ملف المستقبل

أمن يك مصر ؟!

روايات مصرية للجيب



لهيب الكواكب

د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض مصر ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية .. يدور العمل فيها بهدوء تام وسرّية مطلقة .. من أجل حماية التقدم العلمى فى مصر .. ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية التى هى مقياس تقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف يعمل فريق نادر تم اختياره بدقة بالغة :

ـــ نور الدين : واحد من أكفأ ضباط المخابرات العلمية يقود الفريق .

ـــ سلوى : مهندسة شابة ، وخبيرة فى الاتصالات والتتبع .

ـــ رمزى : طبيب بارع متخصص فى الطب النفسى .

ـــ محمود : عالم شاب وإخصائى فى علم الأشعة .

فريق نادر يتحدّى الغموض العلمى والألغاز المستقبلية .. إنهم نظرة أمل للمستقبل .. ولمحة من عالم الغد .

د . نبيل فاروق

١ ـ الوعد ..

انبعث ضوء وردى هادئ ، داخل ذلك المصعد الأسطوانى الشفاف ، الذى يغوص بالمقدّم (نور الدين) إلى أربع طوابق تحت سطح الأرض ، ووقف (نور الدين) داخله صامتًا هادئًا ، يعقد كفيه خلف ظهره ، ويشد قامته فى اعتداد ، حتى توقّف المصعد فى الطابق الرابع تحت الأرض ، وتسلّل إلى أذنى (نور) صوت هادئ ، يقول :

ـ الطابق الرابع سلبى .. محظور التواجد إلا لمن يحملون تصاريح خاصة .

أبرز (نور) تصريحه ، فانطلق خيط من ضوء ليزرى بنفسجى اللون ، راح يجوس التصريح فى بطء ، ثم ارتفع إلى عينى (نور) مباشرة ، وراجع بصمة قزحيته على البصمات المسجّلة لديه ، فى أرشيف الأمن ، قبل أن يقول الصوت الآلى الهادئ مرة أخرى :

ـ مصرّح بالدخول .. هذا الطابق يضمّ حجرة القائد الأعلى .. حجرة الدكتور (ناظم) ، مدير مركز الأبحاث .. مركز المراقبة الفضائى الخاص .. حدّد وجهتك أيها المقدّم (نور الدين محمود) .

شدّ (نور) قامته مرة أخرى ، وقال :

ـ حجرة القائد الأعلى .

أضىء مصباح أزرق فى أعلى المصعد ، مع الصوت الآلى الذى يقول :

ـ آخر حجرة فى المواجهة مباشرة .

غادر (نور) المصعد الأسطوانى ، وعبر الممر الطويل فى خطوات واسعة واثقة ، حتى بلغ باب حجرة القائد الأعلى ، فتوقف أمامه ، قائلًا :

ـ المقدّم (نور الدين) ، الفرقة الخاصة .

كان يعلم أن شعاعًا من الضوء دون الأحمر غير المرئى يفحصه فى سرعة ، فوقف ثابتًا جامدًا ، حتى انفتح باب حجرة القائد الأعلى ، وهذا الأخير يقول :

ـ تقدّم يا (نور) .

دلف (نور) إلى حجرة القائد الأعلى ، ولاحظ وجود الدكتور (ناظم) فى الحجرة ، فأدى التحية العسكرية للقائد الأعلى ، قائلًا :

ـ المقدّم (نور الدين) فى خدمتك يا سيّدى .

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة باهتة ، وهو يضيف :

ـ صباح الخير يا دكتور (ناظم) .

ردّ الدكتور (ناظم) تحيته بإيماءة من رأسه ، فى حين سأله القائد الأعلى فى لهجة تجمع ما بين الدهشة والاستنكار :

ـ ما معنى هذا الطلب ، الذى تقدّمت به يا (نور) ؟

قال (نور) فى هدوء :

ـ لقد أوضحت به كل شىء يا سيّدى .

قال القائد الأعلى فى صرامة :

ـ مازال الأمر فى حاجة إلى توضيح أكثر .. إنك تطلب إجازة بدون مرتب لمدة عامين كاملين ، وموافقة على السفر .. ما الذى يعنيه هذا ؟.. وما المكان الذى يحتاج منك إلى عامين كاملين ، لتسافر إليه ؟

صمت (نور) لحظة ، ثم أجاب فى حزم واقتضاب :

ـ (أرغوران) .(*)

حدّق الدكتور (ناظم) والقائد الأعلى لحظة فى وجهه بدهشة بالغة ، قبل أن يهتف الأوّل :

ـ أتقصد ذلك الكوكب البعيد .. الذى ...

قاطعه (نور) فى حزم :

ـ هو نفسه يا سيّدى .

انعقد حاجبا القائد الأعلى فى شدة ، وتبادل نظرة عصبية مع الدكتور (ناظم) ، قبل أن يقول :

ـ وماذا بالله عليك ، يدعوك إلى الذهاب مرة أخرى إلى

(*) راجع قصة (جحيم أرغوران) .. المغامرة رقم (٥٩) .

ذلك الكوكب ، الذى كدت تلقى مصرعك فيه ، مع فريقك كله يومًا ما ؟

شدّ (نور) قامته أكثر ، وهو يقول :

ـ وعد قطعته على نفسى يا سيّدى .

هتف الدكتور (ناظم) فى دهشة :

ـ وعد ؟!

وسأله القائد الأعلى فى انفعال :

ـ أى وعد هذا ؟

أجابه (نور) بلهجة حازمة ، تشف عن تمسّكه برأيه حتى النهاية :

ـ لقد وعدت (بودون) بالسعى لتحرير كوكبه من الاحتلال .(*)

هتف القائد :

ـ (بودون) ؟!.. أى قول هذا يا (نور) ؟

ولم يجب (نور) هذه المرة ..

لقد التقط نفسًا عميقًا من الهواء ، ملأ به صدره ، وهو يطلق العنان لعقله وذكرياته ..

(*) راجع قصة (الصراع) .. المغامرة رقم (٧٨) .

وانطلقت تلك الذكريات بعيدًا ..

انطلقت إلى البداية ..

★ ★ ★

عندما جاء (بودون) إلى الأرض لأوّل مرة ، لم تكن زيارته ودية ، بأى حال من الأحوال ، وبأية صورة من الصور ..

إنه واحد من أخطر عملاء المخابرات الفضائية ، فى كوكبه (أرغوران) ، جاء إلى الأرض فى مهمة استكشافية ، تمهيدًا لغزوها من قبل إمبراطور (أرغوران) الشرس ، الذى قرر احتلال كل الكواكب ، التى يقل تقدمها العلمى عن (أرغوران) ..

وعندما وصل (بودون) إلى الأرض ، كان هذا أشبه بالكارثة ..

لقد انهارت أمامه كل الدفاعات الأرضية ، وكل وسائل المقاومة والقتال ..

وحتى (نور) وفريقه ..

لقد هزمهم (بودون) ، وقلصهم إلى حجم عقلة الإصبع ، وحملهم معه إلى (أرغوران) ، كعينات حية لكائنات (سبتا ـ ٣) ، وهو الاسم الذى يطلقه سكان كوكبه على الأرض ..(*)

(*) راجع قصة (معركة الكواكب) .. المغامرة رقم (٥٨) .

وفى (أرغوران) ، ذاق (نور) ورفاقه مرارة الهزيمة والذل ..

ولكنهم نجحوا فى الفرار من سجنهم ..

ولم يعن هذا أنهم قد انتصروا ..

بل لقد انتقلوا من سجن صغير إلى آخر كبير ..

انتقلوا إلى جحيم (أرغوران) ..

ولكن فجأة ، وبعد أن استحكمت حلقات العذاب والخطر ، أتت المعجزة ..

عثر (نور) على (س ـ ١٨) ..

عثر عليه على بعد مئات السنوات الضوئية من الأرض ..

وهكذا انقلبت الأمور رأسًا على عقب ..

وبمعاونة (س ـ ١٨) وقدراته المذهلة ، شنّ (نور) هجومًا مضادًا على (أرغوران) وإمبراطوره الجشع ، وحققَ معجزة أخرى ..

لقد احتل مع رفاقه كوكب (أرغوران) .(*)

وتحوّل العداء بين (نور) و (بودون) إلى صداقة ..

صداقة نادرة عميقة ..

(*) راجع قصة (جحيم أرغوران) .. المغامرة رقم (٥٩) .

ولقد أكدت هذه الصداقة قوتها وعمقها ، عندما وقعت الأرض فى نير الاحتلال الجلوريالى البشع ..(*) ..

لقد أتى (بودون) ..(**)

أتى ليقاتل إلى جوار (نور) ؛ لتحرير الأرض من ظلم كوكب (جلوريال) ، الذى نجح أيضًا فى احتلال كوكبه (أرغوران) ..

ومن هنا كان الوعد ..

لقد اتفقا على أن يقاتل (بودون) إلى جوار (نور) ، حتى يتمّ تحرير الأرض ، وبعدها ينطلقان معًا إلى (أرغوران) ، لتحريره من غزاة (جلوريال) ..

وكان على (نور) أن ينفذ ما وعد به ، كأى رجل حر ..

ومهما كان الثمن ..

مهما كان ..

* * *

« هل تعلم ما الذى يعنيه غيابك عن الأرض لعامين كاملين ؟ » .

هتف القائد الأعلى بالسؤال فى حدة ، فانتزع (نور) من ذكرياته ، وجعله يشدّ قامته فى اعتداد ، ويقول :

(*) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

(**) راجع قصة (الصراع) .. المغامرة رقم (٧٨) .

ـ يعنى أننى لم أحنث بوعدى أبدًا يا سيِّدى .

كان من الواضح أنه ليس على استعداد للتراجع أو التنازل هذه المرة ، فقال القائد الأعلى فى حزم :

ـ وماذا لو أننى رفضت الموافقة على مطلبيك ؟

بدا الضيق على وجه (نور) ، وهو يجيب :

ـ لن يصير أمامى سوى التقدّم باستقالتى إذن يا سيِّدى .

تبادل القائد الأعلى والدكتور (ناظم) نظرة متوترة ، ثم نهض الأوّل من خلف مكتبه ، ووضع يده على كتف (نور) ، قائلًا :

ـ (نور) .. (مصر) فى حاجة إليك يا ولدى .

خفض (نور) بصره فى مرارة ، وهو يقول :

ـ هناك جيل ثان ينمو يا سيِّدى ، ويحتاج إلى فرصة لإثبات وجوده ، ورحيلى يمنحه هذه الفرصة .

قال الدكتور (ناظم) :

ـ أتقصد فريق الرائد (أيمن) ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ إنهم من أفضل من رأيت ، فى السنوات العشر الأخيرة .

تنهَّد القائد الأعلى ، وقال :

ـ يبدو أنه لا فائدة من مناقشة الأمر .

خفض (نور) عينيه مرة أخرى فى صمت ، فعاد القائد الأعلى إلى مكتبه ، وسأله فى أسف :

ـ وكيف ستذهب إلى (أرغوران) ؟

أجابه (نور) :

ـ تلك السفينة الفضائية ، التى أنقذت (رمزى) و (محمود) ، وابنتى (نشوى) ، معدّة للانطلاق إلى هناك ببرنامج آلى يا سيِّدى(*) والمقاتل الأرغورانى الراحل (بودون) سيرشدنا طوال الرحلة ، عبر برنامج صوتى ومرئى ، أعدّه خصيصًا لهذا الغرض .

ران صمت ثقيل على المكان ، استغرق دقيقة كاملة أو يزيد ، ثم نهض الدكتور (ناظم) ، وصافح (نور) فى حرارة ، وهو يقول فى تأثر واضح :

ـ وفقك الله يا ولدى .. صدقنى .. سأفتقدك كثيرًا .. كثيرًا جدًا .

غمغم (نور) :

ـ وأنا أيضًا يا دكتور (ناظم) .

أما القائد الأعلى ، فقد قاوم مشاعره ، وهو يلتقط الطلب الذى تقدّم به (نور) ، ويذيّله بتوقيعه ، قائلًا :

(*) راجع قصة (بذور الشر) .. المغامرة رقم (٩٦) .

ـ حسن يا (نور) .. إننى أوافق .
التقط (نور) الطلب ، مغمغمًا :
ـ أشكرك يا سيِّدى .
وهنا نهض القائد الأعلى ، وصافحه فى حرارة ، وهو يقول :
ـ احرص على نفسك دائمًا يا (نور) .. واحرص على العودة إلينا .
تمتم (نور) فى تأثر :
ـ سأبذل قصارى جهدى يا سيِّدى .
وابتدار يغادر المكان فى خطوات سريعة ، مخلفًا صمتًا ثقيلًا ، استغرق ما يقرب من خمس دقائق هذه المرة ، قبل أن يقطعه القائد الأعلى بقوله :
ـ أشعر وكأننى أنتزع جزءًا من جسدى .
تمتم الدكتور (ناظم) ، وهو يقاوم دموعه :
ـ وأنا أيضًا .
ولكن دموعه هزمته ، وانحدرت فى صمت على خديه ، فخلع منظاره ، ومسحها بأصابع مرتجفة ، وهو يستطرد :
ـ والأدهى أنه لن يغيب فى رحلة طويلة ، وإنما ينطلق

إلى حيث تنتظره معارك ، لا يعلم مداها إلا الله (سبحانه وتعالى) .. معارك قد ينتصر فيها أو ...
وازدرد لعابه ، قبل أن يضيف بصوت متهدِّج :
ـ أو لا يعود منها أبدًا .
وانهمرت دموعه غزيرة .

★ ★ ★



٢ - القــرار ..

«لن ترحل وحدك» ..

نطق (رمزى) هذه العبارة فى حزم ، وهو يجلس مع أفراد الفريق جميعهم ، فى منزل (نور) الجديد ، بالإضافة إلى (مشيرة محفوظ) و (أكرم) ، فعقد (نور) حاجبيه فى حدة ، وهو يقول :

- ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟

أجابه (محمود) :

- يعنى أننا ناقشنا الأمر برمته ، ورأينا أنه ليس من العدل أن ترحل وحدك إلى (أرغوران) ، فنحن نعمل دائمًا كفريق ، وسنظل كذلك حتى آخر لحظة فى حياتنا .

قال (نور) فى حدة :

- من الواضح أنكم لا تدركون حقيقة الموقف كما ينبغى .. إنها ليست نزهة أو عملية محدودة هذه المرة .. إنها حرب .. حرب حقيقية .. حرب عشنا جميعًا ويلاتها إبان احتلال الأرض .. حرب مع غزاة (جلوريال) ، القساة الغلاظ القلوب ، الذين لا يترددون لحظة فى إراقة الدماء ، دون أن يطرف لهم رمش .. لقد قاسينا الكثير ، وخضنا الأهوال ، ونحن نقاتلهم هنا .. على كوكبنا ، وفى

أرضنا .. فى مناخ اعتدناه وظروف ألفناها ، فماذا سنفعل هناك ؟.. أى ويل سيواجهنا .

قالت (نشوى) فى حزم :

- هذا أدعى أن نصطحبك .

لوّح بذراعه فى قوة ، هاتفًا :

- مستحيل !.. أنت بالذات مستحيل !.. إنه جحيم حقيقى .

هتفت (سلوى) فى عناد :

- ولهذا لن نجلس هنا ، وتراودنا الكوابيس فى كل ليلة ، ونحن نتخيلك فى قلب الجحيم .

قال فى عصبية :

- أن يراودك الكابوس هنا ، لأفضل ألف مرة من أن تعيشيه بنفسك .

قال (رمزى) :

- هراء .. اسألنى أنا كخبير نفسى .. مواجهة الخطر أهون ألف مرة من انتظاره أو تخيله .

عقد (نور) حاجبيه فى شدة ، وهو يقول :

- مازلت أجد هذا مستحيلًا .

قال (أكرم) :

- كلنا نصرّ على اصطحابك .

صاح (نور) :

ـ كلنا ؟!.. ما الذى تقصده بكلمة كلنا هذه ؟.. لو أنك أضفت نفسك إلى الفريق ، فهذا مرفوض تمامًا .

ولكن (مشيرة) قالت فى عناد :

ـ إنه يقصدنى أيضًا يا (نور) .

هتف (نور) فى صرامة :

ـ مستحيل !.. مستحيل !.. مستحيل !.. أنتما رسميًا خارج الفريق تمامًا ، ولن أسمح لكما بالمخاطرة قط .

قال (أكرم) :

ـ ولكننا نصر .

هتف (نور) :

ـ هذا شأنكما ، ولكننى أرفض .. وأرفض بشدة .

ثم أضاف فى صرامة شديدة :

ـ وهذا الأمر غير خاضع للنقاش .

تبادل (أكرم) نظرة غامضة مع (مشيرة) ، ثم استرخى فى مقعده ، وقال :

ـ كما يحلو لك .

أدهشهم هذا الاستسلام المباشر ، الذى لم يعتادوه قط من (أكرم) ، ولكنهم طرحوا هذا الأمر جانبًا مؤقتًا ، وقال (رمزى) :

ـ الواقع يا (نور) أننا نمنحك الحق فى رفض ذهاب (مشيرة) و (أكرم) ، ولكننا نرى أنك لا تمتلك الحق نفسه فى منعنا من مشاركتك هذه المهمة .

قال فى توتر واضح :

ـ إنها ليست مهمة رسمية .. إنه وعد قطعته على نفسى ، وأسعى للبر به .

هتفت (نشوى) :

ـ فليكن .. دعنا نساعدك على الوفاء بعهودك .

وأضافت (سلوى) :

ـ هذا حقنا .

وقال (محمود) بسرعة :

ـ بحق كل السنوات ، التى عملنا فيها معًا ، وكل المخاطر والتحديات التى واجهناها كفريق .. أرجوك يا (نور) .. لا تحرمنا من العمل معك كفريق ، حتى آخر العمر .

صمت (نور) طويلًا هذه المرة ..

واحترم الجميع صمته ..

وطال هذا الصمت ، حتى تجاوز الدقائق العشر ، التى راح (نور) خلالها يراجع الموقف كله ، ويزن الأمور ، ويدرس كل ما سمعه وقاله ..

وران على الحجرة صمت رهيب ..
وتعلّقت كل العيون به ..
و ...
وأخيرًا ، خرج (نور) عن صمته ، وقال في حزم واقتضاب :
ـ فليكن ..
ولم يكن الأمر بحاجة إلى المزيد ..

* * *

أطلقت (سلوى) شهقة إعجاب ، وهي تجوّل داخل السفينة الفضائية (أرغوريا) ، التي أرسلها (بودون) لتحملهم إلى (أرغوران) ، قبيل مصرعه ، وهتفت في انبهار واضح :
ـ إنها ليست سفينة فضائية عادية .. إنه فندق فضائي من طراز النجوم الخمسة .. كيف صنع (بودون) شيئًا كهذا ؟
أجابها (نور) ، وهو يعيد فحص أجهزة التوجيه :
ـ أراد أن يؤمّن لنا رحلة جيّدة إلى كوكبه .. ولقد أعدّ (رحمه الله) كل شيء على خير ما يرام .. وسائل النوم ، والراحة ، والطعام الأرضي ، وحتى الثياب ، التي تناسب (أرغوران) ، والأسلحة ، والخرائط .. كل شيء .

سألته (نشوى) :
ـ ومن سيقود السفينة ؟
أجابها (نور) :
ـ إنها معدّة للقيام بالرحلة آليًا ، وسيرشدنا (بودون) إلى كل خطوة في حينها ، عبر برنامجه الخاص .
وضغط أحد الأزرار أمامه ، فتألقت الشاشة الكبيرة ، التي تعلو النافذة الأمامية الضخمة لسفينة الفضاء ، وظهر فوقها وجه (بودون) ، وهو يقول بالعربية :
ـ مرحبًا يا (نور) .
سأله (نور) في هدوء :
ـ كم تستغرق رحلتنا إلى (أرغوران) هذه المرة ؟
أجابه (بودون) وكأنه شخص حي :
ـ في الظروف العادية ، تستغرق الرحلة ما يزيد على قرنين من الزمان ، مع الانطلاق بسرعة الضوء ، ولكن عبر الدروب التي سنسلكها ، ستستغرق تقريبًا شهـرًا واحدًا ، بزمنكم الأرضي .
هتف (رمزي) :
ـ إلى هذا الحد .. وكيف يمكن اختصار الزمن على هذا النحو ؟
تحرّكت عينا الصورة الإليكترونية ، لتنظر إلـى



فتألقت الشاشة الكبيرة ، التى تعلو النافذة الأمامية الضخمة لسفينة الفضاء ، وظهر فوقها وجه (بودون) ..

(رمزى) ، على نحو يثير الدهشة والإعجاب ، قبل أن تجيب :

ـ إنها علوم أرغورانية حديثة ، قد يمكنكم التوصل إليها بعد قرن واحد من الزمان .

قال (محمود) فى فضول :

ـ ولكن كيف ؟.. إنها مسألة سرعة .

قال (بودون) :

ـ واتجاه .

سأله فى حيرة :

ـ ماذا تعنى ؟

ابتسمت صورة (بودون) ، وهى تقول :

ـ ستكشف بنفسك .

ثم سألت فى هدوء :

ـ متى يتم الانطلاق ؟

أجاب (نور) :

ـ إننا نتخذ الاستعدادات اللازمة .

هتفت (سلوى) :

ـ كأنى بك تتحدث إلى (بودون) نفسه ، ولولا ثقتى فى مصرعه ، لتصورت أنه يرشدنا بنفسه .

تطلّع (نور) إلى الصورة لحظة ، ثم هزّ رأسه ، وقال فى أسى :

ـ إنه برنامج متطوّر ، يعتمد على التقاط آلاف الصور لـ (بودون) ، ثم تحريكها بحيث تتلاءم مع الموقف والأسئلة والظروف .

قالت (نشوى) :

ـ لو أردتم رأيى كخبيرة كمبيوتر ، فهذا أدق برنامج رأيته ، فى حياتى كلها .

تمتم (محمود) فى انبهار :

ـ وأنا أيضًا .

أما (نور) ، فقد انتهى من مراجعة الأجهزة ، وقال فى لهجة قيادية :

ـ والآن أيها السادة ، كل شىء معد للانطلاق .. ألديكم أية ارتباطات أخرى .

أجابه الجميع فى آن واحد :

ـ كلنا متأهبون للسفر .

هزّ رأسه فى بطء ، وهو يقول :

ـ على بركة الله .

ثم ضغط زر البرنامج الإليكترونى للسفينة ، فاشتعلت محركاتها ، وقالت صورة (بودون) على الشاشة :

ـ الاستعداد لبدء الرحلة إلى (أرغوران) .. الجميع فى أماكنهم . ستبدأ الرحلة بعد خمس ثوان .. أربع .. ثلاث .. اثنتان .. ثانية واحدة .. انطلق ..

وانطلقت (أرغوريا) ..

وبدأت الرحلة ..

★ ★ ★



٣ ـ المقاومـــة ..

أشرقت شمس (أرغوران) الكبرى ، على بعد مئات السنوات الضوئية من الأرض(*) ، فى نفس الوقت الذى غربت فيه شمسه الصغرى ، وتواصل النهار اللانهائى للكوكب الشبيه بالأرض ، على قارته الوحيدة ، التى تحتل ثلث مساحته تقريبًا ، وتمتدّ فى شكل مخروطى ، من قطبه الشمالى إلى الجنوبى ، وتسبح وسط محيط هائل ، يحتل ثلثى مساحة الكوكب دفعة واحدة ..

وفى أحد شوارع العاصمة الكبرى ، تسلل مواطـن أرغورانى فى حذر ، متفاديًا نقاط الأمن الجلوريالية ، المنتشرة فى كل مكان ، حتى بلغ منزلًا بسيطًا ، خلا من كل الوسائل التكنولوجية المتقدّمة ، شأنه شأن كل مكان آخر فى (أرغوران) ، بعد الاحتلال ..

وفى حرص ، دق الأرغورانى باب المنزل ثـلاث مرات ، ثم مرتين ، ومرة واحدة .. ووقف ينتظر فى توتر ، وهو يدير عينيه فيما حوله ؛ ليتأكد من أن أحدًا لم يتبعه ، حتى سمع من الداخل صوتًا يقول :

(*) السنة الضوئية : هى المسافة التى يقطعها الضوء فى سنة كاملة ، وتساوى ٥,٨٧ مليون ميل ، والمصطلح عبارة عن مقياس فلكى ، للمسافات البعيدة فى الفضاء .

ـ من الطارق ؟

أجاب فى سرعة بلغته الأرغورانية ، التى لا مثيل لها قط ، بين لغات العالم أجمع :

ـ (هو نور) .. يومًا ما ستمتزج شمسا (أرغوران) ، لتتحولا إلى شمس النصر .

مضت لحظة من الصمت ، ثم انفتح الباب ، وظهرت على عتبته أنثى (أرغورانية) ، أفسحت الطريق فى سرعة ، فدلف (هو نور) إلى الداخل ، وأغلقت هى الباب خلفه فى إحكام ، ثم التفتت إليه ، هامسة فى انفعال :

ـ الجميع هنا .. إننا ننتظرك منذ فترة .

كـانت ملامحها واضحـة الأنوثـة ، مـع تكوينهـا التشريحى ، على الرغم من الرأس الأصلع تمامًا ، والبشرة الحمراء ، التى تنتشر بها تلك العروق الزرقاء القاتمة ، ولقد أجابها (هو نور) فى شىء من الحزم ، دون أن يلتفت إليها :

ـ كان من الضرورى أن أتخلص من المراقبة أولًا .

ثم واصل طريقه فى خطوات حاسمة واسعة ، عبر ممر طويل ، قاده فى النهاية إلى قاعة واسعة ، جلس فيها أربعة رجال وامرأة ، رفعوا جميعًا عيونهم إليه فـى تساؤل ، فقال :

ـ لقد وصلت أيها السادة .
سأله أحد الرجال فى اهتمام :
ـ لماذا تأخرت ؟.. لقد شعرنا بالقلق .
اتخذ مقعدًا بينهم ، وهو يجيب :
ـ يبدو أن جواسيس (جلوريال) باتوا يشكون فى أمرى ، فقد ظلوا يتعقبوننى لساعة كاملة ، منذ غادرت منزلى .
سألته المرأة :
ـ وماذا فعلت ؟
ابتسم قائلًا :
ـ اطمئنى يا عزيزتى (نوفا) .. لقد أرهقتهم كثيرًا ، ثم خدعتهم ، وتركتهم يقفون طويلًا أمام محطة الطيران ، وتسللت إلى هنا .
سأله أحد الرجال :
ـ أأنت واثق من أن أحدًا منهم لم يتبعك .
أجابته المرأة الأخرى ، التى فتحت الباب لـ (هو نور) :
ـ اطمئن يا (ديجنتى) .. لقد تأكدت بنفسى .
تطلع إليها (ديجنتى) فى صمت لحظات ، ثم أشار بيده ، قائلًا :
ـ فليكن .. يمكننا الآن أن نبدأ الاجتماع .

اتخذ كل منهم مجلسه ، فى شكل حلقة واسعة ، ثم اعتدل (ديجنتى) ، وقال :
ـ هناك رسالة من القائد .
انتبه الجميع فى لهفة ، فتابع هو بابتسامة باهتة :
ـ لقد وصلت الإشارة .
انعقد حاجبا (هو نور) ، فى حين تهللت أسارير الباقين ، وقالت المرأة الأخرى (ريستا) :
ـ حقًّا !.. إننا ننتظر وصولها بفارغ الصبر .
أما أحد الرجال ، فقد بدت عليه الحيرة ، وهو يقول :
ـ أية إشارة هذه ؟
التفت إليه (ديجنتى) ، وهو يقول :
ـ من الطبيعى أن تجهل أمرها يا (ترات) ؛ فأنت أحدث من انضمّ إلينا ، ولكننى سأشرح لك الأمر .
واعتدل ليواجهه بجسده كله ، ويتابع :
ـ منذ سنوات ، وعندما حدثت تلك الطفرة غير المفهومة ، فى قدرات (جلوريال) وتكنولوجيته ، وانقضّ علينا ليحتل كوكبنا ، كاد إمبراطورنا (بودون) يلقى حتفه ، على يد (سيلبا) .. إمبراطور (جلوريال) وفرسانه ، ولكنه نجا منهم بمعجزة ، واستطاع بمعجزة ثانية أن يفلت بالسفينة الفضائية الإمبراطورية ، وينطلق

إلى (سيتا ـ ٣)(*) ، بعد أن ترك لنا رسالة خاصة .. رسالة يقول فيها : إن علينا أن نصمد ونقاوم ، حتى يصل المنقذ ، الذى سيتزعم حركة المقاومة ، ويقودنا إلى النصر .

سأله (ترات) :

ـ أيعنى أنه سيعود مرة أخرى ؟

أجابه (ديجنتى) :

ـ نعم .. بصحبة المنقذ ، الذى سبق له أن هزم كوكبنا كله وحده .

ارتفع حاجبا (ترات) ، وهو يهتف فى دهشة :

ـ أتقصد ذلك الفتى ، من (سيتا ـ ٣) ؟

فتح (ديجنتى) فمه لينطق بالجواب ، ولكن (هو نور) اندفع يقول فى عصبية :

ـ نعم يا (ترات) .. هذا ما أراده لنا إمبراطورنا العظيم .. أن نعمل نحن أبناء (أرغوران) تحت قيادة رجل من (سيتا ـ ٣) ؛ لتحرير كوكبنا من نير الاحتلال .. وكأنى به يتهمنا جميعًا بأنه لا يوجد بيننا رجل واحد .

(*) (سيتا ـ ٣) : الاسم الذى يطلقه سكان (أرغوران) على كوكب (الأرض) .

اندفع (آرون) يقول ، بعد أن ظل صامتًا طوال الوقت :

ـ الإمبراطور لم يقصد هذا بالطبع يا (هو نور) ، وإلا ما طلب منا أن نقاتل أيضًا .. إننا نحن من سيواجه الموت بصدور عارية ، لتحرير (أرغوران) ، ولكن ربما كان هذا القادم من (سيتا ـ ٣) يمتلك شيئًا لا نمتلكه نحن .. شىء يدركه الإمبراطور دوننا جميعًا ، وإلا ما عبر الكون كله ، ليحضره إلى هنا .

صاح (هو نور) :

ـ ولماذا لم يأت هذا المنقذ العظيم طوال تلك السنوات ، التى جثم فيها غزاة (جلوريال) فوق صدورنا ؟.. أين كان منذ استنجد به إمبراطورنا ؟

أجابه (ديجنتى) فى صرامة :

ـ نحن نجهل ما حدث بالضبط ، منذ رحل إمبراطورنا وحتى الآن .. لا نعلم ما الذى واجهه هناك ، ولا ما رآه فى رحلته إلى (سيتا ـ ٣) ، ولكننا نؤمن جميعًا بأن إمبراطورنا (بودون) هو أشجع فرسان (أرغوران) ، وأكثرهم وطنية وغيرة على رفعة وحرية الكوكب ، ومادام قد اتخذ قرارًا كهذا ، فلديه مبرراته القوية بالتأكيد .. ونحن نثق به ، وبكل ما يتخذه من قرارات .

عقد (هو نور) حاجبيه أكثر ، وهمهم بعبارات غير مفهومة ، فاعتدل (ديجنتى) ، وقال فى صرامة شديدة :

ـ اسمعوا جميعًا .. عندما تكوّن فريقنا للمقاومة ، أقسمنا جميعًا على أن نعمل بروح رجل واحد .. وهذا ما جعلنا نفلح فى كل ما قمنا به حتى الآن .. والآن ، وفى هذه اللحظة ، أطرح القسم للمرة الثانية ، فمن يريد منكم أن يستمر معنا بالروح نفسها ، فأهلًا به بين الصفوف ، أما من يرفض العمل تحت قيادة رجل (سيتا ـ ٣) ، فلينسحب الآن وفورًا .. وإلى الأبد .

ثم رفع عينيه إلى أقرب الرجال إليه ، وقال فى حزم :

ـ (كالوا) .

أجابه بسرعة ودون إبطاء :

ـ أنا معكم .

أدار (ديجنتى) عينيه إلى التالى ، قائلًا :

ـ (نوفا) .

أجابته بدورها :

ـ وأنا أيضًا .

راح ينقل عينيه من واحد إلى آخر ، وكلهم يجددون عهدهم ، حتى بلغ (هو نور) ، فانعقد حاجباه فى صرامة ، وهو يقول :

ـ وأنت يا (هو نور) ؟

بدا المشهد أشبه بصورة صامتة جامدة ، والجميع يتطلعون إلى (هو نور) ، الذى ظلّ يعقد حاجبيه لحظات ، قبل أن يبدّد الصمت ، قائلًا :

ـ أنا لن أتخلى عنكم الآن .

وقبل أن تنفرج الأسارير فى ارتياح ، استدرك فى صرامة :

ـ حتى ولو كانت قرارات الإمبراطور خاطئة .

لم يرق هذا لـ (ديجنتى) ، إلا أنه لم يشأ إفساد الاجتماع بسبب تعنت (هو نور) ، فاعتدل يقول :

ـ والآن ، دعونا نناقش باقى الأمور .

ولكن (هو نور) زمجر ، قائلًا :

ـ لدىّ سؤال هام .

سأله (ديجنتى) :

ـ ما هو ؟

ألقى (هو نور) سؤاله فى عصبية زائدة :

ـ كيف وصلت الإشارة ، التى تقول : إن المنقذ فى طريقه إلى هنا ، قبل أن تأتى به السفينة الإمبراطورية بالفعل ، على الرغم من أن الفينة ستسلك حتمًا الدروب المختصرة ، والكوازورات الزمنية ، و ...

قاطعه (ديجنتى) :

- من الطبيعى أن تجهل الجواب ، فأنت لست أحد رجال العلم ، وإنما قضيت حياتك كلها فى سلك الفرسان .

قال (هو نور) فى حدة :

- ونلت وسام الشجاعة مرتين .

تجاهل (ديجنتى) غضبه هذا ، وتابع بسرعة :

- فالإشارة التى ستطلقها السفينة الإمبراطورية ، فور تشغيل برنامج رحلتها ، من (سيتا - ٣) إلى هنا ، ستخترق المنحنى الزمنى (ديستا كرون) ، الذى لا تعبره سوى الإشارات فائقة التردد فحسب ، فتصل إلينا فى نفس لحظة إطلاقها تقريبًا ، أما السفينة الامبراطورية فلا يمكنها عبور ذلك المنحنى الزمنى ، وإلا تفككت أجزاؤها ، وانهار تكوينها .. إنها تستطيع اختصار الزمن والمسافة بعبور الكوازرات الزمنية ، والانطلاق بسرعة الضوء فحسب .. هل فهمت الآن ؟

أجابه فى حدة :

- كلا .

بدا شىء من القلق على الوجوه ، ولكنه أضاف فى برود مفاجئ :

- ولكننى أثق بك .

ران الصمت مرة أخرى على المكان ، والجميع يتطلعون إلى (هو نور) ، وقد بدا لهم مستعدًا لإثارة عشرات المتاعب والمشكلات ، مما بعث فى نفوسهم الكثير من القلق ، وخاصة فى هذه الفترة الشديدة الحساسية ، من تاريخ كوكبهم ، التى قد يتحدد فيها مصيره ومصيرهم إلى الأبد ..

ولكن (ديجنتى) حطم الصمت هذه المرة ، وهو يقول :

- دعونا نراجع ما ينبغى أن نفعله ، عندما يصل المنقذ .

غمغم (هو نور) :

- هذا لو أنه وصل .

فرغ صبر (ديجنتى) هذه المرة ، فالتفت إليه فى حدة ، وهو يقول :

- ماذا تعنى يا (هو نور) ؟

أجابه (هو نور) فى هدوء عجيب :

- أعنى أنه مادامت الإشارة قد بلغت قائدنا ، الذى نجهل حتى هذه اللحظة من هو بالتحديد ، فما الذى يمنع جواسيس (جلوريال) من استقبالها أيضًا ؟

اتسعت العيون فى ارتياع للفكرة ، وهتفت (ريستا) :

- ستكون كارثة ، لو حدث هذا .



أنه خيل إليهم جميعًا أنهم يسمعون ضحكته تدوى فى المكان .. ضحكة ساخرة ، و .. وشامتة ..

خيل إليهم أن (هو نور) يتلذذ بما أصابهم من هلع ، وهو يتابع :

ـ فى هذه الحالة سيجد المنقذ القادم من (سيتا ـ ٣) فى انتظاره لجنة استقبال من الطراز الأول .. لجنة من أقوى مقاتلات (جلوريال) ، وأشجع فرسانها .

ثم مال إلى الأمام ، واستطرد فى تلذذ :

ـ وهكذا تنتهى مهمة المنقذ البطل .. تنتهى قبل أن تبدأ ..

وعلى الرغم من أنه نطقها وأطبق شفتيه تمامًا ، وعاد يسترخى فى مقعده ، إلا أنه خيل إليهم جميعًا أنهم يسمعون ضحكته تدوى فى المكان ..

ضحكة ساخرة ، و ...

وشامتة .

★ ★ ★

٤ ـ بين النجــوم ..

استلقى (رمزى) فى هدوء ، فوق منضدة مخملية طويلة ، تشبه تلك التى يجرى فوقها الأطباء جراحاتهم الدقيقة ، واستمع إلى صوت (بودون) المسجّل ، وهو يقول :

ـ من العبث أن تذهبوا إلى (أرغوران) ، وتخاطروا بقتال أعدائه ، وأنتم تجهلون لغة الأرغورانيين ، ولغة أهل (جلوريال) أيضًا .

غمغم (رمزى) :

ـ بالتأكيد .. من عرف لغة عدوه اتقى شره .

قال (بودون) بالعربية :

ـ بالضبط .. والآن استعد لتلقى لغة (أرغوران) .

تحرّكت المنضدة فى بطء ، وغاصت فى قلب أسطوانة شفافة كبيرة ، ثم هبط شىء أشبه بالخوذة ، فأحاط برأس (رمزى) ، وامتدّت منه أسلاك عديدة ، تتصل بجهاز كمبيوتر أرغورانى ضخم ، وقال صوت (بودون) فى هدوء :

ـ كل شىء معدّ .. هل أنت على أتم استعداد ؟

تمتم (رمزى) :

ـ نعم .

وهنا انبعثت أبخرة خفيفة داخل الأسطوانة ، لها رائحة عطرية هادئة ، استنشقها (رمزى) فى عمق ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فاسترخى جسده تمامًا ، وشعر بآلاف العبارات والكلمات والمصطلحات والجمل تغزو عقله فى سرعة خرافية ، وتتدفق فى خلايا مخه الرمادية ..

وتوقّع (رمزى) أن يستغرق هذا وقتًا طويلًا ، إلا أن ذلك السيل انحسر فجأة ، وانسحبت الأبخرة فى سرعة ، وارتفع صوت (بودون) الهادئ ، يقول :ـ

ـ هل شعرت بأية متاعب ؟

قال (رمزى) :

ـ مطلقًا .

لم يكد ينطقها ، حتى ارتفع حاجباه فى دهشة بالغة .. لقد نطق (بودون) العبارة بلغة (أرغوران) ، ولكنه فهمها فى بساطة تامة ، كما لو أنه يتحدث هذه اللغة منذ نعومة أظفاره ..

بل وأجابه بها أيضًا ..

ولم يصدّق (رمزى) نفسه .

لم يصدّق أنه تعلّم لغة (أرغوران) فى دقائق معدودة ..

وبكل الدهشة والانبهار فى أعماقه ، هتف :

ـ أية تكنولوجيا هذه ؟

أجابه صوت (بودون) الآلى المسجَّل فى هدوء :

ـ إنها تكنولوجيا (أرغورانية) قديمة ، فلم يكن لدينا وقت كاف لتعليم الصغار ؛ إذ أننا ننقلهم إلى زمرة المحاربين ، مع بلوغهم سن العاشرة .

هتف (رمزى) :

ـ العاشرة ؟!.. إننا نعتبرهم أطفالاً فى هذه السن .

ويبدو أن البرنامج الذى وضعه (بودون) ، لم يكن مؤهلاً للدخول فى مناقشات طويلة ، فقد تجاهل عبارة (رمزى) الأخيرة تمامًا ، وهو يقول :

ـ والآن ، فلننتقل إلى لغة (جلوريال) .

ومرة أخرى ، عاد الغاز ذو الرائحة العطرية ينتشر .. وتدفق سيل جديد من المعلومات ، إلى عقل (رمزى) .. وفى اللحظة نفسها ، كان (نور) يجلس فى كابينة القيادة ، يتطلَّع عبر النافذة الضخمة إلى ما يحدث أمامه ، وقد استغرق فى صمت عميق ، وإلى جواره (محمود) و (سلوى) ، حتى غمغم (محمود) فى انبهار :

تكنولوجيا خرافية .

وهنا هزَّ (نور) رأسه ، وقال :

ـ من يصدِّق هذا ؟.. إننا نشاهد بعيوننا الآن انهيار كل النظريات والأسس ، التى تعلمناها منذ طفولتنا .. السرعة التى ننطلق بها وحدها ، تكفى لهدم كل القواعد التى وضعها (أينشتين) ، والتى اعتمد عليها فى نظرياته ، فهى تتجاوز سرعة الضوء بثلاثة آلاف كيلومتر فى الثانية الواحدة(*) .

قالت (سلوى) فى انفعال :

ـ وهذا وحده يلغى النظريات الأخرى ، المتعلقة بسرعة الضوء ، فى النظرية النسبية ، فالمفروض لو أننا سافرنا عبر الفضاء ، بسرعة تقترب من سرعة الضوء أن ينكمش الزمن بالنسبة لنا ، فنقطع فى رحلتنا شهرًا واحدًا مثلاً ، ثم نعود لنجد أن الأرض قد عبرت قرنًا من الزمان ، مقابل هذا الشهر ، ولكن عندما نتجاوز سرعة الضوء ، فإن هذا الفارق يتلاشى تمامًا ، إذ أننا بتجاوزنا الثابت الضوئى المطلق ، تكون قد سبقنا الزمن فعليًا ، وبذا تنتهى رحلتنا فيما يمكن أن نطلق عليه اسم (الماضى النسبى) ، وتنعكس النظرية تمامًا ، فنجد أنفسنا وبعد أن قضينا شهرًا فى الفضاء ، نعود لنجد الأرض ، ولم يمض من زمنها سوى أسبوع واحد .. إنه انقلاب علمى هائل أيها السادة .

(*) سرعة الضوء : ١٨٦٠٠٠ ميل فى الثانية .

واعتدل (محمود) ، وهو يقول :

- والسؤال الذى يشغلنى أكثر ، هو : ما نوع الطاقة المستخدمة ، التى يمكنها أن تدفع سفينة فضاء ضخمة كهذه ، بتلك السرعة المدهشة ؟!

دلفت (نشوى) إلى المكان ، وهى تشترك فى الحديث ، قائلة :

- وهذا يقودنا إلى سؤال آخر ، فلو أن شعبًا يمتلك هذه التكنولوجيا الرهيبة ، قد انهزم أمام غزاة (جلوريال) ، فما الذى يمكن أن نفعله نحن معهم ؟

أجابها (نور) فى هدوء :

- نفس ما فعلناه عندما غزوا أرضنا .

ثم التفت إلى رفاقه بابتسامة هادئة ، مضيفًا :

- نهزمهم .

تطلّعوا إليه لحظة فى صمت ، ثم غمغمت (نشوى) :

- ليت الأمور تتم بنفس البساطة ، التى نطقت بها كلمتك يا أبى .

نظر (نور) إلى الفضاء أمامه بضع ثوان ، ثم قال :

- لست أتوقّع أن يتمّ هذا الأمر بأى نوع من البساطة .. ستكون حربًا عنيفة قاسية ، بلا رحمة أو هوادة ، و ...

صمت لحظة ، قبل أن يضيف فى أسى :

- وسيكون هناك ضحايا .

سرت فى أجسادهم قشعريرة باردة ، مع عبارته الأخيرة ، وران على المكان صمت ثقيل سخيف ، قطعته (سلوى) وهى تشير أمامها ، قائلة :

- ها هوذا (كوازر)(*) آخر .

نجحت إشارتها فى تحطيم تلك الرهبة ، التى ملأت المكان ، وأظلّته بظلّها الكئيب ، عندما استدار الجميع إلى حيث أشارت ، ورأوا أمامهم كرة مضيئة ، يندفعون نحوها فى سرعة مدهشة ، وهتفت (نشوى) عندما اخترقوها :

- قفزة أخرى على خريطة الفضاء .

التفت الجميع مع عبارتها إلى خريطة فضائية ضخمة ، تحدّد فيها نقطة مضيئة موقع (أرغوريا) ، وقال (محمود) فى حماس :

- هذا صحيح .. لقد قفز بنا هذا (الكوازر) خمسين سنة ضوئية تقريبًا .. انظروا .. لقد تغير موقعنا تمامًا .

هزّ (نور) رأسه ، وقال :

- كشف علمى عظيم آخر .. إذن فهذه (الكوازارات)

(*) الكوازارات : أجسام شديدة الاستضاءة ، فى مركز بعض المجرات البعيدة ، وتعطى طاقة عالية ، على شكل ضوء عادى ، وأشعة تحت البنفسجية ، وفوق الحمراء

هى التى أتاحت لهم ارتياد الفضاء ، وبلوغ مجرات تبعد عنهم بعشرات السنوات الضوئية .

ارتفع صوت (رمزى) فى هذه اللحظة ، وهو يقول :

ـ يبدو أننا لن نتوقف عن الانبهار طوال الرحلة .

استداروا إليه فى مودة ، وسألته (سلوى) :

ـ هل انتهى برنامجك ؟

لوّح بكفيه ، قائلًا فى انفعال :

ـ تصوّرى ؟.. لقد حصلت على شهادة تفوق فى لغتى (أرغوران) و (جلوريال) ، خلال نصف الساعة فحسب .. ألا يكفى هذا للانبهار ؟

أجابه (محمود) فى حماس :

ـ بالتأكيد .

ثم غادر مقعده ، مستطردًا بابتسامة كبيرة :

ـ ولقد حان دورى لألتحق بتلك المدرسة المحدودة .. إلى اللقاء بعد نصف ساعة أخرى .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ـ من الواضح أن كل شىء يسير على ما يرام ، حتى هذه اللحظة .

تنحنحت (نشوى) ، وهى تقول :

ـ لا .. ليس كل شىء .

استداروا إليها فى تساؤل قلق ، فاستطردت فى سرعة :

ـ استهلاك الأكسجين ليس على ما يرام .

هتفت (سلوى) :

ـ يا إلهى !

وتمتم (رمزى) فى توتر :

ـ لا .. ليس مرة أخرى(*) .

أما (نور) ، فسألها باهتمام بالغ :

ـ ماذا تعنين بالضبط ؟

تنحنحت مرة أخرى ، قبل أن تجيب :

ـ كنت أقوم بمراجعة دورية على الكمبيوتر ، فلاحظت أن استهلاك الأكسجين أعلى من معدله الطبيعى .. إنها ليست زيادة كبيرة ، ولكنها مثيرة للانتباه على أية حال .

قال (نور) فى حزم :

ـ لا يمكننا إهمال أية ملاحظات ، مهما بلغت هذه الزيادة .. المهم أن نعرف ما الذى تعنيه .. أهناك سبب لتسرب الأكسجين خارج السفينة مثلًا ؟!

هزّت رأسها نفيًا فى ثقة ، وهى تجيب :

ـ مستحيل !.. أى ثقب ، مهما كانت ضآلته ، كان

(*) راجع قصة (القوة السوداء) .. المغامرة رقم (٩٥) .

سيؤدى إلى حدوث خلل ضخم ، مع فارق الضغط خارج وداخل السفينة ، فيحدث انخفاض حاد وسريع وملموس فى نسبة الأكسجين ، ولكن الانخفاض الحالى هو عبارة عن زيادة محدودة فى الاستهلاك ، بدليل أن نسبة ثانى أكسيد الكربون ، التى تتم تنقيتها ، تتناسب مع هـذا الاستهلاك ، حتى أن الأمر يبدو كما لو ...

وصمتت لحظة فى تردد ، ثم أطلقت ضحكة مرتبكة ، وهى تستطرد :

ـ كما لو أننا نتنفس أكثر مما ينبغى :

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، عندما نطقت عبارتها الأخيرة ، واستغرق فى التفكير لحظة ، قبل أن يسألها فى هدوء :

ـ أخبرينى يا (نشوى) .. هل يمكنك فحص نسبة الاستهلاك ، فى كل جزء من أجزاء السفينة على حدة ؟

أجابته فى دهشة :

ـ بالتأكيد .. يمكننا عزل كل جزء لدقيقة واحدة ، وقياس معدّل الاستهلاك فيه خلالها ، ولكن ...

ترددت فى إكمال تساؤلها ، فسألها هو فى هدوء :

ـ ولكن ماذا ؟

ترددت لحظة أخرى ، ثم اندفعت فجأة ، قائلة :

ـ ولكننى لا أجد أية جدوى ، من مثل هذا الإجراء .

صاحت بها (سلوى) :

ـ (نشوى) .. لا تتحدثى إلى والدك بهذا الأسلوب .

ولكن (نور) أشار إليها بالهدوء ، وهو يسأل ابنته :

ـ ولماذا لا تجدين جدوى منه ؟

أجابته على الفور :

ـ لأننا نعرف نتائجه مسبقًا ؛ فكلنا نجلس هنا ، فيما عدا (محمود) ، الذى يتلقى اللغة الأرغورانية فى المعمل الخاص .

قال فى هدوء :

ـ فليكن .. دعينا نتأكد من هذا .

بدا عليها الضجر ، وهى تقول :

ـ حسن .. مادمت ترغب فى هذا .

وجلست أمام الكمبيوتر ، وضغطت بعض الأزرار ، قائلة :

ـ هكذا تم عزل كل جزء من السفينة على حدة .

ثم ضغطت زرين آخرين ، مستطردة :

ـ والآن يمكننا قياس نسبة استهلاك الأكسجين .

تراصت الأرقام أمامها على الشاشة ، فتابعت :

ـ أرأيت يا أبى .. الاستهلاك الرئيسى هنا .. فى كابينة



وجلست أمام الكمبيوتر ، وضغطت بعض الأزرار ، قائلة :
ـ هكذا تم عزل كل جزء من السفينة على حدة ..

القيادة ، وهناك ما يستهلكه (محمود) فى المعمل الخاص ، و ...

بترت عبارتها فجأة ، لتهتف :

ـ يا إلهى !

بدا القلق على وجهى (سلوى) و (رمزى) ، فى حين احتفظ (نور) بهدوئه ، وهو يسألها فى بساطة :

ـ ماذا هناك ؟

بدا عليها مزيج من الخجل والارتباك ، وهى تجيب :

ـ هناك منطقة أخرى يتم فيها استهلاك الأكسجين .

سألها فى اهتمام :

ـ أين ؟

أشارت إلى خريطة السفينة ، التى ظهرت على الشاشة ، وهى تقول :

ـ فى المخزن .

هبَّ (نور) من مقعده ، واستلّ مسدسه الليزرى ، و (سلوى) تسأله فى قلق شديد :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟

أجاب فى حزم :

ـ يعنى أن لدينا ركابًا إضافيين ، لا يحملون تذاكر سفر .

سار الجميع خلفه فى خطوات واسعة ، عبر ممرات متشابكة واسعة طويلة ، حتى بلغوا المخزن ، فأشار إليهم (نور) ، هامسًا :

ـ انتظروا هنا .

ثم اقتحم المخزن فى عنف ، وسمعوه يهتف فى دهشة :

ـ أنتما ؟!

ثم اتسعت عيونهم عن آخرها ، وقد تحوّلت دهشتهم إلى ذهول ، مع الصوت الذى ارتفع من داخل المخزن ، قائلًا فى هدوء يحمل رنة ساخرة :

ـ مساء الخير أيها المقدّم .. كيف حالك ؟

وكان سر دهشتهم هو أنهم يعرفون صاحب ذلك الصوت ..

يعرفونه جيدًا .

* * *

٥ ـ الخائن ..

انطلقت دورية الحراسة الجلوريالية ، تحوم حول القصر الإمبراطورى المهيب ، الذى يرتفع كقلعة شامخة ، فى منتصف (أرغوران) بالضبط ، وبدا أفرادها الأربعة شديدى التحفز والشراسة ، وهم يحملون مدافعهم القوية ، ذات الأشعة الأرجوانية الساحقة ، وعيونهم الحمراء بلون الدم تدور فيما حولهم ، لتشارك أجهزة الرصد والكشف المتعدّدة ، التى تزخر بها مركبتهم الطائرة ، فى البحث عن أى جاسوس أو متسلل ، تسوّل له نفسه الاقتراب من القصر الإمبراطورى المقدّس ، دون إذن مسبق ، أو تصريح خاص بالاقتراب .

وفجأة ، التقط جهاز الرصد الحرارى صورة لجسم متحرّك ، فانطلق أزيز جهاز إنذار دقيق ، متصل بالمركبة ، مع إشارة متألقة على شاشة الجهاز ، تقول بلغة (جلوريال) :

ـ غريب فى المنطقة .. التحليل الطيفى يشير إلى أنه أرغورانى التكوين .

ضغط قائد الدورية زر الجهاز ، وهو يقول فى صرامة :

ـ حدّد الموقع .

أتاه الجواب على الفور :

ـ فى المنطقة (د) .. الجنوب الغربى .. عند الساعة السابعة وست دقائق .

انطلقت مركبة الدورية مباشرة إلى الموقع المحدد ، ووقع بصر أفرادها على شخص أرغورانى ، يقف إلى جوار واحدة من أشجار القصر الإمبراطورى ، وقد رفع ذراعيه مستسلمًا ، فاتجهت إليه المركبة على الفور ، وتوقفت على مسافة متر واحد منه ، وفوق وسادة هوائية ، ترفعها نصف متر آخر عن سطح الأرض ، ووثب عنها أفرادها فى خفة ، فيما عدا السائق ، والتفوا حول ذلك الأرغورانى ، يصوبون إليه مدافعهم فى تحفز ، فى حين سأله قائدهم فى صرامة :

ـ من أنت ؟.. وماذا تفعل هنا ؟

تجاهل الأرغورانى الجزء الأول من السؤال ، وهو يجيب :

ـ أنا هنا بأمر إمبراطورى .

سأله الجلوريالى فى خشونة :

ـ ولماذا يطلب مولاى الإمبراطور رؤيتك ؟

هزَّ الأرغورانى كتفيه ، وقال بلهجة شبه ساخرة :

ـ لك أن تسأله .

أدار الجلوريالى مدفعه فى حركة سريعة ، وهوى بكعبه على فك الأرغورانى فى قوة ، فأسقطه أرضًا ، وهو يقول فى غضب :

ـ أجب السؤال دون حزلقة .

أمسك الأرغورانى فكه المصابة فى غضب ، وهو يقول :

ـ ستدفع ثمن هذا .

هوى الجلوريالى على فكه بضربة أخرى أكثر عنفًا ، تفجَّرت لها الدماء هذه المرة ، من طرف شفتيه ، والجلوريالى يقول فى غضب شرس :

ـ تعلَّم أن تحترم سادتك .

مسح الأرغورانى خيط الدم بكفه ، وهو يرمق الجلوريالى بنظرة ساحقة ، تزخر بالمقت والكراهية ، قبل أن ينهض قائلًا :

ـ اتصل بالإمبراطور (سيلبا) .. أو بقائد فرسانه (آجور) .

ابتسم الجلوريالى فى سخرية ، وهو يقول :

ـ حقًا ؟!

أجابه الأرغورانى فى حدة :

ـ نعم .. حقًا .. اتصل بأحدهما ، وأخبره أن (إكس ـ ١) هنا

عقد الجلوريالى موضع حاجبيه ، وهو يقول :

ـ (اكس ـ ١) ؟!.. أى اسم هذا ؟

شدّ الأرغورانى قامته ، وهو يقول :

ـ الاسم الذى يخاطباننى به .

رمقه الجلوريالى بنظرة شك طويلة ، ثم أمسك جهاز الاتصال ، وقال :

ـ من دورية القصر الرئيسية إلى قائد الفرسان (آجور) .. ألقينا القبض على فرد أرغورانى ، فى المنطقة المحظورة ، ولكنه يدعى صلته المباشرة بمولاى الإمبراطور ، ويقول إن اسمه (اكس ـ ١) .

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يأتى صوت (آجور) ، عبر جهاز الاتصال ، وهو يقول :

ـ دعه يدخل من الباب (زاور ـ ٣) الخلفى .

ارتسمت ابتسامة واثقة على شفتى (اكس ـ ١) ، وهو يقول :

ـ أرأيت ؟

رمقه الجلوريالى بنظرة نارية ، قبل أن يدفعه أمامه فى غلظة ، قائلًا :

ـ تقدّم .

هتف (اكس ـ ١) معترضًا :

ـ ماذا تفعل ؟ .. المفروض أن تعاملنى بشىء من الاحترام ، بعد أن ...

ولكنه قاطعه بدفعة أكثر خشونة ، وهو يقول فى صرامة :

ـ اصمت .

وقاده أمامه حتى الباب المطلوب ، فسلّمه لحارسه ، قائلًا :

ـ القائد (آجور) يطلب رؤيته .

وعاد يرمقه بنظرة نارية ، ثم انصرف بخطوات سريعة ، فى حين قام الحارس بتفتيش الأرغورانى جيدًا ، وفحصه بأجهزة الفحص الإليكترونية ، قبل أن يقوده إلى حجرة واسعة ، استقبله فيها القائد (آجور) ، قائلًا فى برود :

ـ ما الذى أتى بك يا (اكس ـ ١) ؟

أجابه (اكس ـ ١) فى لهفة :

ـ لدى أخبار بالغة الأهمية .

أشار إليه (آجور) بكفه ، قائلًا :

ـ هات ما لديك .

ازدرد (اكس ـ ١) لعابه ، وقال :

ـ أنت تعلم أننى أحد أعضاء مجلس المقاومة السُباعى ، وأننى أحضر الاجتماعات فى انتظام ، و ...

قاطعه (آجور) فى صرامة :
- اختصر .
ازدرد (اكس - ١) لعابه مرة أخرى ، وقال :
- بالطبع أيها القائد (آجور) .. بالطبع .. الواقع أن .. أن ...
ثم حسم أمره ، وأكمل فى سرعة :
- لقد وصلت الإشارة :
- تطلع إليه (آجور) لحظة فى برود ، ثم قال :
- أية إشارة ؟
أجابه (اكس - ١) فى لهفة :
- إشارة المنقذ .. لقد غادر كوكب (سيتا - ٣) .
ارتسمت صرامة شديدة على وجه (آجور) ، وهو يقول :
- إشارة المنقذ ؟!.. ومتى حدث هذا ؟
أجابه (اكس - ١) :
- أمس وصلتنا رسالة من قائد المقاومة ، تقول : إن الإشارة قد وصلت ، والمنقذ فى طريقه إلى هنا .
صمت (آجور) بعض الوقت ، وملامحه تشف عن التوتر الشديد ، ثم سأل فى عصبية صارمة :
- هل من معلومات أخرى ؟!.. المسار الذى سيتخذه

ذلك المنقذ .. قدرات الجيش الذى يصحبه .. أسلحتهم .. تطورهم التكنولوجى .. أية معلومات !
هزّ (اكس - ١) رأسه ، قائلًا :
- كلا .. هذا كل ما لدى .
ثم استدرك فى سرعة :
- ولكننى أحضر الاجتماعات بصفة منتظمة ، وسترد المعلومات تباعًا بالتأكيد .
بقى (آجور) صامتًا لحظات أخرى ، ثم قال :
- فليكن يا (اكس - ١) .. معلوماتك هذه قيمة بالفعل .
تهللت أسارير (اكس - ١) ، وهو يقول :
- أيعنى هذا أننى سأحصل على المكافأة ؟
أجابه (آجور) فى حزم :
- بالتأكيد .. مكافأة قيمة .
وشرد ببصره مستطردًا :
- قيمة للغاية .
وكان لحظتها يفكر فى وقع هذا الخبر على أهم شخص فى الكوكب كله ، فى هذه اللحظة ..
على الإمبراطور (سيلبا) ..

★ ★ ★

« المنقذ ؟!.. »
اتقدت عينا الإمبراطور (سيلبا) ككرتين من الدم ، وهو

ينطق هذه الكلمة ، بأكبر قدر سمعه (آجور) فى حياته ، من المقت والكراهية والبغضاء ..

كان الإمبراطور صغير السن ، ولكنه بدا مهيبًا مخيفًا ، ببشرته الخضراء الداكنة ، وعينيه الحمراوين بلون الدم ، وهو يجلس فوق العرش الإمبراطورى الضخم ، الذى يرتفع عن الأرض بمقدار متر واحد ، وخاصة عندما لوّح بصولجانه ، قائلًا :

ـ كنت أنتظر هذه اللحظة منذ سنوات .

تبادل (آجور) نظرة متوترة مع حكيم القصر (أوراكس) ، ولاذ كل منهما بالصمت التام ، فى حين تابع الإمبراطور فى غضب :

ـ هذا المنقذ ، القادم من ذلك الكوكب ، الذى يطلق عليه سكانه اسم (الأرض) ، هو الذى قتل والدى ، وهزم جيوشنا فى كوكبه .. إنها أوّل هزيمة تذوقها جيوشنا ، منذ نهضتنا العظيمة ، التى أتاحت لنا التحوّل من دولة محتلّة ، إلى امبراطورية فاتحة كبيرة .. إننى أنتظر لحظة قدوم ذلك المنقذ بفارغ الصبر ، ليدفع ثمن ما فعل .

تدخّل الحكيم (أوراكس) ، قائلًا فى هدوء :

ـ كان يدافع عن كوكبه يا مولاى .

لوّح (سيلبا) بيده فى قوة ، وهو يصرخ :

ـ بل كان يسعى للقضاء على أبى .. أعظم أباطرة الكون .

كان قوله يفتقر إلى المنطق فى وضوح ، ولكن (آجور) و (أوراكس) لم يعترضا ، حتى أضاف هو فى غضب هادر :

ـ ولكن ها هوذا أخيرًا يلقى بنفسه فى قبضتى .

ثم رفع يده ، وضمّ قبضته فى قوة ، مستطردًا :

ـ وعندما أحكم هذه القبضة عليه ، سأسحقه مع كل فريق المقاومة الأرغورانية اللعينة .

وهنا قال (آجور) :

ـ مولاى .. لماذا بالله عليك لم نسحق قادة المقاومة حتى الآن ؟.. إننا نعرفهم جميعًا ، ونعرف مقرهم السرى ، بل ولنا جاسوس فى مجلسهم السُباعى ، فما الذى ينقصنا لننقض عليهم ، ونبيدهم عن آخرهم ؟

أشار الإمبراطور إلى (أوراكس) ، قائلًا :

ـ سل حكيم القصر .

استدار (آجور) إلى الحكيم (أوراكس) ، وقال :

لماذا أيها الحكيم ؟

أجابه (أوراكس) فى هدوء ووقار :



وضمّ قبضته فى قوة ، مستطردًا :

ـ وعندما أحكم هذه القبضة عليه ، سأسحقه ، مع كل فريق المقاومة ..

ـ لم تحن اللحظة المناسبة بعد .

قال (آجور) فى حدة :

ـ أية لحظة مناسبة أفضل من هذه .. إننا نعرف عنهم كل شىء .

رفع الحكيم سبابته أمام وجهه ، وهو يقول :

ـ ولهذا لا ينبغى لنا أن نسحقهم .. إنهم قادة المقاومة الأرغورانية السبع ، ويعلوهم قائد أكبر ، ما تزال شخصيته مجهولة حتى الآن ، ولأننا نعرفهم ، ونضع جاسوسًا فى مجلسهم ، فهذا يعنى أننا نستطيع اتقاء شرهم ، وتحديد ضرباتهم القادمة ، قبل أن يقوموا بها .. وعن طريق هذه المعرفة ، يمكننا أن نتصدى لكل ضربة ، ونجهضها فى مهدها .

قال (آجور) معترضًا :

ـ وعلى الرغم من هذا ، فهم يحققون النجاح فى بعض الضربات .

أجابه (أوراكس) :

ـ من الضرورى أن نسمح لهم بهذا ، وإلا أدركوا أننا نعرف عنهم كل شىء ، وانتبهوا إلى وجود جاسوس بين صفوفهم .. ولكننا نمنحهم فى الواقع انتصارات زائفة ، تساعدهم على الاستمرار ، دون أن تؤثر فينا جذريًا .. خذ

عملية نسف مخزن الذخيرة الأخيرة مثلًا .. لقد أبلغنا (اكس ـ ١) بالأمر مسبقًا ، وحدد لنا مكان وموعد وأسلوب الهجوم ، ورأينا ـ مولاى الإمبراطور وأنا ـ أنه لن يضيرنا أن نمنحهم انتصارًا فى تلك المرة ، فأصدر جلالته أمرًا بإخلاء المخزن تمامًا بصورة سرية ، وتخفيف الحراسة عليه إلى أقصى حد ، بحيث تركنا ثلاثة أو أربعة جنود ، من أولئك المغضوب عليهم ، والذين كنا نفكر فى إبعادهم أو تصفيتهم منذ زمن .. وهؤلاء الجنود الأربعة هم الذين قاوموا هجوم المقاومة ، والذين منحوا العملية مظهرًا واقعيًا سليمًا ، حتى أبادهم رجال المقاومة ، ونسفوا المخزن ، الذى أضفنا إليه بعض القنابل ، ليدوى انفجاره على نحو يتناسب مع الذخيرة ، المفروض تواجدها فيه .

عقد (آجور) حاجبيه فى شدة ، وهو يقول :

ـ هكذا ؟!.. ولماذا لم يتم إبلاغى بالأمر فى حينه ؟

مطّ الإمبراطور شفتيه ، وهو يقول :

ـ كانت عملية صغيرة ، لا تستحق إقلاق بال قائد الفرسان .

وابتسم (أوراكس) ، ليضيف إلى قول الإمبراطور :

ـ ثم إن غضبك وحماسك ـ آنذاك ـ كانا طبيعيين

للغاية ، ولم نشأ أن نفسدهما ، بإعلامك حقيقة الأمر .

تضاعف غضب (آجور) ، وهو يقول :

ـ عظيم .. إذن فقد كنت أيامها مجرد جزء من لعبة طريفة يقوم بها مولاى الإمبراطور ، مع حكيم القصر العظيم .

زمجر الإمبراطور ، وهو يقول فى صرامة :

ـ الأمر لا يستحق كل هذا الغضب يا قائد الفرسان .

مطّ (آجور) شفتيه ، وهو يقول :

ـ كما يرى مولاى .

حكّ الإمبراطور ذقنه بسبابته لحظة ، قبل أن يقول :

ـ ثم إننى سأمنحك ترضية مناسبة .

رفع (آجور) عينيه إليه فى تساؤل ، فاستطرد :

ـ سأسند إليك مهمة إلقاء القبض على ذلك المنقذ الأرضى ، فور وصوله إلى (أرغوران) .

تنحنح (أوراكس) ، وقال :

ـ هل يسمح لى مولاى بإبداء الرأى والمشورة ؟

أشار إليه الإمبراطور ، قائلًا :

ـ بالتأكيد يا حكيم القصر ، وإلا فما فائدة وجودك هنا ؟

تنحنح (أوراكس) ، وقال :

ـ فى الحقيقة يا مولاى ، هذا المنقذ بالذات له ظروف

خاصة هنا فى (أرغوران) ، وخاصة جدًا ، فقد جاء إلى هنا كأسير من (سيتا ـ ٣) ، وكعينة لدراسة سلوك وإمكانيات سكان ذلك الكوكب النائى ، الذى يتشابه مناخه كثيرًا مع مناخنا فى (جلوريال) ، ومناخ (أرغوران) هذا ، ولكن الذى حدث هو أنه قلب الأمور رأسًا على عقب ، فتحوَّل من أسير إلى مقاتل ، ونجح مع فريقه المحدود فى تدمير أسطول (أرغوران) الفضائى عن آخره ، وخلع إمبراطوره ، والسيطرة عليه تمامًا(*) ، وطبقًا لدستور (أرغوران) وأعرافه ، يصبح هو إمبراطور الكوكب الرسمى ، ولكنه ، وعلى الرغم من انتصاره الساحق هذا ، تنازل عن العرش فى بساطة ، ووضع التاج على رأس المقاتل (بودون) ، ثم رحل إلى كوكبه ، على نحو أسطورى ، لم يعهده هذا الكوكب من قبل ، فى تاريخه كله .

كان الإمبراطور و (آجور) يستمعان إليه فى اهتمام بالغ ، وشغف واضح ، فتابع فى هدوء ورصانة :

ـ وبعد رحيله ، نشر الإمبراطور الجديد (بودون) القصة كاملة على الشعب ، وطلب تدوينها فى التاريخ الأرغورانى ، بحيث صارت مثالًا للسلام والقوة ، والبطولة الحقة .. وهكذا ارتبط كل طفل ، وصبى ،

(*) راجع قصة (جحيم أرغوران) .. المغامرة رقم (٥٩) .

وفتى ، وشاب ، ورجل ، وكهل ، وشيخ ، ومسن بذلك المنقذ الأرضى ، وأصبح بالنسبة إليهم أسطورة يرددونها فى محافلهم ، وينقلونها إلى أبنائهم وأحفادهم ..

وازدرد لعابه ، وأدار وجهه فى بطء ، من (آجور) إلى الإمبراطور ، قبل أن يقول :

ـ ثم غزونا نحن (أرغوران) .

اعتدل الإمبراطور ، وهو يتمتم فى صرامة :

ـ وهزمناه .. ومحونا كل تكنولوجيته وتقنيته .

رفع (أوراكس) سبَّابته ، قائلًا :

ـ ولكننا لم نمح تاريخه وذاكرته .

انعقد حاجبا الإمبراطور ، ومطَّ (آجور) شفتيه ممتعضًا ، ولكن (أوراكس) أكمل بنفس الهدوء والرصانة :

ـ ومازال كل فرد من شعب (أرغوران) يذكر البطل الأسطورى ، القادم من (سيتا ـ ٣) .. وخاصة بعد فرار الإمبراطور (بودون) ، وانتشار الرواية التى تقول : إنه سيعود ومعه المنقذ ، الذى سيقود (أرغوران) كله ضد الغزاة ، ويستعيد للشعب حريته وحضارته .

هتف الإمبراطور فى غضب :

ـ هراء .

ولكن (أوراكس) قال فى سرعة :

ـ ولكنهم يؤمنون به .. وينتظرونه ، ويعلقون كل آمالهم وأحلامهم على قدومه .

قال (آجور) فى توتر عصبى :

ـ وما المقصود من هذه الرواية الطويلة ؟

أجاب (أوراكس) :

ـ بوصول ذلك المنقذ إلى (أرغوران) ، سيلتهب الشعب كله بالحماس ، فلو أسرناه ستشتعل الثورة ، وينتشر المد فى كل بقعة ، ولن تستطيع جيوشنا كلها التصدّى لموجة الزحف الغاضبة .

قال الإمبراطور :

ـ فلنقتله إذن فور وصوله .

لوّح (أوراكس) بكفه ، قائلًا :

ـ كلّا يا مولاى .. حتى قتله لن يطفئ النيران حينذاك .. بل سيذكيها ، وربما بلغ غضب الشعب الأرغورانى ذروته ، مع انهيار حلمه وتحطم آماله ، فتحدث ثورة أخرى ، لا أحد يعلم مداها .

عقد الإمبراطور موضع حاجبيه فى توتر شديد ، وهو يقول :

ـ ماذا نفعل إذن يا حكيم ؟

أجاب فى حزم :

ـ نقتل الحلم فى مهده .

هتف (آجرو) :

ـ ولكن مجلس قيادة المقاومة يعلم الآن بقرب قدوم المنقذ ، ولن يلبث هذا الخبر أن يبلغ رجال المقاومة ، ومنهم إلى الشعب .. ولن يمضى أسبوع واحد ، إلا ويعلم كل مواطن أرغورانى أن المنقذ الأسطورى فى طريقه إلى هنا ، ليبدأ حرب التحرير .

قال (أوراكس) :

ـ بالطبع .. وسينتظرون فى لهفة ، ولكنها لهفة لا ترقى أبدًا إلى الحقيقة المرئية أو الملموسة .. إنه مجرّد خبر ، سيحيى فى نفوسهم الأمل الممتزج بالشك والقلق ، وعندئذ ..

صمت لحظة ، ثم أضاف فى حزم :

ـ عندئذ لن يصل المنقذ ، فينهار الحلم ، ويغرق فى جانب الشك والقلق ، فلا يعود يطفو إلى شاطئ الأمل بعدها قط .

اعتدل الإمبراطور على عرشه ، وهو يسأله فى انفعال :

ـ ما الذى تقصده بالضبط أيها الحكيم ؟

أجابه (أوراكس) فى حزم :

ـ أقصد أن الحل الوحيد هو ألا يصل المنقذ الأسطورى إلى (أرغوران) يا مولاى الإمبراطور .. ألا يصل أبدًا .

وران على القاعة الإمبراطورية صمت طويل .. ورهيب .

* * *



٦ ـ الثقب ..

لم يكد (نور) يطلق صيحة الدهشة ، داخل مخزن السفينة الفضائية ، حتى اندفعت زوجته (سلوى) إلى المخزن بدورها ، ثم تراجعت هاتفة :

ـ (أكرم) و (مشيرة) .. مستحيل !

تنحنحت (مشيرة) ، وحاولت أن تبتسم ، وهى تقول :

ـ ولماذا مستحيل !.. افركى عينيك وانظرى مرة أخرى ، وستجدين أننا حقيقة ولسنا خيالًا .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ هل لكما أن تخبرانى ما الذى تفعلاه هنا ؟ وكيف تسللتما إلى السفينة ، على الرغم من وجود حراسة حولها ؟!

ابتسم (أكرم) ، وهو يقول فى سخرية :

ـ أنت تعلم أن كل رجال الحراسة أغبياء ، مهما اختلف الزمان والمكان .. لقد انتهزنا فرصة تغيير طاقم الحراسة ، وحملنا صندوقًا ، وتظاهرنا بنقله ، إلى داخل السفينة ، ثم اختبأنا داخلها ولم ننصرف ، ولم يسأل عنا طاقم الحراسة الجديد .

قال (نور) فى غضب :



لم يكد (نور) يطلق صيحة الدهشة ، داخل مخزن السفينة الفضائية ، حتى اندفعت زوجته (سلوى) إلى المخزن ..

ـ هذا الأمر يحتاج إلى تحقيق صارم ، فور عودتنا إلى الأرض .

ضحكت (مشيرة) ، وهى تقول :

ـ أشكرك يا (نور) .. إنها عبارة متفائلة للغاية .

أدرك ما تعنيه ، فزال غضبه فى لحظة واحدة ، وابتسم قائلًا :

ـ صدقت .

وربّت (أكرم) على كتفه ، وهو يقول :

ـ ولا تلم هؤلاء الحرّاس المساكين يا صديقى .. إنهم يدركون مدى خطورة الرحلة ، ولم يتصوّروا أبدًا أن يتسلّل أى مخلوق عاقل إلى سفينة فضائية غريبة ، فى طريقها إلى رحلة انتحارية مجهولة .

ضحكت (نشوى) فى مرح ، وهى تصافحه قائلة :

ـ صدقنى يا أستاذ (أكرم) .. إننى سعيدة للغاية لوجودكما معنا هنا ، على متن (أرغوريا) .

هتف (أكرم) فى مرح :

ـ عظيم .. هناك شخص واحد على الأقل يبادلنا الشعور .

كان لهذا المرح أثره فى إنهاء حالة التوتر ، فاندفع الجميع يتصافحون ، ويتبادلون التحية ، ولم يلبث

(محمود) أن انتهى من تلقيه لغتى (أرغوران) و (جلوريال) ، فهتف فى دهشة بالغة ، عندما رأى (أكرم) و (مشيرة) أمامه :

- ما هذا ؟.. هل عدنا إلى الأرض ؟!

شرح له رفاقه الموقف كله فى اختصار ، ثم اعتدل (نور) على مقعده ، وقال فى جدية :

- أعتقد أننا لهونا بما فيه الكفاية ، والآن دعونا نناقش الأمر فى جدية .

التفت إليه الجميع فى اهتمام ، فى حين نظر هو إلى (أكرم) و (مشيرة) ، وقال :

- لماذا فعلتما هذا ؟

ابتسم (أكرم) ، وأشار إلى (مشيرة) ، قائلًا :

- سلها .

ضحكت هى ، وقالت :

- كانت فرصة العمر ، ومن الجنون أن أضيعها .

تطلع إليها الجميع فى تساؤل ، فتابعت بسرعة :

- إنكم فى طريقكم إلى كوكب آخر ، لتعلنوا الحرب على غزاته ، وتقاتلون من أجل حريته .. وأنتم الآن أشهر فريق أمنى ، فى كوكب الأرض كله ، وهذا يعنى أن الأرض تسعى لحرية (أرغوران) .. أتتوقعون أن يحدث هذا ، دون أن يسعى صحفى أرضى واحد لتغطيته .

عقد (نور) حاجبيه فى شدة ، فى حين تابعت هى فى حماس :

- وهكذا درست الأمر مع (أكرم) ، وهو يعمل حاليًا فى (أنباء الفيديو) كما تعلمون ، ووجدنا أنها فرصة العمر .. سنصحبكما لتغطية الحدث كله .. كل خطوة بالصوت والصورة .. تمامًا كما يفعل المراسلون الحربيون ، منذ اختراع الصحف والصحافة .. الفارق الوحيد هنا هو أن أرض المعركة ستكون فى مجرة أخرى ، وكوكب آخر .. إنه أعظم سبق صحفى فى التاريخ كله ، ومن المؤكد أنه سيقفز بنا إلى القمة .

أضاف (أكرم) فى سرعة :

- ثم إننى لن أغفر لنفسى أبدًا ، لو تركتكم تقاتلون دونى .

بدا الضيق على وجه (نور) ، وهو يقول :

- أتعنيان أن هذا هو دافعكما ، الذى جعلكما تتسللان خفية إلى هنا ؟

قالت (مشيرة) بابتسامة كبيرة :

- ألا يبدو كافيًا بالله عليك ؟

قال (نور) فى صرامة :

- ألم تفكر لحظة واحدة فى العواقب ؟

عقد (أكرم) ساعديه أمام صدره ، وهو يقول :

ـ سنشارككم مصيركم أيًا كان .

قال (نور) فى حدة مباغتة :

ـ أى مصير ؟!.. مصيرنا هنا أم هناك .

بُهت الجميع لثورته المفاجئة ، وقال (أكرم) فى توتر :

ـ ما الذى تقصده بـ (هنا) و (هناك) ؟

أجابه (نور) فى حدة :

ـ أقصد هنا على (أرغوريا) ، أم هناك على (أرغوران) .. هل سألتما نفسيكما لحظة واحدة ، وأنتما تُقدمان على هذا التصرَف غير المناسب وغير المسئول ، عما إذا كانت الرحلة تحتمل فردين إضافيين أم لا ؟.. هل درستما كمية المؤن ، والأماكن المتاحة ، والاستهلاك ؟

تنحنح (أكرم) وقال فى عصبية :

ـ سنقتصد كثيرًا فى المؤن .

قال (نور) فى غضب :

ـ وماذا عن الأكسجين ؟

شحبت وجوه (رمزى) و (محمود) و (نشوى) وهم يتبادلون نظرة مذعورة ، ويستعيدون ذكرى مماثلة

رهيبة ، لم يمض على نجاتهم منها أسبوع واحد ، فى حين غمغمت (سلوى) فى توتر بالغ :

ـ وماذا عنه ؟

أشار (نور) إلى الكمبيوتر ، قائلًا :

ـ عندما كنتم تتبادلون التحية والمصافحات ، وتلقون الدعابات والنكات ، مع ظهور (مشيرة) و (أكرم) ، كنت أراجع بيانات الكمبيوتر ، وألقى إليه بالمعلومات الجديدة ، عن وجود فردين إضافيين على متن (أرغوريا) ، وحتمية تواجدهما حتى نهاية الرحلة .. أتعرفون بم أجاب الكمبيوتر ؟

تعلقت به كل الأنظار فى تساؤل ، فتابع فى عصبية :

ـ أجاب بأن مخزون الأكسجين لا يمكن أن يكفى هذا العدد ، وأنه سينفد حتمًا قبل نهاية الرحلة ، وقبل وصولنا إلى (أرغوران) ..

وتفجَّر قوله كقنبلة فى قلب (أرغوريا) ..

قنبلة رهيبة ..

★ ★ ★

لم يكد (نور) يلقى عبارته الأخيرة ، حتى ترنَّحت (نشوى) ، وكادت تسقط فاقدة الوعى ، لولا أن أسرعت

أمها تحتويها بين ذراعيها ، فى حين شحب وجـه (محمود) فى شدة ، وهتف (رمزى) فى ارتياع :

ـ لا .. لا .. ليس ثانية .

أما (أكرم) ، فقد انعقد حاجباه فى شدة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين امتقع وجه (مشيرة) ، حتى حاكى وجوه الموتى ، وهى تقول بصوت مختنق :

ـ أأنت جاد يا (نور) ؟

أجابها فى غضب :

ـ وهل يحتمل الموقف هزلًا ؟!

انهارت فى مقعدها ، وهى تردّد بأنفاس متقطّعة :

ـ يا إلهى !.. ماذا فعلنا ؟.. ماذا فعلنا ؟

وهتفت (نشوى) مرتجفة :

ـ ولكن هذا مستحيل يا أبى .. الزيادة فى استهلاك الأكسجين طفيفة ، ولا يمكنها أن تؤدى فى النهاية إلى ...

قاطعها فى حزم :

ـ هذا لأنك حسبت الزيادة فى الاستهلاك خلال ساعات معدودة ، أما أنا فقد حسبت الزيادة الإجمالية ، خلال فترة الرحلة كلها ، والتى تستغرق شهرًا فى المتوسّط ، فوجدت أننا سنفتقر فى النهاية إلى ثلاثين ساعة من الأكسجين .

ازداد وجهها شحوبًا ، وانكمشت بين ذراعى أمها ، وهى تتمتم فى ارتياع :

ـ لماذا ؟.. لماذا كُتِبَ علينا أن نحيا هذا الموقـف الرهيب مرتين ؟!

وبدا صوت (أكرم) متحشرجًا فى البداية ، على الرغم من لهجته الجافة ، وهو يقول :

ـ ألا توجد وسيلة لتفادى هذا ؟

تنهّد (نور) ، وهو يجيب فى أسف :

ـ كل شىء هنا يدار آليًا ، طبقًا لبرنامج بالغ الدقة ، تم وضعه مسبقًا ، وليس بيدنا أى شىء نفعله .

انعقد حاجبا (أكرم) لحظات فى شدة ، و (سلوى) تقول فى أسى :

ـ مستحيل !.. مستحيل أن تأتى النهاية على هـذا النحو .

ولكن (أكرم) شدّ قامته ، وهو يقول فى حزم :

ـ حسن يا (نور) .. أعترف بأن تصرّفنا جاء صبيانيًا سخيفًا ، ويفتقر إلى التفكير والمنطق السليم .

تطلّع إليه (نور) فى أسى ، دون تعليق ، فأضاف فى حسم :

- ولكننا كناضجين ، سنتحمل عملنا حتى النهاية ، مهما كان الثمن .

سأله (نور) فى خفوت :

- وما الذى يمكنكما فعله ؟

شدّ قامته أكثر فى اعتداد ، وهو يجيب :

- سنغادر السفينة على الفور .

وارتجف الجميع فى هلع ..

* * *

مضت لحظاتٍ طويلة من صمت ثقيل ، حدّق خلالها الجميع فى وجه (أكرم) الصارم ، ووجه (مشيرة) المستقع الشاحب ، ثم هتفت (سلوى) :

- ماذا تقول يا (أكرم) ؟

أجابها فى حزم :

- أقول : إننا سنتحمّل كل النتائج ، وسنغادر السفينة إلى الفضاء الخارجى ، حتى لا تتسبب حماقتنا فى مصرع الجميع ، وإفساد رحلتكم تمامًا .

هتفت (مشيرة) ، وهى تكاد تفقد وعيها :

- (أكرم) !

تطلّع إليها فى حنان ، ثم انحنى يحتويها بين ذراعيه فى حب ، وهو يهمس فى أذنها :

- صدقينى يا حبيبتى .. هذا أفضل ما يمكن فعله .. وهو لن يغيّر كثيرًا من النتائج المنتظرة .. بل على العكس .. إنه سيخفّف من عذاب الانتظار .. لو بقينا سنموت جميعًا ، بعد فترة من الوقت ، أما لو رحلنا نحن ، فسنمنح الآخرين فرصة النجاة .

ثم مرّر أصابعه فى شعرها ، مستطردًا :

- وسيظل جسدانا يسبحان فى الفضاء إلى الأبد .. ألا يبدو لك هذا شاعريًا .

انفجرت باكية فى حرارة ، وهى تدفن رأسها فى صدره ، فأغلق عينيه للسيطرة على مشاعره ، التى تعتصر قلبه اعتصارًا ، ثم أدار رأسه إلى (نور) ، وسأله :

- ما فرصة النجاة ، لو بقيت (مشيرة) وحدها ، ورحلت أنا ؟

نطقها بلهجة لم ينطقها فى حياته كلها من قبل .. برجاء وانكسار ..

وقبل أن ينبس (نور) ببنت شفة ، تشبثت (مشيرة) بـ (أكرم) ، وهتفت :

- لا .. لن ترحل دونى .

وانهمرت الدموع من عينيها مرةً أخرى ، قبل أن تستطرد :

ـ لا معنى للحياة بعد رحيلك عنها .

انفجرت (نشوى) باكية فجأة ، وأشاحت (سلوى) بوجهها وهى تنتحب ، فى حين هتف (محمود) فى انفعال :

ـ إننى أفضل أن نموت جميعًا .

ولكن (مشيرة) تمالكت جأشها ، ونهضت واقفة ، ومسحت دموعها بأصابعها ، وهى تقول فى حزم واضح ، ويدها تحتضن أصابع (أكرم) فى حرارة :

ـ هيا يا (نور) .. قدنا إلى الخارج .

تطلع إليهما (نور) لحظة فى صمت ، وعندما فتح شفتيه ، كان صوته متهدجًا متحشرجًا ، وهو يقول فى اقتضاب :

ـ لن يرحل أحدكما .

تطلع إليه الجميع فى لهفة وأمل ، ولكنه تابع فى شىء من العصبية :

ـ كقائد مسئول لهذه السفينة ، المفروضُ أن أؤيد فكرتكما ؛ لأن رحيلكما فيه نجاة للباقين ، ولكن .. كبشر ، أرفض اتخاذ مثل هذا القرار البشع ، قبل استنفاد كل الوسائل الأخرى .

ثم اعتدل ، مستطردًا :

ـ إنكما ستبقيان ، حتى ندرس كل الاحتمالات الأخرى .

أطلقت (نشوى) هتافًا ، واندفعت تعانق والدها ، وتغمر وجهه بالقبلات ، وهى تصيح فى انفعال :

ـ أنت أبى الذى أعرفه .. أنت أعظم أب فى الدنيا كلها .

ولكن (نور) لم يشعر بقبلاتها الحارة ..

بل لم ينتبه حتى إلى النظرات التى تعلقت كلها بوجهه ..

لقد كان يشعر فى أعماقه أن قراره هذا مؤقت ومحدود ..

محدود للغاية ..

★ ★ ★

«هذا هو الموقف كله يا (بودون) ..»

نطق (نور) هذه العبارة ، فى مواجهة شاشة الكمبيوتر ، التى تحمل صورة (بودون) ، بعد أن روى كل ما حدث ، وشرح الموقف كله ، فبدا وجه (بودون) عليها صامتًا تمامًا لفترة من الوقت ، قبل أن يسأل :

ـ وما المطلوب بالضبط ؟

أجاب (نور) :

- اختصار الرحلة .. أعلم أننا ننطلق بسرعة خرافية ، تتجاوز سرعة الضوء نفسه ، وأننا نختصر الزمن أيضًا ، بعبور هذه (الكوازرات) ، ولكننى أحتاج إلى مزيد من الاختصار .. أحتاج إلى يومين كاملين ، فهل توجد وسيلة فى البرنامج لتحقيق هذا الغرض ؟

أجابه (بودون) بذلك الصوت الآلى :

- السفينة تتخذ فى الواقع أقصر الطرق الفضائية المأمونة إلى (أرغوران) .

سأله (نور) فى اهتمام :

- وماذا عن الطرق الأخرى ؟

أتاه الجواب بسرعة :

- لا يوجد سوى طريقين ، يمكنهما توفير يومين أو ثلاثة أيام من زمن الرحلة ، ولكن ..

قبل أن يتمّ الكمبيوتر حديثه ، اندفعت (نشوى) إلى المكان ، قائلة :

- أبى .. لدينا مشكلة أخرى .

التفت إليها (نور) فى قلق ، وهو يسأل :

- أية مشكلة ؟

أشارت إلى الخريطة الفضائية ، قائلة :

- المسار الذى تتخذه السفينة ، يقود مباشرة إلى هنا .

وأشارت بيدها إلى دائرة شديدة السواد ، تطلّع إليها (نور) فى دهشة ، قبل أن يهتف مذعورًا :

- ثقب أسود .(*)

ثم التفت إلى الشاشة ، وقال فى توتر :

- ما الذى يحدث بالضبط ؟.. إننا نتجه إلى ثقب أسود .

أجابه (بودون) فى هدوء آلى مثير :

- طبقًا للبرنامج المسجَّل لدى ، كل شىء يسير على ما يرام .

هتفت (نشوى) :

- ولكننا نزداد اقترابًا من ذلك الثقب الأسود .

ردَّد (بودون) بنفس الهدوء :

- كل شىء يسير على ما يرام .

هتفت (سلوى) مذعورة :

- (نور) .. هناك خلل فى هذا البرنامج .. إنه يقودنا إلى الهلاك .

(*) الثقوب السوداء : مناطق معتمة مظلمة ، على هيئة فجوات محدودة فى الفضاء ، تمتص كل شىء على مسافة محدودة منها ، حتى الضوء والطاقة ، ولهذا تبدو شديدة السواد ، ويرجح كونها نجوم منهارة ، تتكوّر حول نفسها بصورة لا محدودة ، فيقل حجمها ، وتزداد كثافتها وقوة جذبها إلى أقصى حد ممكن .

صاح (نور) متوترًا :

ـ هناك خلل فى المسار يا (بودون) .. أريد تعديل الاتجاه ، وبأقصى سرعة .

ولكن (بودون) ردّد مرة أخرى :

ـ كل شىء يسير على ما يرام .

وقالت (نشوى) فى يأس :

ـ لا فائدة .. سنغوص فى قلب الثقب الأسود بعد دقيقة واحدة .

اتسعت عيون الجميع فى هلع ، وتركّزت أبصارهم على تلك البقعة الشديدة السواد ، فوق الخريطة الفضائية ، قبل أن يقول (نور) فى يأس :

ـ ها هوذا .

وشهقت (سلوى) ، وهى تحدق عبر النافذة الضخمة لكابينة القيادة ، فى ذلك الثقب الأسود ، الذى راح يقترب فى سرعة مذهلة ..

ويقترب ..

ويقترب ..

* * *

٧ ـ خطة للقتل ..

عبر (هو نور) ذلك الطريق المؤدى إلى منزله فى خطوات سريعة ، والتصق بجدار المنزل المقابل لحظة ، راقب خلالها واحدة من دوريات المراقبة الجلوريالية ، وهى تجوب المنطقة ، ثم عاد يسرع الخطا إلى منزله ، وفتح بابه بسرعة ، وقفز داخله ، ثم أغلق الباب خلفه فى إحكام ، وابتسم فى سخرية ، وهو يتمتم :

ـ ينبغى أن تعلموا أيها الجلورياليون أن عيون حراستكم القاتلة لا تخيف (هو نور) .

قالها وهو يشعل مصباحه البدائى ، ليضىء منزله الصغير ، ولكن يده ارتجفت فى عنف ، عندما سمع صوتًا يسأل فى هدوء :

ـ لماذا ؟!

رفع مصباحه بحركة سريعة ، ليضىء المنزل كله ، وهو يحدّق فى وجه ذلك الشخص ، الذى جلس على المقعد المواجه للباب ، يتطلّع إليه فى هدوء ، ثم هتف فى حنق :

ـ أنت ؟!.. ما الذى تفعله هنا ؟

أجابه (ديجنتى) فى هدوء مستفز :

ـ دعنا نرتب الأجوبة يا عزيزى (هو نور) .. أخبرنى أنت أوّلا لماذا لا تخيفك عيون الحراسة ، وسأخبرك بعدها ماذا أفعل هنا .



والتصق بجدار المنزل المقابل لحظة ، راقب خلالها واحدة من دوريات المراقبة الجلوريالية ، وهى تجوب المنطقة ..

عقد (هو نور) حاجبيه لحظة فى غضب ، ثم لم يلبث أن تمالك جأشه ، ورسم على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

ـ لا شيء يخيف (هو نور) .

قال (ديجنتى) فى برود :

ـ عجبًا !.. ولكن عيون الحراسة هذه تعمل بوسائل إليكترونية ، بحيث ترصد كل من يجوُل ، فى أثناء فترات الحظر ، وتهاجمه لتبيده على الفور ، باستثناء جنود (جلوريال) ، و ...

واكتسى صوته بخشونة مباغتة ، وهو يستطرد :

ـ والمتعاونين معهم .

صرخت كل خلية من خلايا وجه (هو نور) بالغضب ، وهو يقول :

ـ ما الذى تعنيه بهذا القول يا (ديجنتى) ؟

قال (ديجنتى) فى برود :

ـ وما الذى تصوُرت أننى أعنيه .

زمجر (هو نور) فى غضب ، ثم انقضّ فجأة على (ديجنتى) ، صارخًا :

ـ أيها الحقير .

قفز (ديجنتى) فى مقعده ، ليتفادى الانقضاضة ، ولكن

(هو نور) لكمه فى قوة ، فألقى به أرضًا ، وعاد ينقضّ عليه صارخًا :

ـ أتتهمنى بالخيانة ؟

استقبله (ديجنتى) بقدميه فى صدره ، ورفعه فى مهارة ، ليلقى به خلفه ، قائلًا :

ـ ولماذا تصوَّرت هذا ؟

ارتطم (هو نور) بالجدار ، وسقط أرضًا فى عنف ، ولكنه قفز واقفًا على قدميه فى سرعة ، وقفز مرة أخرى نحو (ديجنتى) ، إلا أن هذا الأخير استقبله بلكمة قوية فى فكه ، مكملًا :

ـ أهناك ما يدعوك إلى الشك فى نفسك ؟

احتمل (هو نور) اللكمة فى بسالة عجيبة ، وأحاط وسط (ديجنتى) بذراعيه القويتين ، وهو يدفعه أمامه ، صائحًا :

ـ نعم .. ثقتى بكم .

سقط الاثنان أرضًا ، وتحرَّك (هو نور) بسرعة مدهشة ، فلوى ذراع (ديجنتى) فى قوة ، ثم أحاط عنقه بذراعه الأخرى ، وهو يقول :

ـ والآن دعنا نفترض أننى خائن ، وأنك كشفت أمرى .. حينئذ يكون التصرَّف المنطقى هو ...

وضغط عنق (ديجنتى) فى قوة ، مستطردًا فى شراسة :

ـ أن أقتلك .

شعر (ديجنتى) بالألم فى عنقه ، وحاول التخلص من (هو نور) ، إلا أن ذراع هذا الأخير كانت تعتصره بقوة شديدة ، جعلته يسعل فى قوة ، قبل أن يرخى (هو نور) ذراعه فجأة ، وهو يقول :

ـ ولكننى لن أفعل .

ودفع (ديجنتى) أمامه ، ثم انحنى يلتقط المصباح ، الذى سقط فى أثناء القتال ، وعلَّقه فى موضعه بالسقف ، مضيفًا فى غضب :

ـ لعل هذا يقنعك .

سعل (ديجنتى) مرة أخرى ، ثم نهض يجلس على المقعد ثانية ، وقال :

ـ مازلت عنيفًا سريع الغضب يا (هو نور) .

قال (هو نور) ، وهو يتخذ المقعد المقابل له :

ـ ما ذكرته أنت يستحق هذا .

هزَّ (ديجنتى) عنقه ، وقال :

ـ ولكن تهوَّرك هذا يعرضك دائمًا للخطر .

هزَّ (هو نور) كتفيه بلا مبالاة ، واسترخى فى مقعده ، وهو يقول :

ـ دعك من هذا ، وأخبرنى .. ماذا تفعل هنا ؟

أجابه (ديجنتى) :

ـ لقد بدأت فترة حظر التجوال ، وأنا بعيد عن منزلى ، وكان منزلك هو أقرب مكان إلىّ ، فلجأت إليه .

ثم انعقد حاجباه فى توتر ، وهو يستطرد :

ـ ولكنك لم تجب عن سؤالى أنا بعد .. لماذا لا تخشى عيون الحراسة الإليكترونية ؟

قال (هو نور) بسرعة :

ـ ومن قال إننى لا أخشاها ؟.. إننى أرتجف رعبًا منها .

ثم مال نحوه ، مستطردًا :

ـ ولكننى كشفت طريقًا يبعدنى عن متناول يدها ..

وعاد يتراجع ، هاتفًا فى مرح :

ـ لو أن لها يد .

قالها وقهقه ضاحكًا بصوت عال ، دون أن يشاركه (ديجنتى) ضحكته ..

لقد كانت نفسه تمتلئ بالشك ..

الشك بلا حدود ..

★ ★ ★

قطع (آجور) قائد الفرسان الجلوريالى ذلك الممر الطويل ، الذى يقود إلى حجرة القادة ، فى خطوات واسعة سريعة ، وتوقف أمام باب الحجرة ، قائلًا فى صرامة واعتداد :

ـ (آجور) .. قائد الفرسان .

انتقل صوته عبر لاقط حسّاس ، إلى جهاز التحليل الصوتى ، الذى حدّد شخصية صاحبه بدقة متناهية ، لا تزيد نسبة الخطأ فيها على واحد لكل ستة ملايين ، ثم تألق الباب كله لحظة ، وتلاشى تمامًا ، مع صوت آلى يقول :

ـ مرحبًا بقائد الفرسان .

عبر (آجور) الباب إلى الداخل ، حيث اجتمع عدد من قادة جيوش (جلوريال) ، نهضوا جميعًا لاستقباله ، فى احترام يشف عن مكانته ، فاتخذ هو مقعده على رأس المائدة ، وقال :

ـ هل أعددتم الخطة ؟

أجاب أحدهم :

ـ إننا ندرس احتمالات المسار .

وبإشارة من يده أطفئت الأنوار ، وتكوّنت فى منتصف المائدة خريطة فضائية هولوجرافية ، والقائد يتابع ، وهو

يشير بعصاه اللامعة إلى مسارات محدودة على الخريطة المجسّمة :

- هناك أربعة دروب سريعة ، من (سيتا - ٣) إلى هنا .. أوّلها هو طريق (سينو) ، ولقد استبعدناه لأنّه مباشر أكثر مما ينبغى ، ويمكن رصد كل أجزائه من هنا ، ثم طريق (جلاتا) ، وتم استبعاده أيضا ، لأنّه الطريق الذى تتخذه السفن الإمبراطورية عادة ، ومنه يمكن رصد السفينة الأرغورانية ، قبل وصولها إلى المدار ، مما يترتب عليه سهولة محاصرتها ، والتصدّى لها ، خاصة وأنها ليست بالسفينة الصالحة للمناورات القتالية .. يتبقى أمامنا طريقان : (ستيرنا) و (ميروريا) .. ومن المعروف أن الثانى يكتظ بعدد لابأس به من النيازك والكويكبات ، التي تخلّفت عن حروبنا مع كوكب (مير) ، الذى نسفناه عن آخره ، وأبدنا الحياة فيه عن آخرها .

نطق الجزء الأخير فى زهو مقزّز ، وكأنما يجد الفخر - كل الفخر - فى تدمير كوكب مأهول ، وإبادة سكانه ، دونما ذنب جنوه ، قبل أن يستطرد :

- وهذا يجعل الملاحة فى (ميروريا) مستحيلة ، مع سفينة ضخمة مثل (أرغوريا) الإمبراطورية .. لا يتبقى أمامنا إذن سوى (ستيرنا) .

هزّ (آجور) رأسه متفهمًا ، وقال :

- عظيم .. الآن وقد حدّدنا المسار المحتمل .. ما الخطوة التالية ؟!

ابتسم القائد فى هدوء ، فى حين أجاب آخر فى حزم :

- الإبادة .

نظر إليه (آجور) فى تساؤل ، فتابع فى حماس :

- سنرسل فرقة كاملة من مقاتلينا ، إلى طريق (ستيرنا) ، لاستقبال (أرغوريا) بأشعتهم الأرجوانية الساحقة .

وقهقه ضاحكًا ، قبل أن يستطرد :

- سيكون استقبالًا لائقًا بسفينة إمبراطورية .

صمت (آجور) طويلًا ، وهو يفكر فى عمق ، قبل أن يسأل :

- وكم مقاتلة ينبغى إرسالها ؟

أجابه قائد ثالث :

- صحيح أن (أرغوريا) سفينة إمبراطورية ، ولكنها مزوّدة ببعض الوسائل الدفاعية ، التى نجهل ما إذا كان ذلك القادم من (سيتا - ٣) يجيد استخدامها أم لا ، ولكننا سنفترض قدرته على استعمال كل ما لديه من أسلحة ، وأن بصحبته فريقًا لمعاونته .. فى هذه الحالة نكون فى حاجة إلى عشرين مقاتلة على الأقل .

قال (آجور) على الفور :

ـ أرسل ثلاثين مقاتلة .

بدا الارتياح على وجه الرجل ، وهو يقول :

ـ سمعًا وطاعة يا قائد الفرسان .

بدا عليه التفكير لحظات أخرى ، قبل أن يقول :

ـ وماذا عن باقى الطرق ؟

سأله أحد القادة فى دهشة :

ـ ماذا عنها ؟!

أجاب فى حزم :

ـ هل نتركها هكذا ، دون احتياطات أمنية ؟

تبادل القادة نظرة دهشة ، قبل أن يقول أحدهم :

ـ ولكننا درسنا كل الاحتمالات يا قائد الفرسان ، و ...

قاطعه (آجور) بصرخة هادرة ، وهو يضرب سطح المائدة بقبضته فى قوة :

ـ خطأ .

تراجع القادة فى دهشة مذعورة ، عندما شقت قبضته المائدة إلى نصفين ، وعقد هو حاجبيه فى دهشة مماثلة ، وغمغم :

ـ معذرة .

ثم استعاد صرامته الغاضبة ، وهو يستطرد :

ـ أتعلمون لماذا هزمنا ذلك المنقذ فى كوكبه ؟.. أتذكرون كيف حطم وحده جيوشنا ، وقتل إمبراطورنا ، وأجبرنا على الجلاء ؟.. لقد فعل كل هذا لأنه كان يتجه دائمًا إلى حيث لا نتوقع ذهابه أيها السادة .. كان يضرب ضربته حيث لا يتوقعه أحد .

تبادلوا نظرة متوترة ، وهو يتابع فى انفعال :

ـ صحيح أننا ركزنا قوتنا هنا .. عند مخرج طريق (ستيرنا) .. ولكن ماذا لو فاجأنا هو من (جلاتا) .. أو (سينو) .. أو حتى عبر نيازك (ميروريا) ؟

تمتم أحد القادة :

ـ هذا مستحيل يا قائد الف...

قاطعه فى غضب :

ـ لا يوجد مستحيل !

ثم لوّح بذارعه ، مستطردًا ، فى حدة :

ـ فلنرسل ثلاثين مقاتلة إلى (ستيرنا) ، وخمس مقاتلات إلى كل طريق آخر ، حتى يمكننا استقباله أينما ظهر .

غمغم أحد القادة :

ـ لا بأس .. هذا لن يضر .

هتف فى حزم :

ـ ولكنه قد يفيد .

ثم استطرد فى صرامة :

ـ ينبغى أن تعلموا أن جلالة الإمبراطور (سيلبا) مصرّ على ألا يصل ذلك المنقذ إلى (أرغوران) ..

وانعقد حاجباه فى شراسة ، وهو يضيف :

ـ ألا يصل أبدًا .

وارتجفت أجسادهم مرة أخرى .

★ ★ ★



٨ ـ الوجه الآخر ..

اتسعت عينا (نور) فى شدة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، والسفينة الإمبراطورية تخترق الثقب الأسود بسرعتها المذهلة ، فى حين صرخت (سلوى) ، وشهقت (نشوى) فى رعب ، وهتف (محمود) :

ـ رباه !

ولكن فجأة ، اخترقت السفينة الثقب ، وعبرته إلى الجانب الآخر .

وكان هذا الجانب مبهرًا ..

ضوء هائل غمر السفينة ، عبر نافذتها الكبرى ، قبل أن تبتعد بسرعتها التى تفوق سرعة الضوء نفسه ..

وهتفت (نشوى) بأنفاس مبهورة :

ـ ماذا حدث ؟

أجابها (نور) فى انفعال :

ـ لقد عبرنا الثقب الأسود ، وقفزنا إلى الجانب الآخر منه ، ولكننا لم نستطع رؤية ما حدث ، بسبب سرعتنا المذهلة ، التى تفوق حتى سرعة الرؤية .

وهتف (رمزى) :

ـ انظروا .

كان يشير إلى خريطة النجوم ، فالتفت إليها الجميع



اتسعت عينا (نور) في شدة ، دون أن ينبس ببنت شفة ، والسفينة الإمبراطورية تخترق الثقب الأسود ..

بسرعة ، وصاحت (سلوى) :

ـ يا إلهى !.. لقد قفزت السفينة مائة سنة ضوئية دفعة واحدة .

قالت (مشيرة) فى حماس :

ـ إذن فهذا هو سر عبور الثقب الأسود .. إنه فجوة فضائية ، تقود إلى أبعاد سحيقة من الكون .(*)

هزّ (أكرم) رأسه ، وهو يقول مبهورًا :

ـ إنه كشف علمى رهيب .. كم أتمنى رؤية ما حدث ؟

قال (محمود) فى سعادة :

ـ إنه ليس الكشف العلمى الوحيد ، الذى حقّقته هذه الرحلة يا صديقى .

وابتسم (نور) ، وهو يقول :

ـ أما بالنسبة للرؤية ، فيمكنك هذا بالتأكيد .

هتف (أكرم) :

ـ حقًا ؟!

وقالت (سلوى) فى انفعال :

ـ حقًا يا (نور) .. أيمكننا رؤية ما حدث حقًا ؟!

أجابها وهو يضغط عدة أزرار أمامه :

(*) هذه واحدة من النظريات العلمية الفعلية ، التى تحاول تفسير ظاهرة الثقوب السوداء .

ـ بالتأكيد فـ (أرغوريا) مزوّدة بآلة تصوير خاصة ، تلتقط كل ما تمر به فى رحلتها ، وبسرعة مناسبة للغاية ، على الرغم من سرعتها الفائقة ، بحيث يمكنها إعادة عرض ما التقطته بسرعة معقولة .

ثم أشار إلى الشاشة ، التى تحمل صورة (بودون) ، مستطردًا :

ـ كهذا .

تلاشت صورة (بودون) ، وحلّت محلها صورة الثقب الأسود ، والسفينة تتجه إليه فى سرعة ، ثم تخترقه ، و ..

وشهق الجميع في انبهار ..

لقد كان الجانب الآخر من الثقب الأسود نسخة معكوسة تمامًا ، من الجانب الذى اخترقوه ..

كل الضوء الذى يمتصه الثقب الأسود ، كان يقذفه من جانبه الآخر ، على هيئة ضوء مبهر ، وضياء ما بعده ضياء ..

ضياء لا يفوقه إلا الخالق عز وجلّ ..

نور مبهر جميل ، ينبع من قرص أبيض شاهق ، يتألق فى الفضاء كألف شمس وشمس ، ولكن دون حرارة أو دوران ..

وهتفت (مشيرة) :

ـ باللروعة !

ثم سألت (نور) فى لهفة :

ـ هل يمكننى استعارة هذا الشريط ، عند عودتنا إلى الأرض ؟

استدار إليها (نور) وتطلّع إليها فى صمت ، فارتجف صوتها ، وذهبت لهفتها ، وهى تتمتم :

ـ هذا لو عدنا إليها .

اعتدل (نور) على مقعده ، وساد وجوم رهيب داخل المكان ، قبل أن تتمتم (سلوى) فى مرارة :

ـ كدت أنسى المشكلة الرئيسية .

قال (نور) ، وهو يضغط الأزرار مرة أخرى :

ـ وأنا أيضًا .

ذهبت صورة الثقب ، وعادت صورة (بودون) ، فسألها (نور) فى اهتمام :

ـ إننا لم نتم حديثنا السابق .. هل يوجد طريق أقصر إلى (أرغوران) ؟

أجابه (بودون) :

ـ نعم .. يوجد طريق آخر ، يمكنه أن يختصر ستة أيام من الرحلة .

هتفت (مشيرة) فى فرح :

ـ حقًا ؟!

وتنهد (أكرم) فى ارتياح ، مغمغمًا :

ـ حمدًا لله .

ولكن (بودون) استدرك بسرعة :

ـ ولكن عبوره مستحيل .

هبطت استدراكته على رءوسهم كالصاعقة ، فهتف به (نور) :

ـ ولماذا مستحيل ؟

أجابه فى هدوء :

ـ لأن هذا الطريق كان يقود إلى كوكب مأهول ، نطلق عليه اسم (مير) ، ولكن غزاة (جلوريال) وطغاته حاربوا هذا الكوكب المسالم ، وطلبوا منه الاستسلام ، إلا أن سكانه أبوا أن يستسلموا ، وأصرّوا على القتال حتى النهاية ، على الرغم من فارق القوة الواضح ، بينهم وبين (جلوريال) ، وأشعلوا النيران فى كل مكان يصلح لهبوط مقاتلات (جلوريال) ، ونسفوا السدود ، وأغرقوا المدن ، فجنّ جنون طغاة (جلوريال) ، وقرّروا تلقين كل الكواكب درسًا فى عدم جدوى المقاومة ، ونسفوا (مير) .

هتفت (سلوى) فى ارتياع :

ـ نسفوا الكوكب كله .

أجابها دون أية انفعالات :

ـ نعم .. نسفوه عن آخره ، وأبادوا سكانه كلهم بلا استثناء ، ولم يتبق منه سوى ملايين النيازك والصخور الضخمة ، التى تملأ الفضاء ، وتجعل الملاحة مستحيلة .

بدت خيبة الأمل على وجوه الجميع ، وتمتمت (مشيرة) فى أسى :

ـ لا بأس .. كان الحلم أجمل من أن يتحقّق .

ولكن (نور) عقد حاجبيه فى حزم ، وهو يسأل (بودون) :

ـ أتوجد لديك صورة مسجّلة لهذا الطريق ؟

أجابه فى اقتضاب :

ـ بالطبع .

وتلاشت صورته عن الشاشة ، وظهرت صورة لفضاء شاسع ، اكتظ عن آخره بالكتل الصخرية والنيازك والكويكبات الصغيرة ، على نحو مثير للدهشة والإحباط ، فى حين تابع صوته بنفس الآلية :

ـ هذه الصورة مصغّرة بنسبة واحد إلى ستة آلاف .

تمتم (رمزى) :

ـ الملاحة مستحيلة بالفعل .

ولكن (محمود) قال فى اهتمام :

ـ ربما لو أمكننا المناورة .

أتاه صوت (بودون) ، يقول :

ـ سنجرى اختبار مناورة .

ظهرت على الشاشة فجأة صورة لـ (أرغوريا) ، وهى تنطلق بين الصخور والنيازك ، وتناور بأقصى إمكانياتها ، وصوت (بودون) يتابع :

ـ نسبة الدقة فى التماثل الصناعى تسعة وتسعون وستة من عشرة من المائة .

تابع الجميع المشهد فى اهتمام ، و (محمود) يقول فى حماس :

ـ هيا يا (أرغوريا) .. أعلم أنه يمكنك هذا .. فقط اكتسبى قليلًا من المرونة والـ ...

ولكن (أرغوريا) اصطدمت ببعض النيازك ، وانفجر جزء من جانبها الأيسر ، ففقدت توازنها ، وانحرفت فى عنف ، لتصطدم بكويكب صغير ، وتنفجر تمامًا ..

وانتفض جسد (سلوى) فى هلع مع الانفجار ، ثم أطلقت ضحكة عصبية ، قائلة :

ـ رباه !.. لقد تخيلت لحظة أنه مشهد طبيعى .

أما (بودون) ، فقال بهدوئه الآلى المثير :

ـ فكرة المناورة مستحيلة .

هتف (أكرم) فى حنق :

ـ وما أدرانا أن هذا ما سيحدث ؟

أجابه (نور) :

ـ إنه جهاز تماثل .. يمتلك كل البيانات عن (أرغوريا) ، وعن ذلك الطريق ، وهو يدرس الموقف بحيادية تامة ، وينقل إليك صورة تخيلية مصنوعة بوساطة الكمبيوتر ، لما يحتمل حدوثه بنسبة كبيرة .

مطَّ (أكرم) شفتيه ، وهو يقول فى سخط :

ـ ربما .

أما (نور) ، فقد التفت إلى الشاشة ، وقال :

ـ هل يمكنك إعادة الاحتمال ؟

أجابه (بودون) :

ـ بالتأكيد .

وأعاد عرض التماثل ، مع اختيار زاوية جديدة لاقتحام طريق (ميروريا) ، وأسلوب جديد للمناورة ..

ولكن النهاية جاءت مماثلة ..

فشل المناورة ..

والانفجار ..

وأعيد العرض مرة ثالثة ..

ورابعة ..

وخامسة ..

وسادسة ..

وفى كل مرة كان أحد الحاضرين يدلي باقتراح ما ، فيضعه الكمبيوتر موضع التنفيذ ، ويبدل الأساليب والطرق والزوايا ..

ولكن النتائج لم تختلف قط ..

الفشل ..

وفى كل مرة ..

وأخيرًا زفرت (مشيرة) فى توتر ، وهى تقول :

ـ لا فائدة .

وشدّ (أكرم) قامته ، مضيفًا :

ـ وما زال اقتراحنا ساريًا .

نظر إليه (نور) فى صمت ، وانعقد حاجباه ، وهو يفكّر فى عمق شديد ، فغمغمت (مشيرة) فى حزن :

ـ لا ترهق نفسك يا (نور) .. إننا ..

استوقفتها (نشوى) بسرعة :

ـ مهلًا .. لا تقاطعى أبى فى أثناء تفكيره .

وكأنما كانت عبارتها هذه أمرًا مباشرًا للجميع ، فران على المكان صمت رهيب ، وتطلّع الجميع إلى (نور) فى لهفة وترقّب ..

ولكن (نور) لم يشعر بكل هذا ..

كان مستغرقًا بكل حواسه فى التفكير ، بحثًا عن مخرج من هذا المأزق الرهيب ..

صحيح أن (مشيرة) و (أكرم) قد ارتكبا حماقة كبرى ، عندما تسلّلا إلى السفينة ، دون تقدير العواقب ، ولكنه لا يجد فى نفسه القدرة على اتخاذ القرار الحازم الحاسم الصارم فى هذا الشأن ..

لا يمكنه أن يتخلّى عنهما ، ويسمح لهما بمغادرة السفينة ، والموت فى الفضاء المظلم البارد اللانهائى ..

ولا يمكنه ، فى الوقت نفسه ، أن يسمح بموت الجميع ..

إنها مسئوليته كقائد ..

وكأب ..

وصديق ..

وإنسان ..

ولكن كل الطرق بدت مسدودة ..

وكل الحلول بدت عقيمة ، مستحيلة ..

وفى أسى رفع عينيه إلى صورة (بودون) ، وقال :

ـ متى نصل إلى ذلك الطريق ؟

أجابه بآليته الرتيبة :

ـ نبلغ بداية طريق (ميروريا) بعد ستة عشر يومًا من الآن .

سأله (نور) :

ـ وكم يحتاج اجتيازه ؟

أجاب (بودون) :

ـ عند بلوغ مدخل (ميروريا) ستخفض (أرغوريا) سرعتها بدرجة كبيرة للغاية ، بسبب الصخور والكويكبات والنيازك ، المنتشرة فى كل مكان ، وستحتاج إلى ست ساعات كاملة ، بهذه السرعة البطيئة ، لعبور منطقة (مير) ، وبعدها يمكنها العودة إلى السرعة الأصلية ، وهذا يعنى أن الفترة المدخرة من الوقت ستنخفض من ستة أيام أرضية إلى خمسين ساعة فحسب .

قال (نور) :

ـ إنها تكفى .. لو نجحنا فى عبور هذه الساعات الست .

عاد إلى تفكيره القلق بعض الوقت ، حتى قاطعه (أكرم) فى حزم :

ـ لا داعى لأن تقلق نفسك أكثر يا (نور) .. لقد وجدت الحل .

التفت إليه (نور) ، يسأله فى دهشة :

ـ أى حل ؟

أشار بيده فى عصبية ، وقال :

ـ أخبرنى (رمزى) أنه توجد هنا ثلاث مقاتلات

أرغورانية .. سنستقل واحدة أنا و (مشيرة) ، ونحاول العودة إلى الأرض ، و ...

قاطعه (نور) بهتاف قوى :

ـ يا إلهى !

انعقد حاجبا (أكرم) فى دهشة ، وقال :

ـ إنها مقاتلة واحدة ، ولن ...

ولكن (نور) أمسك ذراعيه فجأة ، وهو يهتف فى حماس :

ـ (أكرم) .. يا صديقى العزيز .. لقد عثرت على الحل .. الحل لاجتياز منطقة (مير) .

واشترك الجميع مع (أكرم) ، فى التحديق فى وجه (نور) فى دهشة ، وهتفت (سلوى) فى انفعال :

ـ آه .. عيناك يا (نور) ..

وعندما انتقلت أبصارهم إلى عينيه أدركوا سر هتافها ..

لقد كانت عينا (نور) تبرقان ..

تبرقان فى شدة .

* * *



ولكن (نور) أمسك ذراعيه فجأة ، وهو يهتف فى حماس :
ـ (أكرم) .. يا صديقى العزيز .. لقد عثرت على الحل ..

٩ ـ مَنْ ؟!..

اجتمع مجلس قادة المقاومة الأرغورانية السبع ، فى ذلك المنزل البسيط ، فى قلب عاصمة (أرغوران) القديمة ، واصطفوا فى ذلك الشكل الحلقى الواسع ، وقال (ديجنتى) ، وهو يدير عينيه فى وجوه الجميع :

ـ أظنكم تتساءلون لماذا نجتمع الآن ، ولم يمض سوى أسبوعين ، على آخر اجتماعاتنا ؟

تمتمت (نوفا) :

ـ إننى أتساءل بالفعل .

واعتدل (ترات) ، وهو يسأل فى اهتمام

ـ هل أتت رسالة جديدة من القائد ؟

أومأ (ديجنتى) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ـ نعم .. وهى رسالة بالغة الخطورة .

هتفت (ريستا) :

ـ حقًا ؟!

ثم استدركت فى ارتباك :

أعنى أن كل ما يرسله القائد بالغ الخطورة .

وقال (هو نور) فجأة فى ضيق :

ـ لماذا لا ترى هذا القائد أبدًا ؟

أجابه (ديجنتى) فى هدوء :

ـ لم يحن الوقت المناسب بعد .

قال فى حدة :

ـ أى وقت مناسب ؟.. إننا قادة المقاومة السبع ، وكل منا يقود ألفى رجل .

هتفت (نوفا) فى حزم :

ـ وامرأة .

مط (هو نور) شفتيه فى امتعاض ، وتابع وكأنه لم يسمعها :

ـ والمفروض أن كل رجل منهم يولينا ثقته التامة ، بدليل أنه يطيعنا ، ويلقى نفسه فى قبضة الموت بناء على أوامرنا ، فكيف لا يمنحنا هذا القائد الغامض ثقته .

وقال (ترات) فى حدة :

ـ نعم .. إننا أركان حربه .

وهتف (آرون) :

ـ المفروض أن يولينا ثقته .

ولوّح (كالوا) بقبضته ، قائلاً :

ـ لن نتبع قائدًا مجهولاً .

ظل (ديجنتى) صامتًا ، حتى أفرغوا انفعالاتهم ، ثم قال فى صرامة :

ـ هل انتهيتم ؟

غمغمت (ريستا) :

ـ إنهم لم يقصدوا هذا .

قال (هو نور) فى خشونة :

ـ بل قصدنا كل حرف منه .

اعتدل (ديجنتى) فى حزم ، وهو يقول :

ـ على أية حال ، لقد اجتمعنا هنا لهذا السبب .

لم يفهموا ما الذى يعنيه بالضبط ، فتطلعوا إليه فى تساؤل ، وقال هو فى حزم :

ـ إليكم ما أبلغنى به القائد .

وأدار عينيه فى وجوههم ، قبل أن يضيف :

ـ هناك خائن بيننا .

مضت لحظة عجيبة من الصمت ، وجميعهم يحدقون فى وجهه ، كما لو أنهم لم يفهموا بالضبط ما قاله ، ثم هتف (ترات) فى غضب :

ـ أى قول هذا ؟

وصاح (كالوا) :

ـ إنه أسخف شىء سمعته فى حياتى .

وانكمش (آرون) فى مقعده ، فى صمت ، فى حين رددت (نوفا) فى ذهول :

ـ مستحيل !.. مستحيل .

التفت (ديجنتى) إلى (هو نور) ، وقال :
ـ وأنت .. ألن تدلى بأى تعليق .
أجابه (هو نور) فى خشونة :
ـ كلا .
ثم أرخى جفنيه ، مستطردًا فى برود :
ـ لست أهوى المهاترات .
قال (ديجنتى) ، وهو يرمقه بنظرة صارمة :
ـ أتراها كذلك حقًا ؟
لم يجب (هو نور) ، وهو يغلق عينيه تمامًا ، ويمط شفتيه عن آخرهما ، فى حين همست (ريستا) فى ارتياع :
ـ (ديجنتى) .. ألست تمزح فى هذا القول ؟
أجابها (ديجنتى) بصوت صارم مرتفع ، سمعه الجميع :
ـ كلا يا (ريستا) .. لست أمزح على الإطلاق .. بل وأكرر فى إصرار .. هناك خائن فى مجلسنا هذا .
صاح (كالوا) :
ـ من قال هذا ؟
أجابه بلهجة أشبه بالتحدى :
ـ القائد .

ران صمت مباغت ، بعد جوابه هذا ، فقطعه هو مستطردًا :
ـ لقد زارنى أمس فجأة ، وهو لا يفعل هذا قط ، إلا إذا كان الموقف فى غاية الخطورة ، وأبلغنى أنه علم من أحد مصادره ، أن رجال الإمبراطور (سيليا) علموا بأمر المنقذ ، وقرب وصوله إلى (أرغوران) .
قال (هو نور) فى برود ، دون أن يفتح عينيه :
ـ وما الذى يعنيه هذا ؟
أجاب (ديجنتى) فى صرامة :
ـ يعنى أنهم سيعدون العدة لاستقباله ، وربما نجحوا فى القضاء عليه ، قبل أن يبلغ (أرغوران) .
قال (هو نور) :
ـ هذا أمر طبيعى .
ارتفع حاجبا (ديجنتى) فى دهشة ، وهو يقول :
ـ طبيعى ؟!
أجابه (هو نور) فى حدة مفاجئة :
ـ نعم .. أمر طبيعى ، ولقد حذرتكم منه منذ البداية .. مادام قائدنا المبجل قد استقبل إشارة (أرغوريا) ، فور بدء رحلتها من (سيتا ـ ٣) ، فليس هناك ما يمنع من أن يستقبلها غزاة (جلوريال) أيضًا .

قال (ديجنتى) فى حدة مماثلة :
ـ بل هناك ما يمنع يا رجل .. إن القائد استقبل الإشارة بجهاز خاص ، يتصل مباشرة بالسفينة (أرغوريـا) ، ولا توجد منه سوى نسخة واحدة ، هى تلك التى يمتلكها ، ثم إن الإشارة لن تبدو لمن يستقبلها مختلفة ، عن نبضات النجوم ، التى يستقبلها طوال الوقت ، وحتى لو أمكنه تمييزها من بينها ، فكيف يعلم أن هذه الإشارة ، التى لم تستغرق سوى جزء من الثانية ، تعنى أن المنقذ قد انطلق من (سيتا ـ ٣) ، فى طريقه إلى هنا ؟
ضاقت عينا (هو نور) ، وهو يستمع إلى هذا ، فى حين تابع (ديجنتى) فى انفعال :
ـ أضف إلى هذا معلومة هامة ، وهى أن القائد يعلم بأمر الجاسوس .
ضاقت عينا (هو نور) أكثر ، وشحبت وجـوه الآخرين ، فيما عدا (نوفا) ، التى سألت فى لهفة :
ـ وهل يعرف القائد من هو ؟
أجابها فى حزم :
ـ إنه واحد من قادة المجلس السباعى ، وينقل كل أسراره إلى القصر الإمبراطورى ، الذى يتمّ استقباله فيه تحت اسم (اكس ـ ١) .

ارتجف أحد الحاضرين ، عند سماعه هذا الاسم ، ولكن ارتجافته ظلّت كامنة فى أعماقه ، ولم تصعد إلى سطحه ، و (ديجنتى) يتابع :
ـ ولقد توصّل القائد إلى هذه المعلومات من مصدر موثوق به تمامًا .
سألته (ريستا) مرتجفة :
ـ ومن هذا الجاسوس الخائن ؟
مطّ (ديجنتى) شفتيه لحظة فى ضيق ، قبل أن يقول :
ـ لسنا نعرف من هو بالتحديد .
هتف (آرون) :
ـ ماذا تعنى ؟
أجابه فى ضيق واضح :
ـ إنه لا يذهب إلى القصر الإمبراطورى بهيئته الحقيقية قط ، ولا يستخدم صوته المعروف أيضًا .. إنه شخص شديد الحذر ، يجيد لعب دوره فى مهارة مدهشة ، حتى أنه نجح فى إخفاء أمره حتى الآن .
ارتفعت فجأة تنهيدة ارتياح ، من مكان ما بالحجرة ، ولكن صاحبها كتمها بسرعة مدهشة ، فهتف (ديجنتى) :
ـ من فعل هذا ؟

تطلّع الجميع بعضهم إلى البعض فى حيرة ، ثم هتف (ترات) :

- يخيّل إلىّ أننى سمعتها من هناك .

صاح به (هو نور) فى غضب :

- صه أيها الحقير .. سأقطع لسانك لو ألقيت الاتهامات جزافًا مرة أخرى .

انكمش (ترات) فى مقعده ، فى حين قالت (ريستا) :

- بل أعتقد أننى سمعتها من هناك .

وهتفت (نوفا) :

- بل من هناك .

ارتبك الجميع ، وراح كل منهم يشير إلى منطقة الآخرين ، حتى هتف (ديجنتى) فى صرامة :

- كفى .

ساد الصمت التام على الفور ، فاستطرد فى حدة :

- فليكن .. حتى مع ارتكابه ذلك الخطأ الواضح ، نجح ذلك الجاسوس فى إخفاء أمره مرة أخرى .. ولكن هذا لن يستمر إلى الأبد .. لقد اتخذ القائد عدة قرارات ، لتفادى أية مخاطر ، فى المرحلة القادمة :

- تطلّع إليه الجميع فى اهتمام بالغ ، فتابع فى حزم :

- سنوقف كل أعمال المقاومة مؤقتًا ، منذ هذه

اللحظة ، وحتى وصول المنقذ ، ولن يجتمع المجلس ثانية قط ، حتى يصدر بهذا أمر آخر ، من القائد أو المنقذ ، وعلى كل منكم أن يبلغ رجاله بهذه الأوامر الجديدة ، ويطالبهم بإيقاف نشاطهم تمامًا ، حتى إشعار آخر .

تبادل الجميع نظرات القلق ، ثم قال (هو نور) فى حدة :

- يا للسخافة !

قال (ديجنتى) فى صرامة :

- الأوامر هى الأوامر يا (هو نور) .

لوّح بكفه فى حدة ، وهو يقول :

- حسن .. حسن .. إننا نحفظ هذه المحاضرة عن ظهر قلب .. الأوامر هى الأوامر .. لقد أدركنا هذا منذ زمن .

واندفع يغادر المكان فى عنف ، ولحقت به (ريستا) ، هاتفة :

- (هو نور) .. انتظر .. الأمر لا يستحق كل هذا الغضب .

وانفضّ الاجتماع فى دقائق معدودة ، ورحل كل القادة إلى منازلهم ، وفى رءوسهم جميعًا فيما عدا شخص واحد دار سؤال محدود ..

من هو الخائن بينهم ؟!..

من ؟!..

★ ★ ★

عبر (آجور) باب حجرة اجتماعات القادة ، فنهض الجميع لاستقباله فى احترام ، وظلوا وقوفًا حتى احتل مقعده ، على رأس المائدة ، فجلسوا على مقاعدهم ، وأحدهم يبتسم ابتسامة كبيرة ، قائلًا :

ـ لم يعد هناك سوى طريقين يا قائد الفرسان .

سأله (آجور) فى اهتمام :

ـ ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟

ضغط الرجل طرف المائدة الجديدة ، فتكوّنت خريطة الفضاء الهولوجرافية أمامه ، وراح يشير إليها بعصاه اللامعة ، وهو يقول :

ـ اليوم تكون (أرغوريا) قد قطعت منتصف رحلتها تمامًا ، من (سيتا ـ ٣) إلى هنا ، ولكنها لم تظهر لراصدى (سينو) ، ولا لرجال المراقبة عند (جلاتا) ، وهذا يعنى أنه باستطاعتنا استبعاد هذين الطريقين تمامًا ، وهكذا لا يتبقى سوى طريق (ستيرنا) وطريق (ميروريا) .

سأله (آجور) فى صرامة :

ـ ولماذا لم يتم رصدهما أيضًا ؟

أشار قائد آخر بيده ، قائلًا :

ـ ليس بإمكاننا هذا بعد ، فالسفينة لن تدخل نطاق الرؤية ، بالنسبة لطريق (ستيرنا) ، إلا بعد عبورها (الكوازر) (زانتاك ـ ٧٥٦) ، أما بالنسبة لطريق (ميروريا) ، فلن يمكن رصدها إلا بعد عبورها منطقة (مير) ، بكل نيازكها وكويكباتها ، وصخورها .

ثم ابتسم فى سخرية ، مستطردًا :

ـ هذا لو أمكنها عبورها .

سأله (آجور) :

ـ ألا يمكنها هذا ؟

أسرع قائد ثالث ، يقول :

ـ مستحيل يا قائد الفرسان .. لقد عرضنا الأمر على الكمبيوتر مائة مرة ، فأعلن استحالة عبورها ، بنسبة مائة فى المائة .

قال (آجور) فى اهتمام :

ـ هذا يعنى أنه ليس أمامنا سوى طريق (ستيرنا) .

أجابه القائد الأوّل فى حزم :

ـ بالضبط .

ولوّح آخر بذراعه ، قائلًا :

ـ لو أردت رأيى يا قائد الفرسان ، فأفضل ما تفعله هو أن تسحب كل مقاتلاتنا ، وتحشدها عند طريق (ستيرنا) ..

استغرق (آجور) لحظات فى تفكير عميق ، ثم قال :

ـ كلا .

واعتدل فى مقعده ، مستطردًا :

ـ ستبقى المقاتلات الثلاثين كما هى ، عند طريق (ستيرنا) .. أما المقاتلات العشر ، التى تحمى (سيتو) و (جلاتا) ، فستنتقل إلى طريق (ميروريا) ، لتنضم إلى المقاتلات الخمس هناك .

ولوّح بكفه ، وهو يضيف فى حزم :

ـ معذرة أيها السادة ، فمهما كان رأى جهاز الكمبيوتر ، الذى تعتمدون عليه ، مازلت أصرّ على أن ذلك المنقذ قد يباغتنا فجأة بانقضاضة غير متوقعة ، وحتى يتم رصد سفينته بكل وضوح ، ودون ذرة واحدة من الشك ، سأظل أتساءل فى قلق .. من أين سيأتى المنقذ ؟!

وكان (آجرو) محقًا تمامًا هذه المرة ، فهذا هو السؤال ..

منْ أين سيأتى (نور) ؟..

منْ طريق (ستيرنا) أم (ميروريا) ؟!..

منْ يملك الجواب ؟..

منْ ؟..

* * *

١٠ ـ المواجهة ..

« ساعة واحدة ونبلغ طريق (ميروريا) .. »

نطقت صورة (بودون) بالعبارة فى آلية ، فاعتدل (نور) على مقعده ، وقال :

ـ اقتربت اللحظات الحاسمة .

ازدرد (محمود) لعابه فى توتر ، وشدّ (رمزى) قامته ، فى حين غمغم (أكرم) :

ـ أخيرًا .

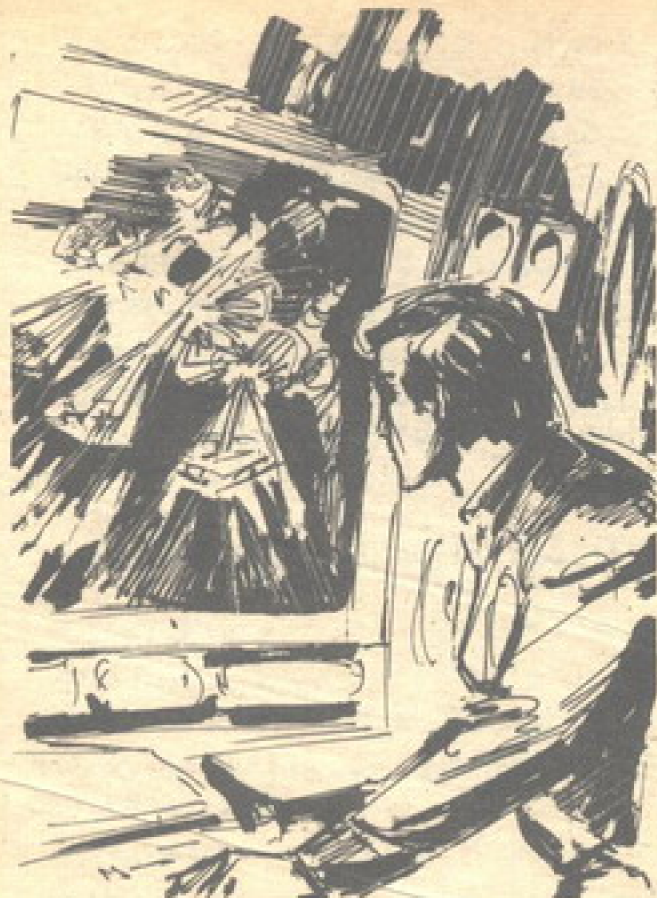
أما (سلوى) و (نشوى) و (مشيرة) ، فقد لذن بالصمت تمامًا ، والقلق يعصف بكيانهن ، ويطلّ من عيونهن واضحًا ، وخاصة عندما قال (نور) للكمبيوتر :

ـ أريد تماثلًا آخر للخطة الجديدة .

اختفت صورة (بودون) على الفور ، وحلّت محلّها صورة لطريق (ميروريا) ، بكل نيازكه (*) وكويكباته (**)

(*) النيزك : شهاب غير تام الاحتراق ، ينجح جزء منه فى الوصول إلى الأرض ، أو إلى أى كوكب آخر وينقسم إلى ثلاثة أنواع ، تبعًا للمادة التى يتكوّن منها ، (أيروليت) ، ويتكوّن من الصخور ، و (سيديريت) ، ويتكوّن من المعادن ، و (سيدروليث) ، وهو خليط من الصخور والمعادن .

(**) الكويكب : كواكب صغيرة ، تسبح فى المسافات بين الكوكبية ، أو فى الفراغات الفضائية . ويرجح أنها نواتج انفجار بعض الكواكب ، أو الأجسام الفضائية الضخمة .



كان مستغرقًا بكيانه كله فى متابعة الصور الخيالية المتماثلة ، التى وضعها الكمبيوتر ، طبقًا لخطته ..

وصخوره ، و (أرغوريا) تقترب منه فى سرعة ، ثم تنطلق منها ثلاث مقاتلات ، تسبقها فى تشكيل ثلاثى مدروس ، وتطلق أشعتها الأرجوانية على النيازك والصخور ، فتسحقها سحقًا ، لتشق بذلك طريقًا للسفينة الإمبراطورية .

وهتفت (نشوى) فى توتر :

ـ أبى .. إنها المرة الألف ، التى تراجع فيها هذه الخطة ، طوال الأسبوعين الماضيين .

لم يعلق (نور) بحرف واحد ..

بل لم يلتفت حتى إليها ..

كان مستغرقًا بكيانه كله فى متابعة الصورة الخيالية المتماثلة ، التى وضعها الكمبيوتر ، طبقًا لخطته ، حيث انطلقت المقاتلات الثلاث أمام (أرغوريا) ، و ...

واصطدمت واحدة من المقاتلات الثلاث بكويكب سابح ، فى منتصف المسافة ..

وانفجرت ..

وفى الثلث الثانى من المسافة ، انفجرت المقاتلة الثانية بسبب مشابه ..

وبقيت مقاتلة واحدة ..

ولكن (أرغوريا) نجحت ..

وعبرت منطقة (مير) القاتلة ..

وفى توتر، تمتم (رمزى):

ـ اثنان لواحد .

تطلع إليه (نور) فهتفت (سلوى):

ـ هذا التماثل مثير للأعصاب .

التفت إليها (نور)، وقال :

ـ إنه ليس صادقًا بنسبة مائة فى المائة .

هتفت (مشيرة):

ـ بالتأكيد .

رسم (نور) على شفتيه ابتسامة باهتة ، ثم أدار عينيه إلى (رمزى) و(أكرم)، قائلًا :

ـ هيا بنا .

نهضا استعدادًا لمؤازرته ، فى حين قال (محمود) فى توتر :

ـ ولماذا أبقى أنا ؟

أجابه (نور) فى حزم :

ـ لقد ناقشنا هذا الأمر ألف مرة .. أنت ستبقى ؛ لأنك أفضل من يجيد القيادة من بعدى ، ولأنه لا توجد سوى ثلاث مقاتلات فحسب .

قال فى عصبية :

ـ ولكن ..

قاطعه (نور) فى صرامة :

ـ لا مجال للمزيد من المناقشة .. انحسم الأمر .

ثم شد قامته ، قبل أن يضيف :

ـ وعليك أن تنفذ الأوامر بمنتهى الدقة .. لقد أجرينا اختبار التماثل عشرات المرات ، والنتائج النهائية تقول إن احتمالات نجاة (أرغوريا) تبلغ سبعة وتسعين فى المائة تقريبًا ، فى حين أنه من المحتمل أن ينجو ثلاثتنا بنسبة ثلاثة عشر فى المائة ، واحتمال أن ينجو اثنان هو ستة وعشرون فى المائة ، أما احتمال نجاة مقاتلة واحدة ، فهو ستة وثلاثون فى المائة ، وهناك احتمال خمسة وعشرين فى المائة ألا تنجو مقاتلة واحدة .. وفى كل الأحوال سيكون عليك أن تواصل الطريق إلى (أرغوران)، وتخبرهم هناك بما حدث .. هل تفهم ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، فى حين تفجَّرت الدموع من عينى (سلوى) و(مشيرة)، وأسرعت (نشوى) تعدو إلى حجرتها ، حتى لا تواجه الموقف ، وتابع (نور) بلهجة قائد حازم صارم :

ـ أما لو لقى ثلاثتنا حتفهم ، قبل منتصف المسافة ، فعليك أن تعود أدراجك ، وتنطلق على الفور إلى طريق (ستيرنا).

غمغم (محمود) :
ـ ومشكلة نقص الأكسجين .
قال (نور) فى خفوت :
ـ لن تكون هناك مشكلة حينذاك .
أدرك ما يعنيه ، فاغرورقت عيناه بالدموع ، وغمغم :
ـ (نور) .. إننى ..
قاطعه (نور) فى حسم ، قبل أن يغلبه تأثره :
ـ تول القيادة .
ثم انسحب مع (رمزى) و (أكرم) إلى قاعة المقاتلات ، وهناك ارتدى كل منهم زيه الفضائى ، وقال (نور) فى حزم :
ـ بغض النظر عن كل النتائج والاحتمالات ، سننطلق فى تشكيل ثلاثى متواز ، وسنسبق (أرغوريا) بمسافة كافية ، بحيث يمكننا فتح الطريق أمامها بشكل هادئ .. لا أريد أية مناورات عنيفة أو غير مسئولة ، فالأمر هنا لا يتعلق بالشجاعة ، بقدر ما يتعلق بأرواح الباقين هنا .. مفهوم ؟
أجابه الاثنان فى آن واحد :
ـ مفهوم .
التقط (نور) نفسًا عميقًا ، وهو يرتدى خوذته ، قائلًا :

ـ ولا تجعلا نتائج التماثل تزعجكما ، فحتى لو نجا واحد منا فحسب ، فيعنى هذا أن الباقين قد نجوا على الأقل ، وأن (أرغوريا) ستواصل رحلتها إلى (أرغوران) .
تمتم (أكرم) :
ـ وما فائدة هذا ؟
صمت (نور) دون أن يجيب ، فاستطرد (أكرم) :
ـ ما فائدة أن تصل (أرغوريا) إلى (أرغوران) ، بدون الشخص الوحيد الذى ينتظر الكوكب كله وصوله .
بدا وكأن (رمزى) لم ينتبه إلى الأمر ، إلا فى هذه اللحظة ، فهتف :
ـ هذا صحيح يا (نور) .. المفروض أن تبقى أنت هنا ، وننطلق أنا و (محمود) و (أكرم) لمواجهة النيازك والشهب والصخور .
قال (نور) فى حزم :
ـ مستحيل !.. أنا القائد هنا .
أجابه (أكرم) :
ـ هذا صحيح ، والقائد ينبغى أن يبقى ، وإلا فلا فائدة لكل ما نفعله .
قال (نور) :
ـ القائد يتقدم رجاله دائمًا .

قال (أكرم) :

ـ مجرد قول طريف ، يرجع إلى العهود القديمة ، ولكنه لا يتناسب مع الحروب الحديثة ، حيث تتفوّق العقول على الأسلحة .

وأيده (رمزى) ، قائلًا :

ـ هذا صحيح يا (نور) .

ولوّح (أكرم) بيده ، قائلًا :

ـ ثم هل تعتقد أن برنامج هذه السفينة سيقبل بكل بساطة فكرة التحوّل إلى القيادة اليدوية ، فىّ حالة فشلنا ؟.. تخطئ لو تصورت هذا .. البرنامج لا يسعى إلا لهدف واحد .. سلامة (أرغوريا) .

تنهّد (نور) ، وقال :

ـ عجبًا !.. إننا نناقش الفكرة منذ أسبوعين ، ولم ينتبه أحدهم إلى هذا إلا الآن .

قال (رمزى) فى حزم :

ـ خطأ يا (نور) .. صحيح أننا ندرس الفكرة منذ أسبوعين ، ولكنك لم تعلن أنك ستكون ضمن فريق المواجهة ، إلا منذ ساعات فحسب ، ولهذا لم يحاول أحدنا أن ...

قاطعه فجأة صوت (بودون) الآلى ، وهو يقول :

ـ السرعة انخفضت إلى ستة أمثال سرعة الصوت ، وهى أدنى سرعة لها ، ونحن نستعد لدخول منطقة (مير) .

وعندئذ التقط (نور) نفسًا عميقًا ، وقال :

ـ سبق السيف العذل يا رفاق .. لم يعد هناك مجال للتراجع .

قالها وقفز داخل مقاتلته فى حزم ، فتبادل (أكرم) و (رمزى) نظرة متوترة ، وقال الأوّل :

ـ أعتقد أن مهمتنا لن تقتصر على سحق ما يعترض (أرغوريا) .

أومأ (رمزى) برأسه موافقًا ، وقال :

ـ أعلم هذا .. سيكون علينا حماية (نور) أيضًا .

وقفز كل منهم إلى مقاتلته ، وقال (نور) ، عبر جهاز الاتصال الداخلى :

ـ هل استعد كل منكما ؟

أجاباه فى آن واحد :

ـ تمام الاستعداد .

فالتقط نفسًا عميقًا ، وقال :

ـ فلننطلق إذن ، على بركة الله .

وانطلقت المقاتلات الثلاث ..

وحانت لحظة المواجهة ..

* * *

هوى قلب (سلوى) بين قدميها ، عندما شاهدت انطلاق المقاتلات الثلاث ، وسالت الدموع من عينى (نشوى) غزيرة ، فى حين هتفت (مشيرة) :

ـ ساعدهم يا إلهى !

أما (محمود) ، فقد اتجه باهتمامه كله إلى الكمبيوتر ، وهو يسأل صورة (بودون) :

ـ متى يمكننا الانتقال إلى القيادة اليدوية ؟

أجابه (بودون) :

ـ برنامج (أرغوريا) أكثر على القيادة .

سأله (محمود) فى صرامة :

ـ أريد إجابة محدّدة .

أجابه على الفور :

ـ لا يمكن الانتقال إلى القيادة اليدوية ، إلا فى حالة تلف البرنامج الآلى ، وهذا الاحتمال ضئيل للغاية ، إذ يبلغ ستة من كل مائة ألف .

عقد (محمود) حاجبيه فى توتر ، وهو يقول :

ـ ولماذا لم تقل هذا من قبل ؟

أجابه بذلك البرود الآلى المستفز :

ـ لم يسألنى أحد .

قال (محمود) فى عصبية :

ـ ولكن هؤلاء الرجال يخاطرون بحياتهم ، اعتمادًا على هذا .

أجابه (بودون) فى هدوء :

ـ كل شىء يسير على ما يرام .

صاح (محمود) :

ـ أى قول أحمق هذا ؟

كرّر (بودون) فى آلية :

ـ كل شىء يسير على ما يرام .

زفر (محمود) فى حنق ومرارة ، وأدار عينيه إلى النافذة الضخمة ، التى بدت منها المقاتلات الثلاث ، وهى تنقض علىَ النيازك والصخور ، وتمتم فى لوعة :

ـ ساعدهم يا إلهى !.. ساعدهم ..

وفى نفس اللحظة ، كان (نور) يطلق أشعة مقاتلته الأرجوانية على أول نيزك صادفه ، ويسحقه بانفجار صامت(*) ، ثم يتجاوزه فى سرعة ، وهو يقول لرفيقيه عبر أجهزة الاتصال الداخلية :

(*) الصوت لا ينتقل فى الفضاء .

ـ سننطلق دائمًا فى خط مستقيم ، أنا فى المنتصف و (أكرم) إلى اليسار ، و (رمزى) إلى اليمين .. وسنسحق كل ما يواجهنا ، فيما عدا الكويكبات بالطبع ، وبالنسبة لـ (أرغوريا) ، سيتم تعديل المسار آليًا ، مع كل خطوة من خطواتنا .

سأله (أكرم) ، وهو يسحق بأشعة مقاتلته نيزكًا آخر :

ـ قيادة هذه الأشياء معقولة .. ولكن أخبرنى بالله عليك ، كيف نزيح تلك الصخور الصغيرة ، التى تتخلف عن الانفجار .

قال (نور) ، وهو ينقضّ على كتلة صخرية أخرى :

ـ لا تلق إليها بالًا ، ستصطدم بجسم (أرغوريا) ، وتبتعد ، دون أن تؤثر فى دروعها القوية .

قالها وأطلق أشعته نحو الكتلة الصخرية ، فسحقها عن آخرها ، وتجاوزها فى سرعة ، فى حين قال (رمزى) :

ـ يا إلهى !.. إنها منطقة مزدحمة للغاية .

أجابه (نور) :

ـ هذا أمر طبيعى .. إنها بقايا كوكب كامل .

غمغم (أكرم) :

ـ لا ريب أنه كان كوكبًا ضخمًا .

قال (نور) :

ـ المعلومات المدوّنة عنه تقول : إنه كان فى حجم كوكب المشترى تقريبًا[*] ، وانفجار كوكب هائل كهذا ينتج كمية رهيبة من الصخور والنيازك وعددًا لا بأس به من الكويكبات الصغيرة .

هتف (رمزى) فجأة :

ـ احترس .. أمامك نيزك آخر .

سحق (نور) ذلك النيزك فى سرعة ، وواصل الثلاثة انطلاقتهم ، لشق الطريق أمام (أرغوريا) ..

وفى السفينة نفسها ، قالت (سلوى) فى قلق :

ـ هل يمكن أن ينجحوا ؟

غمغمت (نشوى) :

ـ هذا ما أدعو الله (سبحانه وتعالى) به طيلة الوقت .

وقالت (مشيرة) :

ـ قلبى يرتجف فى صدرى ، من شدة الخوف .

التفتت (سلوى) إلى (محمود) ، وسألته :

ـ ماذا يقول الكمبيوتر يا (محمود) ؟

(★) المشترى : أكبر كواكب المجموعة الشمسية ، قطره حوالى ١٣٨٧٦٠ كم ، وكتلته حوالى ٣١٦ مرة كتلة الأرض ، يدور حول الشمس فى ١١,٨٦ سنة أرضية ، على الرغم من أنه يدور حول محوره فى ٩ ساعات و ٥٥ دقيقة ، وله اثنا عشر قمرًا .

أجابها فى شىء من الضيق :

ـ دعك منه .

التفت إليه الثلاثة فى ذعر ، وهتفت (مشيرة) :

ـ لماذا ؟.. لماذا قلت هذا يا (محمود) ؟

شعر بالضيق لأنه نقل إليهم أحاسيسه على هذا النحو ، فغمغم :

ـ لم أكن أقصد هذا .

قالت (سلوى) فى توتر :

ـ بل كان هناك ما تقصده يا (محمود) .. أفصح بالله عليك .

صاح فى غضب :

ـ قلت : إننى لم أقصد شيئًا .

تطلَّعن إليه فى خوف ، ثم غمغمت (نشوى) :

ـ لا تنس أننى خبيرة الكمبيوتر هنا .

أشار بيده فى عصبية ، قائلًا :

ـ حسن .. ها هوذا أمامك .. افعلى به ما يحلو لك .

عدن يتطلَّعن إليه فى صمت مشوب بالقلق ، ثم تمتمت (سلوى) :

ـ (محمود) .. لو أنك تخفى شيئًا عنا ، فسوف ...

فوجئن بنظرة ذعر هائلة فى عينيه ، وهو يصرخ :

ـ انظرن .

استدرن بسرعة إلى النافذة الضخمة ، واتسعت عيونهن فى ارتياع ..

ففى أثناء حديثهن مع (محمود) ، كان (رمزى) قد نسف نيزكًا ضخمًا ، وهو يهتف فى حرارة :

ـ إنه الرابع .. لقد سحقت أربعة أهداف حتى الآن .

صاح (أكرم) :

ـ لن يساعدك هذا على الفوز بالكأس يا رجل .. أنا سحقت ستة حتى الآن .

ثم انقضَّ على نيزك ضخم ، هاتفًا :

ـ ويمكنك أن تضيف هدفًا آخر .

أطلق أشعته الساحقة على النيزك ، ونسفه ، ولكنه لم يكد يتجاوزه ، حتى وجد آخر فى طريقه ، وصاح به (رمزى) :

ـ احترس يا (أكرم) .

ولم يكن هناك مجال لإطلاق الأشعة مرة أخرى ، فانحرف (أكرم) بمقاتلته فى سرعة ، ليتفادى الارتطام .

ومع انحرافته المباغتة ، اعترضت مقاتلته طريق مقاتلة (نور) ، فصرخت (سلوى) فى ارتياع :

ـ لا .. احترس يا (نور) .. احترس .

وأمام أعين الجميع ، مال (نور) بسرعة ليتفادى

الاصطدام بمقاتلة (أكرم) ، وانخفضت مقاتلته بسرعتها القصوى ، وحاول أن يعود إلى مساره مرة أخرى ، و (أكرم) يهتف :

ـ يا إلهى !.. ماذا فعلت بك يا (نور) ؟

حاول (نور) أن يسيطر على المقاتلة ، بعد هذا الانحراف المباغت ، ولكن سرعتها البالغة جعلته يفقد اتزانها ، فمالت به المقاتلة فى عنف ، وانقضت على كويكب صغير ، وصرخت (نشوى) :

ـ لا يا أبى .. لا .

وشاركتها (سلوى) صرخة رعب هائلة ، عندما اندلع أمامهم انفجار هائل ..

انفجار صامت ..

ورهيب .



انتهى الجزء الأول بحمد الله

ويليه الجزء الثانى

(نيران الكون)

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف



د. نبيل فاروق

لهيب الكواكب

- هل يبر (نور) بوعده، وينطلق مع فريقه لتحرير (أرغوران)؟
- ما سر مجلس المقاومة فى (أرغوران)، ومن الخائن بين أعضائه ؟
- تُرى هل ينجح (نور) ورفاقه فى بلوغ (أرغوران) أم يلتهمهم (لهيب الكواكب) ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وشارك مع (نور) ورفاقه فى حرب الكواكب .

٩٧



الثمن فى مصر
١٠٠
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : نيران الكون

روايات مصرية للجيب



ملف المستقبل

مصر في غد!!؟؟

٩٨

نيران الكون

د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض مصر ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية .. يدور العمل فيها بهدوء تام وسرّيّة مطلقة .. من أجل حماية التقدم العلمى فى مصر .. ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية التى هى مقياس تقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف يعمل فريق نادر تم اختياره بدقة بالغة :

ــ نور الدين : واحد من أكفأ ضباط المخابرات العلمية يقود الفريق .

ــ سلوى : مهندسة شابة ، وخبيرة فى الاتصالات والتتبع .

ــ رمزى : طبيب بارع متخصّص فى الطب النفسى .

ــ محمود : عالم شاب وإخصائى فى علم الأشعة .

فريق نادر يتحدّى الغموض العلمى والألغاز المستقبلية .. إنهم نظرة أمل للمستقبل .. ولمحة من عالم الغد .

د . نبيل فاروق

١ ـ المحتلون ...

بدأت الشمس الكبرى رحلة المغيب ، على كوكب (أرغوران) ، الذى يبعد عنا مئات السنوات الضوئية ، واستعدت شمسه الصغرى للشروق ، لتمنحه ذلك النهار الدائم المتواصل ، الذى يميّزه عن كواكب أخرى عديدة ، فى الكون السرمدى الشاسع ، وعلى الرغم من هذا ، أحكم الأرغورانى (هونور) إغلاق نوافذ منزله كعادته ، وأشعل مصباحًا ضوئيًا ، وهو يغمغم فى حنق :

ـ اللعنة !.. لم يعد المرء يمتلك حتى حق الاستمتاع بضوء الشمس ، فى ظل هذا الاحتلال البغيض .

أجابه زميله (ديجنتى) فى رصانة :

ـ إنها فترة مؤقتة .

تمتم (هونور) ، وهو يعلّق مصباحه على الجدار :

ـ أتعشّم هذا .

ثم التفت إلى (ديجنتى) ، وتطلّع إليه طويلًا فى صمت ، بنظرة جعلته أكثر شبهًا بالثعابين ، قبل أن يقول فى صرامة :

- قل لى يا (ديجنتى) : لماذا تزايدت زياراتك لى ، فى الآونة الأخيرة ؟

صمت (ديجنتى) لحظات ، ثم قال :

- أحتاج إلى من أتحدث إليه .

قال (هونور) فى سرعة :

- أو إلى من تحيطه بشكوكك .

لم يجب (ديجنتى) مباشرة ، ولم يحاول الاعتراض على قول (هونور) ، أو استنكاره ، وإنما بقى صامتًا لحظة ، قبل أن يقول فى رصانة :

- أنا لا أزورك وحدك يا (هونور) .. لقد زرت الجميع تقريبًا ، وعندما أغادر منزلك ، سأذهب لزيارة (نوفسا) .

سأله (هونور) :

- ولماذا ؟

بدا التوتر على وجه (ديجنتى) ، قبل أن يندفع قائلًا :

- أنت تعلم أن الأمر بالغ الخطورة .. إننا ننتظر قدوم المنقذ (نور) ، الذى غادر (سيتا ـ ٣) بالفعل ، وينطلق على متن السفينة الإمبراطورية (أرغوريا) ، فى طريقه إلى هنا ، والشعب الأرغورانى ينتظر وصوله بفارغ الصبر ؛ ليبدأ ثورته وانفجاره ، فى وجه طغاة (جلوريال) ، الذين يحتلون كوكبنا ، ويجثمون على صدورنا منذ سنوات ،

وفى الوقت نفسه ، يبذل قائد فرسان الاحتلال (آجور) أقصى طاقته ؛ لمنع وصول المنقذ ، وتدميره فى الفضاء ، لإخماد الثورة قبل اندلاعها .. وفى ظل كل هذا يفاجئنا القائد بوجود جاسوس فى مجلسنا السُباعى .. ألا يقلقك هذا ؟

بدا الغضب على وجه (هونور) ، وهو يقول :

- وأنت تشك فى أننى ذلك الجاسوس .. أليس كذلك ؟

أشاح (ديجنتى) بوجهه ، وقال :

- أنا أشك فى الجميع بلا استثناء ، فكل ما يعنينى الآن هو أن يصل الرائد (نور) إلى (أرغوران) ، مهما كان الثمن .

كان يتوقع اندفاعة غاضبة من (هونور) ، ولكن العجيب أن هذا الأخير لاذ بالصمت التام ، وشرد ببصره على نحو غريب ، وعقله يسبح بعيدًا .. بعيدًا للغاية ..

كان يحاول أن يخترق بذهنه عالم الغيب ، ليجيب عن السؤال الذى يشتعل كالنيران فى صدره ، منذ فترة طويلة ..

ما مصير (نور) ، فى هذه اللحظة ؟..

ما الذى يفعله ؟

وماذا يواجهه ؟

والعجيب أن (هونور) كان يشعر بقلق مبهم ، على الرغم من أنه لم يكن يعلم شيئًا عما يواجهه (نور) ورفاقه ، منذ غادروا كوكب الأرض ، على متن السفينة الإمبراطورية (أرغوريا) ..

فى البداية ، كان كل شىء يسير على ما يرام ، وانطلقت (أرغوريا) فى مسارها المعد مسبقًا ، وفقًا لبرنامج آلىّ ، وراح رفاق (نور) يتعلمون اللغتين : الأرغورانية ، والجلوريالية ، والمركبة تعبر دروبًا فضائية خاصة ، تختصر عشرات السنوات الضوئية ، فى قفزات متعاقبة ، عبر (كوازرات) ، أو ثقوب سوداء ..

ولكن فجأة ، ظهر انخفاض ملحوظ فى نسبة الأكسجين داخل السفينة ، وبدا من الواضح أن شيئًا ما يستهلك مزيدًا من الأكسجين ، مما استدعى إجراء فحص شامل ، و ...

وظهر (أكرم) و (مشيرة) ..

كانا قد تسللا إلى السفينة خلسة ، مما تسبب فى حدوث خلل فى نسبة استهلاك الأكسجين ، قد يؤدى إلى فشل الرحلة كلها ..

واقترح (أكرم) أن يغادر السفينة مع (مشيرة) ؛ ليواجها مصيرهما فى الفضاء الخارجى ، ولكن (نور) رفض الفكرة تمامًا ، وراح يبحث مع كمبيوتر السفينة ،

الذى يحمل صورة وصوت المقاتل الأرغورانى (بودون)، عن وسيلة لاختصار زمن الرحلة ، بحيث يكفى الأكسجين الفريق كله ، حتى نهاية الرحلة ..

ولم يكن هناك سوى سبيل واحد ..

طريق (ميروريا) ..

ولقد كان هناك كوكب عظيم ، فى هذا الدرب ، ولكن طغاة (جلوريال) نسفوه عن آخره ، ولم تتبق منه سوى ملايين النيازك ، التى تسبح فى الفضاء ، وتعوق الملاحة بصورة شبه تامة ..

وقرّر (نور) مواجهة طريق (ميروريا) ..

وفى الوقت ذاته ، كان إمبراطور جلوريال (سيليا) وحكيم القصر (أوراكس) ، قد اتفقا مع قائد الفرسان (آجور) ، على اعتراض سبيل السفينة (أرغوريا) ، ومنعها من بلوغ (أرغوران) ، مهما كان الثمن ..

وانطلقت السفن الإمبراطورية لمراقبة وحراسة كل الدروب الفضائية ، المؤدية إلى (أرغوران) ، وخاصة طريقى (ستيرتا) و (ميروريا) ..

وفى طريق (ميروريا) ، انطلق (نور) و (رمزى) و (محمود) بمقاتلات فضائية صغيرة ، لنسف النيازك التى تعترض (أرغوريا) ، وشق طريقها بالقوة ، عبر بحر النيازك الرهيب ..

وفجأة ، اعترض طريق (أكرم) نيزك ضخم ، فانحرف بسرعة ، واعترض بدوره طريق مقاتلة (نور) ، الذى حاول تفادى الموقف ، والسيطرة على مقاتلته ، ولكنها مالت فى عنف ، وانقضت على كويكب صغير ، و ...

واندلع فى الفضاء انفجار هائل صامت ، و ...

ورهيب .. (*)

★ ★ ★

لثوان ، تصوَّر الجميع ، بما فيهم (نور) ، أن مقاتلته قد اصطدمت بالكويكب الصغير ، فانفجرت معه فى عنف ..

ثم انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يحدّق فى ما أمامه ..

لقد انفجر الكويكب تمامًا ، وتناثرت صخوره فى مساحة شاسعة ، ولم يعد هناك ما يعترض طريق (نور) ومقاتلته ، فهتف :

ـ ماذا حدث بالضبط ؟

أتاه صوت (محمود) ، من قلب (أرغوريا) ، وهو يهتف فى انفعال :

ـ إنها السفينة يا (نور) .. لقد أطلقت بغتة حزمة من

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول (لهيب الكواكب) .. المغامرة رقم ٩٧

أشعة رهيبة ، نسفت الكويكب ، الذى اعترض طريقك تمامًا .

وامتزج الجزء الأخير من عبارته بصوت (أكرم) ، وهو يقول :

ـ بالطبع .. كان ينبغى أن أتوقَّع هذا .. برنامج السفينة ليس معدًا للدفاع عن وجودها فحسب ، وإنما للدفاع عن المنقذ المنتظر أيضًا .. إنها تسمح لك بالقتال يا (نور) ، ولكنها تراقبك فى دقة وإحكام ، وتتدخَّل دائمًا فى اللحظة المناسبة ؛ لإنقاذك من أى خطر تواجهه .

تفجَّرت الدموع من عينى (سلوى) ، وهى تستمع إلى هذا الحديث ، فى حين استرخى (محمود) فى مقعد قيادة (أرغوريا) ، بعد انفعال رهيب ، وانكمشت (نشوى) فى مقعدها ، لتخفى دموعها ، وغمغمت (مشيرة) :

ـ يا له من موقف !.. سأحتاج إلى جهد هائل ؛ لأرفع قلبى مرة ثانية ، إلى موضعه الطبيعى .

وفى توتر ملحوظ ، قال (رمزى) ، وهو يطلق أشعة مقاتلته نحو نيزك آخر ، ويزيحه عن طريقه :

ـ كان موقفًا رهيبًا بحق .

أجابه (نور) فى حماس :

ـ ولكنه كشف لنا حقيقة رائعة ، ستفيدنا حتمًا فى

خطتنا ؛ فالسفينة تعمل على حمايتي ، وهذا يمنحني مزية إضافية .. سأختار أكثر النقاط صعوبة وخطورة ، وعليك أن تتبعني أنت و (أكرم) ، وسنشق طريقنا بإذن الله .

هتف أكرم :

ـ سمعًا وطاعة يا قائدى .

ومرة أخرى ، عادت المقاتلات الثلاث تشقّ طريقها ، وسط نيازك وصخور وكويكبات طريق (ميروريا) الرهيب ..

وتبعًا لخطة (نور) ، اشتركت (أرغوريا) فى القتال ، على الرغم منها ، وراحت تشق الطريق بدورها ، ولكن القلق ارتسم على صورة (بودون) ، المسجلة فى الكمبيوتر ، وخرج صوته يقول :

ـ المركبة تفقد قدرًا كبيرًا من الطاقة ، وهناك خوف من أن تبلغ (أرغوران) ، وقد نفد نصف مخزونها الرئيسى .

سأله (محمود) :

ـ هل تحتاج تلك الأشعة إلى طاقة كبيرة ؟

أجابه الكمبيوتر :

ـ بل طاقة هائلة ، تفوق ما يمكنك تخيله ، ثم إننا نفقد جزءًا آخر من الطاقة ؛ للمحافظة على الدرع الكهرومغنطيسى ، المحيط بالسفينة ، والذى يصدّ كل ما يصطدم بها من صخور ونيازك صغيرة .

سألته (سلوى) فى قلق :

ـ وما الضرر من هذا ؟.. ألا يمكننا شحن السفينة بالطاقة ، فور وصولنا إلى (أرغوران) ؟

أجاب (بودون) :

ـ أخشى أن هذا لم يعد ممكنًا .

شحب وجه (نشوى) ، وهى تهتف :

ـ لماذا ؟

أجاب الكمبيوتر فى آلية تامة :

ـ لأنه لم تعد هناك محطات شحن فضائية ، ولا بطاريات شمسية فائقة القوة ، بعد أن احتل طغاة (جلوريال) كوكبنا ، فهم يعمدون فور استقرارهم ، إلى تدمير كل وسائل التكنولوجيا المتطوّرة .

غمغمت (مشيرة) :

ـ كما فعلوا فى الأرض .

لم يسمع (محمود) عبارتها ، وهو يسأل الكمبيوتر فى لهفة :

ـ وما الذى يعنيه فقدان الطاقة بالتحديد ؟

أجاب الكمبيوتر على الفور :

ـ المفروض أن تكفى الطاقة رحلتى الذهاب والعودة ، مع استخدام محدود لأسلحة السفينة ، وهذه الأسلحة ليست

خالدة أو لا نهائية .. إنها معدّة فقط للتصدّى لمحاولات منع السفينة ، من بلوغ (أرغوران) ، وعندما تنقص الطاقة إلى حد كبير ، قد لا يكفى المتبقى منها لرحلة العودة .

سرت قشعريرة فى جسد (سلوى) ، وحدّقت (مشيرة) فى شاشة الكمبيوتر ، فى حين غمغمت (نشوى) مرتجفة :

- إذن فالطاقة تشق لنا طريق الذهاب إلى (أرغوران) ، ولكنها تنتزع منا فرصتنا فى العودة إلى الأرض .

اعتدل (محمود) ، وهو يقول فى حزم :

- أو أنها تضع أمامنا سبيلًا واحدًا ، للعودة إلى الأرض .

والتفت إليهم ، مستطردًا :

- أن نقاتل بكل قوتنا .. وأن ..

واكتسى صوته برنة صارمة حازمة ، مع إضافته :

- وأنه لا بديل للنصر .

قالها ، فران على المكان صمت رهيب ..

صمت مشوب بالكثير من القلق ..

ومن الخوف ..

* * *

بدا (آجور) ، قائد فرسان الإمبراطور الجلوريالى ، أشبه بتمثال من الحجر ، وهو ساكن صامت فى حجرته ، يراقب فى تمعن شديد لوحة هائلة ، تحمل خريطة كونية

مجسّمة ، وفى بطء شديد ، راحت عيناه تجوبان اللوحة ، وهو يدرس المسارات الأربعة ، التى تختصر المسافة إلى (أرغوران) : (سينو) ، و (جلاتا) ، و (ستيرنا) ، و (ميروريا) ..

وتوقّفت عيناه طويلًا ، عند طريق (ميروريا) ..

كانت الخريطة الضخمة تشير فى وضوح ، إلى ملايين النيازك والكويكبات ، التى تسبح فى طريق (ميروريا) ، وعلى الرغم من هذا ، كان (آجور) يشعر أن عبوره ليس مستحيلًا ..

ربما كان شاقًا وعسيرًا ..

ولكنه ليس مستحيلًا ..

وراح سؤال مخيف يتردّد فى عقله ..

ماذا لو اختار المنقذ ، القادم من (سيتا - ٣) ، طريق (ميروريا) ؟!

ماذا لو جازف بعبوره ، على الرغم من كل مخاطره ومصاعبه ؟!

درس الاحتمال فى ذهنه للمرة الألف ، ثم هزّ رأسه فى عنف ، وكأنما يطرد الفكرة منها ، وغمغم :

- كلا .. مستحيل !.. ربما كان (نور) هذا انتحاريًا شجاعًا ، ولكنه ليس مجنونًا ، وكل دراسات الكمبيوتر

تؤكد استحالة عبور (ميروريا) ، ومن المؤكد أن كمبيوتر (أرغوريا) سيعطي النتيجة نفسها .

كان يرتجف لمجرد التفكير في أنه قد يخطئ الاستنتاج ؛ فهو ، وإن كان لا يعلم بالضبط قوة تسليح (أرغوريا) ، يدرك أن لديها من الأسلحة ، ما يكفي للتصدي للمقاتلات الخمس عشرة ، التي أرسلها لرصد وإغلاق طريق (ميروريا) ..

ولقد راهن بأوراقه كلها ، على أن (أرغوريا) ستتخذ طريق (ستيرنا) ..

وهو ليس مستعدًا للخسارة ..

فالخسارة لن تعني مجرد نجاح (أرغوريا) في الإفلات من مقاتلاته ، ووصولها إلى مجال (أرغوران) فحسب ..

بل ستعني أن يصل المنقذ إلى (أرغوران) ..

وأن تتفجر الثورة الشاملة ..

إنه يعلم جيدًا ، بحكم خبراته ودراساته ، أن قوات الاحتلال كلها لن تكفي ، لو أن شعب (أرغوران) كله قرر القيام بثورة شاملة ..

ربما تنجح قواته النظامية في سحق ثلاثة أو أربعة ملايين أرغوراني ، ولكنها لن تبيد الشعب كله حتمًا ..

وهذا ما يخشاه ..

والعجيب أنه أبلغ الإمبراطور بهذا ، وصارحه بمخاوفه ، ولكن الإمبراطور ابتسم في استهتار ، والتفت إلى حكيم القصر (أوراكس) ، وهو يقول :

- في هذه الحالة يكون شعب (أرغوران) قد قادنا إلى الحل النهائي الحاسم .

ثم اعتدل ، وأضاف في شراسة عجيبة :

- سندفعه للحاق بكوكب (مير) .

وهكذا أعلن الإمبراطور نواياه بكل وضوح ..

إنه لن يسمح أبدًا بانتصار (أرغوران) ..

لن يسمح بوقوع هزيمة أخرى ، بعد ما حدث على الأرض ..

إنه سيقاتل الأرغورانيين في معركة حاسمة ، فإما أن ينتصر فيها (جلوريال) ، أو يمحو كوكب (أرغوران) من خريطة الكون .

ولم يكن من السهل على محارب قدير مثل (آجور) ، أن يستوعب مثل هذا القرار الوحشي ..

ولكنه سيطيع الإمبراطور (سيلبا) ..

وحتى آخر رمق ..

« سيدي القائد ... » .

قطع هذا القول تسلسل أفكار (آجور) ، وبعث شيئًا من

الحياة فى أطرافه ، وهو يستدير فى بطء لمواجهة أحد ضباطه ، ويتطلع إليه فى تساؤل، فاستطرد الضابط فى حسم :

- نقاط المراقبة رصدت بعض الانفجارات ، فى طريق (ميروريا) .

بدا الاهتمام على (آجور) ، وهو يسأله :

- أى نوع من الانفجارات ؟

أجابه الضابط :

- تفجيرات صناعية يا سيدى القائد .. عشرات النيازك والكويكبات انفجرت ، وأرسلت نبضات عالية إلى مراكز الرصد ، دون سبب معروف .

قال (آجور) فى انفعال :

- أو ربما هو سبب منطقى للغاية ..

واستدار بسرعة يراجع الخريطة الكونية ، وعقله يصرخ فى أعماقه ملتاعًا ..

إذن فقد فعلها (نور) !.

لقد جازف بعبور طريق (ميروريا) ..

إنه ورفاقه ينسفون كل ما يعترض طريقهم ، من نيازك وكويكبات ، لتجتاز (أرغوريا) الطريق الوعر ..

وفى قلق ، قطع الضابط تسلسل أفكاره مرة ثانية ، قائلًا :

- بم تأمرنا يا سيدى ؟

بقى (آجور) صامتًا لحظات ، يراقب الخريطة ، ثم التفت إلى الضابط فى حزم ، وقال :

- مر كل المقاتلات بالانطلاق إلى مخرج (ميروريا) .

سأله الضابط فى حذر :

- كلها يا سيدى ؟!

أجابه بسرعة :

- نعم .. كلها .. لقد أدركنا الآن أى طريق يتخذه المنقذ .. إنه يعبر (ميروريا) ، ولم تعد هناك ضرورة لوجود فرق مراقبة عند الطرق الأخرى .. هيا .. أرسل الأوامر على الفور ، فمن الضرورى أن تصل مقاتلاتنا فى الوقت المناسب ؛ لإجهاض الثورة فى مهدها ، والتخلص من المنقذ الأسطورى .

وعاد يلتفت إلى الخريطة ، مضيفًا :

- التخلص منه إلى الأبد .

وبرقت عيناه فى وحشية ظافرة .

* * *



بقى (آجور) صامتًا لحظات ، يراقب الخريطة ، ثم التفت إلى الضابط فى حزم ، وقال : ــ مر كل المقاتلات بالانطلاق ..

٢ ـ الهبـوط ..

مرّت الساعات الست كدهر كامل ، و (أرغوريا) تعبر طريق (ميروريا) ، وأمامها المقاتلات الثلاث ، تشق طريقها عبر أنهار النيازك والكويكبات ، فى براعة منقطعة النظير ..

وأخيرًا ، لاح فضاء صاف ساكن ، تلتمع فيه ملايين النجوم ، فأطلق (أكرم) زفرة حارة ، من أعمق أعماق قلبه ، قبل أن يهتف ظافرًا :

ـ نجحنا يا (نور) .. نجحنا أيها القائد الفذ .. لقد عبرنا طريق الموت ، دون أن نخسر مقاتلة واحدة .. حققنا المستحيل يا رجل .. حتى الكمبيوتر لم يتوقّع هذا .

أجابه (نور) فى ارتياح :

ـ الكمبيوتر لم يُدخل فى حساباته تدخل السفينة لصالحى .

قال (رمزى) فى سعادة :

ـ المهم أننا نجحنا يا (نور) .. عبرنا طريق (ميروريا) ، وادخرنا الوقت اللازم ، ليكفينا مخزون الأكسجين ، حتى نصل إلى (أرغوران) .

قال (نور) بابتسامة كبيرة :

- هذا صحيح .. لقد تجاوزنا الأزمة يا رفاق ، ويمكننا أن ..

قاطعه فجأة صوت (محمود) ، عبر جهاز الاتصال ، وهو يقول فى قلق :

- هناك أجسام صغيرة تقترب ، من اتجاه اليسار .

استدار (نور) و (رمزى) و (أكرم) ، إلى حيث أشار (محمود) ، ثم انعقدت حواجبهم فى توتر مباغت ..

وفى وضوح ، بدت لهم المقاتلات الجلوريالية ، وهى تندفع نحوهم ، فهتف (رمزى) :

- رباه !.. لقد استعدوا لقدومنا .

وصاحت (سلوى) من السفينة :

- عد بسرعة يا (نور) .. عودوا جميعًا .

هتف (أكرم) فى توتر :

- لست أظن هذا ممكنًا ، فتلك المقاتلات اللعينة تقترب بسرعة مخيفة ، وليس أمامنا سوى حل واحد .

وضغط أزرار مقاتلته فى حزم ، وهو يستطرد :

- أن نقاتل .

صاح (محمود) من السفينة :

- إنها مخاطرة رهيبة يا (أكرم) .. أنتم تواجهون

خمس عشرة مقاتلة ، ولا ريب أن طياريها من أبرع المقاتلين الفضائيين ..

هتف (أكرم) :

- لا فائدة يا (محمود) .. إنها ستلحق بنا حتمًا ، قبل أن نبلغ السفينة ، ولو كان قدرى أن ألقى حتفى بشعاع فضائى ، على بعد ملايين السنوات الضوئية من الأرض ، فأنا أفضل أن أتلقى الطلقة القاتلة فى صدرى ، وليس فى ظهرى .

قالها واندفع فى بسالة نحو المقاتلات الجلوريالية ، فهتف (نور) :

- إنه على حق يا (رمزى) .. هيا .. سنواجه الخطر بصدور عارية ..

وكان لتلك المبادرة الشجاعة أكبر الأثر ، فى مواجهة المقاتلات الجلوريالية .

لقد أطلق أبطالنا الثلاثة أشعة مقاتلاتهم ، وأصابوا ثلاث مقاتلات جلوريالية فى الكرّة الأولى ، قبل أن يفيق المقاتلون الآخرون من صدمة المبادرة المباغتة ، وفى اللحظة التالية ، انخفض الثلاثة بمقاتلاتهم ، لتفادى أشعة المقاتلات المعادية ، التى تجاوزتهم ، وأصابت الجدار الواقى للسفينة (أرغوريا) ..

وهنا تدخلت (أرغوريا) ، واشتركت فى القتال ، وأطلقت أشعتها القوية ، لتسحق أربع مقاتلات (جلوريالية) دفعة واحدة ..

وتراجعت مقاتلات (جلوريال) ؛ لتعد خطة هجوم ثانية ، فى نفس اللحظة التى ومض فيها مصباح أحمر ، فى جهاز كمبيوتر القيادة ، فى (أرغوريا) ، وراحت صورة (بودون) تردد :

- نقص الطاقة بلغ مرحلة الخطر .. تحذير .. هناك نقص مقلق فى الطاقة .

وهنا هتف (محمود) ، عبر أجهزة الاتصال :

- (نور) .. أصبحت عودتكم حتمية ، فالسفينة تفقد الكثير من الطاقة ، وبسرعة مخيفة .

فجرت الرسالة قلقًا عارمًا ، فى أعماق (نور) ، فقال لرفيقيه بسرعة :

- (رمزى) .. (أكرم) .. سنضطر للعودة إلى (أرغوريا) .. استغلا تراجع الجلوريالين التكتيكى ، ولنعد بسرعة إلى (أرغوريا) .

هتف (أكرم) معترضًا :

- لماذا ؟.. إننا نقاتل جيدًا .

صاح به (نور) فى صرامة :

- لا تجادلنى .. سنعود فورًا إلى (أرغوريا) .

استدارت المقاتلات الثلاث ، وانطلقت بأقصى سرعة نحو (أرغوريا) ، فى نفس اللحظة التى انقسمت فيها المقاتلات الثمان ، المتبقية من مقاتلات (جلوريال) ، واستعدت للانقضاض مرة ثانية على (أرغوريا) ، التى اضطرت للتخلى لحظات عن درعها الكهرومغنطيسى ؛ لتسمح للمقاتلات الثلاث بدخولها ..

ولكن فجأة ، انطلقت أسلحة مقاتلات (جلوريال) ، وارتطمت بعض حزم الأشعة بجسم (أرغوريا) ، فى حين مست حزمة أخرى جناح مقاتلة (رمزى) ، الذى هتف :

- رباه !.. إنهم يهاجموننا .

صاح به (نور) :

- حاول أن تبلغ (أرغوريا) بأقصى سرعة .

ومع آخر حروف كلماته ، كان قد عبر مع (أكرم) مدخل (أرغوريا) ، واستعدا للهبوط داخلها ، فى حين ترنحت مقاتلة (رمزى) لحظة ، فهتف به (نور) :

- سيطر على مقاتلتك ، وادخل (أرغوريا) يا (رمزى).

هتف (رمزى) :

- إننى أحاول يا (نور) ، سأميل يمينًا ، و ...

ولم يكتمل هتافه ..

لقد هوت حزمة أشعة أخرى على جناح المقاتلة ، فقسمته إلى قسمين ، واختلّ توازن المقاتلة تمامًا ، فانحرفت بزاوية حادة عن المدخل ، وابتعدت عن (أرغوريا) ، فهتف (نور) :

- لا .. عد يا (رمزى) .

وهم بالانطلاق بمقاتلته مرة أخرى ، فى محاولة لإنقاذ (رمزى) ، ولكن الدرع الكهرومغنطيسى عاد إلى موضعه بغتة ، مع صوت الكمبيوتر ، وهو يقول :

- لا يمكن التخلى عن الدرع الواقى لفترة أطول .

صرخ (نور) :

- لا .. ما زال (رمزى) هناك .. توقّف لاستعادته .

ولكن الكمبيوتر لم يستجب قط هذه المرة ..

كان عليه أن ينفذ البرنامج الأساسى ، الذى تمت تغذيته به ..

أن يحافظ على السفينة كلها ..

وأن يُبقى على حياة المنقذ ما أمكن ، حتى يبلغ (أرغوران) حيًا ..

وفى بطء ، راح الكمبيوتر يغلق المدخل ، وقلب (نور) يخفق فى ارتياع ، وعيناه تتابعان مقاتلة

(رمزى) ، التى فقدت اتزانها تمامًا ، وراحت تسبح فى الفضاء بحركة دائرية ، وهى تبتعد ..

وتبتعـد ..

وتبتعـد ..

وهتف (أكرم) فى هلع :

- هل سنتركه يذهب هكذا ؟

ولم يستطع (نور) إجابته ..

تلك الغصة فى حلقه منعته من النطق ، والدموع المترقرقة فى عينيه جعلت المشهد يبدو له غائمًا مهتزًا ، ومقاتلة (رمزى) تغيب فى الفضاء المظلم اللانهائى ، الذى ابتلعها ، وأطبق عليها ظلماته تمامًا ..

وبلا رحمـة ..

★ ★ ★

« (رمزى) ؟!.. مستحيل !.. »

اقترنت تلك الصرخة الملتاعة ، التى أطلقتها (نشوى) ، بارتجاج (أرغوريا) ، إثر هجوم آخر من مقاتلات (جلوريال) ، وأطلقت السفينة حزمة من الأشعة ، سحقت مقاتلة جلوريالية أخرى ، وانبعث صوت الكمبيوتر يقول :

ـ الطاقة تنفد أكثر وأكثر ، والدرع الواقى لن يصمد طويلًا ، كما أن التشكيل المقاتل يعتمد هذه المرة على التقسيم الفردى ، فكل مقاتلة تهاجم وحدها ، من مكان منفصل .

راحت (نشوى) تبكى فى حرارة ، وأحاطت (سلوى) كتفيها ، فى محاولة لتهدئتها ، وهى تشاركها دموعها ، فى حين انكمشت (مشيرة) فى أحد الأركان ذاهلة مصعوقة ، وغمغم (محمود) فى مرارة :

ـ الوداع يا (رمزى) .. الوداع يا أعز الأصدقاء .

أما (نور) ، فقد كتم مشاعره فى أعماقه ، وترك قلبه يبكى بدموع من دم ، على ما أصاب رفيقه ، وهو يدرس الموقف مع كمبيوتر السفينة ، ولكن مرارته بدت واضحة فى نبرات صوته ، وهو يقول :

ـ ألا يمكننا مهاجمة المقاتلات الخمس المتبقية ، والانطلاق نحو (أرغوران) مباشرة ؟

أجابه الكمبيوتر :

ـ المقاتلات تهاجم من خمس نقاط مختلفة ، والطاقة لدينا لا تكفى لنسفها كلها ، والدرع الواقى يستهلك جانبًا ضخمًا من مخزون الطاقة .

صمت (نور) لحظات مفكرًا ، فقال (أكرم) فى توتر :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟.. هل اجتزنا طريق الموت بنجاح ، لنسقط بين براثن مقاتلات العدو ؟.. ألا يكفى أننا فقدنا (رمزى) ؟!

أشار إليه (نور) أن يصمت ، واستغرق لحظة أخرى فى تفكيره العميق ، قبل أن يسأل الكمبيوتر :

ـ هل يمكنك دفع السفينة للدوران حول محورها بسرعة كبيرة ؟

قال (أكرم) فى دهشة :

ـ ما الذى تتوقعه من هذا ؟

ولكن (سلوى) أدارت عينيها إلى زوجها فى اهتمام ، فى حين هتف (محمود) فى حماس :

ـ آه .. فكرة مدهشة .

وقالت صورة (بودون) ، على شاشة الكمبيوتر :

ـ تم استيعاب الفكرة ، وسنبدأ التنفيذ فورًا .

وفى بطء ، بدأت السفينة تدور حول نفسها ، ثم تزايدت سرعتها تدريجيًا ، حتى أصبحت تدور حول محورها فى قوة ، فهتف (أكرم) مرة أخرى :

ـ ما الذى تتوقعه من هذا يا (نور) ؟

ظلَّ (نور) يراقب شاشة الكمبيوتر ، دون أن يجيب عن السؤال ، فقال (محمود) :

- السفينة محاطة بدرع كهرومغنطيسى ، ودورانها حول نفسها يجعلها أشبه بكوكب صناعى ، ويخلق حولها مجال جذب هائل ، و ...

قبل أن يتم حديثه ، كانت شاشة الكمبيوتر والرصد تنقل ما حدث بمنتهى الدقة ، فقد انجذبت المقاتلات الجلوريالية الخمس إلى السفينة فى قوة ، وارتطمت بالدرع الكهرومغنطيسى فى عنف ، فانفجرت ، وتناثرت شظاياها فى الفضاء ، فصاح (أكرم) فى ظفر :

- فهمت .. أنت عبقرى يا (نور) .. أنت أعظم قائد عملت تحت إمرته فى حياتى كلها .

ولكن (نور) لم يبدُ سعيدًا بهذا المديح ..

بل لم يبدُ سعيدًا على الإطلاق ..

كان يدفن وجهه بين راحتيه ، ويعتصر الدموع فى مقلتيه اعتصارًا ، وجسده يرتجف فى انفعال ، دون أن يصدر منه أدنى صوت ..

كان يبدو أقرب إلى المهزوم ، منه إلى المنتصر ..

وفى حيرة شديدة ، قال (أكرم) :

- ماذا به ؟.. لقد نجحت فكرته .. أليس كذلك ؟

أجابه (محمود) فى خفوت :

- بلى ، ولكنه يكره القتل والتدمير .

تنهّد (أكرم) ، وقال دون اقتناع :

- آه .. كدت أنسى هذا !

رفع (نور) عينيه إليه ، وقال فى مرارة :

- ما الذى تتوقعه منى ، بعد أن أبدنا خمس عشرة مقاتلة ، وفقدنا (رمزى) ؟!

ازدرد (أكرم) لعابه ، قبل أن يقول فى صوت مبحوح :

- لست أتوقع شيئًا .

ثم شد قامته ، مستطردًا :

- فقط أن نواصل رحلتنا إلى (أرغوران) هذا .

اعتدل (نور) ، وسيطر على انفعالاته ، وهو يقول :

- وهذا ما سنفعله .

ورفع عينيه إلى كمبيوتر السفينة ، مستطردًا :

- هيا .. سنتخذ الطريق إلى (أرغوران) .

قال الكمبيوتر :

- فليكن .. سنزيل الدرع الواقى ، ونخفض الإضاءة إلى الحد الأدنى ، فى محاولة لتوفير الطاقة ، ثم ننطلق بسرعة تزيد قليلًا عن سرعة الضوء (*) ، فى طريقنا إلى (أرغوران) .

(*) سرعة الضوء = ١٨٦٠٠٠ ميل / ثانية .

تمتم (نور) :

ـ ابدأ على بركة الله .

انخفضت الإضاءة بالفعل ، وزال الدرع الواقى المتألق ، من حول السفينة ، وبدا صوت نحيب (نشوى) وبكاؤها واضحا ، وسط الصمت التام ، الذى خيم على المكان ، فقال (نور) فى خفوت :

ـ اذهبى بها إلى حجرتها يا (سلوى) ، ودعيها تتناول عقارًا مهدئًا ، وتخلد إلى النوم بعض الوقت .. إنها تحتاج إلى هذا .

احتضنت (سلوى) ابنتها ، وقادتها بالفعل إلى حجرتها ، فى حين قال الكمبيوتر :

ـ بدأ العد التنازلى لمواصلة الرحلة بسرعة الضوء .. عشرة .. تسعة .. ثمانية .. سبعة ..

وفجأة ، قطع عده التنازلى ؛ ليقول :

ـ مقاتلات أخرى تقترب .. ثلاثون مقاتلة فى ستة تشكيلات جديدة .

توتر الجميع فى شدة ، وقال (نور) فى سرعة :

ـ هل يمكنك مواجهتها ؟..

أجابه الكمبيوتر على الفور :

ـ إعادة الدرع الواقى تستهلك كل الطاقة المتبقية ، وتهدد بعدم إكمال الرحلة إلى (أرغوران) .

شحب وجه (مشيرة) ، وهى تغمغم :

ـ يا إلهى !.. أيعنى هذا أننا ..

ولم تستطع إكمال عبارتها ، فعادت إلى الصمت الرهيب ، الذى ساد المركبة كلها ، والجميع يراقبون فى ذعر ذلك الجيش من مقاتلات العدو ، وهو يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

* * *





وهو يحدق فى وجه ذلك الشخص ، الذى وقف فى اعتداد ، وقال فى هدوء : ـــ إنه أنا يا (ديجنتى) ..

٣ ـ القائد المجهول ..

على الرغم من أن (ديجنتى) كان مستغرقًا فى نوم عميق ، إلا أنه لم تكد أذناه تلتقطان تلك الحركة الخافتة ، فى حجرة نومه ، حتى استيقظ عقله بغتة ، ودفع الدماء الحارة إلى عروقه الغزيرة ، فقفز من فراشه ، والتقط سلاحه من مكمنه ، وهو يقول لذلك الشخص ، الذى بدا واضحًا ، على الرغم من الضوء الخافت فى الحجرة :

ـ ما الذى تفعله هنا فى منـ ..

ولكنه بتر عبارته بغتة ، وتوقفت الكلمات فى حلقه ، وهو يحدق فى وجه ذلك الشخص ، الذى وقف فى اعتداد ، وقال فى هدوء :

ـ إنه أنا يا (ديجنتى) .

خفض (ديجنتى) سلاحه بسرعة ، وقال لقائده فى احترام بالغ :

ـ سيدى .. اغفر لى رفع سلاحى فى وجهك ، فلم أتوقع قدومك شخصيًا إلى منزلى ؛ فمن النادر جدًا أن تفعل .

بقى القائد المجهول فى دائرة الظل ، وهو يقول :

- لقد اقتربت ساعة الصفر يا (ديجنتى) ، ومن الطبيعى أن تختلف الأمور .

قال (ديجنتى) فى قلق :

- ولكن أليس من الخطر أن تجوّل بوجهك هذا ، مع وجود عيون الحراسة ؟!

أجابه القائد فى هدوء :

- لا تقلق بالك بهذا الأمر ، فلدى أساليبى الخاصة .. المهم أن تستمع إلىّ جيدًا ، فلدى رسالة هامة لك .

سأله (ديجنتى) فى لهفة :

- ما هى ؟

مال القائد إلى الأمام ، وقال :

- لو سار كل شىء على ما يرام ، فسيهبط المنقذ على (أرغوران) ، بعد أيام قليلة ، ولا بد لنا من الاستعداد لاستقباله .

قال (ديجنتى) :

- وأين يهبط بالضبط يا سيّدى ؟

هزّ القائد رأسه فى صمت ، ثم أجاب :

- دع هذه المعلومة للحظة الأخيرة يا (ديجنتى) .

لم يعترض (ديجنتى) على هذا القول ، وإنما أجاب فى إذعان :

- فليكن يا سيّدى .. بم تأمرنى هذه المرة ؟

رفع القائد سبّابته ، وقال :

- أريد منك أن تجتمع بالمجلس السُباعى .

هتف (ديجنتى) فى دهشة :

- ولكننا أوقفنا الاجتماعات ، بناءً على أوامرك يا سيّدى ، فلم تكشف أمر الجاسوس بعد .

قال القائد :

- لهذا أطالبك بالاجتماع بالمجلس مرة ثانية يا (ديجنتى) .

سأله (ديجنتى) فى حذر :

- ما الذى تسعى إليه بالضبط أيها القائد ؟

أجابه القائد :

- أسعى لكشف ذلك الخائن يا (ديجنتى) ، فقوات (جلوريال) كلها تنتظر وصول المنقذ ، لتفتك به ، وهذا يعنى أنه علينا أن نقوم بدور ضخم لحمايته ، حتى يبلغ المقر السرى للمقاومة الأرغورانية سالمًا ، ووجود جاسوس خفىّ وسط صفوفنا ، وفى المجلس السُباعى بالذات ، يجعل كل خططنا مهدّدة بالفشل ؛ لذا فمن الضرورى أن نسعى لكشف أمر الجاسوس ، والقضاء عليه تمامًا ، قبل أن يصل المنقذ .

قال (ديجنتى) فى حيرة :

ـ وكيف يمكننا هذا ! أيها القائد ؟!.. إننى أبحث عن وسيلة مناسبة ، منذ أسبوع كامل ، دون أن أتوصل إلى نتيجة مقبولة ، حتى أننى زرت كل أعضاء المجلس السباعى ، وحاولت كشف الجاسوس ، ولكننى فشلت .

قال القائد ، بعد برهة من الصمت :

ـ عندى خطة لهذا ، ربما أفلحت فى كشف أمر الخائن ، وإلا ..

وصمت لحظة ، ثم أضاف فى صرامة :

ـ وإلا كان مصير منقذنا هو الموت .. الموت المحتوم .

* * *

كل شىء كان ينذر بالفشل ..

طاقة (أرغوريا) غير كافية ، والمقاتلات الجلوريالية الثلاثون تقترب بسرعة ، والوقت يمضى بأسرع منها ، و ...

وهتف (أكرم) :

ـ هناك حل حتمًا .. لن ينتهى بنا الأمر على هذا النحو .. الله (سبحانه وتعالى) لن يرضى لنا هذا المصير قط .. إنه يعلم أننا على حق ، وأننا صورة العدالة فى خلقه .

اعتدل (نور) بغتة ، عندما نطق (أكرم) بهذه العبارة ، والتفت إليه بحركة حادة ، جعلت قلب (مشيرة) يخفق فى عنف ، و (محمود) يهب من مقعده ، هاتفًا :

ـ (نور) .. ماذا لديك ؟

لوح (نور) بيده ، وهو يلتفت إلى الكمبيوتر ، قائلًا فى انفعال :

ـ هل يمكنك صنع صورة هولوجرافية للسفينة ، وجعلها ثابتة فى الفضاء ؟

أجابه الكمبيوتر :

ـ نعم .. يمكن إطلاق بعض المرايا العاكسة ، وجهاز بث هولوجرافى ، وتركها معلقة فى الفضاء ، ونحصل على صورة هولوجرافية واضحة للسفينة .

قال (نور) فى لهفة :

ـ افعل هذا إذن ، وبأقصى سرعة ، وما إن تتكون الصورة الهولوجرافية ، حتى ننطلق نحن نحو (أرغوران) ، وبسرعتنا القصوى .

اتسعت عينا (أكرم) فى انبهار ، قبل أن يهتف :

ـ من أين تأتى بهذه الأفكار ؟

لم يجب (نور) ، وهو يواصل حديثه مع الكمبيوتر ، قائلًا :

ـ وابحث فى ذاكرتك عن صورة مجسّمة لانفجار ، واجعلها تحلّ محل صورة السفينة ، عندما يطلق الجلورياليون أشعتهم نحوها .

قال الكمبيوتر :

ـ سيبدأ التنفيذ على الفور .

ولم يكد ينطقها ، حتى انطلقت المرايا العاكسة فى الفضاء ، واتخذت مواقعها الثابتة ، مع جهاز البث الهولوجرافى ، فى حين أكمل الكمبيوتر العد التنازلى ، للانطلاق بسرعة الضوء ..

وأمام أعين (نور) ورفاقه ، تكوّنت صورة مجسمة للسفينة فى الفراغ ، فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها السفينة الأصلية ، بسرعة تفوق سرعة الضوء ، فبدت أشبه بخيط من الضوء ، يشق طريقه بين النجوم ..

ولم تنتبه مقاتلات (جلوريال) إلى الخدعة المتقنة ، وتصوّر قائدها أنه نجح فى الإيقاع بـ (أرغوريا) ، فهتف عبر جهاز الاتصال الداخلى :

ـ ها هى ذى السفينة الإمبراطورية اللعينة .. سننقضّ عليها من الشمال ، والجنوب ، والشرق ، والغرب ، وأعلى ، وأسفل فى آن واحد ، فى ستة تشكيلات مقاتلة .

وانقضت المقاتلات كلها على الصورة الهولوجرافية ،

وغمرتها بأشعتها القاتلة ، ولكن الأشعة عبرتها ، وراحت ترتطم بالمقاتلات على الجوانب المقابلة ، فهتف القائد :

ـ (أرغوريا) تقاتل فى شراسة ، أطلقوا كل أسلحتكم .

ولكن فجأة ، وبعد أن خسر الجلورياليون ست مقاتلات ، دون أن يدركوا أنهم كان يصيب بعضهم البعض ، تلاشت الصورة الهولوجرافية للسفينـة (أرغوريا) ، وحلّت محلّها صورة الانفجار العنيف ، فصاح المقاتلون :

ـ انتصرنا .. نسفنا (أرغوريا) .

كانت فرحتهم غامرة ، ولكن قائدهم كان يشعر بمزيج من القلق والحيرة ، فعلى الرغم من أن الانفجار بدا شديد العنف ، إلا أن أجهزة مقاتلته لم تسجّل تطاير شظية واحدة حوله ..

وعلى الرغم من الانتصار ، الذى سجّلته أجهزة الرصد ، فى كل المقاتلات الناجية ، إلا أن قائد المقاتلات الجلوريالية كان يشعر بأنه ضحية خدعة كبيرة ..

كبيرة للغاية ..

* * *

مطّ (هونور) شفتيه فى ضجر ، وهو يجلس فى حجرة الاجتماعات ، الخاصة بمجلس المقاومة السُباعى ، وتراخى جفناه فى استهتار ، و (ديجنتى) يبدأ الاجتماع ، قائلاً فى جدية :

- من المؤكد أنكم تتساءلون جميعًا عن سر هذا الاجتماع المفاجئ ، بعد أن قرَّرنا عدم الاجتماع لفترة طويلة .

سرت بينهم همهمة تساؤل ، فتابع بسرعة :

- ولكننا اجتمعنا بسبب ورود معلومات جديدة .

كانت عبارته كافية ليسود الهدوء مرة ثانية ، وتطلّع إليه الجميع فى اهتمام ، وهو يضيف :

- معلومات بالغة السرية .

ثم أدار عينيه فى وجوههم ، مستطردًا :

- والخطورة .

كان يأمل أن يلمح شيئًا ما فى وجوههم ، يرشده إلى الخائن بينهم ، ولكن (هونور) ظلّ على تراخيه ولامبالاته ، و (نوفسا) تبادلت نظرة اهتمام مع (ترات) ، فى حين تطلّعت إليه (ريستا) فى لهفة ، شاركها إياها (آرون) و (كالوا) ، وصمت الجميع تمامًا ، وكأنهم ينتظرون ما سيقوله ، فالتقط نفسًا عميقًا ، وقال :

- لقد وصل المنقذ .

انتزع القول (هونور) من تراخيه ، ففتح عينيه عن آخرهما ، وحدّق فى وجه (ديجنتى) ، وشهقت (ريستا)

فى انفعال ، وتوتر (ترات) و (آرون) على مقعديهما ، فى حين أطلق (كالوا) زفرة قوية ، وهتفت (نوفسا) :

- أخيرًا .

قال (ديجنتى) بسرعة ، قبل أن يبدأ أحدهم حديثًا ، أو يُبدى تساؤلًا :

- إنه لم يهبط على سطح كوكبنا بعد ، ولكنه وصل إلى مدارنا .

بدت خيبة الأمل على وجوه بعضهم ، وتراجع البعض الآخر فى ضيق ، وقال (هونور) فى حدة :

- وما الذى ينتظره للهبوط ؟

أجاب (ديجنتى) :

- إنه ينتظر اللحظة المناسبة ، للهبوط فى البقعة السرية ، التى تم تحديدها بدقة بالغة .

سألته (نوفسا) فى لهفة :

- وما هذه البقعة ؟

ساد الصمت لحظة ، بعد أن ألقت سؤالها ، وتركّزت عيون الجميع على وجه (ديجنتى) ، فى انتظار الجواب ، ولكنه قال فى هدوء :

- ليس مصرّحًا لى بأن أدلى بالموقع .

همهم الجميع فى غضب ، وصاح (ترات) :

- المفروض أن تسود الثقة بيننا .

أجابه (ديجنتى) فى حزم :

ـ هذا الأمر يدخل فى دائرة السرية المطلقة ، وأوامر القائد صريحة فى هذا الشأن ، ولا يمكننى أن ..

قاطعته (نوفسا) فى عصبية :

ـ أى قائد ؟!.. إننا نجهل جميعًا من هو قائدنا .

وهتف (كالوا) :

ـ هذا صحيح .. من أدرانا أنك لست القائد يا (ديجنتى)، وأنك اخترعت ذلك القائد الوهمى ؛ لتضفى الغموض والرهبة على الموقف .

قالت (ريستا) :

ـ مستحيل !.. مستحيل أن يفعل (ديجنتى) هذا !

صاح (آرون) :

ـ ولماذا مستحيل ؟!

أتاه الجواب على لسان (هونور) ، وهو يقول فى صوت عميق ساخر :

ـ لأن (ديجنتى) ، لا يصلح للزعامة .

بدا الضيق على وجه (ديجنتى) ، ولكنه التزم بالهدوء والرصانة ، وهو يقول :

ـ بل قائدنا شخص آخر يا رفاق .. شخص يمتلك شرعية الزعامة ، ويشرفكم العمل تحت إمرته .

أطلق (هونور) ضحكة ساخرة ، وقال :

ـ عجبًا !.. هل عاد الإمبراطور (بودون) للحياة ؟

لم يجب (ديجنتى) ، وإنما راح يدير عينيه فى وجوههم فى صرامة ، قبل أن يقول :

ـ عظيم .. من الواضح أننا سنضيع اللحظات الحاسمة الأخيرة فى جدل سخيف ، بدلًا من أن نعد العدة لاستقبال المنقذ .

قال (ترات) فى غضب :

ـ وكيف نفعل ، ونحن نجهل موقع هبوطه ؟

أجابهم فى حزم :

ـ المطلوب منكم الآن هو أن يستعد كل منكم برجاله ، للتحرّك فى اللحظة المناسبة ، وعندما تحين تلك اللحظة ، سيعرف كل منكم ما عليه فعله .

همّ بعضهم بالتعليق ، ولكنه استطرد فى صرامة شديدة :

ـ وتذكروا أنكم أقسمتم جميعًا يمين الولاء لقائدنا ، وأعلنتم طاعتكم العمياء لأوامره وتعليماته ، واستعدادكم للتضحية بحياتكم فى سبيل (أرغوران) ، ولو أنكم ترغبون فى الحنث بقسمكم ، فهذا شأنكم ، ولكن هذا المجلس لن يضمّ سوى الأوفياء والمخلصين فحسب .

رجّتهم كلماته حتى الأعماق ، فصمتوا يتطلعون إلى بعضهم ، ثم قالت (نوفسا) فى حزم :

ـ أعتقد أننى أعبر عن رأى الجميع ، عندما أقول : إننا نكرر قسمنا ، ونؤكد طاعتنا لقائدنا ، وعملنا من أجل (أرغوران) .

تمتم الجميع مؤيدين قولها ، ثم أشار (ديجنتى) بيده قائلًا :

ـ انفضّ الاجتماع أيها السادة .

تفرقوا جميعًا ، وبدءوا يستعدون للانصراف ، عندما استوقف (ديجنتى) (هونور) ، وسأله :

ـ قل لى يا (هونور) : لماذا تكره هذا المجلس ؟

مط (هونور) شفتيه ، قبل أن يقول :

ـ لست أكره المجلس ، ولكننى أبغض هذا الأسلوب ، الذى صرنا نتعامل به .. إنك تخفى عنا كل شىء .

تلفت (ديجنتى) حوله ، قبل أن يهمس :

ـ هذا أمر ضرورى ، فبيننا جاسوس .

استدار إليه (هونور) فى حدة ، وخدجه بنظرة قاسية مستنكرة ، ولكن (ديجنتى) تابع بسرعة :

ـ لم أكشف أمره بعد ، ولكنه أحد أعضاء المجلس .

قال (هونور) بصوت خافت :

ـ ألهذا تشك فى الجميع ؟

أومأ (ديجنتى) برأسه إيجابًا ، فتابع (هونور) :

ـ ومن أدراك أننى لست ذلك الجاسوس ؟

هز (ديجنتى) رأسه ، وقال :

ـ أنا أثق بك ثقة مطلقة ، وسأثبت لك هذا .. سأخبرك بموقع هبوط المنقذ .

تطلع إليه (هونور) فى حذر ، مغمغمًا :

ـ حقًا ؟!

مال (ديجنتى) على أذنه ، وهمس :

ـ سيهبط المنقذ مع شروق شمس الغد الكبرى ، فى النقطة (٧٠٧) .. عند حافة الأدغال .

ثم اعتدل مستطردًا :

ـ هل تأكدت الآن من ثقتى بك يا (هونور) ؟.. لقد أخبرتك على التو بأخطر أسرار (أرغوران) .. أخطرها على الإطلاق ، ولو أنك الجاسوس ، لكان هذا يعنى أننى أصدر حكمًا نهائيًا على المنقذ .. أمل (أرغوران) الأخير .

وصمت لحظة .. قبل أن يستطرد فى حزم :

ـ حكمًا بالإعدام .

وبرقت عينا (هونور) ..

برقت على نحو غامض ..

ومخيف .

* * *

٤ ـ النيـران ..

« ساعة واحدة ، ونبلغ مدار (أرغوران) .. » .

نطقت صورة (بودون) المبرمجة بتلك العبارة ، داخل كابينة القيادة ، فتنهّد (أكرم) ، وقال :

ـ أخيرًا ..

تطلّع إليه (نور) فى صمت ، فى حين أجابه (محمود) ، فى صوت يحمل رنة أسى واضحة :

ـ كم كنت أتمنى أن يشهد (رمزى) معنا تلك اللحظة !

أشاح (نور) بوجهه فى حزن ، وقال (أكرم) فى خفوت :

ـ أنا أريد وأنت تريد ، والله (سبحانه وتعالى) يفعل ما يريد .

غمغم (محمود) ، وهو يقاوم دموعه :

ـ صدقت .

ساد الصمت لحظات داخل الكابينة ، ثم سأل (أكرمُ) (نور) :

ـ كيف حال ابنتك ؟.. أما زالت تبكيه ؟

أجابه (نور) :

ـ ليس من السهل أن تنساه ، فقد كانا ...

لم يستطع إكمال العبارة ، مع تلك الغصة فى حلقه ، ولكن (أكرم) هزّ رأسه ، وقال :

ـ فهمت .

كانت عدة أيام قد انقضت ، منذ ضاع (رمزى) فى الفضاء ، على بعد آلاف السنوات الضوئية من الأرض ، ولكن الحزن الذى وقر فى القلوب ، لم يكن قد تناقص بعد ، ودموع (نشوى) لم تجف ، وهى تبكى حبيبها المفقود ، من أعمق أعماق قلبها ..

حتى (سلوى) و (مشيرة) ظلتا تبكيان طويلًا ، فالأولى شاركت (رمزى) معظم مغامرات الفريق ، والثانية كانت يومًا زوجته (*) ..

وفى توتر ، وكمحاولة لكتمان حزنه البالغ ، اتجه (نور) إلى الكمبيوتر ، وجلس أمام شاشته ، قائلًا :

ـ ماذا سيحدث ، بعد بلوغنا مدار (أرغوران) ؟

أجابه الكمبيوتر :

ـ سيبدأ تنفيذ خطة الهبوط .

قال (نور) فى دهشة :

(*) راجع قصة (العدو الخفى) المغامرة رقم ٥٢



هزت صورة (بودون) رأسها فى هدوء ، وأجابت :

ـ غير مصرّح لى بالإفصاح عن الخطة الآن ..

ـ أهناك خطة خاصة للهبوط ؟

أجابه الكمبيوتر :

ـ بالطبع ؛ فقوات (جلوريال) الفضائية ستراقب (أرغوران) جيدًا ، لرصد هبوطك ، وتعقبك ، ومن الضرورى وضع خطة معقدة ومتقنة ، بحيث تصل إلى (أرغوران) ، دون أن تحدّد القوات الجلوريالية موقع هبوطك .

سأل (نور) فى قلق :

ـ وكيف يمكن هذا .. لو أننا على الأرض ، وأرادت سفينة فضاء بحجم (أرغوريا) اختراق غلافنا الجوى ، والهبوط على كوكبنا ، لأمكننا تحديد موقعها ومسارها بمنتهى الدقة ، كما لو كانت بقعة سوداء كبيرة ، تنزلق على سطح أملس شاهق البياض .

أجابه الكمبيوتر :

ـ هذا لو بقيت البقعة سوداء ، وظلّ السطح شاهق البياض .

سأله (نور) فى حيرة :

ـ ماذا تعنى ؟.. ما تلك الخطة بالضبط ؟

هزّت صورة (بودون) رأسها فى هدوء ، وأجابت :

ـ غير مصرّح لى بالإفصاح عن الخطة الآن .

قال (أكرم) فى غضب :

ـ ماذا تقصد أيها الكمبيوتر اللعين المغرور ؟!.. هل ستخفى عنا خطة الهبوط ؟

أجاب الكمبيوتر ، دون انفعال :

ـ موقع وخطة الهبوط غير مصرّح بإعلانهما ، قبل بلوغ نقطة الصفر .

احتقن وجه (أكرم) فى غضب ، وهمّ بقول شىء ما ، ولكن (نور) أسكته بإشارة من يده ، وقال للكمبيوتر :

ـ فليكن .. سننتظر اللحظة المناسبة ، لنبدأ خطة الهبوط .

قالها بكل هدوء وبساطة ، دون أن يضيق بإصرار الكمبيوتر على الكتمان ، فقد كان يدرك أن برنامج الكمبيوتر لا يملك سوى تنفيذ ما لديه من أوامر ، كما أن مصير (أرغوران) قد ينهار إذا ما أصاب الخطة خطأ ما .. أدنى خطأ ..

★ ★ ★

أدى الضابط الجلوريالى تحيته العسكرية الصارمة ، أمام القائد (آجور) . وهو يرفع يده أمامه ، ويبسط راحته هاتفًا :

ـ المجد للإمبراطور.

أشار إليه (آجور) أن يسترخى ، وسأله :

ـ ماذا هناك أيها الضابط ؟

أجابه الضابط فى احترام :

ـ وصلتنا رسالة بالإشارات فائقة التردد ، عبر المنحنى الزمنى (دستاكرون) ، من مقاتلاتنا عند مخرج (ميروريا) ، يا سيدى القائد .

سأله (آجور) فى اهتمام :

ـ وماذا تقول ؟

أجابه على الفور :

ـ تقول إن قواتنا خسرت إحدى وعشرين مقاتلة ، فى مواجهة (أرغوريا) ، ثم سجلت انفجارها .

برقت عينا (آجور) ، وهو يهتف :

ـ (أرغوريا) انفجرت ؟!

هز الضابط رأسه نفيًا ، وقال :

ـ هذا ما بدا ، وما تصوره مقاتلونا ، ثم تبين لهم أنهم ضحية خدعة كبرى ، جعلتهم يهاجمون صورة هولوجرافية للسفينة ، فى حين فرت (أرغوريا) الأصلية منهم ، وسبقتهم إلى هنا .

اتسعت عينا (آجور) ، وهتف :

ـ اللعنـة .

ثم استطرد فى توتر :

ـ ومتى وصلت هذه الرسالة ؟

أجابه الضابط :

ـ الآن يا سيدى .

استدار (آجور) إلى الخريطة الكونية ، وهو يقول :

ـ هذه الرسالة أتت عبر المنحنى الزمنى (دستاكرون) ، الذى يختصر الزمن والمسافة ، وهذا يعنى أنها ستسبق مقاتلاتنا إلى هنا بمسيرة ست ساعات ، وستسبق (أرغوريا) بساعة واحدة .

هتف الضابط :

ـ إذن فـ (أرغوريا) ستصل إلى هنا فى أية لحظة يا سيدى !

أومأ (آجور) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم .. وستلجأ حتمًا للتخفى ، حتى لا ترصدها مراصدنا ، ولكنها ستضطر للهبوط بالمنقذ الأسطورى فى مكان ما حتمًا .

قال الضابط :

ـ ولو عرفنا هذا المكان ، قد يمكننا إحباط المحاولة .

هتف (آجور) :

ـ بل سيمكننا هذا حتمًا ، لو عرفنا نقطة الهبوط .

وضغط زرًا صغيرًا ، فاختفت خريطة الكون المجسمة ، وحلت محلها خريطة لكوكب (أرغوران) ، فحصها (آجور) بعينيه ، وهو يقول :

ـ ولكن أين هى ؟.. أين ؟

لم يكد يتم عبارته ، حتى دخل حارسه الخاص ، هاتفًا :

ـ المجد للإمبراطور .

التفت إليه (آجور) ، يسأله :

ـ ماذا هناك أيها الحارس ؟

أجابه الحارس :

ـ الأرغورانى (اكس ـ ١) يطلب المقابلة يا سيدى .

قال (آجور) فى حماس :

ـ (اكس ـ ١) ؟!.. دعه يدخل على الفور .. ربما يحمل إلينا بعض المعلومات الهامة .

مرت لحظات قصار ، ثم دلف الجاسوس الأرغورانى إلى حجرة (آجور) ، وقال :

ـ مرحبًا يا قائد الفرسان .

قال (آجور) فى لهفة :

ـ مرحبًا يا (اكس ـ ١) .. ماذا لديك هذه المرة ؟

أجابه الجاسوس :

ـ لدى معلومات بالغة الأهمية هذه المرة أيها القائد .. معلومات تستحق مكافأة ضخمة .

قال (آجور) فى توتر :
ـ ستحصل على كل ما تريد ، لو أنها معلومات جيدة .
قال الجاسوس :
ـ بل معلومات ممتازة .
ثم مال نحوه ، مستطردًا :
ـ إننى أعرف موضع وموعد هبوط المنقذ .
برقت عينا (آجور) فى شدة ، حتى كادت تحتل موضع الشمس الثالثة لكوكب (أرغوران) ، وارتدّ كالمصعوق ، وقد أذهلته المفاجأة ، فى حين هتف ضابطه :
ـ متى وأين يا رجل ؟!.. أفصح بسرعة .
زمجر الجاسوس (الأرغورانى) ، وقال :
ـ وماذا عن المكافأة ؟
صاح به (آجور) :
ـ قلت لك : ستحصل على كل ما تبتغى .. والآن هات ما لديك ، وإلا ذبحتك بلا رحمة .
لوّح الجاسوس بيده ، وهتف :
ـ رويدك .. رويدك يا قائد الفرسان .. سأخبرك كل ما لدى .
ثم مال نحوه مرة أخرى ، مستطردًا بلهجة تشف عن أهمية ما يقول :

ـ سيهبط المنقذ مع شروق الشمس الكبرى ، فى النقطة (٧٠٧) .. عند حافة الأدغال .
وتفجّر انفعال جارف فى عينى (آجور) .
انفعال يعنى أن هذا القول قد وضع اللمسات الأخيرة على خطة المعركة ..
معركة القضاء على المنقذ الأسطورى ، القادم من (الأرض) ..
على (نور) ..

* * *

، وصلنا مدارَ (أرغوران) .. ، ،
ردّد الكمبيوتر هذه العبارة ، فسرت رجفة عجيبة فى أجساد الجميع ، وراحوا يتابعون الخريطة ، التى ارتسمت على الشاشة الكبيرة ، وهمست (سلوى) :
ـ لماذا لم ترصدنا مراقب (جلوزبال) إذن ؟
كان صوتها خافتًا للغاية ، وعلى الرغم من هذا فقد أجابها الكمبيوتر :
ـ لأننا الآن على الجانب الآخر لشمس (أرغوران) الصغرى .
وقال (محمود) :
ـ وهذا واضح على الخريطة ، لقد بلغنا مدار

(أرغوران) بالفعل ، ولكننا ندور الآن بنفس سرعته ، على الجانب الآخر لشمسه الصغرى ، مما يجعل الشمس دائمًا بيننا وبينه ، ولكن هذا لن يستمر طويلًا ، فـ (أرغوران) يدور حول شمسيه ، فى مدار فريد من نوعه ، يشبه رقم ثمانية باللغة الإنجليزية (8) ، بحيث تكون شمساه فى مركزى فراغى الرقم ، وهذا يعنى أنه ما إن يتجاوز مدار شمسه الصغرى ، ويبدأ فى اتخاذ مدار شمسه الكبرى ، حتى يصبح رصدنا أمرًا بالغ البساطة .

قال الكمبيوتر فى آلية :

- سنكون عندئذ قد بدأنا خطتنا .

سأل (نور) الكمبيوتر فى ضيق :

- ألم يحن الوقت بعد ، للكشف عن خطة هبوطنا على (أرغوران) ؟

أجابه الكمبيوتر :

- بلى .. يمكنكم معرفة الجزء الأوّل من الخطة ، وهو يعتمد على إحاطة السفينة بغلاف خاص ، مصنوع من مادة حالكة السواد ، لا تعكس أدنى قدر من الضوء ، بل تمتلك القدرة على امتصاص الضوء كله ، بحيث تصبح

(فوتومتريتها) تساوى صفرًا (*) ، فلا يمكن رصدها بأية أجهزة معروفة .

غمغمت (سلوى) :

- يمكننى استيعاب هذا ، فقد واجهنا شيئًا مماثلًا من قبل (**) .

تابع الكمبيوتر ، وكأنه لم يسمعها :

- وفى الوقت نفسه ، يتم قذف الشمس الصغرى بعدد من القذائف المحدودة ، بحيث تؤدى إلى حدوث انفجارات شمسية متعددة ، تؤدى إلى إرباك واضطراب معظم الاتصالات اللاسلكية ، ووسائل الرصد والمراقبة التقليدية (***) .

قال (أكرم) فى انبهار :

- رباه !.. تبدو وكأنها خطة متقنة بالفعل .. ترى من وضعها ؟!.. (بودون) هذا الذى تتحدثون عنه ، أم ...

قاطعه (نور) فى انفعال ، وكأنه يعترض على حديثه ، الذى يمنع الكمبيوتر من الاستطراد :

(*) الفوتومترية : من عمليات القياس الفيزيائية ، التى تختص بقياس شدة المصادر الضوئية ، والكميات الخاصة بالإضاءة ، واستضاءة الألوان .

(**) راجع قصة (نداء النجوم) .. المغامرة رقم ١٤

(***) حقيقة علمية .

ـ من الواضح أنها خطة طوارئ ، تم إعدادها منذ زمن بعيد ؛ لتكون جاهزة للتنفيذ ، عندما تحين لحظة الحاجة إليها .

مط (أكرم) شفتيه ، وعقد حاجبيه ، وكأنما لا يروق له أن يقاطعه (نور) على هذا النحو ، ولكن (نور) لم ينتبه إلى هذا ، وهو يسأل الكمبيوتر فى اهتمام :

ـ وماذا عن وسائل الرصد والمراقبة غير التقليدية ؟

أجابه الكمبيوتر :

ـ عندما نتجه نحو (أرغوران) ، سيتم إطلاق قذيفة نووية ، بحيث تنفجر فى فضاء (أرغوران) ، خارج غلافه الجوى ، وفوق قارته بالضبط ، وسيؤدى هذا الانفجار النووى إلى إيقاف عمل كل أجهزة الكمبيوتر ، والأشعة ، وإرباك مسارات الليزر وعيون الحراسة لمدة ساعة أرضية على الأقل (*) .

هتف (محمود) :

ـ وخلال هذه الساعة ، نكون قد هبطنا على (أرغوران) .

(*) نظرية علمية حقيقية .

أجاب الكمبيوتر :

ـ بل يبدأ تنفيذ الجزء الثانى من الخطة ، أما الهبوط الفعلى ، فيأتى فى الجزء الثالث منها .

هتف (أكرم) معترضًا :

ـ وما الجزء الثانى من الخطة ؟

أجاب الكمبيوتر فى صرامة آلية مستفزة .

ـ ستعرفونه عندما يحين موعده .

قالت (مشيرة) فى عصبية :

ـ لماذا يعاملنا هذا الشىء بغطرسة وغرور ؟

وقبل أن يجيبها أحدهم ، واصل الكمبيوتر :

ـ والآن يبدأ الاستعداد لتنفيذ الجزء الأوّل من الخطة .

ولم يكد يتمّ قوله ، حتى أحاط الغلاف الأسود الحالك بالسفينة ، وانطلقت عشرات القذائف نحو شمس (أرغوران) الصغرى ، وتفجّرت عشرات الانفجارات الشمسية المحدودة ..

ولأوّل مرة منذ فترة طويلة ، خرجت (نشوى) عن صمتها ، وسألت :

ـ لو أن هذه الانفجارات تفسد الاتصالات ، فلماذا لا تتأثر بها (أرغوريا) ؟

التفت إليها الجميع فى حذر ، وأطلّت من عيونهم نظرة حانية ، وساد صمت عميق ، وكأنما خشى كل واحد منهم

أن ينطق بحرف واحد ، فتعود (نشوى) إلى ذلك الصمت الرهيب ، الذى أحاط بها ، منذ فقدوا (رمزى) ..

ولكن الكمبيوتر لم يكن يحمل تلك المشاعر ..

لقد استقبل السؤال ، وأجابها على الفور :

ـ لقد تمت حماية الأجهزة داخل السفينة ، ومركبة الهبوط الرئيسية ، من الانفجارات الشمسية والتفجير النووى ، بوسائل خاصة .

سألته (نشوى) :

ـ وما هى مركبة الهبوط الرئيسية ؟

أجابها فى بساطة :

ـ سيأتى ذكر ذلك فى حينه .

وهنا تفجَّرت دموع (سلوى) ، واندفعت تحتضن ابنتها فى حنان ، وتنهَّد (نور) فى قوة ، وهو يقول فى حرارة :

ـ حمدًا لله .

وابتسم (محمود) فى حنان ، وأشاح بوجهه ليخفى دموع تأثره ، فى حين بقى (أكرم) صامتًا ، وقالت (مشيرة) فى شىء من التوتر :

ـ عظيم أنك تجاوزت أزمتك يا (نشوى) ، وشكرًا لله (سبحانه وتعالى)، فالنسيان هو أعظم نعمة منحنا إياها.

أجابتها (نشوى) فى حزم :

ـ أنا لم أنس (رمزى) يا (مشيرة) .. ولن أنساه قط .. كل ما فى الأمر هو أننى فكَّرت كثيرًا ، ووجدت أن (رمزى) قد ضحى بحياته ، فى سبيل ما يؤمن به ، وأعظم ما أحترم به ذكراه ، هو أن أواصل وأتم ما بدأه هو ، وليس أن أبكيه طويلًا .

احتقن وجه (مشيرة) لحظة ، قبل أن تغمغم :

ـ أنت على حق .

بدا الكثير من الضيق على وجه (أكرم) ، ولكنه لم ينبس ببنت شفة ، فى حين قال (محمود) ، وهو يراقب شاشة الكمبيوتر فى اهتمام :

ـ لقد غادرنا موقعنا خلف الشمس الصغرى ، ونحن نتجه نحو (أرغوران) .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى أطلقت (أرغوريا) قذيفتها النووية ، التى شقَّت طريقها بسرعة نحو فضاء (أرغوران) ، ثم انفجرت ..

وقبل انفجارها بلحظة واحدة ، هبط غلاف داكن على النافذة الضخمة ، فى مقدمة (أرغوريا) ، وعلى الرغم من هذا ، فقد بدا الانفجار النووى الفائق رهيبًا للغاية ، وهو يضىء الفضاء كله ، كما بدا لـ (نور) ورفاقه ، وهم يراقبون ذلك المشهد ..

ثم اندلعت نيران هائلة فى الفضاء ..

اندلعتْ لثانية واحدة ..

أو لجزء من الثانية ..

ولكنها كانت كافية ليطلق الجميع شهقة قوية ، خبت النيران قبل أن تخبو هى فى الصدور ..

ومع خفقات قلوبهم العنيفة ، التى تصاعدت حتى باتت كطرقات عشرات الطبول فى آذانهم ، قال الكمبيوتر بآليته المثيرة :

ـ انتهى تنفيذ الجزء الأوَّل من الخطة ، وبدأ تنفيذ الجزء الثانى .

وفى هذه المرة لم تكتف أجسادهم بخفقات القلوب ..

لقد ارتجفت خلاياهم فى عنف ..

وأى عنف ..

لقد رأوا بعيونهم تلك النيران ..

نيران الكون .

* * *

٥ ـ خطة الهبوط ..

كان المشهد رهيبًا بحق ، بالنسبة لسكان (أرغوران) ، الذين فوجئوا بنيران هائلة تشتعل فى السماء ، وتملأ الكون كله ، بالنسبة لهم ..

وانتفضت الأجساد كلها فى رهبة وذعر ..

ولكن شيئًا ما نبت فى قلب كل (أرغورانى) ، وأزاح الرهبة والذعر جانبًا ، ليتسيَّد كل المشاعر والانفعالات ..

شىء اسمه الأمل ..

صحيح أنهم شاهدوا نيران الكون ، ولكن هذه الظاهرة بدت لهم أشبه بإشارة انتظروها طويلًا ، واشتاقوا إليها كثيرًا ..

إشارة تعلن وصول المنقذ الأسطورى ..

البطل الأرضى المنتظر ، الذى سيعيد إليهم حريتهم وكرامتهم ..

الجميع أدركوا هذا ..

حتى قوات الاحتلال ..

وفى قصر الإمبراطور الجلوريالى ، قال الحكيم (أوراكس) فى توتر :



كان كيانه كله يحدق فى السماء ، حيث تألقت النيران ، وفى أعماقه صورة تولد ..

- الإشارة يا مولاى .. الإشارة التى تحدث عنها رجال المقاومة طويلا ، ونشروا أمرها بين الشعب .. نيران الكون ، التى تعنى وصول المنقذ الأسطورى .

ثم التفت إلى الإمبراطور ، مستطردا فى انفعال :

- هل رأيتها يا مولاى ؟

ولكن الإمبراطور لم يجب ..

كان كيانه كله يحدق فى السماء ، حيث تألقت النيران ، وفى أعماقه صورة تولد ..

صورة غرسها فيه إمبراطور (جلوريال) السابق ، قبل أن ينطلق لاحتلال الأرض ..

وفى أعماق الإمبراطور (سيثيا) ، بدأ خوف عجيب ينمو ..

خوف راوده قديما ، ولكنه نجح فى دفنه طويلا فى أعماقه ..

وعاد سؤال مخيف يتردد فى أعماقه ..

لماذا تبدل حال والده إلى هذا الحد ، قبل حملة احتلال الأرض ؟!..

لماذا بدا له وكأنه شخص آخر ، لا يمت بأدنى صلة لذلك الأب ، الذى عرفه طيلة عمره ؟..

لماذا كان يشعر بخوف مبهم منه ، على الرغم من حبه السابق له ؟!..

لماذا ؟.. لماذا ؟.. لماذا ؟..

ألف (لماذا) تملأ رأسه ، وتعتصر مشاعره ..

، ماذا علينا أن نفعل يا مولاى ؟.. ، .

تلاشت كل الأسئلة من ذهن الإمبراطور (سيلبا) ، عندما ألقى الحكيم (أوراكس) هذا السؤال ، وعادت تحتل ذلك الركن المظلم من عقله ، وهو يستدير إلى الحكيم ، ويقول فى عظمة إمبراطورية :

- استدع (آجور) .

قبل أن يتمّ عبارته ، كان قائد الفرسان يعبر باب البهو الإمبراطورى ، وهو يقول :

- أنا هنا يا مولاى .

التفت إليه الإمبراطور ، وسأله :

- هل أدركت ما يعنيه اندلاع النيران فى الفضاء ؟

أجابه (آجور) :

- نعم يا مولاى .. إنه يعنى أن المنقذ قد وصل .

ثم شدّ قامته ، واستطرد فى حزم :

- ولكن هذا لا يقلقنى كثيرًا يا مولاى .

بدا الغضب فى عينى الإمبراطور ، فى حين هتف الحكيم فى دهشة :

- (آجور) !.. ألا يمكنك استيعاب المو ...

ولكن (آجور) قاطع الحكيم ، وهو يواصل :

- فنحن نعرف موعد وموقع هبوط المنقذ .

تألقت عينا الإمبراطور ، وهو يقول فى لهفة :

- حقًا ؟!

ألقى (آجور) نظرة جانبية ظافرة على الحكيم ، وشدّ قامته أكثر ، وهو يقول :

- نعم يا مولاى .. لدينا كل المعلومات اللازمة عن المنقذ المنتظر ، وكيفية وصوله إلى (أرغوران) ، وستكون لحظته الأولى ، التى يضع فيها قدميه على أرض (أرغوران) ، هى فى الواقع لحظته الأخيرة يا مولاى .

وتألقت عيناه أيضًا وهو يضيف :

- وهذا وعد .

★ ★ ★

لم تعد النقطة رقم (٧٠٧) ، عند حافة أدغال (أرغوران) ، مجرّد منطقة عشبية عادية ، فى ذلك اليوم :

لقد صارت ترسانة أسلحة كاملة ، تحيط بجيش من أقوى مقاتلى (جلوريال) ، وعلى رأسهم قائد الفرسان (آجور) ..

وفى اهتمام شديد ، سأل أحد الضباط قائده (آجور) :
- هل تثق كثيرًا بدقة المعلومات التى لدينا يا سيدى ؟.. وفى أن المنقذ المنتظر سيهبط فى هذه البقعة بالذات ؟
أجابه (آجور) ، وهو يراقب السماء فى اهتمام بالغ :
- نعم .. لقد وصلتنى المعلومات من مصدر مؤكد .
تطلّع الضابط بدوره إلى السماء ، وقال :
- لماذا لا يظهر أى شىء إذن ؟.. لقد أشرقت الشمس الكبرى بالفعل ، ولم نر أية مركبات ، وكل أجهزة الرصد والمراقبة مصابة بالاضطراب ، منذ حدث ذلك التفجير النووى فى الفضاء .
أشار إليه (آجور) بيده ، قائلًا فى صرامة :
- أعلم هذا .. أعلم هذا .
فهم الضابط ما يعنيه قائده بإشارته ، فلاذ بالصمت ، واكتفى بمشاركته مراقبة السماء ، ولكنه لم يلبث أن شعر بالملل ، من التطلّع إلى أعلى طوال الوقت ، والتحديق فى بعض السحب الكثيفة ، فأشاح بوجهه فى ضجر ، و ...
وأطلق شهقة قوية ، وهو يشير إلى أعلى ، هاتفًا :
- ها هو ذا .

قفز (آجور) كمن لدغه عقرب ، واستدار بكيانه كله ، يحدّق فى النقطة التى يشير إليها ضابطه ، قبل أن يهتف :
- نعم .. إنها مركبته ولاشك .
كانت هناك بالفعل مركبة (أرغورانية) ، من طراز تمت إبادته تمامًا ، منذ بدأ الاحتلال ، تهبط فى حذر ، متجهة إلى النقطة (٧٠٧) ، عند حافة الأدغال .
وفى لهفة ، وضع (آجور) منظاره المبرمج على عينيه ، وتطلّع إلى المركبة ، وهو يقول :
- هناك بعض الأشخاص داخلها بالفعل .. إنهم أرضيون .
همهم ضابطه بعبارة منفعلة ، لم يتبين منها حرفًا واحدًا ، وهو يتابع :
- إننى أتبيّن بشرتهم فى وضوح .. إنهم ستة أشخاص .. بل سبعة .. كلا .. كلا .. إنهم ستة .. أراهم الآن فى وضوح أكثر .. نصفهم من الإناث ، وأحدهم يقود المركبة .. إنه ..
احتبست الكلمات فى حلقه ، والصورة تتضح له أكثر وأكثر ، وامتلأ جسده بتوتر عنيف ، قبل أن يتابع :
- إنه هو .
هتف الضابط :
- المنقذ ؟!

لم يجب (آجور) ، وهو يتطلع عبر منظاره إلى وجه (نور) ، الذى ملأ المشهد كله ، والمركبة تواصل هبوطها الحذر .

لقد وصل المنقذ ..

وصل إلى (أرغوران) ..

وإلى البقعة التى ينتظره فيها بالتحديد ..

وفى حزم قائد محنك ، ألقى (آجور) انفعالاته جانبًا ، واعتدل قائلًا لرجاله فى لهجة آمرة قوية :

ـ استعدوا لتنفيذ الخطة .

تحرك الرجال فى سرعة ، واختفوا وسط الأدغال ، فى نصف دائرة ، تحيط بمنطقة الهبوط المنتظرة ، وراح (آجور) يتابع المركبة بمنظاره ، وقد بدا له ركابها غاية فى الوضوح ، مع اقترابها أكثر وأكثر ، حتى هبطت فى المنطقة المنشودة بالضبط ، واستقرت تمامًا ، وانفتحت أبوابها ، فهتف (آجور) :

ـ الآن .

وفى لحظة واحدة ، كان جيشه الصغير يثب من مكامنه ، ويشهر أسلحته ..

وفى اللحظة التالية انهمرت عشرات من حزم الأشعة القاتلة على المركبة ، التى توهجت فى شدة ، وانبعث من داخلها صراخ مخيف ، و ...

وانفجرت بدوى هائل ، لتندلع منها نيران رهيبة ..

لكن بريق عينى (آجور) كان يفوق وهج النيران الرهيبة ، وجسده كله يصرخ فى ظفر وانتصار ..

لقد حقق ما أمره به إمبراطوره ..

وبمنتهى النجاح ..

وسيسجل التاريخ هذه اللحظة حتمًا ..

لحظة انتصار (آجور) ، ونجاحه في سحق المنقذ ..

أمل (أرغوران) الأخير ..

★ ★ ★

أنهى (ديجنتى) حديثًا قصيرًا ، عبر جهاز اتصال خاص ، مع أحد رجال المقاومة ، الذين يعملون فى فريقه ، ثم رفع عينيه إلى قائده ، قائلًا :

ـ الجلورياليون هاجموا النقطة (٧٠٧) ، عند حافة الأدغال ، ونسفوا مركبة الهبوط .

مط القائد شفتيه ، وغمغم :

ـ يا للخسارة !.. أتعلم ما يعنيه هذا ؟

هز (ديجنتى) رأسه فى أسف ، وقال :

ـ نعم .. أعلم هذا .

قال القائد :

ـ لقد كشف الخائن نفسه .

عاد (ديجنتى) يهز رأسه ، قائلًا :

ـ نعم .. كانت خطة جيِّدة .

رفع القائد يده ، وهو يقول :

ـ بل قل : إنها خطة مزدوجة بارعة ، فقد ضربت عصفورين بحجر واحد .. عندما اجتمعت أنت برفاقك الستة ، فى مجلس المقاومة السُّباعى ، أخبرتهم أن المنقذ فى طريقه إلى هنا ، ثم رفضت أن تبلغهم بموعد مكان هبوطه ، مما أثار حنق وتوتر الجاسوس بالطبع ، وبعدها اجتمعت بكل منهم على حدة ، وأبلغته بموعد ومكان مختلف ، ثم جلسنا ننتظر ونراقب ونسأل أنفسنا .. أى موقع سيختاره (الجلوريااليون) لقتل المنقذ ؟!.. وكان من الطبيعى أن يختاروا الموقع والموعد ، اللذين أبلغهما إياهما جاسوسهم ، الذى يعرف معلومات زائفة ، تختلف عن كل ما يعرفه الباقون .

غمغم (ديجنتى) :

ـ هذا صحيح .

تابع القائد ، وكأنه لم يسمعه :

ـ وفى الوقت نفسه ، تبدأ (أرغوريا) فى تنفيذ الجزء الثانى من خطة الهبوط ، فترسل ست مركبات هبوط زائفة ، تبدو داخل كل منها صورة هولوجرافية واضحة ،

للمنقذ ورفاقه ، بحيث يمكن رصدها بوسائل المراقبة البسيطة ، وستبادر قوات (جلوريال) المحتلة بمهاجمة إحدى المركبات ، فتكشف لنا أمر الخائن من جهة ، وتتصوَّر أنها تخلصت من المنقذ من جهة أخرى .

قال (ديجنتى) مبهورًا :

ـ وفى أثناء انشغالها بكل هذا ، تهبط المركبة الحقيقية ، وعلى متنها المنقذ ورفاقه ، فى سلام ، على أرض (أرغوران) .

ابتسم القائد وقال :

ـ هذا صحيح .. وعلينا أن نستعد لاستقبالهم .

سأله (ديجنتى) فى لهفة :

ـ أين يا سيِّدى ؟.. أين نستقبل منقذنا الأسطورى ورفاقه ؟

أجابه القائد فى هدوء :

ـ فى أكثر مناطق (أرغوران) أمنًا .

سأله (ديجنتى) فى لهفة أكثر :

ـ وأين هذا بالضبط ؟

التفت إليه القائد ، وقال بابتسامة غامضة :

ـ ألم تستنتج هذا بعد يا (ديجنتى) ؟

اعتصر (ديجنتى) عقله ، بحثًا عن الجواب ، ولم يعد كيانه كله يحوى سوى سؤال واحد كبير ..

أين يهبط المنقذ المنتظر ؟..

أين ؟..

★ ★ ★

« فى المحيط .. » .

خرج الجواب من الكمبيوتر آليًا حاسمًا ، فتبادل الجميع فى كابينة القيادة نظرة دهشة وقلق ، وسأل (نور) :

– ولماذا المحيط بالذات ؟

أجابه الكمبيوتر :

– المحيط يحتلّ ثلثى (أرغوران) ، والرقابة عليه تقلّ كثيرًا عن الرقابة على اليابسة ، ولقد اخترنا موقعًا بلا رقابة ، بعد اضطراب أجهزة الرصد والمراقبة ، وستهبط المركبة حتى ارتفاع ستة أمتار من سطح المحيط ، ثم تنطلق بمحاذاة السطح ، على الارتفاع نفسه ، حتى تبلغ نقطة مختارة من اليابسة ، وهناك ستجدون قائد المقاومة فى انتظاركم .

ثم اختفت صورة (بودون) من الشاشة ، وظهرت بدلًا منها صورة مجسّمة لكوكب (أرغوران) ، وهو يسبح فى الفضاء ، مع صوت (بودون) ، وهو يقول :

– والآن دعونا نراجع فى سرعة كل ما تم تلقينكم إياه ، عن جغرافية (أرغوران) وتاريخه ، والكوكب كما تلاحظون ، يشبه (الأرض) كثيرًا ، ولكنه يتكوّن من قارة واحدة ، تحتل ثلث مساحته تقريبًا ، وتمتد فى شكل مخروطى ، من القطب الشمالى إلى القطب الجنوبى ، والباقى عبارة عن محيط شاسع ..

راح يردّد المعلومات الأساسية لربع ساعة كاملة ، استمع إليه الجميع خلالها فى اهتمام ، وهم يراجعون ما قاله مع ما اختزنته ذاكرتهم طوال الرحلة ، عبر أسلوب التلقين المتطوّر ، ثم قال الكمبيوتر :

– الآن عليكم التوجه إلى مركبة الهبوط ، وهى مصنوعة بحيث يكون هناك اتصال دائم ، بينها وبين (أرغوريا) ، التى ستظل تدور فى مدار (أرغوران) ، حتى تعودوا إليها ، أو ترسلوا لاستدعائها ..

نهض الجميع ، واتجهوا إلى منطقة مركبة الهبوط ، ولكن الكمبيوتر استوقف (نور) ، قائلًا :

– سيّدى المنقذ .. لدى رسالة خاصة لك .. وحدك .

توقف (نور) لحظة ، ثم التفت إلى رفاقه ، وقال :

– اذهبوا أنتم .. سألحق بكم بعد قليل .

لم يعترض أحدهم ، بل اتجهوا مباشرة لاتخاذ أماكنهم ، في مركبة الهبوط ، في حين جلس هو أمام شاشة الكمبيوتر ، وقال :

ـ هأنذا .. كلي آذان صاغية .

بدت له صورة (بودون) على الشاشة أكثر حيوية ، وهي تقول :

ـ هذه رسالة خاصة يا (نور) ، لو أنك تستمع إليها ، فهذا يعني أنك تستعد للهبوط على (أرغوران) ، وأن رحلتك من (الأرض) إليه قد مرّت بنجاح .. وما ينتظرك هو المرحلة الحاسمة ، في تاريخك ، وتاريخ (أرغوران) كله .. في البداية أرجو أن تنسى أنك أتيت إلى (أرغوران) في المرة الأولى أسيرًا (*) ، وأن تتذكر فقط أنك تصل إليه الآن منقذًا وأملًا لشعبه المحتل . وقبل أن تهبط إلى (أرغوران) ، دعني أعلمك بالكثير ، مما ينبغي عليك معرفته ، بصفتك الإمبراطور الشرعي له الآن .

وطوال عشر دقائق كاملة ، راح (بودون) يتحدث مع (نور) ، عبر رسالته المسجلة ، وينقل إليه كل ما لديه ..

وكان (نور) يصغي طوال الوقت ..

وبكل الانتباه والاهتمام ..

(*) راجع قصة (جحيم أرغوران) .. المغامرة رقم ٥٩

وبعد قليل ، وعندما انطلقت به وبرفاقه مركبة الهبوط ، لم يحاول أحدهم سؤاله عما أخبره به الكمبيوتر .

ولم يحاول هو أن يفصح عما لديه ..

لقد لاذ كل منهم بصمت مطبق ، وهم يراقبون (أرغوران) ، الذي يقتربون من محيطه الهائل في سرعة ..

ولثوان خُيّل إليهم أن هذه السرعة الفائقة ، ستجعلهم يغوصون حتمًا في أعماق المحيط ، ولكن المركبة لم تكد تبلغ ارتفاع ستة أمتار ، حتى انحنت فجأة بزاوية قائمة شبه مستحيلة ، وانطلقت بمحاذاة سطح المحيط ، الذي بدا هادئًا ، تنذر فيه الأمواج ..

ثم هتفت (مشيرة) فجأة :

ـ اليابسة .

تطلّع الجميع في اهتمام إلى الشاطئ الصخري ، الذي يقتربون منه في سرعة ، وإلى الرجل الواقف عنده ، ثم مالت المركبة مرة أخرى ، ودارت حول نفسها ، قبل أن تستقر على الشاطئ ، وتتفتح أبوابها كلها دفعة واحدة ..

وفي حذر قلق ، غادر الجميع مركبة الهبوط ، ليستقروا فوق أرض (أرغوران) ، الكوكب الذي عبروا ملايين السنوات الضوئية للذود عنه ..

ومع مغادرتهم المركبة ، اقترب منهم قائد المقاومة الأرغورانية ، وابتسم فى ارتياح ، وهو يقول :

ـ مرحبًا بكم على أرض (أرغوران) .

ولكن الجميع حدقوا فى وجهه فى ذهول ، فى حين أطلقت (سلوى) و (مشيرة) شهقتى دهشة عنيفتين ..

والواقع أن ذلك الواقف أمامهم كان يحمل لهم مفاجأة .. مفاجأة مذهلة للغاية .

★ ★ ★



٦ ـ المقـاومة ..

مط (هونور) شفتيه ، وهو يراقب شمس (أرغوران) الكبرى ، وغمغم فى ضجر :

ـ يوم آخر يا (هونور) .

وزفر فى عصبية ، قبل أن يتجه إلى خزانته ، ويلتقط منها جهازًا صغيرًا ، ثبته فى حزامه ، ثم أغلق النافذة ، وفتح باب منزله ، وهو يهم بالخروج ، إلا أنه لم يلبث أن توقف بغتة ، وهو يتطلع فى دهشة إلى (ديجنتى) ، الذى وقف أمامه صامتًا ، ينظر إليه فى صرامة ، وخلفه خمسة من رجال المقاومة التابعين له ..

ولم تستغرق دهشة (هونور) أكثر من لحظة واحدة ، ابتسم بعدها فى سخرية ، وهو يقول :

ـ عجبًا !.. ألم تعد تستطيع القدوم لزيارتى وحدك يا (ديجنتى) ، فأصبحت تحضر طاقم حراستك معك ؟!

رمقه (ديجنتى) بنظرة صارمة طويلة ، ثم قال :

ـ الجلورياليون هاجموا النقطة (٧٠٧) ، عند حافة الأدغال ، مع شروق الشمس الكبرى .

هتف (هونور) :
ـ حقًا ؟!.. وماذا أصاب المنقذ ؟
أجابه (ديجنتى) فى اقتضاب :
ـ قتلوه .
تراجع (هونور) هاتفًا فى انفعال :
ـ قتلوه ؟!
دفعه (ديجنتى) داخل المنزل ، وعبر إليه فى قسوة ، وهو يقول :
ـ نعم يا (هونور) .. قتلوه .. أليس هذا ما تمنيته دائمًا ؟
صاح به (هونور) فى غضب :
ـ أى قول أحمق هذا ؟
لاحظ (هونور) ، وهو ينطق عبارته هذه ، أن رجال المقاومة الخمسة قد لحقوا بقائدهم (ديجنتى) داخل المنزل ، وأغلقوا بابه خلفهم فى إحكام ، وأسرع أحدهم يُشعل المصباح ، و (ديجنتى) يقول فى غضب :
ـ ما أقوله هو الحقيقة يا (هونور) .. الحقيقة التى كشفت أمرك .. أنت وحدك كنت تعلم أن المنقذ سيصل إلى النقطة (٧٠٧) ، عند شروق الشمس الكبرى .. الباقون كانت لديهم معلومات مختلفة .. وأنت وحدك كنت تبغض

فكرة وصول منقذ غير أرغورانى ، ليقود المقاومة الأرغورانية .
قال (هونور) فى حدة :
ـ وما زلت أرفض هذا تمامًا ، ولكن رفضى لا يعنى أن أخون حركة المقاومة .
هزّ (ديجنتى) رأسه ، وهو يقول فى حزم :
ـ لا تحاول يا (هونور) .. الخطة كانت محكمة للغاية ، ومن المستحيل أن يعرف الجلورياليون هذا الموقع ، ما لم تخبرهم أنت بالذات .
صاح به (هونور) غاضبًا :
ـ وماذا عنك ؟!
سأله (ديجنتى) :
ـ ماذا تعنى يا (هونور) ؟
قال (هونور) ثائرًا :
ـ أعنى أنك أيضًا كنت تعرف الموقع والموعد ، فلم لا تكون ذلك الخائن ؟ من أدرانى أنك لم تتعمد دفعهم إلى هناك ، لتتهمنى بالخيانة بدلًا منك ؟!
ابتسم (ديجنتى) فى سخرية ، وقال :
ـ لو أننى الخائن لما جازفت بإرسال قوات (جلوريال) إلى موقع وموعد ، أعلم أنهما زائفين ، فغضب المحتلين قد يدفعهم عندئذ لقتلى ، عندما يكشفون الخدعة .



فى حين عبرتها الأخرى ، فوق رأس (هونور) ، الذى وثب مقتحمًا النافذة ، وهبط خارجها ..

بدا اهتمام شديد على وجه (هونور) ، وهو يقول :
ـ زانفان ؟!.. أتعنى أن المنقذ لم ...
قاطعه (ديجنتى) فى صرامة :
ـ نعم يا (هونور) .. المنقذ لم يلق مصرعه كما كنت تتمنى .
ثم التفت إلى رجاله الخمسة ، مستطردًا فى حزم :
ـ ألقوا القبض عليه .
تحرك الرجال الخمسة فى صرامة ، ولكن (هونور) كان الأسبق إلى الانقضاض ، وهو يقول فى غضب :
ـ من السهل قول هذا يا (ديجنتى) .
قالها وقدمه تركل رجلين ، ثم تقفز قبضته لتلكم الثالث ، ويندفع إلى اليسار ليضرب الرابع والخامس ، ويوقعهما أرضًا ، مستغلًا عامل المباغتة ، وبعدها انطلق يعدو نحو النافذة ، مستطردًا :
ـ المهم التنفيذ .
صرخ (ديجنتى) :
ـ أوقفوه .
أطلق اثنان من الرجال سلاحيهما ، ولكن أشعتى السلاحين أخطأتا هدفهما ، وأصابت إحداهما إطار النافذة ، فى حين عبرتها الأخرى ، فوق رأس (هونور) ، الذى وثب مقتحمًا النافذة ، وهبط خارجها ،

ثم انطلق يعدو بكل قوته مبتعدًا ، و (ديجنتى) يهتف :

ـ اللعنة !.. لقد هرب منا .

قال أحد الرجال فى انفعال ، وهو ينهض فى سرعة :

ـ إنه لن يبتعد كثيرًا .. يمكننا أن نلحق به .

هز (ديجنتى) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ كلا .. مطاردة كهذه كفيلة بجذب انتباه قوات الاحتلال ، وتهديدنا جميعًا بكشف أمرنا .. اتركوه يبتعد ، ولكننا سنذيع أن (هونور) خائن وجاسوس ، ونطالب الجميع بمطاردته والقضاء عليه .

ثم عدَّل ثيابه ، واستطرد فى حزم :

ـ أما الآن ، فستتضافر جهودنا كلها من أجل هدف واحد ، بعد أن وصل المنقذ ، وحانت اللحظة المنتظرة .

وارتج صوته بانفعال جارف ، وهو يضيف :

ـ لحظة الثورة .

* * *

اتسعت عينا (سلوى) عن آخرهما ، وهى تحدق مع رفاقها فى وجه قائد المقاومة ، قبل أن تهتف فى ذهول :

ـ ولكن هذا مستحيل!!.. لايمكن أن تكون (بودون) !!.. لقد لقيت مصرعك على الأرض (*) .. كلنا نعلم هذا .

(*) راجع قصة (الصراع) .. المغامرة رقم ٧٨

وهتفت (نشوى) :

ـ هذا صحيح .

ابتسم القائد فى صمت ، فى حين قال (نور) فى هدوء :

ـ إنه ليس (بودون) .

نقلوا جميعًا أبصارهم ، بين (نور) وقائد المقاومة ، فى دهشة وحيرة ، فاستطرد الأوَّل ، وهو يتطلَّع مثلهم إلى وجه الثانى :

ـ إنه توءم (بودون) .

ردَّدت (مشيرة) فى دهشة :

ـ توءمه ؟!

ثم استحالت دهشتها إلى حماس غامر ، وهى تستطرد :

ـ يا للروعة !.. إنه أفضل تحقيق قمت به فى حياتى كلها .. المفاجآت عظيمة .. ستبهر المشاهدين للغاية .. هل يمكنكم تخيَّل هذا ؟.. أكاد أقرأ العناوين المبهرة .. (مفاجأة على أرض أرغوران).. (توءم الإمبراطور).. الـ ...

بترت عبارتها بغتة ، واكتسى وجهها بحمرة الخجل ، عندما انتبهت إلى أن الجميع يتطلعون إليها فى صمت ، وغمغمت فى حياء :

ـ أقصد أن الأمر سيبدو عظيمًا ..

قال (أكرم) بسرعة ، وكأنه يكمل عبارتها :

ـ لو أننا عدنا إلى الأرض أحياء .

شحب وجهها ، وارتجفت أطرافها للفكرة ، ولكن (بودان) قال فى هدوء ، أسهم فى حجب توتر الموقف :

ـ ستعودون إليها ، لو سار كل شىء على ما يرام .

غمغم (نور) :

ـ بإذن الله .

ثم استطرد فى اهتمام :

ـ أعتقد أننا لن نبقى هنا طويلًا .. أليس كذلك ؟

أجابه (بودان) :

ـ بالطبع .. كل شىء معد بمنتهى الدقة .. سننطلق فورًا إلى مقر المقاومة السرى ، الذى ينتظركم منذ رحل (بودون) إليكم ، وهو يحوى كل ما تبقى من تكنولوجيتنا ، التى أصرّ المحتلون على تدميرها ، أما مركبة الهبوط ، فستستقر فى مخبأ خاص ، حتى تنتهى مهمتكم ، وتحتاجون إليها للعودة إلى (أرغوريا) .

سأله (أكرم) :

ـ وأين هذا المخبأ ؟

صمت (بودان) لحظات ، ثم ابتسم ابتسامة غامضة ، وهو يجيب :

ـ كلما قلَّ ما تعرفه ، كانت فرصة حصول الأعداء على المعلومات أكثر ضعفًا .

انعقد حاجبا (أكرم) فى غضب ، وهو يقول :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟.. هل تشير إلى احتمال تعاونى مع الجلورياليين ؟

كان الجميع يتوقعون ردًا دبلوماسيًا من (بودان) ، ولكنهم فوجئوا به يقول فى هدوء شديد :

ـ ربَّما .

تقافزت شياطين الغضب كلها من وجه (أكرم) ، وهو يقول :

ـ ماذا تقول ؟

أجابه (بودان) فى سرعة وهدوء :

ـ أقول إنه من المحتمل أن يقع أحدكم فى الأسر ، ويستخدم معه المحتلون كل وسائلهم التكنولوجية ، التى تلغى إرادته تمامًا ، وتدفعه إلى الإدلاء بكل ما لديه ، دون أن يملك من أمر نفسه شيئًا ، وفى هذه الحالة ، يكون من الأفضل أن تقتصر معارفه على أقل القليل .. أليس كذلك ؟

ران صمت عجيب ، بعد أن انتهى (بودان) من قوله ، ثم غمغم (أكرم) فى شجاعة :

ـ أنت على حق ، فى كل ما نطقت به .

وهنا تراخت ملامح (نور) فى ارتياح ، وقال :

ـ والآن هيا بنا إلى المقر السرى .. كم نحتاج من الوقت للوصول إليه يا (بودان) ؟

أشار (بودان) بيده ، وقال

ـ ما رأيك فى دقيقة واحدة ؟!

ولم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع جزء من اليابسة ، وبرز أسفله مدخل المقر السرى ..

وفى صمت ، ودون تعليق واحد ، دلف الجميع إلى المقر ، وراحوا يتطلعون إلى الأجهزة التكنولوجية داخلة ، و (بودان) يقول :

ـ ستجدون هنا كل ما تحتاجون إليه .. أجهزة رصد ومراقبة ، وأدوات اتصال متطوّرة ، وأسلحة ، وخدمات طبية آلية ، مبرمجة لتتوافق مع تركيبكم البشرى .. كل شىء .. ولكن كل هذا لن يعمل قبل مرور نصف الساعة على الأقل ، عندما يتلاشى تأثير الانفجار النووى الفضائى ، وفور بدء البث ، سنذيع رسالة خاصة على شعب (أرغوران) .. رسالة تعنى أن المنقذ قد وصل بسلامة إلى مقر المقاومة ..

ورفع رأسه فى اعتداد ، مستطردًا :

ـ وأن الثورة قد بدأت ..

نطقها فى حماس وانفعال شديدين ، ران بعدهما صمت عميق داخل المقر السرى ..

صمت ثورة تولد فى الأعماق ..

★ ★ ★

تحرّك الجاسوس الأرغورانى فى خفة ، عبر ممرات القصر الإمبراطورى الجلوريالى ، حتى بلغ حجرة (آجور) ، وقال لحارسها فى توتر :

ـ لدى تصريح بمقابلة قائد الفرسان .

أتاه صوت (آجور) من الداخل ، وهو يهتف :

ـ ادخل يا (اكس ـ ١) .. أنا فى انتظارك .

دلف الجاسوس إلى حجرة قائد الفرسان ، الذى استقبله فى حرارة ، قائلًا :

ـ لقد أوصيت بمنحك مكافأة ضخمة يا (اكس ـ ١) ، فقد هبطت مركبة المنقذ فى النقطة التى حدّدتها بالضبط ، وأمكننا تدميرها تمامًا .

وقهقه فى ظفر ، وهو يربت على ظهر (اكس ـ ١) ، مستطردًا :

ـ المهمة انتهت بأسرع وأبسط مما تصوّرنا يا رجل .. سنذيع النبأ على الفور ، و ...

قاطعه الجاسوس فى توتر :

ـ الأفضل ألا تفعل يا سيّدى .

تطلع إليه (آجور) فى دهشة ، وهو يقول فى قلق :

ـ لماذا يا (اكس ـ ١) ؟

ازدرد الجاسوس لعابه ، وبذل جهدًا خرافيًا للسيطرة على توتره ، وهو يجيب :

- لقد كانت خدعة .

هوت العبارة على (آجور) كصاعقة رهيبة ، من صواعق أعاصير (أرغوران) ، وحدق فى وجه (اكس ـ ١) فى ارتياع ، قبل أن يصرخ بكل ما تفجّر فى صدره من مشاعر :

- خدعة ؟!

تراجع الجاسوس فى قلق ، وهو يقول :

- أنا نفسى لم أدرك هذا فى البداية .. لقد خدعنا (ديجنتى) ، وجعلنا نتصوّر أن المنقذ سيصل فى تلك النقطة ، وخدعتكم (أرغوريا) بهدف زائف ، وصور هولوجرافية وهمية ، و ...

لم يسمح له (آجور) باستكمال حديثه ، وهو يصرخ فى وجهه :

- وأتيت لتخبرنى بهذا الآن .

تراجع الجاسوس أكثر فى خوف ، وهو يهتف :

- هذا أفضل من مواصلة خداعك يا سيّدى .. أليس كذلك ؟

انقضّ عليه (آجور) فى غضب ، وانتزع سلاحه ليلصقه بعنقه ، وهو يصيح ثائرًا كبركان ملتهب :

- وما الذى تتوقّعه منى الآن ؟.. أن أشكر لك قدومك ،

وأمنحك مكافأة سخية ؟!.. لقد جعلت منى أضحوكة أيها الوغد ، ولن أستبعد أن يأمر الإمبراطور بقتلى .. هل تعلم ما الذى سأفعله الآن ؟.. سأمنحك المكافأة التى تستحقها .. سأقتلك .

هتف الجاسوس فى ارتياع :

- لا يا سيّدى .. ستخسر الكثير بقتلى .

صاح (آجور) :

- على العكس أيها الغبى .. قتلك قد يكون التبرير الوحيد ، الذى يمكننى تقديمه لمولاى الإمبراطور ، لتغطية هذا الفشل الذريع .

هتف الجاسوس :

- ولكننا لم نخسر تمامًا يا سيّدى .. ما زال هناك جانب مشرق ، قد يساعدك على الإيقاع بالمنقذ المنتظر ، فى غضون يوم أو يومين على الأكثر .. أقسم لك .

توقّف (آجور) ، ورمقه بنظرة تتقافز منها شياطين الغضب ، وهو يسأله :

- وكيف أيها المتحذلق الحقير ؟

أجابه الجاسوس بسرعة :

- إنهم لم يكشفوا أمرى بعد .

صاح (آجور) :

- وفيم يفيدنا هذا أيها الغبى ؟

أجابه بسرعة :

- إنهم يتصوَّرون الآن أن الجاسوس شخص آخر ، وأعلنوا هذا بالفعل ، ولذلك فسيكون شعورهم بالأمن عاليًا ، وسيجتمع المجلس السُّباعى بالمنقذ ، وعندئذ ..

لم يتم عبارته ، ولكن المعنى الذى يقصده بدا مفهومًا ، فتطلّع إليه (آجور) لحظات فى صرامة ، ثم تخلّى عنه ، وقال :

- اشرح لى الأمر بالتفصيل .

تنهّد الجاسوس فى ارتياح ، وقال :

- كنت أشعر منذ البداية أن (ديجنتى) يحاول خداعنا ؛ لذا فقد سعيت لمعرفة ما أبلغ به أخلص قادة المقاومة (هونور) ، وأخبرتكم بالفعل بالموقع والموعد ، اللذين حدّدهما (ديجنتى) لصديقه (هونور) ، ولكننى لم أتصوَّر قط أن (ديجنتى) الماكر اللعين لم يمنح ثقته ، حتى لأصدق أصدقائه .. وهاجمتم أنتم النقطة (٧٠٧) ، ودمرتم الهدف الزائف ، وعلى الرغم من هذا الفشل ، فقد تصوَّر (ديجنتى) على الفور أن (هونور) هو الخائن ، وهاجم منزله بالفعل ، ولكن - ولحسن حظنا - لم يقبل (هونور) الاستسلام ، ونجح فى الفرار منهم .. وأعلن رجال المقاومة أن (هونور) خائن وجاسوس ، وطالبوا

الجميع بالتكاتف للإيقاع به وتصفيته ، وهو الآن هارب وحيد ، لا يجد مكانًا واحدًا يأوى إليه ، وسيسقط فى قبضتهم إن عاجلًا أو آجلًا .. المهم أنهم يعتبرونه الجاسوس الآن ، ويعتبرون الباقين مخلصين أوفياء ، ومن الطبيعى أن تهدأ نفسهم ، ويبدءون فى عقد اجتماع بيننا وبين المنقذ ، وعندئذ تنقضون على مقر المجلس السُّباعى ، و ...

فرفع سبّابته وإبهامه ، مكملًا المعنى المقصود ، فصمت (آجور) لحظات ، ثم قال فى صرامة متوتّرة :

- فليكن يا (اكس - ١) .. سأقبل خطتك هذه المرة ، وأمنحك فرصة أخيرة لتحسين موقفك .. المهم أن نتحرّك بسرعة ، قبل أن يدرك الإمبراطور أننا فشلنا فى الـ ...

قبل أن يتمّ عبارته ، اندفع أحد رجاله إليه ، وهتف فى توتّر بالغ :

- سيّدى القائد .. هناك رسالة .. رسالة فى الـ ... فى الـ ...

قال (آجور) فى عصبية :

- تمالك نفسك أيها الجندى .. فى أى مكان هذه الرسالة ؟

أشار الجندى إلى النافذة بسبّابة مرتجفة ، وهو يقول :

ـ فى السماء .

اتسعت عينا (آجور) فى دهشة ، والتفت فى سرعة إلى النافذة ، ثم انتفض جسده كله فى عنف ..

فأمامه مباشرة ، وفى قلب السماء ، كانت هناك رسالة هولوجرافية حمراء متألقة ، تقول بلغة أرغورانية واضحة :

ـ وصل المنقذ إلى (أرغوران) .

ولم يدر (آجور) كيف تدفقت كل تلك المشاعر الرهيبة فى عروقه ، وهو يحدّق فى الرسالة المعلّقة فى السماء ..

لقد كانت إشارة واضحة وصريحة إلى فشله التام ..

وإلى اندلاع شرارة الثورة ..

ثورة (أرغوران) .

* * *



٧ ـ الضربة الأولى ..

ابتسم (بودان) فى ارتياح ، وهو يراقب شاشة الراصد ، التى نقلت مشهد العبارة الهولوجرافية ، المتألقة فى سماء (أرغوران) ، وقال لـ (نور) فى ظفر :

ـ الآن يعرف كل مواطن أرغورانى أنك وصلت يا (نور) ، وأن الثورة قد بدأت ضد المحتلين .. هل تعلم ؟.. لقد استخدمنا وسيلة تكنولوجية فائقة ، لنبث هذه الرسالة ، وضحينا بالوسيلة نفسها ، التى سيكشف المحتلون أمرها بسرعة حتمًا ، فى سبيل رفع الروح المعنوية لشعبنا ، وإعلامه بقدومك .

هزّ (نور) رأسه متفهمًا ، وقال :

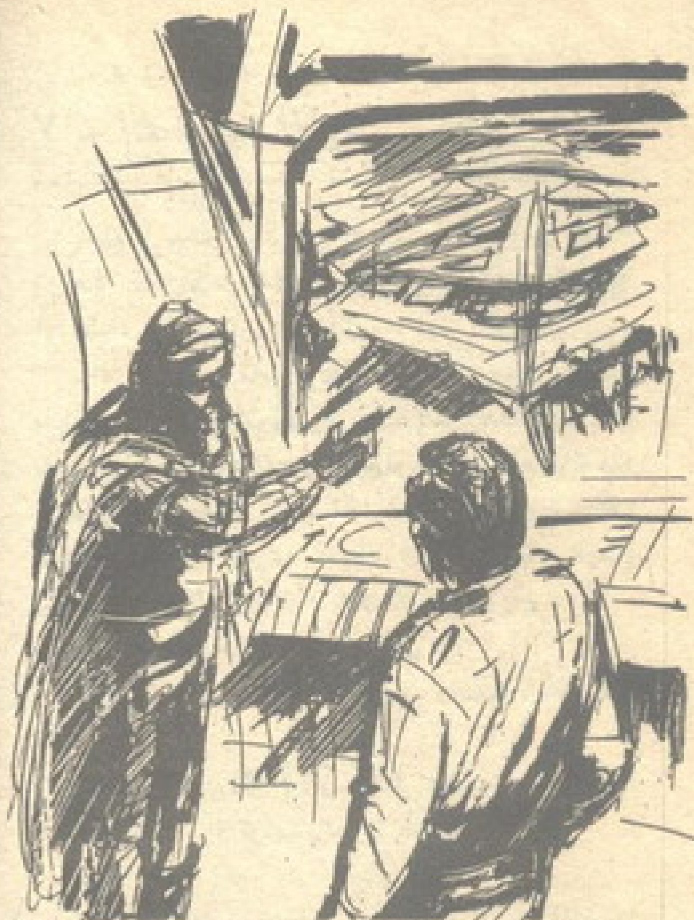
ـ يمكننى تقدير هذا يا (بودان) ، ولكننى لا أميل إليه كثيرًا .

التفت إليه (بودان) ، يسأله فى دهشة :

ـ لماذا ؟!.. ألا تؤمن بالحرب النفسية ؟

أجابه (نور) :

ـ بل أومن بها تمامًا يا (بودان) ، وأثق بأن فاعليتها



وقال لـ (نور) فى ظفر :

ــ الآن يعرف كل مواطن أرغورانى أنك وصلت ..

قد تفوق ، فى بعض الأحيان ، فاعلية أسلحة القتال التقليدية ، ولكن ما فعلناه كان أقرب إلى النشرات الدعائية لمنتج تجارى جديد ، منه إلى إعلان بدء قيام ثورة شاملة .

هزّ (بودان) كتفيه ، وقال :

ـ فليكن .. أنت القائد الآن ، ويمكنك اتخاذ كل ما يحلو لك من قرارات .

صمت (نور) لحظات ، ثم تنهّد فى عمق ، وقال :

ـ هل تعلم يا (بودان) ؟.. الرسالة الأخيرة ، التى تركها لى (بودون) ، فى كمبيوتر السفينة ، مازالت ترنّ فى أذنى حتى الآن .. لقد أخبرنى فيها أنه وضع خطة متكاملة ؛ لضمان وصولى إلى (أرغوران) ، ولكنه يترك لى حرية التصرّف تمامًا ، بعد وصولى إلى كوكبكم ، ثم أخبرنى بأمرك ، وبأنه طلب منك تكوين فرق مقاومة قوية ، لتصبح بمثابة جيش مدنى ، يمكننى قيادته لتحرير (أرغوران) ، ولكن معلومات (بودون) (رحمه الله) ، كانت تقتصر على آخر ما عرفه ، قبل أن يغادر كوكبه .

قال (بودان) :

ـ كلا .. لقد أرسلت إليه بكل ما حدث ، عبر المنحنى الزمنى (دستاكرون) ، طوال رحلته إلى الأرض .

لوّح (نور) بسبابته ، وقال :

ـ وحتى مع وضع هذا فى الاعتبار ، تكون معلومات (بودون) قاصرة ، عند لحظة مصرعه على الأكثر ، وهذا لا يكفى ليمنحنى صورة كاملة عن الموقف .

اعتدل (بودان) ، وقال فى اهتمام :

ـ ما الذى تريد معرفته ؟

مال (نور) نحوه ، وقال :

ـ كل شىء يا (بودان) .. كل ما لديك عن تطور المقاومة ، منذ رحل (بودون) ، وحتى هذه اللحظة .

أومأ (بودان) برأسه ، وقال :

ـ فليكن .

وفى استفاضة ، راح يروى لـ (نور) كل ما لديه عن المقاومة ، وقادتها ، ومجلسها السُباعى ، وفرقها ، وتنظيمها ، وحتى عن مشكلة وجود جاسوس بين صفوفها ، وما حدث مع (هونور) ..

ولم يقاطعه (نور) طوال ساعة كاملة ، أصغى إليه خلالها فى انتباه تام ، واهتمام لا نظير له ، حتى انتهى (بودان) من روايته تمامًا ، وقال :

ـ هذا كل ما لدى أيها الإمبراطور .

رفع (نور) حاجبيه فى دهشة ، وهو يردد :

ـ الإمبراطور ؟!

أجابه (بودان) :

ـ بالطبع .. أنت الإمبراطور الشرعى الآن لكوكب (أرغوران) ، بعد رحيل (بودون) .

أشار إليه (نور) ، قائلا :

ـ وماذا عنك ؟

هزّ (بودان) كتفيه ، وقال :

ـ لو أنك لم تصل إلى هنا ، لأصبحت أنا الإمبراطور ، ولكن ..

قاطعه (نور) فى هدوء :

ـ فليكن .. لن يمكننى استيعاب قواعدكم وقوانينكم بسرعة ، ولكننى أمقت تلك الألقاب الرنانة على أية حال .. ما رأيك لو تبادلنا الألقاب ، فتخاطبنى أنت بلقب (القائد) ، وأمنحك أنا لقب (الإمبراطور) .

هزّ (بودان) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ هذا مستحيل !.. القانون يمنعنى من هذا ، ما لم يتم تنازلك لى عن العرش رسميًا ، وفى حضور مجلس الحكم ، وما دام هذا المجلس لا وجود له ، فى ظل الاحتلال الجلوريالى ، فالتنازل لن يتمّ أبدًا ، وستحتفظ باللقب الإمبراطورى ، شئت أم أبيت .

قال (نور) فى بساطة :

- ولكننى تنازلت عن اللقب رسميًا من قبل .
قال (بودان) :
- لشقيقى (بودون) ، وليس لى ، والقانون فى هذه الحالة ..!
اعتدل (نور) فجأة ، وقاطعه قائلًا :
- من يعلم بمصرع (بودون) ؟
أجابه (بودان) ، وقد أدهشه السؤال المباغت :
- مجلس المقاومة السُباعى .
ارتسمت على شفتى (نور) ابتسامة غامضة ، وهو يتراجع فى مقعده ، مغمغمًا :
- عظيم .
ظلَّ (بودان) صامتًا لحظة ، يتطلَّع إليه فى تساؤل ، ثم لم يلبث أن نقل تساؤله هذا إلى لسانه ، وهو يقول :
- ما الذى تفكِّر فيه بالضبط أيها المنقذ ؟
لوَّح (نور) بيده ، وقال :
- فى قوة الحرب النفسية يا صديقى ، وفى تلك المصادفة القدرية ، التى جعلت (مشيرة) و (أكرم) ينضمَّان إلينا ، فى رحلتنا إلى هنا .
قال (بودان) فى حيرة :
- لم أفهم جيدًا .

اعتدل (نور) مرة أخرى ، وسأله :
- هل يمكنك جمع فريق مقاومة ، من مائة رجل تقريبًا ، دون الرجوع إلى المجلس السُباعى !
أجابه على الفور :
- بالطبع .. فريق نائبى (ديبنتى) يضمّ وحده ألف رجل .
ابتسم (نور) مرة أخرى تلك الابتسامة الغامضة ، وهو يقول :
- عظيم .. أعتقد أننا سنكرِّر إعلان بدء الثورة يا عزيزى (بودان) ، ولكن بطريقة أكثر فاعلية .
وتلاشت ابتسامته ، وهو يستطرد :
- وأكثر عنفًا .
ولم يفهم (بودان) بالتحديد ما يقصده قائد المقاومة الجديد ، ولكن نظرة واحدة إلى عينى (نور) ، جعلته يدرك أن الأحداث القادمة ستكون عاصفة ، وأنه على الجلورياليين أن يدركوا أن زمن الضربات الصغيرة قد انتهى إلى الأبد ..
لقد وصل قائد حقيقى إلى (أرغوران) ..
وبدأ الإعصار ..

★ ★ ★

كل شىء كان يسير على ما يرام ، فى مركز البث الرئيسى لقوات الاحتلال ..

الجميع يقومون بأعمالهم ، ويبثون البيانات والتعليمات الجلوريالية بشكل منتظم ، عبر شبكة اتصال ضخمة ، منتشرة فى طول القارة وعرضها ، وعيون الحراسة تحيط بالمكان ، وترصد كل ما يحدث حوله ، وطاقم الحراسة الجلوريالى يقف أمام المدخل ، بأسلحته القوية ، ويقظته الدائمة ، و ...

وفجأة ، التقط رادار المراقبة الرئيسى شيئًا يقترب بسرعة ، فأعلن بلغته الجلوريالية على الفور :

ـ جسم غريب يقترب ، ولم يتمّ تحديد هويته .

استقبل قائد طاقم الحراسة الرسالة ، وتابع شاشة الرادار ، ولاحظ وجود جسم كروى يندفع نحو مركز البث ، على ارتفاع ثلاثة أمتار من الأرض ، من اتجاه الشرق ، فقال فى حزم :

ـ فلتستعد عيون الحراسة ، ويتم تدمير الهدف ، فور اقترابه من المجال المحظور لمركز البث .

استعدت وسائل الدفاع كلها ، وتأهبت عيون الحراسة ، المحيطة بالمركز ، وتعلقت عيون الجميع بذلك الجسم الكروى ، الذى بدا واضحًا للأعين ، وهو يقترب بسرعة ، ثم هتف قائد الحراسة :

ـ دمروا الهدف .

وقبل أن يتلاشى صدى صيحته ، انطلقت الوسائل الدفاعية كلها ، وأصابت الهدف ، الذى انفجر على الفور بدوى مكتوم ..

ثم كانت المفاجأة ..

فمع انفجار الجسم الكروى ، تناثرت منه آلاف الرقائق الإليكترونية الدقيقة ، فى مساحة هائلة ، وراحت كل منها تطلق إشارات خافتة شبه منتظمة ..

واتسعت عيون الجميع فى دهشة وتوتر بالغين ، فلقد تسبَّبت تلك الرقائق الصغيرة فى اضطراب وسائل البث ، وجذبت إليها كل عيون الحراسة ، كما لو كانت مغنطيسًا هائلًا ، انقسم إلى آلاف المغنطيسات الصغيرة ..

وهنا شعر قائد الحراسة بالقلق ..

لقد تركت كل العيون الحارسة الإليكترونية مواقعها ، وراحت تهاجم الرقائق الصغيرة ، وتطلق نحوها أشعتها القاتلة ، والجميع يتابعون ذلك المشهد ، الذى ملأ الشرق كله ..

وقبل أن يحلل عقله هذا الموقف ، أو يستوعب مغزاه ، كان هجوم المقاومة قد بدأ ..

ومن الغرب ... *

- سبعون من رجال المقاومة انقضوا على طاقم الحراسة ، الذى أخذته المفاجأة ، وحاول رجاله إطلاق أشعتهم ، ولكن أسلحة رجال المقاومة أسقطتهم بسرعة ، قبل أن يندفع الرجال داخل مركز البث ، وعلى رأسهم (ديجنتى) ، الذى هتف :

- قاتلوا يا رجال .. قاتلوا بكل قوتكم ، من أجل (أرغوران) .

وعندئذ فقط انتبه قائد الحراسة إلى الخدعة ، وصرخ فى رجال الأمن ، المنتشرون داخل المركز :

- خدعة .. هجوم من الغرب .. استعدوا بأسلحتكم .

هبَّ رجاله لصدّ الهجوم ، وانطلقت مئات من خيوط الأشعة داخل المركز .

وكانت الأسلحة الجلوريالية أكثر قوة عمليًا ؛ فهى تسحق كل من تنطلق نحوه سحقًا ، فى حين قد تجرح أسلحة الأرغورانيين أو تصيب فى مقتل ، دون أثر فتاك .

ومع سقوط أكثر من عشرة من رجال المقاومة ، بدأ قائد الحراسة يشعر بالثقة والزهو ، وهتف :

- استمروا يا رجال .. سنسحق أوغاد المقاومة هؤلاء عن آخرهم .

ولكنه لم يكد يتمّ عبارته ، حتى أصابته المفاجأة الثانية كالصاعقة ..

لقد اقتحم (نور) و (أكرم) المركز من الشمال ، على رأس ثلاثين رجلًا من أبطال المقاومة الأرغورانية ، و (أكرم) يهتف فى سخرية :

- لقد أهملتم الجوانب الأخرى أيها الأوغاد .. أليس كذلك ؟

ومع هتافه ، تردَّد فى المكان صوت عجيب ، لم يسمعه مقاتلو الطرفين فى حياتهم قط ..

صوت طلقات الرصاص ، التى تنهمر من مسدس (أكرم) التقليدى ..

كان يحمل مسدسًا آليًا ، أشبه بمدفع رشاش صغير ، وهو الطراز الذى يعشقه ، من الأسلحة التقليدية القديمة ، ويطلقه فى سخاء مدهش أصاب الجلورياليين بذعر عجيب .

وبدأت كفة القتال تميل لصالح قوات المقاومة ، ولكن قائد الحراسة لمح (نور) ، وهو يشق طريقه بين الصفوف ، فاتسعت عيناه فى ذهول ، وردَّد :

- مستحيل !.. إنه هو !!.. المنقذ المنتظر بنفسه .

ثم حمل سلاحه ، وصرخ وهو يندفع نحو (نور) :

- أنا سأحظى بالشرف .. شرف قتل المنقذ .

وكان لصرخته تأثير عجيب ، لم يتوقعه هو نفسه قط ،



ثم وثب يركل سلاحه فى قوة ، مستطردًا :

ـ وحان دورى ..

فقد استقبلتها أذنا (نور) ، وسط ضجيج المعركة ، وانتبه إلى أن القائد الجلوريالى يهاجمه ، ورأى السلاح القاتل فى قبضته ، فقفز جانبًا فى سرعة ..

ومع قفزته ، تجاوزته حزمة الأشعة ، ومرقت على قيد سنتيمترات قليلة من رأسه ، فصاح القائد :

ـ اللعنة .

وصوّب سلاحه مرة أخرى نحو (نور) ، ولكنه كان قد فقد زمام المبادرة هذه المرة ، فاندفع نحوه (نور) ، هاتفًا :

ـ خسرت محاولتك يا رجل .

ثم وثب يركل سلاحه فى قوة ، مستطردًا :

ـ وحان دورى .

فقد القائد الجلوريالى سلاحه ، فتراجع فى حنق ، وصاح :

ـ لن تهزمنى أيها المنقذ .

دار (نور) حول نفسه فى رشاقة مدهشة ، وركلت قدمه وجه الجلوريالى فى ضربة شديدة العنف ، دفعته ثلاثة أمتار كاملة إلى الخلف ، قبل أن يرتطم بالجدار ، ويهتف :

ـ اللعنة !.. اللعنة !

وقبل أن يعتدل ، كانت لكمة (نور) تحطم فكه ، وتسقطه فاقد الوعى .

وفى نفس لحظة سقوطه ، ارتفع هتاف كبير ..

هتاف رجال المقاومة ، الذين انتصروا فى معركتهم ، ونجحوا فى احتلال مركز البث ..

وفى سعادة جمة ، هتف (أكرم) ، وهو يرفع مسدسه جانبًا :

– ربحنا أيها القائد .. ربحنا أوّل معاركنا .

لهث (ديجنتى) ، وهو يقول :

– ولكنه انتصار محدود ، فلن تمضى نصف الساعة ، حتى تطبق علينا قوات (جلوريال) من كل جانب ، وتسحقنا جميعًا ، وتستعيد السيطرة على مركز البث .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

– لن نحتاج لأكثر من نصف الساعة هذا .

ثم اتخذ مقعده أمام كمبيوتر التحكّم الرئيسى ، مستطردًا :

– فى البداية ، سنرسل إشارة تدمير ذاتى لكل عيون الحراسة المحيطة بالمركز ، وبعدها نبدأ لعبتنا .

سأله (أكرم) فى دهشة :

– وهل يمكنك إرسال إشارة تدمير كهذه ؟

أجابه (نور) ، وهو يمرّر أصابعه على الأزرار ، التى تستجيب على الفور :

– نعم .. رجال المقاومة أيضًا لديهم جواسيس يا صديقى .

ومع آخر تمريرات أصابعه ، انطلقت الإشارة ..

وانفجرت كل عيون الحراسة المحيطة بالمركز ..

وفى ارتياح ، قال (نور) :

– الآن يبدأ العمل الأوّل .. هيا يا (أكرم) .. مارس دورك .

وعادت أصابعه تمرّ على الأزرار ، و (أكرم) يعاونه فى سرعة ، فى حين راح (ديجنتى) يراقبهما ، وهو يتساءل فى أعماقه : ما الذى يسعى إليه قائده الجديد بالضبط ؟..

ولم تمض لحظات ، حتى جاءه الجواب واضحًا جليًا ، على شاشة البث الرئيسية ..

وعندئذ أدرك (ديجنتى) ، وهو يحبس أنفاسه انبهارًا ، أنه يعمل الآن تحت إمرة قائد جديد ..

قائد من نوع خاص ..

* * *

« كيف يحدث هذا يا قائد الفرسان ؟.. » .

نطق الإمبراطور (سيلبا) هذه العبارة فى غضب هادر ، وهو يرمق (آجور) بنظرة يتطاير منها الشرر ، قبل أن يستطرد فى ثورة :

ـ كيف يفلت منك المنقذ ، وينجح فى الهبوط على (أرغوران) ؟.. ألا تدرك ما يعنيه هذا ؟.. ألا تفهم أنك وضعتنا فى موقف شديد السخافة ، بإهمالك هذا ؟

قال (آجور) فى توتر :

ـ إنه ليس إهمالًا يا مولاى .. لقد وضع أوغاد المقاومة خطة متقنة للغاية لخداعنا ، وتوجيه أنظارنا إلى نقاط بعيدة ومختلفة ، حتى يمنحوا منقذهم المنتظر فرصة الهبوط على (أرغوران) ، وأعترف بأنهم نجحوا فى هذا ، ولكن نجاحهم لا يعنى أننا أهملنا شيئًا ... لقد بذلنا كل ما بوسعنا ، ولكن ..

قاطعه الإمبراطور هائجًا :

ـ ولكن ماذا ؟.. ولكن المنقذ أصبح هنا الآن ، والثورة اشتعلت بالفعل فى قلوب الأرغورانيين ، وسيصبح إخمادها عسيرًا .

قال (آجور) فى حزم :

ـ ولكنه ليس مستحيلًا .

تمتم الحكيم (أوراكس) فى وقار :

ـ هذا صحيح .. لقد اتخذ الصراع منحنى جديدًا ، ولكن هذا لا يعنى أننا فقدنا السيطرة على الأمور ، فمازلنا الأقوى عمليًا .. نحن نمتلك كل وسائل التكنولوجيا ، ونمتلك القوات الكافية لردع أية ثورة ، كما يمكننا أن نعلن بعض الأحكام العرفية الصارمة ، وبث الرعب فى القلوب .

التفت إليه الإمبراطور ، وسأله فى انفعال ، لم يستطع إخماده :

ـ وما الذى تقترحه يا حكيم القصر ؟

أجابه (أوراكس) :

ـ فرض حظر التجوال مثلًا ، منذ مغيب الشمس الكبرى ، وحتى شروقها .

شدَّ (آجور) قامته ، وهو يقول :

ـ عندى اقتراحٌ محدود ، فى هذا الشأن .

التفت إليه الإمبراطور ، وقال فى لهجة عدوانية :

ـ أما زلت تجرؤ على الإدلاء باقتراحات أخرى ؟!

كتم (آجور) غضبه ، وهو يستطرد ، وكأنه لم يسمع التعليق الإمبراطورى .

ـ لدينا اختلاف جوهرى عن سكان (أرغوران) ، فقد اعتادوا العيش طيلة عمرهم فى نهار دائم ، حتى أن

عيونهم ذات جفن ثالث ، لتخفيف الإضاءة المستمرة ، أما نحن فكوكبنا يحيا فى ظروف تقليدية ، يتعاقب فيها الليل والنهار ، كما يحدث فى كل المجموعات الشمسية ، ذات النجم المنفرد ، و ...

قاطعه الإمبراطور فى حدة :

- اختصر حديثك يا (آجور) .

عضّ (آجور) شفتيه فى غيظ ، ولكنه تابع :

- أقترح أن نحرمهم شمسهم الصغرى .

بدت دهشة عارمة على وجه الإمبراطور ، فى حين تطلّع (أوراكس) إلى (آجور) فى حيرة ، قبل أن يسأله :

- ماذا تعنى بالضبط يا ولدى ؟

أجابه (آجور) فى حماس :

- كسوف صناعى دائم لشمسهم الصغرى (*) ، بوساطة قرص فضائى معتم ، نطلقه فى مدار ثابت ، بحيث يعترض أشعة شمسهم الصغرى باستمرار .

قال الإمبراطور فى توتر :

- وما الذى يصنعه هذا ؟

أجابه (آجور) :

- ليل صناعى يا مولاى .. ليل لم يعتده سكان

(*) الكسوف : احتجاب ضوء جرم سماوى كليًا أو جزئيًا ، نتيجة مرور جرم آخر ، بينه وبين الأرض ، ويحدث للشمس كنتيجة لحركة ظل القمر .

(أرغوران) قط .. حظر تجوال طبيعى .. سيعجزون تمامًا عن التحرُّك فى الظلام يا مولاى ، وسيحتاجون إلى وقت طويل للتكيف عليه ، وسنستغل نحن هذا الوقت لنتحرَّك فى حرية ، ونضربهم فى عنف .

هزَّ الإمبراطور رأسه فى بطء ، وهو يقول :

- فكرة تستحق الدراسة .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى هتف الحكيم (أوراكس) بصوت مرتجف ، وهو يشير إلى شاشة المراقبة :

- مولاى .. انظر .

التفت الإمبراطور وقائد الفرسان فى آن واحد ، إلى حيث يشير الحكيم ، واتسعت عيونهما وهما يتطلعان إلى الشاشة الكبيرة ، التى تنقل البث المنتظم إلى القاعة الإمبراطورية .

وكان ما يرياه أمامهما أمرًا لم يتوقعاه قط ..

أمرًا عجيبًا ومفاجئًا ..

مفاجئًا للغاية .

★ ★ ★

٨ ـ الرسالة ..

ـ « انتبهوا يا شعب (أرغوران) .. الإمبراطور (بودون) يتحدث إليكم ، على الهواء مباشرة .. » .

التفت شعب (أرغوران) بأكمله ، في ذهول تام إلى شاشات البث ، التي نشرها العدو في كل بقعة من بقاع الكوكب ، وتطلعوا إلى صورة الإمبراطور (بودون) ، التي تملأ الشاشات ، وهو يستطرد في هدوء :

ـ معظمكم ، أو كلكم تقريبًا تصوّرتم أنني لقيت مصرعي ، أو هربت بعيدًا عن (أرغوران) ، ولكنني أتحدث إليكم الآن ، من مركز البث الرئيسي للمحتلين ، بعد أن نجحت قواتنا في السيطرة عليه ، بقيادة المنقذ المنتظر ، الذي هبط بسلام على كوكبنا ، ويتزعم الآن جيش مقاومتنا كله .

تفجّر كل انفعال الشعب في صيحة واحدة ، كادت ترج الكوكب كله ، عندما انطلقت من الحناجر كلها في آن واحد ، مع حماس رهيب ، انتظره الجميع طويلًا ..

وفي حزم إمبراطوري ، تابع (بودون) :

ـ حانت لحظة الثورة .. سنرفض المحتلين ، ونقاتلهم في كل ركن .. إنها بداية النهاية للاحتلال .

وتراجعت الصورة ؛ ليظهر (نور) إلى جوار (بودون) ، وهو يقول بلغة (أرغوران) :

ـ نعم .. هي بداية النهاية ، ولكننا نطالبكم بالتزام الهدوء .. لا تندفعوا لمقاتلة العدو الآن ، وقلوبكم مفعمة بالانفعال ، فهو يتفوّق عليكم بالسلاح والعتاد ، ومواجهته مباشرة لن تؤدي إلا لمذبحة رهيبة ، لا مبرر لها الآن .

والتقط منه (بودون) طرف الحديث ، ليكمل :

ـ ولكن هذا لن يستمر طويلًا .. سنواصل ضرباتنا للعدو بلا رحمة أو هوادة ، حتى يذوب فارق القوة بيننا وبينه ، وعندئذ تحين لحظة الثورة الشاملة ..

وأضاف (نور) في حزم :

ـ وهذا وعد .

تفجّرت صرخة حماسية أخرى في الكوكب ، كاد يتهاوى لها عرش الإمبراطور (سيلبا) ، الذي صرخ في جنون :

ـ هل رأيت يا (آجور) ؟.. هل رأيت ما فعله تقاعسك ؟

انتزع (آجور) جهاز اتصاله الخاص من حزامه ، وقال في توتر شديد :

- أرسلوا جيشًا كاملًا إلى مركز البث .. أريد القضاء على هذا التمرّد فورًا ، وبلا إبطاء .

ولم يكد جيشه يتلقى الأمر ، حتى انطلقت عشر فرق كاملة إلى مركز البث ، وهناك رأوا شظايا عيون الحراسة ، وبقايا الرقائق الإليكترونية ، وجثث الضحايا ، فقال قائد الفرق ، عبر جهاز الاتصال :

- وصلنا إلى الموقع يا سيّدى ، وننتظر الإذن باقتحامه .

هتف (آجور) :

- وماذا تنتظر ؟.. اقتحمه يا رجل دون إبطاء .

انقضت الفرق العشر على المركز ، وأحاطت به إحاطة السوار بالمعصم ، وراحت حزم الأشعة تنهال عليه ، وقوات (جلوريال) تقتحمه فى شراسة ، حتى وصل قائدها إلى حجرة البث ، وهتف فى دهشة :

- ولكن المكان خالٍ تمامًا يا سيّدى .

هتف به (آجور) ، عبر جهاز الاتصال :

- ماذا تعنى بأنه خالٍ ؟!.. لم يكن لديهم الوقت الكافى للفرار ، وهم يقولون : إنه بث مباشر ، على الهواء مباشرة !

أجابه قائد القوات متوترًا :

- كلا يا سيّدى .. إنه شريط مسجل ، و ... اللعنة !

صاح (آجور) ، وقد بلغ توتره وانفعاله ذروتهما ، كما حدث مع الإمبراطور و (أوراكس) :

- ماذا لديك يا هذا ؟.. أجب بسرعة .

صرخ قائد القوات ، فى توتر رهيب :

- إنه فخ يا سيّدى .. كل شىء سينفجر بعد قليل .. كل شىء .

قالها وألقى جهاز الاتصال ، وانطلق يعدو بكل قوته ، صارخًا فى رجاله :

- اهربوا .. غادروا المكان فى سرعة .. إنه فخ .. فـ ..

وقبل أن يتمّ عبارته دوّى انفجار هائل ..

انفجار سحق مركز البث عن آخره ، وأطاح بالفرق العشر عن آخرها ..

وعلى شاشة المراقبة ، رأى (آجور) هذا المشهد الرهيب ..

رآه مع الإمبراطور وحكيم القصر ..

ولثوان ، شلّ الذهول ألسنتهم تمامًا ، قبل أن يغمغم الإمبراطور :

- لقد .. لقد فعلوها .

وهنا تمتم الحكيم فى ارتياع :

ـ خسرنا عشر فرق فى لحظة واحدة .

أما (آجور) ، فلم يقو على نطق حرف واحد ..

كان الغضب الذى يعصف بأعماقه هائلًا رهيبًا ، حتى أنه لم يستطع نطق حرف واحد ، فى حين هتف الإمبراطور :

ـ وخسرنا شبكة البث أيضًا .

ولكن الحكيم قال فى أسى :

ـ ما زالت لدينا شبكة الطوارئ يا مولاى ، ويمكننا تشغيلها على الفور ، ولكن الرجال يستحيل تعويضهم .

صرخ الإمبراطور :

ـ كل هذا بسبب خطأ (آجور) .. لو أنه منع المنقذ من الوصول إلى هنا ، لما حدث كل هذا قط .

انتزعت الصرخة (آجور) من صمته ، فهتف :

ـ مولاى .

صاح به الإمبراطور :

ـ اغرب عن وجهى .. لست أرغب فى رؤيتك أو سماع صوتك .. اغرب عن وجهى .

بدا الغضب الشديد على وجه (آجور) ، واندفع يغادر المكان فى حدة ، وقطع الممر المؤدى إلى حجرته الخاصة فى خطوات واسعة سريعة ، وهو يكاد ينفث النيران من

أنفه ، ولكنه لم يكد يبلغ الحجرة ، حتى استقبله أحد ضباطه ، قائلًا :

ـ سيدى .. مقاتلاتنا عادت من (ميروريا) .

قال (آجور) فى عصبية :

ـ وما الذى تريده منى ؟.. هل أوصى بمكافأتهم على فشلهم ؟

هزَّ الضابط رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلَّا يا سيدى .. ولكنهم أرسلوا تقريرًا عاجلًا ، ويقولون : إن لديهم ما يهمك .

التقط (آجور) التقرير ، ودسَّه فى جهاز الكمبيوتر الخاص به ، وقرأ الرسالة على الشاشة ، وهو يتابع الفيلم المصاحب لها ..

وبرقت عينا (آجور) ..

برقتا كألف شمس صغيرة ، وهو يتابع التقرير .

لقد كان ما لديهم يهمه بالفعل ..

بل كان قادرًا على تغيير مسار الثورة كلها ..

وبلا أدنى شك ..

★ ★ ★

تحرَّك (أكرم) فى سعادة غامرة ، داخل مقر المقاومة السرى ، وهو يهتف فى حماس منقطع النظير :


التفتت عيون الجميع إلى (نور) ، الذى غاص فى مقعده ، وأسند جبهته إلى راحتيه ..

ـ انتصرنا أيها السادة .. انتصرنا فى أوّل مواقعنا انتصارًا ساحقًا ، سيسجله تاريخ (أرغوران) إلى الأبد .. كم أتمنى لو أن سكان الأرض رأوا ما حدث .

أجابته (مشيرة) بسرعة :

ـ اطمئن .. لقد سجّلت الموقف كله .

أما (محمود) فغمغم فى خفوت :

ـ لو أنه انتصار ساحق إلى هذا الحد ، فلماذا يبدو (نور) حزينًا هكذا ؟

التفتت عيون الجميع إلى (نور) ، الذى غاص فى مقعده ، وأسند جبهته على راحتيه ، وكل خلجة من خلجاته تشفّ عن حزن عميق بلا حدود ، ثم تمتمت (سلوى) :

ـ أظلننى أعلم سبب حزنه .

وقالت (نشوى) فى تعاطف مشفق :

ـ وأنا أيضًا .

تطلّع إليهما (بودان) فى حيرة ، وقال :

ـ أما أنا ، فلست أفهم هذا الموقف قط .

وهنا رفع (نور) إليهم عينين مغرورقتين بالحزن والأسى ، وهو يسأل :

ـ من المسئول عن نسف مركز البث ؟

أجابه (بودان) :

ـ أنا أصدرت أوامرى بهذا .. كانت خطة ناجحة .. أليس كذلك ؟

هتف (نور) فى غضب مباغت :

ـ خطة ناجحة ؟!.. ما حدث لا يمكن أبدًا أن نطلق عليه اسم الخطة يا رجل .. لقد كان مجرّد مذبحة ، راح ضحيتها أكثر من ألف رجل .

قال (بودان) فى توتر :

ـ ألف جندى جلوريالى .

صاح (نور) فى مرارة :

ـ بل ألف من مخلوقات الله (عزّ وجلّ) .. نهر من الدم المسفوك ، دون مبرّر منطقى .

قال (أكرم) فى حدة :

ـ دون مبرّر منطقى ؟!.. أى قول هذا يا (نور) ؟!.. إنها قواعد الحرب .. كانت أمامنا فرصة للقضاء على عشر فرق من قوات المحتلين ، ففعلنا ، ولو كانوا هم فى موضعنا ، لما ترددوا فى سحقنا سحقًا .

هتف (نور) :

ـ بم نتميّز عنهم إذن ؟.. لماذا نحاربهم ؟.. لو أنهم يسفكون الدماء ، ونحن نريقها أنهارًا ، فمن منا أفضل من الآخر ؟.. إنكم تحاربون الشر بالشر ، وهذا ما أرفضه تمامًا .

سأله (محمود) فى حيرة :

ـ ما الذى تتوقّع منا فعله إذن ؟

رفع (نور) يده فى حزم ، وهو يقول :

ـ أن نكون مقاتلين شرفاء ، نحارب من أجل الحق والعدالة وحدهما .. نثير جنون العدو ، ونوجّه إليه الضربة تلو الأخرى ، ونحطم دفاعاته ، ونزيل قوته ، ولكن دون إراقة الدماء ، إلا للضرورة القصوى .

قال (بودان) فى دهشة :

ـ أية حرب هذه ؟

شدّ (نور) قامته ، وهو يقول فى اعتداد :

ـ حربى أنا يا (بودان) .. الحرب الوحيدة ، التى يمكن أن أقود خلالها جيشًا .. لقد قطعت ملايين السنوات الضوئية ، من (الأرض) إلى هنا ؛ لأقود جيشًا من أبطال المقاومة ، الذين يرفضون احتلال كوكبهم ، ويبذلون أرواحهم فى سبيل حريته وكرامته ، لا طغمة من السفاحين وسافكى الدماء ، الذين يتلذذون بالقتل والتدمير ..

قال (بودان) فى تأثّر :

ـ وكلنا خلفك أيها المنقذ .. كلنا نعترف بعبقريتك فى القيادة ، ونؤمن بقدرتك على تحرير كوكبنا .. مرنا وستجدنا جميعًا خلفك .

هدأت العبارة ثائرة (نور) إلى حد ما ، فانخفضت حدة صوته ، وهو يقول :

ـ سنتبع الشكل التنظيمى يا (بودان) .. لا أحدٌ يصدر أمرًا فرديًا ، دون الرجوع إلىّ ، إلا فى لحظات الاشتباك الفعلية ، حتى لا تتخبّط أساليبنا وتتضارب أوامرنا ، فالمستفيد الوحيد من ارتباكنا هو العدو وحده .

صمت (أكرم) تمامًا ، فى حين قال (بودان) فى حرارة :

ـ سمعًا وطاعة .

التقط (نور) نفسًا عميقًا ، للسيطرة على مشاعره تمامًا ، فى حين قال (محمود) ، فى محاولة لتهدئة المناخ :

ـ الواقع أن الضربة الأولى كانت عبقرية يا (نور) ، فلقد تقمّص (بودان) شخصية شقيقه (بودون) ببراعة نادرة ، وهو يبث الرسالة لشعب (أرغوران) ، الذى يتصوّر الآن أن إمبراطوره الشرعى ما زال على قيد الحياة ، وأنكما تقاتلان معًا لتحرير الكوكب .

وقالت (مشيرة) فى حماس :

ـ ثم إن خطة اقتحام مركز البث أيضًا كانت رائعة ، والرقائق الإليكترونية التى ابتكرها (محمود) كانت ناجحة للغاية .. لقد أربكت عيون الحراسة تمامًا ..

أما (أكرم) ، فلم يحمل صوته نبرة الرضا ، وهو يقول :

ـ ولكن الأمر لم يرق لى تمامًا .

التفت إليه (نور) ، يسأله :

ـ ولِمَ ؟..

لوّح بذراعه ، قائلًا :

ـ ما دمنا نمتلك الشفرة السرية ، التى تدفع عيون الحراسة لتدمير نفسها ذاتيًا ، فلماذا لم ننسفها كلها دفعة واحدة ؟

واندفع يستطرد فى حدة مباغتة :

ـ هل تعتبر هذا أيضًا سفكًا للدماء ؟

تطلّع إليه (نور) لحظة فى صمت ، ثم قال فى هدوء :

ـ كلّا يا (أكرم) ، ولكننا لم نكن نملك تدمير كل عيون الحراسة ، فالشفرة التى حصل عليها جواسيسنا كانت تخص مجموعة عيون الحراسة ، التى تحيط بمركز البث الرئيسى فحسب ، أما الوسيلة الوحيدة لنسف كل عيون الحراسة على (أرغوران) ، فهى أن يتمّ تدمير جهاز التحكم المباشر فيها .

صاح (أكرم) :

ـ وأين هذا الجهاز اللعين ؟

أجابه (نور) بنفس الهدوء :

- فى قلب عرش إمبراطور (جلوريال) .

انعقد حاجبا (أكرم) فى شدة ، وهو يتطلع إلى (نور) ، ثم أشاح بوجهه ، مغمغمًا :

- اللعنـة !

كان من الممكن أن يتسبب هذا الموقف فى توتر الجو كله مرة أخرى ، لولا أن اندفعت (نشوى) تقول :

- وماذا لو حاولنا تطوير إشارة إليكترونية خاصة ، لتؤدى هذا العمل ؟

التفت إليها الجميع ، وقال (محمود) فى اهتمام بالغ :

- هذا أمر عسير للغاية .

ثم امتلأ صوته بالحماس ، وهو يستدرك :

- ولكنه ليس مستحيلًا .

وهتفت (سلوى) :

- بالتأكيد .. لو تعاوننا أنا و (محمود) ، فقد يمكننا ابتكار مثل هذه الإشارة .

قال (بودان) فى حماس :

- عظيم .. ستكون خطوة عظيمة ، لو أمكننا هذا .

اعتدل (نور) ، وقال فى حزم :

- فليبدأ (محمود) و (سلوى) إذن فى دراسة هذا الأمر ، وفى الوقت نفسه ستتعاون (نشوى) مع (مشيرة) ، لإنشاء محطة البث الخاصة بنا .

تألقت عينا (مشيرة) ، وهى تهتف :

- حقًا ؟!.. هل سنفعل هذا ؟

أجابها (نور) :

- نعم .. سنستخدم وسيلة مبتكرة فى بث ما نريد ، وسنستغل شبكة البث ، التى أقامها المحتلون ، وفى الوقت نفسه سنثير حيرتهم وحنقهم ، وهم يبحثون عن وسيلة البث ، فسنعد كل ما نريد هنا ، ثم نبثه إلى (أرغوريا) ، التى تدور فى مدار (أرغوران) طوال الوقت ، وستستخدم هى موجة بث فائقة ، بحيث تسيطر تمامًا على شبكة اتصالات العدو ، وتجند أجهزته لحسابها ، خلال فترة بث بياناتنا ، التى لن تستغرق سوى دقائق معدودة ، حتى لا نسمح للأعداء بتعقب مصدرها .

قالت (مشيرة) فى انبهار :

- أتعنى أننا سنهيمن على البث ، خلال تلك الدقائق ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

- نعم .. وستكونين المتحدثة الرسمية باسم المقاومة يا (مشيرة) .

صفقت بكفيها فى جذل طفولى ، وهى تهتف :

- رائع .. هذا أعظم ما كنت أصبو إليه .

قال (أكرم) فى عصبية لم يكن لها ما يبررها :

- وماذا عنى ؟.. هل سأبقى فى المقر السرى أيضًا ؟.. ما رأيك لو توليت أعمال التنظيف والطهى ؟

تطلّع إليه الجميع فى حيرة ، وهم يتساءلون عن سر عدوانيته ، فى حين تحدّث إليه (نور) فى هدوء شديد ، قائلًا :

- كلا بالطبع يا (أكرم) ، لا يمكننى أن أهدر طاقة مقاتل عظيم مثلك ، فى أعمال تقليدية بسيطة كهذه .

بدت الدهشة فى وجه (أكرم) ، وهو يحدّق فى وجه (نور) ، فى حين ابتسم (بودان) ابتسامة خافية ، تحمل شبح إعجاب وتقدير ، و (أكرم) يهتف :

- حقًا ؟!.. هل تعتبرنى مقاتلًا عظيمًا ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

- ألديك أدنى شك فى هذا يا صديقى ؟!.. صحيح أننا نختلف كثيرًا فى الأسلوب ، ولكن هذا لايمنعنى من الإعجاب بشجاعتك وبسالتك ، وإقدامك المدهش فى أثناء القتال .

لانت ملامح (أكرم) كثيرًا ، وهو يقول :

- أشكرك يا (نور) .

لوّح (نور) بكفه ، وهو يقول :

- لم أقل سوى الحقيقة يا صديقى ، والآن هيا بنا ،

سنكوّن أنت و (بودان) وأنا مجلس حرب ، يضع استراتيجية القتال مع العدو .

ابتهج (أكرم) فى وضوح ، وهو يقول :

- أراهن أننا سنثير جنونهم إلى أقصى حد .

أدرك (بودان) أن (نور) قد نجح بلباقته فى احتواء (أكرم) ، ولكنه تجاهل الموقف كله ، وهو يسأل (نور) :

- قل لى أيها القائد : هل تقترح أن نهدأ قليلًا ، حتى يمتصّ الجلورياليون صدمة نسف مركز البث ، ثم نهاجم مرة أخرى ؟

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

- مطلقًا .. فى وطنى حكمة تقول : « من الأفضل الطرق على الحديد وهو ساخن » ؛ لذا فسنقوم بالضربة الثانية بسرعة .

سأله (بودان) فى حذر :

- ومتى نفعل هذا ؟

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

- بعد ساعة واحدة من الآن .

واتسعت عيون الجميع فى دهشة ، وقد حملت إليهم عبارة (نور) مفاجأة مذهلة ، وهتف (محمود) :

- وما الذى يمكنك أن تفعله ، خلال ساعة واحدة يا (نور) ؟

ابتسم (نور) ، وهو يجيب :

ـ لست أسعى لتدمير هدف آخر ، أو الاشتباك مع العدو فى قتال جديد ، حتى ولو كان قتالًا محدودًا .

وبدت ابتسامته عجيبة ، وهو يضيف :

ـ كل ما أسعى إليه هو رفع علم (أرغوران) ، فوق أهم بناء من أبنية العدو .

تبادل الجميع نظرات متسائلة قلقة ، و (بودان) يقول :

ـ أهم بناء ؟!.. أى مكان تقصد بالضبط يا (نور) ؟

اتسعت ابتسامة (نور) ، وهو يشير إلى نقطة ما على الخريطة ، مجيبًا :

ـ هذا المكان بالتحديد ..

وتفجّرت دهشة عنيفة فى وجوه وعيون الجميع ؛ فالمكان الذى أشار إليه (نور) لم يكن سوى القصر .. قصر إمبراطور (جلوريال) . .

★ ★ ★



اتسعت ابتسامة (نور) ، وهو يشير إلى نقطة ما على الخريطة ، مجيبًا : ـ هذا المكان بالتحديد .

٩ ـ نقطة الضعف ..

امتلأت نفس (ديجنتى) بالحماس والظفر ، وهو يعود إلى منزله فى هذا اليوم ..

لقد قاد أوّل هجوم عنيف ومباشر للمقاومة ، تحت قيادة (نور) ..

وياله من هجوم..!!!

كانت عروقه كلها تنبض بالزهو والانتصار ، وهو يستعيد ما حدث ، وقلبه يخفق بسعادة لا حصر لها ، مع النتائج المبهرة للهجوم ..

الآن فقط أعلنت المقاومة الأرغورانية أنها قادرة على التصدّى للعدو ..

الآن فقط يعلم شعب (أرغوران) أن الاحتلال لن يدوم طويلًا ..

وانتشى (ديجنتى) باستعادة ذكرياته القريبة ، وهو يغلق باب منزله خلفه ، ويتجه إلى النافذة ، و ...

« لا تفتح النافذة ... » .

انتفض جسد (ديجنتى) مع تلك العبارة ، التى جاءت

من ركن مظلم ببهو المنزل ، واستدار يواجه مصدرها فى سرعة ، وهو يستلّ سلاحه ، هاتفًا :

ـ (هونور) .. إنه أنت أيها الـ ...

انقضّ عليه (هونور) كالعاصفة ، وهو يقول فى حدة :

ـ إياك أن تنطقها .

وأمسك معصم (ديجنتى) فى قوة ، ولواه فى قسوة ؛ ليجبره على إفلات سلاحه ، وهو يستطرد :

ـ لقد احتملت منكم الكثير حتى الآن .

دار (ديجنتى) حول نفسه فى مهارة ، وركل (هونور) فى معدته ، وهو يقول :

ـ بل نحن احتملنا خيانتك وحقارتك ، و ...

قفز (هونور) نحوه ، وهو يصرخ فى ثورة :

ـ قلت لك : إياك أن تنطقها .

ولكم (ديجنتى) بكل قوته ، ثم التفّ حوله فى خفة ، على الرغم من ضخامته ، ولوى ذراعه خلف ظهره فى سرعة ، قبل أن يحيط عنقه بذراعه الأخرى ، مستطردًا :

ـ يمكننى أن أقتلك من أجل هذا .

حاول (ديجنتى) أن يتخلّص منه ، ولكن (هونور) كان قويًا للغاية ، حتى أنه سيطر على خصمه تمامًا ، وضغط عنقه بذراعه فى قسوة ، قائلًا :

- والآن ماذا تتوقع من خائن مثلى يا (ديجنتى) ، بعد أن كشفت أمره ؟. من الطبيعى أن يقتلك .. أليس كذلك ؟

حاول (ديجنتى) أن يقاوم أكثر وأكثر ، ولكن قبضة (هونور) سيطرت عليه بقوة مدهشة ، فأيقن من مصرعه ، وهو يختنق ، و ...

وفجأة ، أفلته (هونور) ، ودفعه بعيدًا ، وهو يقول :

- هيا .. اذهب .

سعل (ديجنتى) فى قوة ، بعد أن تحرّر عنقه ، والتفت فى دهشة إلى (هونور) ، الذى أضاء مصباح الردهة ، والتقط زجاجة ماء ، قائلًا :

- القتال معك أصابنى بعطش شديد .

وراح يجرع الماء فى نهم ، دون أن يلتفت إلى (ديجنتى) ، الذى تطلّع إليه لحظات فى دهشة وحيرة ، قبل أن يتخذ مقعدًا ، ويسأله فى عصبية :

- ما الذى أتى بك إلى هنا ؟

أبعد (هونور) الزجاجة عن شفتيه ، ومسح فمه بكفه ، وهو يقول فى حدة :

- وأين لى أن أذهب ، بعد أن لوّثتم سمعتى ، وأذعتم فى كل مكان أننى جاسوس خائن ، وأرقتم دمى ؟

قال (ديجنتى) متوترًا ، وهو يمسح عنقه بكفه :

- أنت فعلت بنفسك هذا .

صاح (هونور) غاضبًا :

- أنا لم أفعل شيئًا .. من المستحيل أن أخون (أرغوران) ، حتى ولو منحونى وزن شمسه الكبرى أموالًا وألقابًا .. هناك شىء ما .. أحدهم عمل على توريطى فى هذا الموقف السخيف .

قال (ديجنتى) فى صرامة :

- مستحيل !.. خطة القائد كانت دقيقة للغاية .. أنت وحدك كنت تعرف الموقع والموعد .

هتف (هونور) :

- وهذا ما يثير جنونى .. كيف عرف الجاسوس ما أعرفه ؟

قال (ديجنتى) :

- سل نفسك .. إننى أشعر بالمرارة ، كلما تذكّرت أنك كنت أكثر من أثق به ، فى حياتى كلها .

التفت إليه (هونور) فى حنق ، وحدجه بنظرة غاضبة ، قبل أن يقول :

- اسمع يا (ديجنتى) .. على الرغم من خلافاتنا الطويلة ، إلا أننى أيضًا ظللت أعتبرك أكثر من أثق به ، فى الكون كله .. ولهذا اخترت منزلك بالذات اليوم ، لأحصل على قدر من الراحة ، وأسعى لإثبات براءتى ،

ولو أنك تشك لحظة واحدة فى أننى خائن وجاسوس ، فسأغادر منزلك على الفور ، ولن أعود إليه قط .

ابتسم (ديجنتى) فى عصبية ، وهو يقول :

- مسرحية جيدة ، ولكنك تعلم أنه لن يمكنك مغادرة المنزل الآن ، فقد بدأت ساعات حظر التجوال ، وعيون الحراسة فى كل مكان .

لوّح (هونور) بذراعه ، وقال وهو يتجه إلى الباب :

- لا تجعل هذا يقلقك .. لدى وسائلى فى التعامل مع عيون الحراسة هذه .

هتف (ديجنتى) :

- أرأيت ؟!.. إنها المرة الثانية ، التى أسمعك فيها تذكر هذا .. كيف يمكنك التعامل مع عيون الحراسة ، لو لم تكن خائنا ، تتعامل مع العدو ؟

أجابه (هونور) فى حدة :

- أخطأت الاستنتاج أيها الغبى .. عيون الحراسة تخطئ تمييزى ، بسبب الجهاز الصغير الذى أحمله ، والذى يوهمها بأننى أحد مقاتلى (جلوريال) .

قال (ديجنتى) :

- هذا يدينك أكثر .. من أين لك بجهاز كهذا ؟

أجابه فى غضب :

- إنه هدية من ...

وبتر عبارته بغتة ، قبل أن يندفع نحو (ديجنتى) ، هاتفًا :

- اللعنـة !.. كيف لم أنتبه إلى هذا ؟!

سأله (ديجنتى) فى توتر :

- ماذا تريد أن تقول ؟

أمسك (هونور) كتفيه ، صائحًا فى انفعال :

- لقد عرفته يا (ديجنتى).. عرفت من هو الجاسوس .

واتسعت عينا (ديجنتى) فى دهشة :

دهشة عارمة ..

* * *

استرخت (مشيرة) فى مقعدها ، وهى تتطلع إلى شاشة المراقبة ، قائلة :

- لقد عاود الجلوريالييون البث بسرعة مدهشة .

تطلع الجميع إلى الشاشة ، وقال (نور) :

- من المؤكد أن لديهم محطة بث احتياطية ، يمكن ربطها بالشبكة ، فى حالة تدمير المحطة الرئيسية ، أو إصابتها بعطب ما .

أومأت (مشيرة) برأسها إيجابًا ، وقالت :

- هذا أمر طبيعى .. لدينا الشىء نفسه فى الأرض .

ضحكت (سلوى) ، وقالت :

- أراهنكم على أن أول ما سيبثونه هو استنكار ما حدث ، أو حتى نفى حدوثه ، على الرغم من دوى الانفجار تردد فى القارة كلها .

قالت (نشوى) ، وهى تتابع الشاشة فى اهتمام :

- إنهم يعلنون بعض الأحكام العرفية .

ابتسم (محمود) ، وقال :

- هذا دأب المحتلين ، فى كل مكان وزمان .. يتصورون أن المزيد من القسوة سيؤدى إلى إخضاع المتمردين والـ ...

بتر عبارته مع صيحة (نشوى) :

- انظروا .. لقد قطعوا البث ، وهناك رجل يحتل الشاشة .. إنه ضابط جلوريالى .. أليس كذلك ؟

أجابها (بودان) ، وهو يتطلع إلى الشاشة فى انتباه شديد :

- إنه (آجور) .. قائد فرسان الإمبراطور .

انتقل اهتمامه وانتباهه إلى الجميع ، الذين راحوا يراقبون (آجور) على الشاشة ، وهو يقول فى صرامة :

- هذه الرسالة ليست موجَّهة إلى شعب (أرغوران) كله ، بل إلى طغمة الأوغاد ، التى تتصوَّر نفسها قادة المقاومة ، وبالذات إلى منقذكم المنتظر ، الذى قطع ملايين الأميال ، من (سيتا ـ ٣) إلى هنا ، ليلقى حتفه على أرض كوكبكم الحقير .

غمغم (أكرم) فى سخرية :

- رقيق للغاية هذا الوغد .

أشار إليه (نور) أن يصمت ، وهو يستمع جيدًا إلى (آجور) ، الذى يتابع :

- إنكم تتصوَّرون أن عمليتكم السخيفة هذه قد أقلقتنا ، وأننا سنرتبك ونضطرب ، وننهار مع ضربة عشوائية تافهة كهذه .. ولكن الواقع أننا أقوى كثيرًا مما تظنون .. بل أقوى منكم يا سكان (سيتا ـ ٣)، فنحن قوم محاربون، بلا نقاط ضعف .. أما أنتم يا أهل (سيتا ـ ٣)، فلديكم نقطة ضعف هائلة ، تجعلنا نتفوَّق عليكم دائمًا .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يستطرد :

- أنتم تخضعون كثيرًا لقلوبكم ومشاعركم .

عاد (أكرم) يغمغم فى سخرية :

- هذا ما نطلق عليه اسم (آدمية المشاعر) أيها الغبى.

ومع قوله ، راحت الصورة تتباعد فى بطء ، و (آجور) يقول :

- وكوسيلة للطرق على نقطة ضعفكم هذه ، أردت أن أريكم أن لدينا شيئًا يهمكم .. يهمكم بشدة .

وتباعدت الصورة أكثر وأكثر ، لتشمل المكان الذى يجلس فيه (آجور) ، وكل المحيطين به ، ومع ابتعادها تجمَّدت الدماء فى عروق (نشوى) ، وتشبثت بمقعدها فى قوة ، وهى تهتف بصوت مختنق :

- مستحيل !

وتراجعت (سلوى) كالمصعوقة ، فى حين شهقت (مشيرة) فى قوة ، وعقد (أكرم) حاجبيه فى شدة ، وغمغم (بودان) فى حيرة :

ـ ما هذا بالضبط ؟

أما (نور) ، فلم ينبس بحرف واحد ، وهو يحدّق فى الشاشة بانفعال جارف ، ، فقد كان المشهد الذى تنقله الآن مذهلًا ..

مذهلًا بكل المقاييس .

* * *

(انتهى الجزء الثانى بحمد الله)

□ ويليه الجزء الثالث بإذن الله □

[الانفجـــار]

روايات مصرية للجيب



ملف المستقبل

سري جداً!؟

٩٩

الانفجار

د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض مصر ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية .. يدور العمل فيها بهدوء تام وسرية مطلقة .. من أجل حماية التقدم العلمى فى مصر .. ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية التى هى مقياس تقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف يعمل فريق نادر تم اختياره بدقة بالغة :

— نور الدين : واحد من أكفأ ضباط المخابرات العلمية يقود الفريق .

— سلوى : مهندسة شابة ، وخبيرة فى الاتصالات والتتبع .

— رمزى : طبيب بارع متخصص فى الطب النفسى .

— محمود : عالم شاب وإخصائى فى علم الأشعة .

فريق نادر يتحدى الغموض العلمى والألغاز المستقبلية .. إنهم نظرة أمل للمستقبل .. ولمحة من عالم الغد .

د . نبيل فاروق

١ — الأسير ..

ارتفع وقع خطوات أحد ضباط الاحتلال الجلوريالى ، عبر البهو الرئيسى لمركز المراقبة والرصد ، التابع لقوات الاحتلال ، والمقام على قمة أعلى جبال (أرغوران) ، ونهض مسئولو المركز لاستقبال الضابط الكبير ، الذى صافحهم فى تعال واضح ، وهو يقول :

— ماذا هناك ؟ .. لماذا طلبتم مقابلتى على وجه السرعة ؟

تنحنح رئيس المركز ، قبل أن يقول فى تردد :

— المفروض أنك المسئول عن متابعة نشاطنا يا سيدى ، والأوامر تحتم الاتصال بك على الفور ، لو التقط مرصدنا أية ظواهر غير طبيعية ، أو أمكنه تحديد أية سفن غير جلوريالية فى مجال (أرغوران) .

بدا الاهتمام على الضابط ، وخفتت غطرسته قليلا ، وهو يسأل :

— وهل وقعتم على شىء كهذا ؟

تبادل المسئولون نظرة ارتباك ، قبل أن يجيب رئيسهم فى حذر :

ـ نعم ولا .

حلّ الغضب محل الاهتمام ، في وجه الضابط الجلوريالي ، وهو يقول في عصبية :

ـ أي عبث هذا ؟ .. هل لاحظتم شيئاً هاماً أم لا ؟

أشار رئيس المركز بيده في اضطراب ، وهو يقول :

ـ رويدك يا سيدي ، وسأشرح لك الأمر كله .

ثم التقط نفساً عميقاً ، في محاولة للسيطرة على أعصابه ، قبل أن يتابع :

ـ أنت تعلم أن عملنا هنا ينقسم إلى قسمين : المراقبة التقليدية لمجال (أرغوران) ، ودراسات الفلك والنجوم ، ومنذ ترددت أسطورة المنقذ المنتظر ، تلقينا أوامر مشددة ، بمراقبة مجال الكواكب بمنتهى الدقة ، والإبلاغ عن أي شيء يثير شكوكنا .. ولقد أدينا عملنا على أكمل وجه ، ولم نجد ما يثير الشبهات ، ولكن ..

صمت الرجل لحظة ، فصاح به الضابط في عصبية :

ـ ولكن ماذا ؟.. أكمل يا رجل ..

أجاب رئيس المركز في سرعة :

ـ في أثناء رصدنا التقليدي لشمس (أرغوران) ، سجل مرصدنا بغتة مرور جسم حالك السواد ، أمام شمس (أرغوران) الصغرى ، ولجزء من الثانية .

ردد الضابط في قلق :

ـ جسم حالك السواد ؟! :

أجاب رئيس المركز :

ـ الواقع أنه جسم يستحيل رصده ، في الظروف العادية ، ولولا مروره لجزء من الثانية أمام الشمس الصغرى ، لما رأيناه قط ، أو لاحظنا حتى وجوده في مجالنا .

سأله الضابط في لهفة :

ـ ألديكم تسجيل لذلك الجزء من الثانية ؟

قال الرجل في حماس :

ـ بالطبع .. إننا نسجل كل ما تلتقطه مراصدنا طوال الوقت ، ودون لحظة واحدة من التوقف .

ثم انتقل بسرعة إلى جهاز عرض ، وضغط أحد أزراره ، مستطرداً :

ـ انظر .

تطلع الضابط الجلوريالي في اهتمام بالغ ، إلى شاشة العرض ، التي نقلت صورة كبيرة لشمس (أرغوران) الصغرى ، وجسماً أسود دقيقاً يعبر طرفها بسرعة .. وهتف الضابط :

ـ قل لي : هل يمكنكم تكبير اللقطة ؟

أجابه الرئيس بسرعة :

ــ بالطبع يا سيدى الضابط .. لقد كبرناها بنسبة سبعة إلى واحد .

وضغط الأزرار مرة أخرى ، فعادت الصورة تظهر على الشاشة مكبرة ، فى وضوح أكثر ، فاتسعت عينا الضابط ، وارتجف جسده كله ، وهو يهتف :

ــ اللعنة !.. إنها (أرغوريا) .

سأله رئيس المركز :

ــ هل تعنى أننا وقعنا على أمر خطير يا سيدى ؟

شد الضابط قامته فى حسم ، وهو يقول :

ــ بل أمر بالغ الخطورة يا رجل .. ألا تعرف (أرغوريا).

سأله الرئيس فى حذر :

ــ كلا .. ما هى بالضبط ؟

برقت عينا الضابط ، وهو يقول :

ــ إنها السفينة الإمبراطورية الأرغورانية ، التى حملت إلينا أعظم خطر نواجهه ، منذ تم احتلالنا لهذا الكوكب .. حملت إلينا المنقذ الأسطورى ، القادم من (سيتا ــ ٣) (*) .. (نور) .. القائد (نور) .

(*) (سيتا ــ ٣) : الاسم الذى يطلقه سكان (أرغوران) على كوكب (الأرض) .

نطقها القائد الجلوريالى فى مقت شديد ، على الرغم من أنه لم يكن يعلم عن القصة كلها ، سوى أن (نور) وفريقه قد نجحوا فى الهبوط على (أرغوران) ..

لم يكن يعلم كم قاسوا ، حتى ينجحوا فى هذا .

لقد انطلقت بهم (أرغوريا) من كوكب (الأرض) ، منذ ما يقرب من شهر كامل ، وراحت تقطع مئات السنوات الضوئية فى اليوم الواحد ، بسرعتها التى تتجاوز سرعة الضوء ، وعبورها لفجوات ومسارات فضائية خاصة ، تختصر الزمن والمسافة ، ولا يعرفها سوى سكان (أرغوران) و (جلوريال) ..

وفجأة ، كشف (نور) أن (أكرم) و (مشيرة) تسللا إلى السفينة ، بدون علمه ..

ونشأت مشكلة جديدة ..

مشكلة نقص الأكسجين ..

وللتغلب على هذه المشكلة الخطيرة ، قرر (نور) اتخاذ طريق أكثر اختصارا ، ولكنه بالغ الوعورة والخطورة ، بسبب ما يحويه من آلاف النيازك والكويكبات الصغيرة ..

طريق (ميروريا) ..

وخاضت (أرغوريا) ذلك الطريق المخيف ، وأمامها ثلاث مقاتلات ، تشق لها طريقها ، ويقودها (نور) و (رمزى) ، و (أكرم) ..

وفى الوقت نفسه كان مجلس المقاومة السّباعى فى (أرغوران) يستعد لاستقبال (نور) ، المنقذ المنتظر للكوكب ، من الاحتلال الجلوريالى ، ولكن كانت تواجهه مشكلة عويصة ومخيفة ..

مشكلة وجود جاسوس خائن ، بين قادة المجلس السبعة ..

وبسبب وجود هذا الخائن ، علم الجلورياليون بقدوم المنقذ ، وأرسلوا مقاتلاتهم لاعتراضه ..

ولم تكد (أرغوريا) تتجاوز طريق (ميروريا) ، حتىّ وجدت نفسها فى مواجهة مقاتلات (جلوريال) ..

ودارت بين الطرفين معركة رهيبة ، انتهت بفقد (رمزى) ، ونجاح (أرغوريا) فى الفرار ..

وعلى (أرغوران) ، وضع (بودان) ، شقيق (بودون) ، والقائد الخفى للمقاومة ، خطة خاصة ، لكشف الجاسوس ، وتمهيد السبيل لهبوط (نور) ورفاقه ..

ونجحت الخطة ، وهبط فريق (نور) على (أرغوران) ، وتم اتهام (هونور) بخيانة المجلس السّباعى ، وأهدر رجال المقاومة دمه ..

وجنّ جنون إمبراطور (جلوريال) وقائد فرسانها ، عندما علموا أن (نور) أصبح داخل (أرغوران)

بالفعل ، وبدأت الجهود المضنية للقضاء عليه ، ولكن (نور) أعلن عن قدومه بوسيلة مبتكرة ..

لقد احتلّ مع رجال المقاومة مركز البث الرئيسى ، وأذاع أمر وجوده ، وجعل (بودان) ينتحل شخصية شقيقه الراحل (بودون) ، ويعلن أن الإمبراطور الشرعى للكوكب مازال على قيد الحياة ..

وكانت ضربة عنيفة للمحتلين ، الذين راحوا يدرسون فكرة إحداث ليل صناعى لكوكب (أرغوران) ، الذى يحيا منذ نشأته فى نهار دائم ، بسبب تعاقب شروق شمسية ..

واستعد (نور) أيضاً للضربة الثانية ..

وكشف (هونور) أمر الخائن الحقيقى ، الذى خدع الجميع ..

ولكن فجأة ، ظهر (أجور) قائد فرسان الإمبراطور الجلوريالى على شاشات البث ، وأعلن أنه عثر على نقطة ضعف رهيبة ، بالنسبة لـ (نور) وفريقه ..

وعلى شاشات البث ، المنتشرة فى الكوكب بأكمله ، وجد (نور) ورفاقه أمامهم ما فجر فيهم الذهول ..

كل الذهول .. (*)

* * *

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزءين الأول والثانى (لهيب الكواكب) ، و (نيران الكون) .. المغامرتين رقمى (٩٧) و(٩٨) .

لثانية أو أقل ، تجمد (نور) ورفاقه تماما ، داخل مخبأ المقاومة السرى ، وهم يحدقون فى شاشة البث الخاصة ، التى تنقل إليهم بيان (أجور) ، قائد الفرسان الجلوريالى ، وتعلقت عيونهم بذلك الشخص ، الذى يقف إلى جوار (أجور) ، داخل قفص من الطاقة ، يحيط به حارسان شديدان ..

ولم يكن ذلك الشخص من غزاة (جلوريال) ..

ولا حتى من شعب (أرغوران) ..

لقد كان بشريًا ..

بشريًا من سكان كوكب (الأرض) ..

آخر بشرى يتوقع (نور) ورفاقه رؤيته ، فى هذه اللحظة بالذات ..

وبكل الدهشة واللوعة واللهفة فى أعماقها ، قفزت (نشوى) من مقعدها ، صارخة :

— إنه (رمزى) .. (رمزى) .. إنه لم يمت .. مازال على قيد الحياة ..

غمغم (أكرم) فى ذهول :

— مستحيل !

وهتفت (مشيرة) :

— إنه هو .. من المستحيل أن تكون خدعة !

أما (سلوى) و (محمود) ، فقد بقيا على صمتهما وذهولهما ، وشاركا (نور) التحديق فى الشاشة ، التى عادت تحمل وجه (أجور) وحده ، وهو يبتسم فى ثقة وشماتة ، قائلا :

— هل رأيتم هذا ؟.. لا تتصوروا أن عيونكم تخدعكم ، أو أن ما ترونه مجرد وهم صناعى ، اختلقناه بوسائل تقنية متطورة .. كلا أيها السادة .. نحن نعمل بأسلوب مختلف تمامًا .. إننا أقوى من أن نحاور ونناور .. لقد اعتدنا ضرب هدفنا مباشرة ، دون تردد أو مواربة .

ثم اعتدل فى مقعده ، مستطردًا فى غرور :

— لهذا أصبحنا نملك نصف الكون .

غمغم (أكرم) ، وهو يقبض على مسدسه الآلى فى غضب :

— أيها الوغد .

أشار إليه (نور) فى اهتمام شديد ، قائلاً :

— مهلا .. دعنا نستمع إليه ..

ابتلع (أكرم) غضبه ، ولاذ بالصمت فى حنق ، وراح يستمع مع الجميع إلى (أجور) ، الذى يتابع فى تفاخر :

— ولست أتوقع منكم تصديق ما أقول على الفور ؛ لذا فسأمنحكم ما يؤيد قولى هذا .

ومال إلى الأمام ، مستطردًا :

ـ زميلكم هذا اسمه (رمزى) ، وهو خبير بالطب النفسى ، ويعمل ضمن فريق (نور) ، منذ عام ألف وتسعمائة وتسعة وتسعين بتاريخكم الأرضى ، وكان يقود مقاتلة محدودة ، لشق الطريق أمام (أرغوريا) ، عبر طريق (ميروريا) ، وقبل أن يعود بها إلى السفينة الأم ، نجحت إحدى مقاتلاتنا فى إصابته ، ففقد السيطرة على مقاتلته ، وهوى بها فى غياهب الفضاء .

قال (محمود) فى حنق :

ـ كيف عرف كل هذا ؟

لم يسمع جوابًا من رفاقه ، الذين تعلقت مشاعرهم كلها بشاشة البث ، ولكن العجيب أن الجواب أتاه على لسان (آجور) نفسه ، وهو يتابع :

ـ كل هذا تعرفونه ، ولكن الذى تجهلونه هو أن صديقكم هذا لم يضع فى قلب الفضاء ، وإنما وجد نفسه فجأة وسط مقاتلاتنا الثلاثين ، التى كانت فى طريقها إلى (ميروريا) ، لدعم مقاتلاتنا الأخرى هناك ، وكإجراء طبيعى ، أسر مقاتلونا زميلكم ، وعادوا به إلى هنا ، وبوسائلنا الخاصة حصلنا منه على هذه المعلومات .

تفجرت الدموع فجأة من عينى (نشوى) ، ودفنت وجهها بين راحتيها ، وهى تنتحب قائلة :

ـ (رمزى) حىّ .. حمدًا لله .. حمدًا لله ..

رمقها (أكرم) بنظرة متوترة ، وهو يقول :

ـ لا أحد يدرى ما إذا كان هذا من حسن حظه ، أو من سوء بخته ..

رفعت عينيها إليه فى هلع ، هاتفة :

ـ ماذا تقصد ؟

همّ بإجابة سؤالها ، إلا أن الصورة تباعدت مرة أخرى ، ليظهر (رمزى) مرة أخرى على الشاشة ، داخل قفص الطاقة ، و (آجور) يشير إليه قائلاً :

ـ أما بالنسبة للمعلومات الحيوية الأخرى ، فلدينا وسائل مختلفة ومضمونة للحصول عليها ..

أشار (أكرم) إلى الشاشة ، وقال فى ضيق :

ـ ها هو ذا ما أقصده .

تعلقت عيناها بالشاشة ، وقد تركز المشهد كله على (رمزى) ، وصوت (آجور) يقول فى سخرية شامتة .

ـ كهذه الوسيلة مثلاً ..

لم يكد يتم قوله حتى ضغط أحد الحارسين جانب قفص الطاقة ، فتألق سقفه كله بوهج برتقالى ، وأطلق (رمزى) صرخة رهيبة ، ارتجفت لها قلوب الجميع .. صرخة إنسان يحتضر .

* * *



وأطلق (رمزى) صرخة رهيبة ، ارتجفت لها قلوب الجميع ..

٢ ـ أين المفر ..

تطلع (ديجنتى) إلى (هونور) لحظة فى دهشة ، قبل أن يهتف فى حدة ، وهو يدفعه بعيدًا عنه :

ـ ما الذى تقصده بقولك إنك كشفت الخائن ؟.. أنت الخائن نفسه .

فوجئ بـ (هونور) ينتزع سلاحه ، ويصرخ فجأة :

ـ لا .. لا تقتلنى يا (ديجنتى) .. اسمعنى أولاً .

تراجع (ديجنتى) بسرعة ، وخيل إليه أن (هونور) سيطلق أشعة سلاحه عليه ، ولكن عيناه اتسعتا فى دهشة وتساؤل ، عندما أطلق (هونور) أشعته مرتين ، فى سقف الحجرة ، وصرخ :

ـ آآآه .

ثم انتزع جهازًا صغيرًا من حزامه ، ألقاه أرضًا ، وسحقه بقدمه فى عنف ، فهتف (ديجنتى) :

ـ ماذا أصابك يارجل ، .. هل جننت ؟!

أعاد (هونور) مسدسه إلى حزامه ، وهو يشير إلى الجهاز المحطم ، قائلاً :

— كان من الضرورى أن أفعل هذا ، فذلك الجهاز اللعين ينقل كل ما ننطق به إلى ذلك الخائن .

قال (ديجنتى) فى دهشة .

— إلى من ؟!

انحنى (هونور) فى مرونـة ، والتقط شيئًا صغيرًا من بين حطام الجهاز ، وقرّبه من عينى (ديجنتى) ، قائلا :

— انظر .. إنه لاقط صوتى دقيق ، من ذلك الطراز المتطور ، الذى تستخدمه قوات الاحتلال .

حدّق (ديجنتى) فى الجهاز ، وهتف :

— ومن أتى به ؟.. بل ما الذى يعنيه كل هذا ؟

ألقى (هونور) اللاقط بعيدًا فى حدة ، وهو يقول :

— هذا الجهاز ، الذى يسبب الارتباك لعيون الحراسة ، لم يكن يبعدها عنى لوسامتى وأناقتى ، ولكن لأنه يحوى ذلك اللاقط الجلوريالى الصنع .. وعن طريقه استطاع الخائن الحقير سماع كل ما ننطق به ، بعد أن أهدانى ذلك الجهاز ، وطالبنى بأن يكون هذا سرًا بيننا .. آه من الحقارة والخسة .. لقد سمعك وأنت تحدد لى نقطة هبوط المنقذ وموعد وصوله ، عبر هذا الجهاز ، وتصور أن ثقتك بى ستجعلك تطلعنى على الحقيقة ، وهكذا نقل الزمان والمكان لجنود (جلوريال) ،

دون أن يدرك أنها خدعة .. وحتى عندما كشف هذا بعد أن نقل إليه الجهاز نفسه حديثك ، عندما أتيت لإلقاء القبض علىّ ، وجد أنه من المفيد له أن أصبح أنا الخائن فى عيون الجميع ، حتى يظل هو داخل دائرة الثقة .

وعاد يشير إلى الجهاز ، مستطردًا فى غضب .

— ومن المحتم أنه سمع حديثنا الآن ، وأدرك أننى كشفت أمره ، لذا كان من الضرورى أن ألعب هذا الدور السخيف ، لأقنعه بأنك قتلتنى بسرعة ، قبل أن أفصح عن شكوكى ، وإلا لانتابه الخوف ، وبادر بالفرار ، قبل أن أمزّقه بيدىّ هاتين ..

صمت (ديجنتى) طويلا ، وهو يحدّق فى وجه (هونور) فى شك ، ثم قفز يلتقط سلاحه بغتة ، وصوّبه إليه قائلا :

— ما تقوله مجرد خيال مريض يا (هونور) ! .

عقد (هونور) ساعديه أمام صدره ، وتطلّع إليه فى هدوء ، وكأنما لا يعنيه السلاح المصوّب إلى رأسه ، فى قليل أو كثير ، وهو يقول :

— حسن .

مطّ (ديجنتى) شفتيه ، وخفض سلاحه ، وهو يقول :

ـ ولكن العجيب أننى أصدق كل كلمة نطقت بها .

ابتسم (هونور) فى ارتياح ، وقال :

ـ عظيم .. دعنا ننطلق إلى منزل الخائن إذن ، ونفصل رأسه عن جسده .

بدا (ديجنتى) شديد الصرامة ، فى صوته وهيئته ، وهو يقول :

ـ مستحيل !

اندفع (هونور) نحو الباب ، قائلا :

ـ لا تقل مستحيل ، لابد أن ..

رفع (ديجنتى) سلاحه فى وجهه مرة أخرى ، وهو يقول فى صرامة شديدة :

ـ قلت : لا يا (هونور) .. لن تقتل الخائن ، ولو أنك حاولت مغادرة هذا المنزل ، فلن أتردد فى ...

وصمت لحظة ، ثم تابع فى حزم مخيف :

ـ فى أن أقتلك .

وكان يعنى ما يقول ..

يعنيه تماما ..

* * *

لم تحتمل (نشوى) أبدا تلك الصرخة ، التى أطلقها (رمزى) ، داخل قفص الطاقة ، فاندفعت نحو الشاشة ،

وكأنها ستخترقها لإنقاذه ، وهى تصرخ :

ـ لا .. لا .. إنهم يقتلون (رمزى) .

أمسك بها (نور) ، هاتفا :

ـ رويدك يا (نشوى) .. لا تفقدى السيطرة على مشاعرك .

صرخت ، وهى تقاوم والدها فى استماتة :

ـ اتركنى يا أبى .. اتركنى .. (رمزى) يحتاج إلىّ .

قال (نور) فى مرارة :

ـ إنه يحتاج إلينا جميعا ، ولكن ليس بهذه الوسيلة .. الاندفاع الأخرق لن ينقذه ، وإنما قد يقتلنا جميعا .

كان (رمزى) قد توقف عن الصراخ على الشاشة ، وانهار فى قاع القفص ، وقسماته كلها تشف عن معاناة وآلام رهيبة ، فارتجف جسد (نشوى) لحظات ، ثم انفجرت باكية فى انهيار ، فأسرعت إليها (سلوى) ، واحتوتها بين ذراعيها ، وهى تشاركها دموعها ، فى نفس الوقت الذى قال فيه (أجور) على الشاشة فى سخرية :

ـ هذه عينة بسيطة مما يمكن أن يلاقيه زميلكم ، فى أثناء استجوابنا له ، ولكننا لسنا قساة القلوب فى الواقع .. سنمنحه فرصة للنجاة من هذا العذاب الرهيب .. فرصة واحدة .

ثم مال إلى الأمام ، مستطردًا فى صرامة :

ـ أن يسلم المنقذ نفسه إلينا .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وبدا القلق على وجوه الجميع ، و(آجور) يضيف :

ـ وسأمنحه يومًا واحدًا ليفعل .. يوم من أيام (أرغوزان) .. أى ما يساوى عشرين ساعة أرضية من زمنكم تقريبًا .. أو بمعنى أدق ، سنبقى على حياة صديقكم ، حتى شروق الشمس الصغرى ..

ثم قهقه ضاحكًا ، وهو يستطرد :

ـ لآخر مرة ..

وارتفعت ضحكة مخيفة بغيضة ، وصورته تتلاشى تدريجيًا على الشاشة ، فهتف (أكرم) فى غضب :

ـ أيها الوغد الحقير .

ولكن الصورة اختفت تمامًا ، وران معها صمت مطبق على المكان ، وعيون الجميع تتطلع إلى (نور) ، الذى ظلّ صامتًا جامدًا ، يتطلع إلى الشاشة الخالية ..

وطال الصمت ، قبل أن يقطعه (بودان) ، وهو يسأل فى قلق :

ـ ماذا ستفعل أيها القائد ؟

بقى (نور) صامتًا جامدًا ، فى حين قالت (سلوى) فى توتر :

ـ إنه لن يسلمهم نفسه بالطبع .

تفجرت الدموع مرة أخرى فى عينى (نشوى) ، وتمتمت (مشيرة) :

ـ هل سنتركهم يقتلون (رمزى) ؟

أما (أكرم) ، فقال فى صرامة :

ـ أنا أعلم ما ينبغى أن نفعله .

ثم جذب إبرة مسدسه الآلى فى عنف ، وهو يستطرد :

ـ سنقتحم المكان ، الذى يحتفظ فيه هؤلاء الأوغاد بصديقى (رمزى) ، وننتزعه من بين أيديهم .

وهنا التفت إليه (نور) ، وقال فى خفوت عجيب :

ـ وكيف ستفعل هذا ؟

صاح (أكرم) فى حدة :

ـ سأطلق النار على رءوس الجميع .

سأله (نور) فى مرارة :

ـ أتظن هذا يجدى ؟

احتقن وجه (أكرم) ، وبقى صامتًا لحظات ، ثم لم يلبث أن لوّح بيده فى حنق ، هاتفًا :

ـ اللعنة !

أدار (نور) عينيه فى وجوه الجميع ، ثم قال :

ـ اسمعونى جميعًا ، وحاولوا أن تفهموا كلماتى

جيدا .. إنها لحظة من أكثر لحظات حياتى صعوبة ، فلو أننى فى موقف آخر ، لما ترددت فى التضحية بحياتى ، وتسليم نفسى للأعداء ، لو أن هذا يضمن نجاة (رمزى) ، ولكننى كقائد لكل فرق المقاومة ، وكرجل مسئول عن حياة شعب بأكمله ، فإن قرارى سيختلف كثيرا .. واختلاف القرار ليس بسبب خشيتى على نفسى ، ولكن بناء على عدة عوامل ، حاولت دراستها وترتيبها .. وأول هذه العوامل هو أن الجلورياليين لن يطلقوا سراح (رمزى) ، لو أننى استسلمت لهم ، بل سيقتلوننا معا .. بل وسيقتلونكم جميعًا أيضًا .

قال (أكرم) فى عصبية :

ـ مازلت أصرّ على رأيى .. الوسيلة الوحيدة ، هى أن نهاجم .

أجابه (نور) :

ـ أوافقك تماما على هذا الرأى يا (أكرم) ؛ فأنا أيضا أومن بمبدأ (نابليون بونابارت) .. الهجوم خير وسيلة للدفاع .. ولكن هذا الهجوم يجب أن يتمّ بطريقة مدروسة ، وبناء على معلومات مسبقة ، وإلا فسيتحوّل الهجوم إلى لعبة انتحارية ، لن نغنم منها سوى الهزيمة الماحقة .

ثم التفت إلى (بودان) ، وقال :

ـ لقد أخبرتنى أن لكم بعض الجواسيس ، بين صفوف الجلورياليين .. أليس كذلك ؟

أجابه (بودان) بسرعة :

ـ بالطبع .. الكثير من جنود وضباط (جلوريال) ، يرفضون تماما تلك السياسة القمعية الاستعمارية ، التى انتهجها إمبراطورهم السابق ، ويسير على نهجها ابنه الإمبراطور الحالى :

انتبهت (سلوى) للعبارة ، وهتفت فى جزع مفاجئ :

ـ ابنه ؟!

التفت إليها (بودان) ، وقال ، وهو فى حيرة من جزعها :

ـ نعم .. إمبراطور (جلوريال) الحالى هو ابن الإمبراطور السابق ، الذى لقى مصرعه فى كوكبكم .

هتفت فى ارتياع :

ـ يا إلهى !.. كم أخشى لو أن ..

قاطعها (نور) بإشارة من يده ، فكتمت ما تبقّى من عبارتها فى حلقها ، وإن شفّ شحوبها الشديد عما يعتمل فى نفسها ، فقال (بودان) فى انفعال :

ـ هذا لا يروق لى .. أهناك ما أجهله ، بشأن إمبراطور (جلوريال) ؟

لوّح (نور) بيده ، قائلاً :

ـ لا عليك .. أخبرنى أولاً .. هل يمكننا الحصول على بعض المعلومات العاجلة ، عن طريق جواسيسك ؟

أجابه (بودان) :

ـ بالطبع .. ما الذى ترغب فى معرفته ؟

قال (نور) فى اهتمام :

ـ أولاً : أريد معرفة المكان ، الذى يحتجزون فيه (رمزى) ، وثانيًا : أريد خريطة كاملة لكل مداخل ومخارج ودروب القصر الإمبراطورى .

أومأ (بودان) برأسه ، قائلاً :

ـ لا توجد أية مشكلات ، بالنسبة للمطلبين ، وبالذات الثانى ، لأن القصر الإمبراطورى الحالى ، هو نفس القصر ، الذى كان يقيم فيه (بودون) ، ولدينا تخطيط كامل له .

قال (نور) :

ـ عظيم .. فى هذه الحالة لا ينقصنا سوى ..

قبل أن يتمّ عبارته ، ارتفع فى المكان أزيز متصل ، فالتفت الجميع إلى مصدره ، وقالت (سلوى) فى توتر :

ـ ما هذا بالضبط ؟

اتجه (بودان) إلى أحد الأركان ، وهو يقول :

ـ إنها رسالة خاصة ، من نائبى (ديجنتى) ، عبر قناة اتصال بالغة السرية والتعقيد ، لا يمكن تعقّبها أو كشف مصدرها ، بأى حال من الأحوال .

وضغط أحد الأزرار ، مستطردًا :

ـ ماذا هناك يا (ديجنتى) ؟

أتى صوت (ديجنتى) ، وهو يقول :

ـ سيدى .. لقد كشفنا أمر الخائن .

تبادل الجميع نظرة حائرة ، وقال (بودان) فى دهشة :

ـ ما الذى يعنيه قولك هذا بالضبط !.. ألم نعلم جميعا أن (هونور) ..

قاطعه (ديجنتى) فى حماس :

ـ كلا يا سيدى .. (هونور) ليس الخائن .. لقد شرح لى الموقف كله ، وكشف أمر الخائن الحقيقى .

هتف (بودان) :

ـ وكيف هذا ؟

روى له (ديجنتى) ، كل ما دار ، بينه وبين (هونور) ، وانتهى بحديثه قائلاً :

ـ ولقد أراد (هونور) مهاجمة الخائن ، ولكننى منعته ، وقلت له : إننى لن أسمح بمغادرته منزلى ، إلا بعد استشارتك ، حتى لو اضطررت لقتله .

ولحق به صوت (هونور) ، وهو يقول فى حنق :

ـ أخبره أنك كدت تقتلنى بالفعل .

عقد (أكرم) حاجبيه ، وأمسك ذراع (بودان) فى قوة ، قائلا :

ـ احترس .. (هونور) هذا بصحبته ، وربما يهدده بشىء ما ، ويجبره على قول هذا .

أزاح (بودان) يده فى هدوء ، وقال :

ـ اطمئن .. لو أن (ديجنتى) لا يقول هذا بمحض إرادته ، لما بدا حديثه بقوله (سيدى) ، ولبدأه قائلا : « أيها القائد » .

ازداد انعقاد حاجبى (أكرم) ، فقال (نور) :

ـ إننا نستخدم أسلوبا مشابها فى مخابراتنا .. مفتاح حديث بسيط ، لا يثير الشبهات ، ولكنه يرشد إلى حرية الحديث ، أو قوله تحت التهديد .

سأله (أكرم) :

ـ وهل تطمئن إلى هذا الأسلوب ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابا ، وقال :

ـ كل الاطمئنان .

وفى نفس اللحظة تقريبا ، كان (ديجنتى) يسأل ، عبر جهاز الاتصال الخاص :

ـ والآن بم تأمرنا يا سيدى ؟.. هل نهاجم الخائن ونكشف أمره ؟

التفت (بودان) إلى (نور) ، وسأله :

ـ ماذا تقترح ؟

لوّح (نور) بيده ، وقال فى حزم :

ـ كلا .. دعهما لا يفعلان هذا ، فى الوقت الحالى ، وليبق كل منهما فى موقعه ، حتى نعيد الاتصال بهما .

نقل (بودان) أمر (نور) إلى (ديجنتى) ، وأنهى الاتصال ، وهو يتطلع مترقبا إلى (نور) الذى استغرق فى تفكير عميق ، فتمتمت (مشيرة) :

ـ أراهن أن فكرة عظيمة تولد الآن .

رفع (نور) عينيه إليها ، وبدا بريقهما واضحا ، وهو يقول :

ـ أنت على حق .

سألته (نشوى) فى لهفة :

ـ ما الذى يدور فى عقلك يا أبى ؟

رفع يده ، قائلا :

ـ الكثير يا (نشوى) .. أفكر فى إصابة الأهداف كلها بضربة واحدة .. أعاقب الخائن ، وأنقذ (رمزى) ،

وأسخر من المحتلين فى آن واحد .

سأله (أكرم) فى شغف :

— وكيف يمكننا الفوز بكل هذا ؟

ازداد بريق عينى (نور) ، وهو يقول :

— استمعوا إلىّ جيداً .

وراح يروى خطته ، التى بدت لهم مدهشة .. مدهشة بحق .

* * *



٣ — اجتماع طارئ ..

انتهى (آرون) ، أحد قادة مجلس المقاومة السباعى ، فى ارتداء ثيابه ، والتقط سلاحه من مخبأ خفى ، ودسّه فى حزامه ، ثم اتجه إلى باب منزله ، وفتحه ، و ...

« أهلاً يا (آرون) .. أكنت تستعد للخروج ؟ .. » .

فوجئ (آرون) بالعبارة ، وجفل لحظة ، ثم حدّق فى وجه صاحبها بدهشة ، قائلاً :

— (ديجنتى) !! .. يالها من زيارة مباغتة !.. لم أكن أتوقّع أن ..

قاطعه (ديجنتى) فى هدوء ، وكأنه لم يسمعه :

— من حسن حظى أنك مرتد ثيابك ، .. هيّا .. سننطلق على الفور .

سأله (آرون) فى قلق :

— إلى أين ؟

أجابه (ديجنتى) ، وهو يجذبه خارج منزله فى رفق :

— هناك اجتماع طارئ عاجل ، فى مكان جديد

ردد (آرون) فى دهشة :

ــ اجتماع طارئ وعاجل ؟!

قال (ديجنتى) ، وهو يدفعه إلى الأمام ، على نحو يشفّ عن العجلة :

ــ نعم يارجل .. سنلتقى مع القائد الجديد .. المنقذ .

هتف (آرون) :

ــ حقًا ؟! .. هل سنلتقى به ؟

أجابه (ديجنتى) :

ــ نعم .. وبالإمبراطور (بودون) أيضًا .

قال (آرون) فى توتر :

ــ قل لى يا (ديجنتى) : هل الإمبراطور حقًا على قيد الحياة ؟! لست أصدّق هذا فى الواقع .. كلنا نعلم أنه ذهب إلى الأرض ، و ...

قاطعه (ديجنتى) فى هدوء ، يحمل الكثير من الحزم :

ــ لا تصدّق كل ما تسمعه .

قفزت الدهشة من عينى (آرون) ، وبدا لحظة وكأنه سيقول شيئًا ما ، إلا أنه لم يلبث أن ابتلع لسانه كله ، ولاذ بالصمت التام ، وهو يقطع مع (ديجنتى) شوارع المدينة ، حتى بلغا منطقة مقفرة ، تحوى بعض الأطلال القديمة ، التى دكتها أسلحة المحتلين ، فمال

(ديجنتى) نحو بناء قديم ، وضغط حجرًا فى بقايا أحد جدرانه ، فانفتحت فجوة فى الأرض ، عبرها وهو يقول لـ (آرون) فى حزم :

ــ اتبعنى .

تبعه (آرون) فى سرعة ، وسأله والفجوة تغلق خلفهما :

ــ ما هذا بالضبط ؟.. إنه مكان لم نسمع به قط ، وعلى الرغم من هذا فهو مجهز بأضواء ذاتية ، وممرات ، و ...

قاطعه (ديجنتى) مرة أخرى :

ــ إنه مخبأ قديم ، كانوا يستخدمونه لاتقاء موسم العواصف الكبرى .

سأله (آرون) :

ــ ولماذا أخفيت أمره عنا حتى الآن ؟

أشار إليه (ديجنتى) أن يصمت ، وهو يقطع معه الممرات الداخلية للمخبأ ، حتى بلغا حجرة واسعة ، استقبلهما فيها قادة المقاومة الأربعة (ترات) و (ريستا) و (نوفسا) و (كالوا) ، وتبادل الجميع تحية مقتضبة ، والتساؤلات تبدو واضحة فى عيونهم ، ممتزجة بالفضول واللهفة ، فيما عدا (ريستا) ، التى بدت شديدة الحزن ، وهى تغمغم :



وضغط حجرًا فى بقايا أحد جدرانه ، فانفتحت فجوة فى الأرض ، عبرها وهو يقول لـ (آرون) فى حزم : — اتبعنى

— هناك خطأ ما يا رفاق .. لست أصدق أبدًا أن (هونور) خائن .

أجابها (ترات) فى صرامة :

— لقد انتهينا من مناقشة هذا الأمر يا (ريستا) .. كلنا لا نصدق أنه كان هناك خائن بين صفوفنا ، ولكنها الحقيقة .. هيا .. لا تجعلى حبك لذلك الوغد يعمى عينيك .

هتفت فى حدة :

— (هونور) ليس وغدا .

قال (ديجنتى) فى هدوء :

— تقصدين أنه لم يكن كذلك .

التفتت إليه فى حدة ، وهتفت :

— ماذا تعنى ؟!

شدّ قامته ، وهو يقول فى حزم :

— لم يعد هناك وجود لـ (هونور) يا (ريستا) .. لقد عثرت عليه .. وقتلته .

أطلقت صيحة هلع ، كتمتها بكفها ، وهى تحدّق فى وجه (ديجنتى) فى ارتياع ، فى حين سرت همهمة دهشة فى المكان ، قبل أن يغمغم (كالوا) :

— حسنًا فعلت .

أما (نوفسا) فمطت شفتيها فى ضيق ، دون أن تنبس ببنت شفة ، فى حين هتفت (ريستا) فى لوعة :

ـ لقد أخطأت يا (ديجنتى) .. يوما ما ستدرك أنك كنت مخطئا .. وستندم .. ستندم كثيرا على ما فعلت .

بدت ملامح (ديجنتى) جامدة ، وهو يقول :

ـ اطمئنى يا (ريستا) .. لست أعتقد أننى سأندم أبدا ، على أى شئ فعلته ، حتى هذه اللحظة .

احتقن وجهها فى غضب . وهمت بقول شىء ما ، عندما هتف (كالوا) فجأة ، فى انفعال جارف :

ـ الإمبراطور .

التفت الجميع فى سرعة ، إلى حيث تحدق عينا (كالوا) ، ثم هبوا واقفين ، وهم يتطلعون فى تبجيل ودهشة ومهابة إلى (بودان) ، الذى ارتدى ثياب شقيقه ، فبدا وكأنه بالفعل الإمبراطور (بودون) ، فارتفعت قبضات الجميع فى آن واحد ، وانطلق هتافهم :

ـ المجد لـ (أرغوران) .

أشار إليهم (بودان) بالجلوس ، وتعلقت عيونهم بذلك الأرغورانى ، الذى جاء بصحبة إمبراطورهم ، وغمغم (ترات) فى دهشة شديدة :

ـ مولاى .. كم تسعدنا رؤيتك ، ولكننا علمنا منذ زمن أنك ..

قاطعه (بودان) بإشارة صارمة من يده ، وهو يقول :

ـ لن نناقش هذا يا (ترات) .. الآن على الأقل .

ثم التفت إلى الأرغورانى ، الذى جاء بصحبته ، مستطردا :

ـ الأمر عاجل وخطير ، وستستمعون الآن إلى قائدكم الأعلى .

تعلقت العيون كلها بذلك الأرغورانى ، الذى ابتسم قائلا :

ـ مرحبا بكم جميعا .. يسعدنى أن نلتقى لأول مرة ، وأعتقد أن أول ما نفعله هو أن نتعارف .

وفى هدوء ، انتزع القناع الأرغورانى عن وجهه ، فبدت صورته الأرضية واضحة أسفله ، وهتف (آرون) مشدوها :

ـ المنقذ !!

خفقت قلوب الجميع فى قوة ، وهبوا من مقاعدهم مرة أخرى ، وكأنهم سيندفعون نحو (نور) ، الذى استوقفهم بإشارة من يده ، قائلا :

ـ مهلا يا أصدقائى .. أنا سعيد برؤيتكم ، وأعتقد أنكم أيضا سعداء برؤيتى ، ولكننا لن نضيع دقيقة واحدة الآن ، فلدينا عمل عاجل ، نحتاج إلى إنجازه .

عادوا يجلسون جميعًا ، وهم يتطلعون إليه فى انتباه منبهر ، وهو يتابع فى حزم واضح ، أضفى عليه المزيد من الرهبة والمهابة :

ـ لقد أعددت خطة محكمة ؛ لتوجيه ضربة قاسية للمحتلين ، وتلقينهم درسًا لا ينسونه بسهولة .

ورفع كفه ، ملوحًا بسبابته ووسطاه ، وهو يستطرد :

ـ وأمامنا ساعتان فحسب ، قبل تنفيذ الخطة ..

قالها وشفتاه تحملان ابتسامة هادئة ، على نحو مثير للدهشة .

وللقلق ..

* * *

مطّ (آجور) شفتيه ، وهو يعقد كفيه خلف ظهره ، ويتابع حركة العمل فى قسم أبحاث الفضاء ، قبل أن يسأل كبير المسئولين هناك فى صرامة :

ـ متى يمكنكم الانتهاء من صنع هذا القرص ؟

أجابه الرجل فى سرعة :

ـ بعد ثلاثة أيام على الأكثر يا سيدى .. وعملية إطلاقه فى مداره تحتاج إلى يوم آخر ، وبعدها سيتغيّر المناخ فى (أرغوران) إلى الأبد .

قال (آجور) :

ـ أتعنى أنه سيصبح هناك ليل ، لم يعرفه الكوكب فى حياته قط ؟

هزّ الرجل رأسه نفيًا ، قبل أن يقول :

ـ بل سيصبح هناك تغيّر تام فى مناخ الكوكب ، فتعاقب شروق شمسين على (أرغوران) ، جعله يحيا فى نهار دائم ، وحافظ على درجة حرارته ، بحيث تصلح لحياة مخلوقاته ، وخاصة بعد أن برد قلب الكوكب تمامًا ، ولم تعد تنبعث من مركزه حرارة كافية ، وعندما تختفى أحد شمسيه بغتة ، ستنخفض درجة حرارته كثيرًا ، مما ينعكس على الطقس نفسه .

بدا الاهتمام على وجه (آجور) ، وهو يسأله :

ـ ما الذى تتوقع حدوثه ، كنتيجة لهذا الليل الصناعى ؟

أجابه الرجل ، وهو يلوّح بذراعيه :

ـ موجة برد شديدة ، تسيطر على الكوكب بأكمله ، حيث تنخفض درجات الحرارة إلى حد لم يعهده سكان (أرغوران) قط ، حتى أنهم سيقبعون فى بيوتهم ، طوال الليل الصناعى ، وربما يلقى المئات منهم مصرعهم ، فى الأسابيع الأولى ، قبل أن يستوعبوا كيفية مواجهة ذلك البرد القارس .

تضاعف اهتمام (آجور) ، وهو يسأل :

ـ كل هذا لأننا حجبنا شمسهم الصغرى ؟! .. ماذا يحدث إذن ، لو حجبنا الشمس الكبرى ؟

لوّح الرجل بكفه فى قوة ، وهو يجيب :

ـ كارثة .. لو أننا فعلنا هذا ، فستكون كمن يبدأ عصرًا جليديًا على الكوكب .

بدت علامات التفكير العميق على وجه (آجور) ، وهو يتمتم ، وكأنه يحدث نفسه :

ـ نبدأ عصرًا جليديًا ؟! .. أراهن أن هؤلاء الأغبياء لم يسمعوا حتى كلمة جليد هذه ، ولا يمكنهم استيعاب معناها .

ثم رفع عينيه إلى الرجل ، وقال فى حزم :

ـ احجب شمسهم الكبرى .

شهق الرجل ، وتراجع لحظة كالمصعوق ، قبل أن يسأل :

ـ سيدى .. هل تدرك ما يعنيه هذا ؟

زمجر (آجور) فى شراسة ، وهو يقول :

ـ أنت قلتها بنفسك يا رجل .. سنبدأ عصرًا جليديًا على (أرغوران) .

وبرقت عيناه فى وحشية ، مع استطرادته :

ـ إنها أفضل خطة فى تاريخنا كله .. خطة وضع كوكب بأكمله داخل ثلاجة هائلة .. هذا يروق لى يا رجل .. يروق لى بشدة .

وتحوّل بريق عينيه بغتة إلى ضحكة ..

ضحكة شيطان أثيم ..

* * *

« عصر جليدى ؟! .. » .

نطقها الإمبراطور (سيلبا) بقدر هائل من الدهشة ، وهو يحدق فى وجه قائد فرسانه ، الذى احتفظ بهدوئه الشديد ، وهو يقول :

ـ نعم يا مولاى .. إنها ضربة لا يتوقعها أحد قط .. ولا يمكن أن يتوقعها ذلك المنقذ الأسطورى .. إننا سنقوم بتجميد الموقف ، ولكن ليس من الناحية الفلسفية ، ولكن من الناحية العملية والفعلية .

قال الحكيم (أوراكس) فى قلق شديد :

ـ ولكنها ليست ضربة موجهة لرجال المقاومة ومنقذهم فحسب يا (آجور) ، وإنما إلى الجميع .. نحن أيضًا سيكون علينا أن نواجه ذلك العصر الجليدى ، الذى تتحدث عنه .

برقت عينا (آجور) ، وهو يقول :

— مع فارق شديد الأهمية أيها الحكيم .. وهو أننا سنكون على أهبة الاستعداد لقدومه ومواجهته .. نحن وحدنا سنعلم به ، أما هم فلا .. ثم إننا نعرف ما هو الجليد ؛ فكوكبنا لا يخلو منه ، أما هم ، فنظام الشمس المزدوجة لم يسمح لهم بمجرد تخيله .. ألا يمكنك تصور الفارق الرهيب .

سأله الإمبراطور :

— ولكن ما الذى تتوقع أن تربحه من هذا ؟

أجابه (آجور) فى حماس :

— سنجعلهم ينكمشون ، وينشغلون بقضية البقاء ، وسط هذا الطقس ، الذى لم يعهدوه قط ، والذى سيصيبهم بصدمة عنيفة ، نتحرك نحن بأقصى سرعتنا ، قبل أن يفيقوا منها ، ونكثف ضرباتنا ، ونكشف مراكز المقاومة ، ونسحق ذلك المنقذ الأسطورى .. إنها خطة عبقرية يا مولاى .. صدقنى .

بدا الاهتمام على وجه الإمبراطور ، وراح يهز رأسه فى بطء ، ثم قال ، وهو يعتدل فوق عرشه فى حزم .

— فليكن .. امض فى خطتك يا (آجور) .

هز الحكيم رأسه بدوره ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فالتقط (آجور) نفسًا عميقًا ، وقال بصوت مفعم بالنشوة والظفر :

— شكرًا يا مولاى .. شكرًا جزيلاً :

وغادر القاعة الإمبراطورية فى خطوات واسعة سريعة ، وكيانه كله يمتلئ بإحساس عارم بالزهو ، ولكنه لم يكد يصل إلى حجرته ، حتى استقبله حارسه الخاص ، قائلاً :

— سيدى .. (اكس ــ ١) يطلب مقابلتك ، ويقول : إن الأمر عاجل للغاية .

تلاشت نشوة (آجور) ، وحل محلها قلق مشوب بالتوتر ، وهو يقول :

— دعه يأتى على الفور .

لم تمض لحظات ، حتى أصبح (اكس ــ ١) داخل حجرة (آجور) ، الذى سأله :

— ماذا لديك هذه المرة يا (اكس ــ ١) ؟

أجابه الجاسوس فى توتر :

— لقد اجتمع بنا المنقذ .

اتسعت عينا (آجور) فى شدة ، ثم صاح فى غضب :

— اجتمع بكم ؟! .. ولماذا لم تخبرنى على الفور أيها الغبى .. قبل أن يبدأ هذا الاجتماع ؟!

تراجع (اكس ــ ١) خائفًا ، أمام غضبة قائد الفرسان الجلوريالى ، ولوح بذراعيه ، هاتفًا :

— لم يكن هناك وقت لهذا يا سيدى .. لقد كان اجتماعًا

مفاجئنا ، أبلغنا خلاله المنقذ بخطته لاقتحام القصر الإمبراطورى ، وإنقاذ زميله .

توقف (آجور) ، وحدق فى وجه الرجل لحظة ، ثم سأله فى عصبية :

ـ اقتحام القصر ؟! يالها من صفاقة ! وما خطته يا رجل ؟

أجابه الخائن فى سرعة :

ـ سيقوم رجال المقاومة بهجوم وهمى ، على ثكنات الحراسة ، وفى أثناء انشغال الجميع بهذا الهجوم ، سيتم هجوم آخر ، على مدخل القصر الخلفى ، يقوده الإمبراطور (بودون) نفسه .

سأله (آجور) :

ـ الامبراطور (بودون) ؟! .. هل صدقت ما أذاعوه يا رجل ؟.. إنها خدعة غبية .

قال الجاسوس فى توتر شديد :

ـ بل الإمبراطور حىّ يا سيدى .. لقد رأيته بنفسى مع المنقذ .. صدقنى يا قائد الفرسان .. الأمر خطير بالفعل هذه المرة .

هزّ (آجور) رأسه ، وكأنه يوافقه على عبارته الأخيرة ، ثم قال :

ـ أعلم هذا يا رجل .. أعلم هذا .. المهم أن تخبرنى بكل ما لديك ، ودع لى بعدها مواجهة الأمر .

ألقى الخائن على مسامعه كل ما لديه ، ثم انتهى قائلا .

ـ ولكن تذكر يا سيدى ما وعدتنى به ، بعد القضاء على المنقذ .

لوّح (آجور) بذراعه ، قائلا :

ـ بالطبع .. بالطبع .. هيا .. انصرف الآن ، وأبلغنى بأى تطور يحدث .. هل فهمت ؟

تراجع الجاسوس ، وهو ينحنى قائلا :

ـ فهمت يا سيدى .. فهمت .

وأسرع يغادر المكان ، وهو يفرك كفيه فى طمع ..

لقد أبلغ قائد الفرسان بأخطر معلومة فى حياته كلها ، ومن الطبيعى أن يتوقع مكافأة سخية للغاية ..

وغادر الخائن القصر الإمبراطورى ، واتخذ الطريق الخلفى كعادته ، ولكنه لم يكد يقطع مسافة محدودة ، حتى سمع صوتا من خلفه يقول :

ـ هل أنهيت مهمتك القذرة ؟

انتفض جسده كله فى عنف ، عندما ميز الصوت ، واستدار إلى صاحبه فى ذهول ، هاتفا :



وثب (هونور) نحوه ، وركل السلاح من يده ..

ـ (هونور) ؟! .. مستحيل ! .. لقد قتلوك .

انقضّ عليه (هونور) فجأة ، ولكمه بكل قوته ، قائلا :

ـ هل تبدو لك هذه قبضة رجل ميت ؟!

سقط الخائن أرضا فى عنف ، وامتدت يده تنتزع سلاحه ، وهو يهتف :

ـ إذن فهى خدعة أخرى .

وثب (هونور) نحوه ، وركل السلاح من يده ، قائلا :

ـ باللعبقرية !.. هل توصلت إلى هذا وحدك ؟

ثم هوى على فكه بلكمة أخرى ، مستطردا فى سخرية :

ـ قل لى أيها الوغد : هل تضاعف الخيانة نسبة الغباء ؟!

انهار الخائن ، وهو يهتف :

ـ الرحمة .. الرحمة يا (هونور) .

قال (هونور) فى صرامة :

ـ الخائن لا يطلب الرحمة ؛ لأنه لا يستحقها .

ثم مدّ يده ، وانتزع القناع الذى يخفى به الخائن وجهه ، وهو يضيف :

— بل يستحق القتل .. وبلا رحمة .

وفى وضوح ، بدت ملامح الخائن ، الذى انهار تماما ، وهو يعلم المصير الذى ينتظره ..

ملامح (ترات) ..

* * *

تطلع (نور) فى اهتمام بالغ إلى شاشة الكمبيوتر ، وهو يسأل (نشوى) :

— هل سجلت كل شىء ؟

أجابته بسرعة :

— نعم يا أبى .. جهاز الرصد والتصنت ، الذى غرسته فى ثياب (ترات) ، عندما ربتت على كتفه ، فى نهاية الاجتماع ، يعمل بكفاءة تامة .. لقد سجلنا كل خطوة قام بها ، منذ وصل إلى القصر الإمبراطورى ، وحتى ألقى (هونور) القبض عليه ، وتم تخزين كل هذا فى الكمبيوتر ، وسنحصل بإذن الله على النتائج المطلوبة .

اعتدل قائلا :

— عظيم .. هذا يريحنى كثيرا .

سألته (سلوى) فى قلق :

— أمن الضرورى أن تنفذ هذه الخطة البالغة الخطورة يا (نور) ؟

أجابها فى هدوء حاسم :

— نعم يا (سلوى) .. خطتنا هذه حتمية ، فدخول القصر الإمبراطورى يحقق لنا ثلاثة أهداف رئيسية : إنقاذ (رمزى) ، وإطلاق إشارة تدمير عيون الحراسة ، ورفع علم (أرغوران) على القصر ..

وابتسم (أكرم) ، وهو ينظف مسدسه ، قائلا :

— والقيام ببعض التدريبات المفيدة .

عقدت (مشيرة) حاجبيها ، وهى تقول :

— هذا المزاح لا يروق لى .

رمقها (أكرم) بنظرة جانبية ، قبل أن يقول :

— بالطبع .. ما دام الأمر يتعلق بالدكتور (رمزى) .

احتقن وجهها ، وهى تسأله فى توتر :

— ماذا تعنى بقولك هذا ؟

أشاح بوجهه ، قائلا :

— لن نناقش هذا الأمر الآن .

ازداد احتقان وجهها ، وهمت بقول شىء ما ، لولا أن اعتدل (بودان) فجأة ، أمام جهاز الاتصال ، وهو يقول :

— (نور) .. أعتقد أن المعلومات التى وصلتنا لن تسرك .

التفت إليه الجميع فى تساؤل ، وقال (نور) :

ـ وما هذه المعلومات بالضبط ؟

أجابه فى شىء من الانفعال :

ـ إنهم يحتفظون بصديقك (رمزى) داخل قبو خاص ، محاط بحراسة شديدة ، أسفل القصر الإمبراطورى .

هزّ (نور) كتفيه ، وقال :

ـ إننا لم نكن نتوقع عملية سهلة .

وقال (أكرم) :

ـ سنقاتل بكل قوتنا من أجل (رمزى) .

نقل (بودان) بصره بينهما ، وقال :

ـ المشكلة تكمن فى القتال نفسه .

بدت عبارته غامضة ، حتى أن (أكرم) توقف عن تنظيف مسدسه ، والتفت إليه ، يسأله فى قلق :

ـ ما الذى تعنيه بالضبط ؟

أجابه (بودان) :

ـ المعلومات لدينا تقول : إن الجلورياليين قد زودوا القبو بجهاز إلكترونى خاص ، يستطيع (آجور) إطلاقه بضغطة زر واحدة ، فى حالة حدوث هجوم من أى نوع ، يستهدف محاولة إنقاذ (رمزى) .

سألته (نشوى) بصوت مرتجف :

ـ وما الذى يحدث ، عندما يضغط هذا الزر ؟

أجاب دون أن يلتفت إليها :

ـ تنطلق أشعة خاصة من سقف القبو ، و..

وصمت لحظة ، قبل أن يخفض عينيه ، مستطردًا فى أسف :

ـ وينسحق صاحبكم تمامًا .

واتسعت العيون كلها فى ارتياع ..

ارتياع بلا حدود .

* * *



٤ ـ قمة الخطر ..

بدا الضابط الجلوريالى أشبه بتمثال من الحجر الصلد ، وهو يجلس أمام الشاشة الكبيرة ، فى مركز المراقبة والرصد ، متابعا حركة شمس (أرغوران) الصغرى ، ثم لم تلبث الحياة أن دبت فى جسده بغتة ، وهو ينتفض فى مقعده ، هاتفا :

ـ ها هى ذى .

كان يشير فى توتر إلى جسم أسود دقيق ، عبر طرف الشمس لجزء من الثانية ، ثم اختفى تماما ، فتراجع هو إلى مقعده ، وتمتم :

ـ إنها دورة منتظمة تقريبا .

أجابه رئيس المركز فى اهتمام :

ـ بل هى دورة شديدة الانتظام ، ياسيدى الضابط ، حتى أننا نستطيع تحديد موعد الظهور التالى للسفينة (أرغوريا) بدقة مدهشة ، لا تزيد احتمالات الخطأ فيها على واحد لكل مليون .

أطلّ ظفر واضح فى عينى الضابط ، وهو يقول :

ـ عظيم .. هذا ما كنت أرغب فى معرفته بالضبط .

ثم مال بغتة نحو الرئيس ، مستطردا فى صرامة :

ـ ولكن هل يمكنك أن تجزم بقولك هذا ، وتتحمل مسئوليته ؟

ارتجف الرجل ، وهو يجيب :

ـ إنها نتائج علمية يا سيدى ، لا تقبل المراوغة أو المحاباة .

هبّ الضابط من مقعده فى حركة حادة ، جفل لها رئيس المركز ، وانكمش على نفسه ، عندما سمع صوت الضابط الجهورى يهتف :

ـ وهنا مربط الفرس .

ثم شمله انفعال جارف ، جعله يستطرد فى حماس :

ـ لقد وضع رجال المقاومة خطة شديدة الإتقان ، لضمان وصول منقذهم الأسطوري سالما ، وتأمين وجوده على (أرغوران) ، ومن المحتم أن (أرغوريا) جزء ضخم من خطة التأمين هذه ، ولقد أخفت تلك المركبة الإمبراطورية اللعينة نفسها عن مراقبينا ، بذكاء منقطع النظير ، إلا أننا كشفنا أمرها بضربة حظ ، ستتيح لنا فرصة نادرة ، قد لا تتكرر أبدا .

سأله رئيس المركز فى فضول :

ـ أية فرصة ؟

لوّح الضابط بذراعه كله ، وهو يجيب :

ـ فرصة تدمير الغطاء الجوى ، الذى يعتمد عليه الأرغوراتيون .. أو بمعنى أدق .. الغطاء الفضائى .

ثم استدار بجسده كله إلى الشاشة ، مستطردًا :

ـ سننسف سفينتهم الإمبراطورية الأخيرة ، ونمحو من الوجود كله ذلك الاسم السخيف .. اسم (أرغوريا) .

قالها ، وانطلق يقهقه ضاحكا ، وقد شمله انفعال عجيب ..

عجيب للغاية ..

* * *

شدّ (رمزى) قامته ، وبذل قصارى جهده ، ليبدو قويًا متماسكا ، داخل قفص الطاقة ، وهو يستقبل تلك النظرات الثاقبة الفاحصة ، التى يحدجه بها (آجور) ، فى حين بدا له هذا الأخير صامتا صلبًا ، وهو يتطلع إليه بملامح جامدة خاوية ، قبل أن يقول فى بطء :

ـ أراهن على أن رفاقك منهمكون الآن فى وضع خطة لإنقاذك .

كان (رمزى) واثقـا من أنه على حـق ، بحكم

علاقاته برفاقه ، وخبرته كطبيب نفسى ، ولكنه تظاهر بالامبالاة ، وهو يقول فى اقتضاب :

ـ ربّما !

أجابه (آجور) فى هدوء :

ـ أنا لا أستخدم لفظ (ربما) هذا قط ، فكل خطوة ترتبط عندى بكلمة (حتمًا) .. أنا أعرف جيدًا طريقة تفكيركم أيها الأرضيون..عواطفكم تهزم عقولكم دائمًا .

قال (رمزى) فى حزم :

ـ بل قل : إن عقولنا تستخـدم عواطفنـا ، لننسج خططًا قوية محكمة ، قادرة على خداع الأوغاد مثلك .

بدا الغضب علـى وجـه (آجور) ، وارتفعت راحته بسرعة ، لتضغط جانب القفص ، فتألّق الوهج البرتقالى فى سقفه ، وشعر (رمزى) بـآلام رهيبـة ، تنتشر فـى جسده كله ، فصرخ :

ـ أيها اللعين !

ضغط (آجور) جانب القفص مرة أخرى ، وأطلق (رمزى) صرخـة ألم أشدّ قوة ، ثم انهار فـى قـاع القفص ، وهو يلهث فى شدة ، و (آجور) يقول فى صرامة :

ـ إياك أن تنطق بكلمة منافية للأدب هنا .

كان (رمزى) يتمنى أن يبصق فى وجهه ، ولكن الآلام التى تنتشر فى جسده كله منعته من هذا ، فتمتم فى إعياء :

ــ أتمنى أن تنجح خطتهم ويقتلونك .

هزّ (آجور) رأسه فى بطء ، وقال فى ثقة :

ــ لن ينجحوا .

ثم شدّ قامته فى اعتداد ، وراح يسير حول القفص ، متابعًا :

ــ لقد درست طبيعتكم جيدًا يا سكان (سيتا ــ ٣) ، عبر عشرات الملفات ، التى حملها جيشنا ، الذى هزمتموه على كوكبكم ، وخاصة الملف الخاص بذلك المنقذ (نور) .. لقد قرأته أكثر من عشر مرات ، حتى أكاد أجزم بأننى أعرف (نور) هذا منذ صباه ، ويمكننى استنتاج كل ما يجول بخاطره .

ابتسم (رمزى) فى تهالك ، وهو يقول :

ــ خطأ يا هذا .. لا تتصوّر أبدًا أنك تستطيع استنتاج خطوة (نور) التالية .. إنه قائد عبقرى ، ومن صفات القادة ألا يسيروا أبدا على وتيرة واحدة ، تسمح لخصومهم باستنتاج خطواتهم القادمة .

قال (آجور) فى سخرية :

ــ هذا ما تتصوّرونه ، لأن القادة فى عالمكم محدودون ، أما نحن فقد نشأنا فى عالم متفجِّر ، لا يخلو تاريخه من الحروب إلا لمامًا ، ومن الطبيعى أن يكون فى أعماق كل منا قائد عظيم ، ومقاتل صنديد ، لا يشق له غبار .. وهذا ما يميزنا عنكم ، ويمنحنا نقطة تفوّق واضحة .

غمغم (رمزى) فى سخرية :

ــ كان هذا واضحًا ، فى صراعنا على كوكبنا .

هزّ (آجور) رأسه نفيًا ، دون أن يبدو عليه التأثّر ، وهو يقول :

ــ الأمر هذه المرة يختلف كثيرًا ؛ فلقد هزمتمونا على كوكبكم لعوامل شتى (*) منها أن الصراع كان يدور على كوكبكم أنتم ، الذى تألفونه ، وتعتادون التعايش معه ، ويمكنكم الاختفاء بين سكانه فى يسر ، وهذا يختلف تمامًا عن وضعكم هنا ، فكل شىء فيكم يختلف عنا ، وعن سكان (أرغوران) ، ومن السهل تمييزكم من بينهم ، كما يمكن تمييز بقعة سوداء ، على سطح ناصع البياض ، ثم إننا الآن نعرف كل شىء عنكم ، ولم يكن هذا متوافرًا لنا من قبل .. والأهم أنكم استعنتم على كوكبكم بذلك المقاتل الآلى الرهيب ، ولولاه ما كان النصر لكم .

(*) راجع قصة (النصر) المغامرة رقم ٨٠

قال (رمزى) فى حدة :

ـ سكان الأرض كلهم رسموا لوحة النصر والحرية يا رجل ، و (س ـ ١٨) وضع لمساتها الأخيرة فحسب .

ابتسم (آجور) فى سخرية ، وقال :

ـ هكذا ؟! .. يالكم من مغرورين ! .. فليكن .. لن نناقش هذا الأمر الآن .. المهم أنكم الآن لستم على كوكبكم ، وكل شىء هنا تقريبًا ضدكم .

قال (رمزى) ، وهو ينهض فى صعوبة :

ـ ربما كان هذا ما يبدو لكم فحسب .

لوّح (آجور) بيده ، وقال :

ـ أو ما يبدو لك .. إنك ـ كرفاقك ـ نظرت إلى الأمور من الزاوية الخطأ .. لقد خدعكم انتصاركم على كوكبكم ، وأصابكم بالغرور ، وجعلكم تتصوّرون أنكم قادرون على الانتصار علينا ، فى أى زمان ومكان .. ولكن هيهات .. لقد أعددت كل شىء هذه المرة ، حتى لا أسمح لكم بالانتصار قط .. أنا واثق من أن رفاقك سيسعون لإنقاذك ، قبل نهاية المهلة التى منحتهم إياها ، ولم يتبق منها سوى سويعات بزمنكم ، وعندما يقدمون على هذه الحماقة ، سيجدون كل شىء فى انتظارهم ، وستتفتح فى وجوههم أبواب الجحيم .

غمغم (رمزى) ، وهو يستعيد تماسكه :

ـ قد يدهشك أنهم اعتادوا اختراق الجحيم بصدور عارية .

هزّ (آجور) كتفيه ، وقال :

ـ دعهم يفعلون ، وستحرق نيران جحيمنا هذه الصدور العارية ، قبل أن تلتهمهم تمامًا .. أما بالنسبة لك ، فالنتيجة واحدة فى الحالتين ، فلو فشلوا سأعدمك معهم فى أكبر ميادين (أرغوران) ، وسأبث المشهد على كل شاشاتنا ، ليشاهد هذا الشعب الغبى لحظة انتصارنا ، على مقاومته الهشة ومنقذه التافه ، أما لو نجحوا ، فلن يكون أمامى إلا أن أضغط زرًا صغيرًا فى حجرتى ، فتنسحق فى مكانك ، قبل أن يخطو أحدهم خطوة واحدة .

سرت قشعريرة باردة فى جسد (رمزى) ، وبدت واضحة لعين (آجور) ، الذى ابتسم فى سخرية ، وهو يقول :

ـ ستسألنى لماذا أحتفظ بك على قيد الحياة إذن ، ما دمت تنوى القضاء عليك فى الحالتين ؟ أليس كذلك ؟

هزّ (رمزى) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلا .. لن أسألك .. إننى خبير بالطب النفسى .



وصرخ (رمزى) والآلام الرهيبة تكتسح كيانه كله ، وعاد جسده ينهار فى قاع القفص ..

وعملى يتضمن دراسة علم النفس الإجرامى ، ولقد تأكدت الآن من أنه لا يختلف ، من كوكب إلى آخر .. إنك تحتفظ بى ، لأننى مازلت ورقة رابحة ، لا يحسن الاستغناء عنها ، إلا للضرورة القصوى ، وعندما تستنفد الغرض منها تماما .

بدا الضيق على وجه (آجور) ، وكأنما عكر صفوه أن يدرك (رمزى) خبيئة نفسه بهذه الدقة ، وقال فى حنق :

ـ استنتاج رائع ، تستحق من أجله مكافأة سخية .

قالها وضغط جانب القفص فى حركة عنيفة ، وصرخ (رمزى) والآلام الرهيبة تكتسح كيانه كله ، وعاد جسده ينهار فى قاع القفص ، و(آجور) يستطرد فى مقت :

ـ هل راقت لك المكافأة ؟

كان (رمزى) يئن ألما ، عندما اقتحم أحد رجال الحراسة القبو ، وهتف فى لهجة تشف عن خطورة الموقف .

ـ سيدى القائد .. لقد عاد (اكس ـ ١) .

التفت إليه (آجور) فى حركة حادة ، وهو يقول :

ـ ماذا ؟ ما الذى جعل هذا الأحمق يعود إلى هنا ؟

أجابه الحارس :

ـ لست أدرى يا سيدى القائد .. لقد عاد بوجهه الحقيقى ، دون القناع الذى اعتاد الحضور به ، و .. و...

ضاق (آجور) بتردده ، فصاح به :

ـ أفصح يا رجل .. وماذا ؟

قال الحارس فى سرعة ، وكأنه حسم تردده بغتة .

ـ ومعه أسير .

تفجرت دهشة عارمة فى وجه (آجور) ، وهو يقول :

ـ أسير ؟! .. أى فعل أحمق هذا ؟

هز الحارس رأسه ، وقال :

ـ لست أدرى يا سيدى القائد .. إنه يبدو شديد التوتر ، ويطلب مقابلتك على وجه السرعة ، ويقول : إن لديه معلوماتٍ بالغة الخطورة ، والأهمية .

قال (آجور) فى توتر :

ـ هذا أمر طبيعى ، فقدومه على هذا النحو لا يعنى إلا أنه يحمل أخبارا عاجلة للغاية .

ثم تحرك فى خطوات واسعة سريعة ، مستطردا :

ـ سأراه فى مكتبى على الفور .

ولم تمض دقائق ، حتى كان (آجور) فى حجرته ، وعلى الرغم مما أخبره به حارسه ، إلا أنه لم يستطع إخفاء دهشته ، وهو ينقل بصره بين (ترات) ، الذى بدا شديد التوتر ، وبين (هونور) ، الذى أصابه جرح فى كتفه ، وبدا شديد العصبية ، ثم قال فى حدة :

ـ ماذا حدث يا (ترات) ؟

هتف (ترات) :

ـ كشفوا أمرى أيها القائد .. خدعونى ، وصنعوا لى فخا ، كدت ألقى حتفى فيه ، وبعد خروجى من هنا مباشرة ، فوجئت بـ (هونور) ينقض علىّ ، وكاد يفتك بى ، لولا أننى كنت أحمل سلاحا ، دافعت به عن نفسى ، وأصبته بهذا الجرح فى كتفه ، وأمكننى أسره ، والعودة به إلى هنا ، ليبلغك كل ما لديه .

تطلع (آجور) إلى (هونور) ، وهو يقول :

ـ (هونور) ؟! عضو مجلس المقاومة السباعى ؟!.. وكيف كشفوا أمرك ؟! ماذا حدث ؟

لوح (ترات) بذراعيه ، هاتفا فى توتر بالغ :

ـ لست أدرى أيها القائد .. لقد عرفوا أننى الجاسوس ، الذى ينقل أسرارهم منذ زمن ، ومن المؤكد أنهم يسعون جميعا للقضاء علىّ الآن .. أين أذهب ؟.. ماذا أفعل ؟

تجاهل (آجور) سؤالَ (ترات) تماما ، والتفت إلى (هونور) يسأله فى حدة وقسوة :

ـ كيف كشفتم الأمر ؟

زمجر (هونور) ، قبل أن يجيب :

ـ لا يمكنك خداع كل الناس كل الوقت .

صاح به (آجور) :

ـ أنتم تسعون لإنقاذ ذلك الخبير النفسى .. أليس كذلك ؟

قال (هونور) بلهجة استفزازية :

ـ وسننقذه على الرغم منك .

ابتسم (آجور) فى عصبية ، وهو يقول :

ـ هراء .. انتم واهمون تماما .

صاح (ترات) :

ـ لا تقلل من شأنهم يا سيدى القائد .. لقد كشفوا أمرى .

رفع (آجور) عينيه إليه ، وقال فى حدة :

ـ وهذا ما يدهشنى يا (ترات) .

تراجع (ترات) ، قائلا :

ـ يدهشك ؟! .. ولماذا يدهشك يا سيدى القائد ؟

أجابه (آجور) فى توتر مشوب بالشك :

ـ ماداموا قد كشفوا أمرك ، فلماذا تركوك تأتى إلى هنا ؟ لماذا لم يحاولوا التخلص منك قبل هذا ؟

فرد (ترات) راحته أمامه ، وهو يقول :

ـ بسبب هذا .

حدق (آجور) فى ذلك الجسم المستقر فى راحته ، وهتف :

ـ جهاز تصنت ؟! .. كنت أظن أننا دمرنا كل هذه الأشياء ، منذ احتلالنا لـ (أرغوران) .

قال (هونور) فى سخرية .

ـ أنتم تظنون أشياء كثيرة ، و ...

قبل أن يتمّ عبارته ، هوى أحد الحارسين المصاحبين للقائد على ظهره بسلاحه قائلا فى قسوة :

ـ لا تتحدث مع القائد هكذا .

استدار إليه (هونور) فى حدة ، وقال :

ـ ستدفع ثمن هذه الضربة غاليًا .

هوى الحارس الآخر على ظهره بضربة مماثلة ، قائلا فى غلظة :

ـ أضف هذه إلى الحساب إذن .

وصاح (آجور) :

ـ كفى .. إننى أكره هذه التفاهات .. إننا لن نقتل هذا الأسير الآن ، قبل أن نستجوبه ، وننتزع منه كل المعلومات ، التى نرغب فى معرفتها ، عن زملائه فى المقاومة .

قال (هونور) ساخرًا .

ــ المعلومات ؟! .. أية معلومات يا رجل ؟! .. إنك لن تحصل منى على حرف واحد .. لن تجد الوقت لهذا ؛ فالزملاء سيقتحمون المكان بين لحظة وأخرى ، ويحررونني مع الخبير النفسى ، القادم من (سيتا ــ ٣) .

هزّ (آجور) رأسه نفيًا ، وقال :

ــ أخطأت أيها الأرغورانى ، لو أن هذا هو أملك فى النجاة ، فقد أعددت كل شىء لمنعهم من استعادة خبيرهم النفسى هذا ، مهما كانت الظروف .

قال (هونور) بتهكم استفزازى :

ــ وماذا لو أنهم استعادوه بالفعل ؟

أجابه (آجور) متحديًا :

ــ لن يفعلوا حتى ولو اقتحموا القصر الإمبراطورى بالفعل ، فبضغطة واحدة على ذلك الزر الأحمر هناك ، ينسحق خبيرهم النفسى على الفور .

قالها وهو يشير إلى زر أحمر صغير ، فى نهاية مكتبه ، وأدهشه أن انتقل بصر (هونور) و (ترات) إلى الزر فى لهفة ، ثم لم تلبث دهشته هذه أن استحالت إلى ذهول ، عندما قال (ترات) فى ارتياح عجيب :

ــ حمدًا لله .. هذا ما أردنا معرفته .

ولم يستغرق ذهوله هذا سوى لحظة واحدة .. ولكنها كانت أضخم لحظة فى حياته كلها ..

لقد نطق (ترات) عبارته ، وقبل أن يتمّها ، كان (هونور) قد دار على عقبيه فى سرعة البرق ، وحطّم فك الحارس الذى يقف خلفه مباشرة بلكمة ساحقة ، وهو يهتف :

ــ أرأيت أنك ستدفع الثمن ؟

تحرك الحارس الثانى فى سرعة ، محاولاً إطلاق سلاحه ، ولكن (ترات) قبض على معصمه ، ولكمه فى معدته بكل قوته ، قائلاً :

ــ مهلاً يا رجل .. لا يمكننى السماح لك بفعلها .

ثم وثب يركل الحارس فى أنفه مباشرة ، ويطيح به فى عنف ، مستطردًا :

ــ فهذا الأسير صديقى .

انتزع (آجور) نفسه من ذهوله ، مع العبارة الأخيرة ، وصاح وهو يندفع نحو الزر الأحمر ، فى نهاية مكتبه :

ــ خيانة .. اقتلوا الأسير .

لم تكن المسافة ، التى تفصله عن الزر الأحمر ،

تزيد على متر ونصف المتر ، ولقد قطعها بوثبة واحدة ، وكادت سبابته تعتصر الزر بالفعل ، لولا أن قفز (ترات) قفزة مدهشة ، بدت كصورة نموذجية للخفة والمرونة ، وأمسك معصمه فى قوة ، ليمنع يده من الاندفاع نحو الزر ، وهو يقول فى صرامة :

— لا أيها الجلوريالى .. لن تفعلها وأنا على قيد الحياة .

استدار إليه (أجور) فى ذهول ، فقد نطق العبارة بصوت (ترات) ، ولكن بلغة عربية ، ولهجة مصرية خالصة ، يعرفها القائد الجلوريالى من التسجيلات ، التى عادت بها حملة غزو الأرض الفاشلة ..

وفى اللحظة التالية ، كان (ترات) ينزع عن وجهه قناعا مطاطيا شديد الإتقان ، ليظهر من خلفه وجه بشرى حازم قوى ..

وجه المنقذ الأسطورى ..

وجه (نور) .

* * *

٥ — خطوات عصيبة ..

فركت (سلوى) كفيها فى عصبية ، وتطلعت فى توتر إلى شاشة الرصد الكبيرة ، داخل المقر السرى الجديد للمقاومة ، وهى تقول :

— ترى ماذا حدث ؟ .. كل شىء يبدو هادئا من الخارج ، بعد دخول (نور) و (هونور) إلى القصر .

قال (محمود) ، وهو يتشاغل بمعاونة (مشيرة) ، فى تركيب أجهزة البث الحديثة :

— إنهم يحتاجون إلى بعض الوقت لتنفيذ الخطة ، هذا لو ..

بتر عبارته ، وابتلع بقيتها مع توتره ، ولكن (نشوى) اندفعت تقول :

— لو أنهم محظوظون .

غمغمت (سلوى) :

— إننى أفضل هذه التكملة ، فهى تحمل شيئا من التفاؤل .

توقفت (مشيرة) عن العمل فى أجهزة البث ، ورفعت رأسها إليهم ، متسائلة :

— هل تتوقعون أن ينجح (نور) ؟

أجابها (محمود) على الفور ؟

— هذا فى علم الله (سبحانه وتعالى) .

هزت رأسها ، قائلة :

— لست أقصد نجاحه فى المهمة ككل ، وإنما أقصد نجاحه فى إيهامهم بأنه (ترات) .

التقطت (سلوى) نفسًا عميقًا ، فى محاولة لتهدئة انفعالها ، قبل أن تقول :

— لو أردت رأيًا علميًا ، فالمفروض أن ينجح فى هذا ، فالزى التنكرى الذى يرتديه مصنوع بدقة مدهشة ، بوساطة الآلات التى تركها (بودان) ، وهو يماثل جسد (ترات) من الناحية التشريحية الخارجية ، ومزوّد بآلات دقيقة ، تجعل قياساته كلها تتشابه مع قياسات (ترات) ، فى حالة الفحص بالأجهزة الحديثة ، وحتى القناع يماثل وجه (ترات) تمامًا ، ولقد طبعنا بصمة قزحية على العدسة اللاصقة ، التى تخفى عين (نور) ، بوساطة طابعات الليزر البالغة الدقة .

سألتها (مشيرة) :

— وماذا عن الصوت ؟

هزت (سلوى) كتفيها ، وقالت :

— لم يكن هذا عسيرًا بالنسبة لى ، كخبيرة صوتيات محترفة ، فقد زوّدت القناع بمغيّر ذبذبة خاص ، سيحوّل نبرات صوت (نور) إلى نبرات مماثلة تمامًا لصوت (ترات) ، طبقًا للشرائط الصوتية ، المسجّلة لدينا لهذا الأخير .

ثم التقطت نفسًا عميقًا آخر ، قبل أن تضيف فى حسم :

— باختصار .. لو أنهم أجروا كل فحوصهم التقليدية على (نور) ، وهو يدخل إلى القصر ، لأتت النتائج كلها إيجابية ، ومطابقة تمامًا للمختزن لديهم عن (ترات) .

أومأت (مشيرة) برأسها متفهّمة ، وغمغمت :

— هذا أفضل استغلال للخائن .

ثم ارتجف صوتها ، وهى تستطرد :

— ولكن هذا لا يعنى أن مهمة (نور) سهلة أو بسيطة ، فبعد نجاحه فى دخول القصر الإمبراطورى ، سيكون كمن اقتحم عرين الأسد ، على أمل تقليم مخالبه ، وانتزاع أنيابه .

قال (محمود) :

ـ لن يكون وحده هناك ، فمعه (هونور) ، وهناك جيش كامل من رجال المقاومة يحيط بالقصر ، ويختفى حوله ، فى انتظار إشارة واحدة من (نور) ، لينقض على المكان فى لحظة .

بدت (نشوى) أكثرهم توترا ، وهى تقول :

ـ هذا لو نجح أبى فى تدمير عيون الحراسة .

وترقرقت فى عينيها دمعة عصبية ، قبل أن تستطرد :

ـ وأنتم تعلمون جميعا أن السبيل الوحيد لبلوغ الزر ، الذى يطلق إشارة التدمير الذاتية ، هو الوصول إلى أكثر المناطق خطورة ، فى القصر الإمبراطورى كله ..

وارتجف صوتها فى شدة ، مع إضافتها :

ـ إلى العرش .. عرش امبراطور (جلوريال) .

قالتها ، فران على المكان صمت عميق .. ورهيب ..

* * *

لم يكن من السهل أبدا أن ينتزع (آجور) نفسه من ذهوله ، وهو يحدق فى وجه (نور) ، داخل حجرته الخاصة ، فى القصر الإمبراطورى ..

إنه لم يكن يتوقَّع مثل هذه المفاجأة قط ..

ولا يمكنه أن يتوقَّعها ..

لقد افترض أن رجال المقاومة سيشنون هجومًا مسلحًا على القصر الإمبراطورى ، فى محاولة لإنقاذ (رمزى) ، وأنه سينجح فى صد هجومهم ، ومباغتتهم بحصار قوى ، يوقع بعض قادتهم فى قبضته ، ومع المعلومات التى ينتزعها منهم ، يمكنه الوصول إلى مقر (نور) ..

افترض الكثير والكثير من الأشياء ، وحاول أن يستنتج الضربات غير المتوقَّعة ، التى يمكن أن يقوم بها (نور) ، ولكنه لم يتصوَّر أبدًا أن تبلغ شجاعة ذلك المنقذ الأسطورى هذا الحد الخرافى ، فيهاجمه بنفسه داخل القصر ، بفريق يمثل هو نصفه ..

ومع ابتسامة (نور) الساخرة ، استحال كل ذهول (آجور) إلى فيض من الغضب ، جعله يقول فى عصبية شديدة :

ـ هل تتصوَّر أن هذا سينجح ؟

هزَّ (نور) كتفيه ، وهو يقول :

ـ لقد نجح بالفعل .. إننا نعلم أين نجد (رمزى) ، وكيف نشق طريقنا إليه ، ولكننا كنا نجهل أين تحتفظ

بالزر الخاص ، الذى يمكنه سحق (رمزى) ، قبل أن نصل إليه .

قال (آجور) فى غضب :

ـ وهل تعتقد أنك تستطيع الوصول إليه ؟.. أحمق أنت ، لو تصورت هذا ؛ فالطريق من هنا إلى القبو يمر عبر خمسة أبواب رئيسية ، يقوم جنديان مسلحان بحراسة كل منها ، وهم ضمن جنود الفرقة الخاصة ، الذين تلقوا تدريبات مكثفة ، تجعل الواحد منهم يعادل فرقة كاملة .

أمسك (هونور) ذراعه فى قسوة ، وهو يقول :

ـ وهل تعلم كم يساوى الواحد منا ؟

قال (آجور) فى غضب :

ـ ستختبر هذا بنفسك ، عندما تواجه رجالى .

أزاح (نور) يد (هونور) عن ذراع (آجور) ، وهو يقول :

ـ رجالك لا يمثلون مشكلة يا قائد الفرسان !

قال (آجور) فى سخرية غاضبة :

ـ هذا ما تظنه أيها المنقذ .. رجال الفرقة الخاصة أشبه بالوحوش ، وسيمزقونك إربًا ، لو أنك فقط حاولت أن ..

قاطعه (نور) فى هدوء :

ـ هذا لو أننى ذهبت وحدى .

حدق (آجور) فى وجهه ، وقال فى توتر :

ـ ماذا تعنى ؟

انتزع (نور) من جيبه محقنًا صغيرًا ، وهو يقول :

ـ أعنى أن الخطة لم تنته بعد .

اتسعت عينا (آجور) فى ذعر ، وخيّل إليه أنه قد فهم خطة (نور) ، فتراجع هاتفًا :

ـ اللعنة !

ثم اندفع بغتة إلى الأمام ، ووثب محاولاً ضغط الزر الأحمر ، وهو يهتف غاضبًا :

ـ لن تجد الوقت لتفعل هذا .

ولكن (نور) أوقفه بلكمة قوية ، انتزعته من مكانه ، وقذفته مترين إلى الخلف ، وعندما حاول النهوض لتكرار المحاولة ، فوجئ بـ (نور) أمامه ، يقول فى هدوء :

ـ لا تكابر يا هذا .. لقد خسرت .

ثم غرس المحقن الصغير فى ذراعه ، وحقنه بكل ما يحويه ..

وهتف (آجور) فى غضب :



ــ لا تكابر يا هذا .. لقد خسرت .

ثم غرس المحقن الصغير في ذراعه ، وحقنه بكل ما يحويه ..

ــ اللعنة !.. اللعنة !.. إنه الـ (س - و - د - ٣) .. أليس كذلك ؟

أومأ (نور) برأسه إيجاباً وهو يقول :

ــ نعم .. نفس العقار ، الذى تستخدمونه مع أسراكم .. وأنت تعلم نتائجه جيداً .. ستفقد إرادتك تماماً ، وتطيع كل ما نأمرك به .

حاول (أجور) أن يسيطر على ذلك الضباب ، الذى يسبح فى عقله ، ويسيطر على إرادته ، وهو يقول فى حنق :

ــ إننى أفضل الموت .

هزّ (نور) كتفيه ، وابتسم وهو يقول :

ــ ليس كل ما يتمناه المرء يدركه .

وقبل أن يتمّ عبارته ، كان قائد فرسان (جلوريال) قد فقد إرادته تماماً ، وصار عجينة طرية فى قبضته ، يمكنه تشكيلها كما يشاء .

وفى شك عصبى ، قال (هونور) :

ــ هل تعتقد أن هذا سينجح ؟

غمغم (نور) ، وهو يعيد قناع (ترات) إلى وجهه :

ــ أتعشم هذا ..

ثم واجه (أجور) ، قائلاً :

— أنت تسمعنى جيدا الآن ، وستنفذ كل ما آمرك بـه .. أليس كذلك !

أجابه (آجور) فى اقتضاب ، وفى آلية تامة :

— بلى .

مطّ (هونور) شفتيه ، وهو يزمجر قائلا :

— يلوح لى أنه يخدعنا .

قال (نور) فى هدوء :

— اطمئن .. نتائج عقار (س . و ـ ٣٠٠) مباشرة وسريعة ، كما تقول تقارير جواسيسكم .

قال (هونور) فى حدة :

— لست أثق بتقارير الجواسيس .

هزّ (نور) كتفيه ثانية ، وقال :

— ليس أمامنا سواها .

ثم التفت إلى (آجور) ، مستطردا بلهجة آمرة :

— هيا أيها الجلوريالى .. قدنا إلى زميلنا .

قال (آجور) بلهجته الآلية :

— سمعا وطاعة .

وتحرك نحو الباب فى خطوات منتظمة ، فى حين قال (نور) لـ (هونور) :

— هيا .. سنتبعه وكأننى (اكس ـ ١) ، وأنت أسيرى ، كما دخلنا إلى هنا .

مطّ (هونور) شفتيه ، وقال :

— هل يمكنني حمل سلاح أحد الحارسين ؟

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

— كلا ، فالأسرى لا يحملون أية أسلحة .. لا تنس هذا .

غادر (آجور) المكان وهما خلفه ، يقطعان ممرات القصر الإمبراطورى فى بطء وحذر ، حتى وصلا إلى أحد الأبواب الخمسة ،التى أشار إليها (آجور) ، فاعتدل حارسا الباب فى حركة عسكرية ، ورفعا ذراعيهما هاتفين .

— المجد لـ (جلوريال) .

أشار (آجور) بيده ، قائلاً :

— افتحا الباب .

فتح الرجلان الباب على الفور ، فعبره (آجور) مرفوع الرأس ، واستعد (نور) و (هونور) للعبور خلفه ، إلا أنه استدار بغتة ، وصاح فى الحارسين :

— ألقيا القبض عليهما .. إنهما جاسوسان .

تسمّر (نور) فى مكانه ، وصاح (هونور) غاضبًا :

— كنت أعلم هذا .. كنت أعلم أنه يخدعنا .

والحقيقة أنها لم تكن مجرد خدعة ..

لقد كانت مفاجأة ..

مفاجأة مذهلة ..

* * *

تململ (أكرم) فى توتر شديد ، وهو يلقى نظرة على ساعته ، قائلاً لـ (ديجنتى) :

ـ الوقت يمضى فى بطء شديد .. متى تنطلق إشارة البدء ؟

قال (ديجنتى) فى ضيق :

ـ عليك أن تتحلى بالصبر يا رجل (سيتا ـ ٣) ، وإلا خسرت كل شىء ، فالحماس وحده لا يكفى لتربح معاركك .

قال (أكرم) فى سخرية عصبية :

ـ بالطبع ، لذا فأنا أحمل هذا دائمًا .

قالها وهو يرفع مسدسه الآلى أمام وجهه ، فمط (ديجنتى) شفتيه ، وقال :

ـ لست أفهم طبيعة أسلحتكم هذه ، ولكنها تبدو لى بدائية للغاية ، حتى أننى أتساءل : كيف ربحتم معرككم مع (جلوريال) ؟!

أشار (أكرم) إلى رأسه ، وقال :

ـ لأننا استطعنا استخدام هذا .. هل تعرفه ؟! .. اسمه العقل .

رمقه (ديجنتى) بنظرة باردة ، ثم أشاح بوجهه ، قائلاً :

ـ أتمنى رؤيتك تستخدمه .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يقول فى غضب :

ـ ما الذى تقصده يا هذا ؟

أجابه (ديجنتى) فى حزم :

ـ لا شىء .. لا شىء يا رجل (سيتا ـ ٣) .. إننى فقط أحاول أن أبلغك أننا نعمل معًا ، ضد العدو نفسه ، وأننا لم نجبرك على الحضور إلى كوكبنا ، وإنما أتيت بمحض إرادتك ، فإما أن تقاتل معنا ، أو تنسحب فى صمت ، ولا يوجد أى مبرر لتقاتل ضدنا ، بهذه الروح العصبية العنيفة ، حتى ولو كنت تجلس فعليًا بين صفوفنا ..

تطلّع إليه (أكرم) فى حدة ، وبدا لحظة وكأنه سينفجر فى وجهه ، إلا أنه لم يلبث أن قال فى توتر :

ـ أنت على حق .. ربما كنت عصبيًا أكثر مما ينبغى ، ولكننى أشعر بقلق شديد على (نور) ، وهو داخل القصر الإمبراطورى وحده .

قال (ديجنتى) :

ـ ليس وحده .. معه (هونور) .

لوّح (أكرم) بذراعه ، وقال :

ـ فليكن .. إنهما رجلان فحسب ، ضد كل طاقم حراسة القصر ، وهو يزيد على مائتى رجل ـ كما ورد فى تقاريركم ـ فى نفس الوقت الذى نجلس فيه نحن ، على بعد مائة متر من القصر ، نتطلع إلى عيون الحراسة فى صمت ، دون أن نفعل شيئًا .

قال (ديجنتى) فى ضيق :

ـ المفروض أن ننتظر إشارة المنقذ ، فإما أن ننقض على القصر ، بعد نسف عيون الحراسة ، أو ننسحب لفشل الخطة .

هتف (أكرم) :

ـ ونترك (نور) و (رمزى) ؟! .. لا يا رجل .. لن أنسحب من هنا بدونهما قط .. إننى أفضل الموت معهما .

قال (ديجنتى) فى حدة :

ـ لن يكون هذا عسيرًا ، فما إن تخطو خطوة واحدة ، بعيدًا عن هذه الأطلال ، التى نختبئ فيها ، حتى تنقض عليك عيون الحراسة ، وتسحقك سحقًا .

قال (أكرم) فى غضب :

ـ يالسخافة !.. لو أن الأمر بيدى ، لأطلقت النار على كل عين من عيون الحراسة هذه ، ولـ ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وقد قفزت إلى ذهنه فكرة مدهشة ..

مدهشة بحق ..

* * *

كانت المفاجأة مذهلة بحق داخل القصر ، عندما استعاد (آجور) سيطرته على نفسه فى تلك اللحظة ، وأمر حارسيه بإلقاء القبض على (نور) و (هونور) ..

ولقد أطاعه الحارسان على الفور ، وارتفع سلاحاهما فى وجهى بطلينا ، فى حين أطلق (آجور) ضحكة ساخرة شامتة عالية ، وهو يقول :

ـ لم أتصور أبدًا أن الأمر سيكون بهذه السهولة .. لقد سقط المنقذ الأسطورى فى قبضتى كأى غرّ ساذج .

صاح (هونور) فى (نور) غاضبًا :

ـ إنه على حق .. كان ينبغى أن تدرك أنه يخدعنا .

هزّ (نور) رأسه فى حزم ، وهو يقول :

ـ كلا .. لم يكن يخدعنا .

هتف (هونور) :

ـ ماذا تقول ؟!.. ألا تراه يسخر منا أمامك ؟

رفع (آجور) سبابته ، وهو يقول :

— أخطأت أيها الأرغوراني .. المنقذ القادم من (سيتا ـ ٣) على حق .. لم أكن أخدعكما بالفعل في البداية ، فلقد سيطر عقار (س . و ـ ٣٠٠) على إرادتي بالفعل ، وكان المفروض أن يمتد تأثيره لفترة طويلة ، لولا أنني أتناول باستمرار العقار المضاد لتأثيره ، والذي يقصر فاعليته على دقائق معدودة ، يزول بعدها أثره تماما .

بدا (نور) متماسكا ، وهو يقول :

— أعترف بأنني لم أكن أتوقع هذا .

قهقه (أجور) مرة أخرى شامتا وساخرا ، ثم قال :

— هذا لأن ذكاءك لن يبلغ قط مقدار عبقريتي الحربية أيها المنقذ .. أنا مقاتل منذ طفولتي ، وأقود فرسان (جلوريال) منذ سنوات . كما أنني تلقيت تدريباتي كلها على يد أعظم قادتنا ، الفارس (كوماد) .. الذي لقي مصرعه على كوكبكم (*) .

وأطل من عينيه مقت رهيب ، وهو يستطرد :

— ولقد منحني القدر فرصة الانتقام له ..

أدهشه أن قال (نور) في هدوء عجيب :

(*) راجع قصة (النصر) .. المغامرة رقم ٨٠.

— ستأمر رجالك بقتلي إذن .

هزّ (أجور) رأسه نفيا ، وقال :

— ليس بهذه السهولة .. إنني أعدّ لك برنامجا أفضل ؛ فلابد أن يدرك شعب (أرغوران) أولا أن منقذه الأسطوري لم يعد يساوي شيئا ، ثم يراك تلقى مصرعك على أيدينا .

ثم ضغط زر جهاز اتصال خاص في الجدار ، وهو يستطرد :

— ولكن ذكر القتل لن يمضي دون أن نحتفي به .. ستشاهد عملية قتل مباشرة ، ونظيفة .

ومال نحو جهاز الاتصال ، قائلا :

— هنا القائد (أجور) .. كلمة السر (رائحة المجد) .. اقتلوا أسير القبو الآن .. وأنهى الاتصال ، وهو يتطلع إلى وجه (نور) المحتقن ، ثم أطلق ضحكة أخرى ..

ضحكة تموج بالشماتة ..

وبالظفر .

* * *

٦ ــ الهجوم ..

برقت عينا الضابط الجلوريالى فى ظفر ، وهو يراجع أجهزة إطلاق الصواريخ ، فى القاعدة الفضائية ، قبل أن يقول :

ــ عظيم .. كل شىء هنا على ما يرام ، ولكن كم تبلغ نسبة الخطأ ، فى إصابة هدف فضائى ؟

أجابه قائد الدفاع الفضائى :

ــ فى الظروف العادية ، تبلغ نسبة الخطأ خمسة فى المائة تقريبًا ، ولكن دراسات الكمبيوتر التى أحضرتها ، تخفض نسبة الخطأ إلى ثلاثة فى المائة فحسب .

سأله الضابط فى لهفة :

ــ أيعنى هذا أننا نستطيع إصابة (أرغوريا) من هنا ؟

أومأ قائد الدفاع الفضائى برأسه ، وقال :

ــ يمكننى أن أضمن هذا ، لو أننا أطلقنا خمس قذائف نووية دفعة واحدة ، فبهذا تنخفض نسبة الخطأ إلى صفر فى المائة .

هتف الضابط فى حماس :

ــ عظيم .. عظيم .. دعنا نبدأ إذن يا رجل .

تردد قائد الدفاع الفضائى بضع لحظات ، ثم قال :

ــ مهلاً أيها الضابط .. إنك تطالبنى باستخدام القذائف النووية ، ضد هدف فضائى مجهول ، يتم رصده وتحديد موقعه لنصف الثانية فحسب ، وهذا يحتاج إلى أمر مباشر ، وتصريح رسمى مضمون .

قال الضابط فى حدّة :

ــ أنا أمنحك هذا التصريح .

تردّد الجلوريالى مرة أخرى ، ثم قال :

ــ أفضّل الحصول على تصريح من الإمبراطور .. أو حتى من قائد الفرسان .

بدا الغضب على وجه الضابط ، وهو يقول :

ــ ولكننى أملك سلطة منحك هذا التصريح يا رجل .. بل أنا المسئول الأول عن رصد ومقاومة أى خطر فضائى ، وأنت تعلم هذا .

لوّح قائد الدفاع الفضائى بذراعه ، وهو يقول :

ــ نعم .. أعلم هذا ، ولكننى أتساءل : لماذا ترفض الحصول على تصريح من قائد الفرسان ؟

صاح الضابط فى وجهه :

ــ ومن تظنه يعترض على تدمير السفينة الإمبراطورية الأرغورانية ، التى تسبح كوحش خفىّ فى مجالنا الفضائى ؟

ثم أطلّ في عينيه بنظرة مخيفة ، مستطردًا :

ـ أم أنك تميل إلى الأرغوراتيين ؟!

تراجع الرجل هاتفًا :

ـ أنا ؟

تقدّم الضابط نحوه ، وهو يقول في صرامة :

ـ نعم .. كيف لم أنتبه إلى هذا من قبل ؟! أي جلوريالي مخلص في موقعك ، لم يكن ليتردّد في تدمير (أرغوريا) ، حتى يحرم الأرغوراتيين من أحد مصادر قوتهم ، بل من أضخم هذه المصادر .

هتف الرجل :

ـ ومن قال إنني أرفض هذا ؟

ثم انقضّ على جهاز الاتصال الداخلي ، وهو يهتف برجاله :

ـ استعدوا بخمس قذائف فضائية .. سننسف هدفًا أرغوراتيًا .

والتفت إلى الضابط ، محاولاً الابتسام في توتر ، وهو يستطرد :

ـ أرأيت أيها الضابط .. أنا جلوريالي مخلص .

اعتدل الضابط ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة ماكرة ، وهو يقول :

ـ بالطبع يا رجل .. بالطبع .. كلنا نحمل كل الإخلاص لوطننا (جلوريال) .

قالها وهو يسرح بأفكاره بعيدًا ، ويحلم بالمكافأة الضخمة ، التي سيحصل عليها من الإمبراطور ، عندما ينجح في تدمير السلاح الأرغوراتي الأخير .. (أرغوريا) ..

* * *

لم يشعر (نور) في حياته كلها بمثل هذا الغضب ، الذي ملأ كيانه كله ، عندما أصدر (آجور) أمره بقتل (رمزي) ، فانتزع قناع (ترات) عن وجهه ، وألقاه أرضًا ، وهو يقول :

ـ هل تعلم يا قائد فرسان (جلوريال) ؟.. أنا لم أر في حياتي كلها من هو أكثر حقارة منك .

رمقه (آجور) بنظرة ساخرة ، وقال :

ـ غضبك يبدو واضحًا في لهجتك أيها المنقذ الأسطوري ، ولكن ما الذي يمكنك أن تفعله ؟

قال (نور) في صرامة .

ـ لن أجعلك تدفع ثمن حقارتك غاليًا .

ضحك (آجور) في سخرية ، وهو يقول :

ـ ماذا أصابك أيها العبقري المنقذ ؟.. يبدو أنك

نسيت تمامًا وضعك الآن ، أو تعاميت عنه بكل حماقة .

ثم مال نحوه ، مستطردًا في تهكم :

ــ هيا .. افتح عينيك أيها المنقذ الأسطورى ، وسترى أنك الآن أسير فى قبضتنا ، وأنك لن تغادر هذا القصر حيًا أبدًا .

قال (نور) فى حزم :

ــ كلنا لن نفعل يا قائد الفرسان ، بل ولن يكون هناك وجود للقصر الإمبراطورى ، بكل ما فيه ومن فيه ، عندما تنطلق نحوى طلقة واحدة .

بدا التساؤل على وجه (هونور) ، فى حين تراجع (آجور) فى قلق ، وقال :

ــ ماالذى يعنيه هذا بالضبط ؟ .. أهى خدعة أخرى ؟

أجابه (نور) فى صرامة :

ــ بل هى خطة احتياطية أيها الجلوريالى ، المفروض أن يتم تنفيذها فى حالة الخطر ، وكل المطلوب منى هو أن أفعل هذا .

وضغط زرًا فى حزامه ، ثم استطرد :

ــ والآن الزى الأرغورانى التنكرى ، الذى أرتديه ، عبارة عن قنبلة نووية كبيرة ، تحتاج فقط لطلقة إشعاعية واحدة كفتيل تفجير ، ثم تحيل القصر كله ، فى لحظات ، إلى كومة من الرماد ، دون أدنى أثر للحياة .

ظهر الذعر على وجهى الحارسين ، فى حين هتف (آجور) فى توتر بالغ :

ــ لا .. إنها خدعة .. أكاد أقسم إنها كذلك .

تقدّم (نور) نحوه ، وهو يقول :

ــ هل ترغب فى إجراء تجربة اختبارية ؟.. هيا .. دع حارسيك يطلقان أشعتهما نحوى ، وسينتهى الأمر كله ، قبل أن تدرك حتى ما حدث .

ومع تحركه ، حجب (نور) بجسده (هونور) عن الحارسين ، ولكنه لم يكد ينحرف جانبًا ، حتى برز هذا الأخير من خلفه ، وهو ينقضّ على الحارسين ، هاتفًا :

ــ أحسنت اللعبة أيها المنقذ .

وفى اللحظة نفسها ، تحرك (نور) أيضًا ، وأمسك معصم أحد الحارسين ، ليُبعد سلاحه عنه ، ثم وثب بركله فى فكه ، هاتفًا :

ــ يسعدنى أن فهمتها يا صديقى .

كان الحارسان قويان بالفعل ، ولكن ذلك المزيج من التوتر والمفاجأة زلزل كيانهما ، فسقط أحدهما أرضًا ، إثر ركلة (نور) ، فى حين هوى (هونور) بقبضته على فك الثانى ، بكل ما يملك من قوة ، هاتفًا :

ــ اسمح لى باستعارة سلاحك أيها الوغد .

احتمل الرجل اللكمة ، وأبعد سلاحه فى مهارة ، ولكن (هونور) قفز يتشبث بالسلاح ، وهو يقول :

ــ لا أيها الوغد .. أنا أصرّ .

وفى نفس اللحظة ، كان الحارس الثانى قد هبّ واقفًا ، وصوّب سلاحه إلى (نور) ، صارخًا :

ــ للأسف أيها المنقذ الأسطورى .. لقد اخترت الموت العاجل .

صاح (آجور) :

ــ اقتله يا رجل .. اقتله بلا تردد .

ولكن (نور) قفز جانبًا ، وتفادى طلقة الأشعة الموجّهة إليه ، ثم انقضّ على الحارس ، هاتفًا :

ــ فشلت محاولتك يا هذا ، وحان دورى .

كان (آجور) يثق كثيرًا بقوة رجال الفرقة الخاصة ، ولكن متابعته للقتال الشرس ، الذى يدور بين رجلين و (نور) و (هونور) ، زعزعت الكثير من ثقته هذه ، فتراجع فى توتر بالغ ، حتى رأى (هونور) يسيطر على خصمه ، وينتزع منه سلاحه ، ثم يهوى به على فكه ، قائلاً :

ــ خسرت يا رجل .

وتحرك نحو (نور) ، الذى أسقط خصمه بالفعل ،

فتراجع (آجور) أكثر وأكثر ، ثم انطلق يعدو مبتعدًا ، وهو يصرخ :

ــ منقذ (سيتا ــ ٣) داخل القصر .. استنفار عام .. أريده حيًا أو ميتًا .

حاول (هونور) أن يندفع نحوه ، وهو يلتقط سلاح أحد الحارسين ، هاتفًا :

ــ أيها الوغد الحقير .

التقط (نور) سلاح الحارس الثانى ، ولحق به بسرعة ، قائلا :

ــ لا تقتله .. لست أحب إراقة الدماء :

ومع آخر حروف كلماته ، وثب (آجور) عبر باب مفتوح ، وأغلقه خلفه فى إحكام ، ولم يكد يفعل ، حتى انفتح باب آخر ، فى مواجهة (نور) و (هونور) ، وبرز عبره ستة من رجال الفرقة الخاصة ، فصاح (هونور) :

ــ سبق السيف العذل أيها المنقذ .. سنريق دماءهم ، أو تراق دماؤنا .

وأطلق أشعة سلاحه ، فى نفس الوقت الذى أطلق فيه الحراس أشعة أسلحتهم ، فجذبه (نور) جانبًا ، لينقذه من أشعتهم القاتلة ، ثم دفعه ليستترا خلف حاجز جنبى وهو يقول فى حزم :



فتراجع (آجور) أكثر وأكثر ، ثم انطلق يعدو مبتعدًا ، وهو يصرخ :
— منقذ (سيجا — ٣) داخل القصر ..

— يبدو أننى مضطر لموافقتك هذه المرة ، فالموقف يحتم علينا القتال حتى آخر رمق .

سأله (هونور) ، وهما يتبادلان إطلاق النار ، مع رجال الفرقة الخاصة :

— ولكن ماذا عن ذلك الزر ، الذى ضغطته فى حزامك ؟.. أنا أعلم أن قصة القنبلة النووية فى الزى غير حقيقية ، ولكن الزر كان حقيقيًا .. أليس كذلك ؟

أجابه (نور) فى اقتضاب :

— بلى .

سأله (هونور) ، وأشعة سلاحه تصيب أحد رجال الفرقة الخاصة :

— وما طبيعة الإشارة التى أطلقها ؟

صمت (نور) بضع لحظات ، وهو يطلق أشعة سلاحه على الجلوريالبين ، ثم أجاب فى حزم ، لا يخلو من رنة أسى :

— إشارة الانسحاب .

وعاد يقاتل بلا إضافة ..

وبلا أمل .

* * *

جاء وقع إشارة الانسحاب كالصاعقة على (ديجنتى) و (أكرم) ، وامتقع وجه الأخير فى شدة ، وهو يقول :
ـ الانسحاب ؟! .. مستحيل !
كاد (ديجنتى) ينتزع أصابعه من كفه ، وهو يقول فى مرارة :
ـ هذا ما كنت أخشاه .. لقد ضحى المنقذ الأسطورى بحياته دون طائل .
أمسكه (أكرم) من كتفيه ، وهو يقول فى عصبية :
ـ إنه لم يفقد حياتـه بعد .. لقد أطلـق إشـارة الانسحاب ، وهذا يعنى أنه ما يزال على قيد الحياة .
قال (ديجنتى) فى أسى :
ـ وبمَ يفيد هذا .. إنـه وحده مع (هونـور) فـى الداخل ، ونحن هنا فى الخارج ، تفصلنا عنهمـا جدران القصر ، ومئات من عيون الحراسة .
هزه (أكرم) فى قوة ، وهو يهتف :
ـ لا تجعل عيون الحراسة هذه تخيفكم .. لقد ارتجفتم منها طيلة عمركم ، دون أن تفكـروا فـى أن القضـاء عليها ليس مستحيلاً .
قال (ديجنتى) فى حدة :
ـ وما الذى تتوقع أن نفعله ، فى مواجهة ما يقرب من ألف عين حارسة ؟

أجابه (أكرم) فى حدة أكبر :
ـ أن نطلق النار عليها ، وننسفها قبل أن تنسفنا .
حدّق (ديجنتى) فى وجهه ، قائلاً فى دهشة :
ـ ننسفها ؟! يبدو أنك لا تفهم ما نواجهه بالضبط .
صاح به (أكرم) :
ـ بل أنتم الذين تجهلون قوتكم الحقيقية .
ثم لوّح بكفيه فى توتر بالغ ، وهو يتابع :
ـ لقد فكرت فى الأمر جيداً ، ووجدت أن الحل بسيط ، إلى درجة أدهشتنى معها كيف أن أحداً لم يفعلها من قبل .. إننـا نواجـه ألـف عين مـن عيـون الحراسـة تقريبـًا ، ولكننا نزيد على أربعمـائـة شـخص ، ونحيط بالقصـر الامبراطـورى كله .. أنت وفرقتـك وأنا من الشـرق ، و (نوفسا) تقود فرقتها وفرقـة (هونور) فى الغرب ، و (آرون) يقود فرقته من الشـمال ويعاونـه (كـالوا) وفرقته ، و (ريستا) على رأس فرقتها وفرقة (ترات) فـى الجنـوب .. ولـو اتفقنـا كلنـا علـى خطـة واحـدة ، وأطلقنا النار على كل عيون الحراسة فى نفس اللحظة ، يمكننـا أن ننسـف نصفهـا مـع الضربـة الأولـى ، ثـم نهـاجم النصـف الآخـر ، مـع هجـوم مكثـف ، ونظـرًا لأننا نملك زمام المبادرة ، ونتميز بعامل المفاجأة ، أراهن أننا سنبيد معظم النصف المتبقى .

استمع إليه (ديجنتى) فى اهتمام ، قبل أن يقول :

ـ ولكن سيكون علينا عندئذ أن نواجه طاقم حراسة القصر ، بالإضافة إلى كل ما تبقى من عيون الحراسة .

أجابه (أكرم) فى حماس :

ـ أعطنى عندئذ فرقة انتحارية ، من عشرة أشخاص فحسب ، وسنقتحم القصر من أضعف نقاطه ، ونحاول مهاجمتهم من الداخل .

قال (ديجنتى) :

ـ ولكنهم يستطيعون استدعاء المئات من عيون الحراسة ، خلال ربع الساعة فقط .

أجابه (أكرم) :

ـ سنكون عندئذ داخل القصر ، وسنطلق إشارة الإبادة الكاملة ، ونطيح بالعيون القاتلة كلها دفعة واحدة .

صمت (ديجنتى) لحظات مفكرًا ، قبل أن يغمغم :

ـ إنها خطة مجنونة للغاية .

سأله (أكرم) فى لهفة :

ـ وهل يخيفك هذا ؟

أجابه (ديجنتى) فى سرعة :

ـ مطلقًا .

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة جذلة ، وهو يستطرد :

ـ إنه يروق لى كثيرًا .

والتقط جهاز اتصال خاص ، وهو يقول فى حماس :

ـ استمعوا إلىّ يا رفاق .. لدينا خطة جديدة ، ستحتاج منكم إلى كل طاقتكم وحماسكم .

وفى نفس الوقت ، الذى كان يشرح فيه الخطة للآخرين ، كان الموقف شديد التوتر ، داخل المقر السرى للمقاومة ، وتحرك (بودان) فى عصبية شديدة ، وهو يقول :

ـ إشارة الانسحاب تعنى أن الخطة قد فشلت ، ووقع (نور) و (هونور) فى قبضة الجلورياليين .. إنها كارثة .. سينهار شعب (أرغوران) كله ، إذا ما علم أن منقذه الأسطورى قد سقط ، فى أول مواجهه مع الجلورياليين .

قالت (سلوى) فى حدة :

ـ وسنفقد (نور) .. كلا .. لا ينبغى أن نسمح بهذا .. لابد أن نفعل شيئًا .

تحركت أصابع (نشوى) فى توتر ، على أزرار الكمبيوتر الملساء ، وهو تقول :

ـ إننى أحاول دراسة الموقف ، ولكننى لا أجد وسيلة منطقية للقتال .

هتف (محمود) :

ــ دعك من منطقية الكمبيوتر ، وادرسى الأمر بعقلك البشرى .. إننا لن نجلس هنا عاجزين ، ونترك (نور) فى قبضتهم .

سألته (مشيرة) :

ــ وما الذى تتوقع منا أن نفعله ، هل نحمل أسلحتنا ، ونشن هجومًا على القصر الإمبراطورى ؟

قال فى مرارة :

ــ لا يمكنك أن تتصورى كم أتمنى هذا ، ولكننى عاجز تمامًا ، ولا أملك سوى بث الرسائل للسفينة الإمبراطورية (أرغوريا) ، على أمل أن ..

بتر عبارته بغتة ، ووثب كالملسوع ، هاتفًا :

ــ (أرغوريا) !

تطلع إليه (بودان) فى توتر بالغ ، فى حين هبَّت (نشوى) من مقعدها ، صائحة فى حماس :

ــ نعم يا (محمود) .. (أرغوريا) هى فرصتنا الوحيدة .

واندفعت (سلوى) نحو (محمود) ، قائلة فى حرارة :

ــ كيف لم يدر هذا بخلدنا من قبل ؟

سألتهم (مشيرة) فى حيرة :

ــ ماذا تقصدون ؟.. ما الذى يمكنكم فعله ؟

أجابها (بودان) فى حدة :

ــ أكبر عمل أحمق فى حياتهم يا سيدتى .

التفتوا إليه جميعًا فى دهشة ، وقال (محمود) فى استنكار :

ــ عمل أحمق ؟!.. أمن الحماقة أن أحاول استغلال (أرغوريا) ، بكل قوتها وتسليحها ، فى محاولة لإنقاذ (نور) ؟

قال (بودان) :

ــ بل من الحماقة أن تجازف بكشف وجود (أرغوريا) وتحدد لهم موقعها بالضبط ، لمجرد أنك ترغب فى القيام بعمل سريع .

أشار (محمود) إلى شاشة الراصد ، وهو ينتفض غضبًا ، ويهتف :

ــ بل أجازف بهذا ، فى محاولة لإنقاذ (نور) ، المنقذ الأسطورى ، الذى تخفق له قلوب شعبكم كله ، والذى وقع فى قبضة المحتلين ، الذين سيحطمون قلوب هذا الشعب كله ، إذا ما أعدموه علنًا .. بل وربما ينتهى أمل الثورة إلى الأبد فى هذه القلوب .

بدا التوتر على وجه (بودان) وهو يقول :

ـ أنتم تفكرون بقلوبكم وعواطفكم ، وليس بعقولكم ، وهذا أخطر وأسوأ ما يمكن أن يفعله المقاتل ، فى زمن الحرب .. هل تتصورون أننى لا أشعر بالحزن والأسى والتوتر والمرارة ، لأن القائد الذى انتظرناه دهرًا ، قد سقط فى قبضة العدو ، عند أول مواجهة ؟! .. أتظنون أننى لا أدرك أو أقدّر فداحة الموقف وخطورته ؟.. هل نسيتم أننى صاحب المشكلة الحقيقى ، والمسئول الأوّل عن كل ما يصيب شعب (أرغوران) ؟.. أنا أفهم الموقف كله ، وأدرسه فى عقلى ، وأتساءل : هل نجازف بآخر وأخطر ورقة فى أيدينا ، دون أن ندرك نتائج التضحية بها ؟ لم نحافظ على سريتها ، حتى يمكننا استغلالها فى ضربة أخرى ؟! ..

همت (نشوى) بإجابته ، ولكنه استوقفها بإشارة من يده ، وهو يتابع :

ـ قلوبكم ستؤيد الاقتراح الأوّل بالطبع ، فقائدكم (نور) يمثل لكم ـ حتمًا ـ أهم شىء فى الوجود ، فبينكم زوجته ، وابنته ، وأخلص أصدقائه ، وأشدّ المعجبات به ، أما أنا فأنظر للأمر من زاوية أخرى ، أكثر أهمية وخطورة ، وأجد أن الموقف كله لم ينحسم

بعد .. صحيح أن (نور) و (هونور) فى قبضة الجلورياليين ، ولكن هذا لا يبرر تدخل (أرغوريا) فكل ما يمكنها أن تفعله ، هو أن تقصف القصر الإمبراطورى مرة أو مرتين ، وبعدها سيصبح رصدها هينًا وسيتم تدميرها على الفور .. بل وربما يتسبب قصفها فى قتل (نور) نفسه ، بدلاً من إنقاذه .. المفروض إذن أن ندخر أسلحة (أرغوريا) للهجوم الشامل ، عندما يهبّ الشعب كله للقتال ، و ...

قاطعته (نشوى) وهى تقول بصوت يموج بالانفعال :

ـ ماذا تسمى هذا إذن ؟

استدار بسرعة مع الباقين ، إلى شاشة الراصد ، التى تشير إليها (نشوى) ، واتسعت عيونهم فى دهشة بالغة ..

لقد رأوا أن جيش المقاومة ، المكوّن من أكثر من أربعمائة وخمسين مقاتلاً ، قد تجاوز الخطة الموضوعة ، وهبّ كله للقتال ..

وكان هذا يعنى الكثير ..

والكثير جدًا .

* * *

٧ ـ الضربة ..

« الآن يا رجال .. » .

لم يكد (ديجنتى) يطلق تلك الصيحة ،حتى أطلق أربعمائة وخمسون مقاتلاً أسلحتهم دفعة واحدة ، نحو عيون الحراسة ..

وكان الانفجار مروّعًا ..

أكثر من أربعمائة ، من عيون الحراسة ، انفجرت كلها فى آن واحد ، وبدوى يصمّ الآذان ، كاد يزلزل القصر الإمبراطورى من أساسه ، حتى أن الإمبراطور (سيلبا) تشبث بعرشه ، هاتفًا :

ـ ماذا حدث ؟!

أجابه الحكيم (أوراكس) مرتجفًا :

ـ أخشى أنه هجوم يا مولاى .

قال الامبراطور مستنكرًا :

ـ هجوم على القصر الإمبراطورى ؟! .. هل أصيب الأرغورانيون بالجنون ؟!. أين ذهبت عيون الحراسة ؟.. وأين (آجور) ؟

لم يكد يتم عبارته ، حتى دوى انفجار آخر ، يماثل الأول تقريبًا ، وأسرع (أوراكس) يضغط زر الرصد ، ويقرأ البيانات المدوّنة أمامه ، قبل أن يهتف منزعجًا :

ـ يبدو أنه ليس بالأمر الهين يا مولاى .. لقد فقدنا ما يزيد على الثمانمائة من عيوننا الحارسة ، وهناك نصف هذا العدد من المقاتلين الأرغورانيين ، يهاجم القصر ، ويشتبك مع عيون الحراسة المتبقية ، وطاقم الأمن فى القصر ، فى معركة حامية الوطيس .

هتف الإمبراطور ، فى توتر لم يشعر بمثله قط :

ـ وأين (آجور) !.. كيف يترك الأمور على ما هى عليه ؟

أسرع (أوراكس) يضغط بعض الأزرار ، فأضيئت شاشة أخرى ، وظهر عليها (نور) و (هونور) ، وهما يتبادلان إطلاق النار ، بالقرب من القبو ، فهتف الحكيم :

ـ يا آلهة (جلوريال) !.. القتال لا يقتصر على ساحة القصر يا مولاى ، بل يمتدّ إلى داخله .. انظر .. هناك أرغورانى ، ورجل من (سيتا ـ ٣) يقاتلان رجالنا ، بالقرب من القبو ، حيث نحتفظ بالأسير .

تشبّث الإمبراطور (سيلبا) بعرشه فى قوة ، وهو يقول :

— انظر جيدًا أيها الحكيم .. إنه ليس رجلا عاديًا ، من رجال (سيت ـ ٣) .. تطلع إليه جيدًا ، وستدرك أنه أخطر الرجال على الإطلاق .

وارتجف صوته فى مقت وكراهية ، لا حدود لهما ، وهو يستطرد :

— إنه (نور) .. المنقذ .

ارتفع حاجبا الحكيم (أوراكس) ، فى دهشة وفزع ، وغمغم فى ارتياع :

المنقذ ؟!.. هنا ؟!.. داخل القصر الإمبراطورى ؟!

أما (سيليا) فقد انتفض جسده كله غضبًا وتوترًا ، وهو يصرخ :

— أين (آجور) ؟.. أين ذلك اللعين ؟! .. كيف سمح بحدوث هذا .. إنها كارثة !.. كارثة بكل المقاييس .

هتف به الحكيم فى قلق :

— اهدأ يا مولاى .. ربما لم يعد (آجور) يملك ما يفعله .. ربما كان هو أول ضحايا الهجوم .

ثم مال نحوه مستطردًا :

— ولكنك ما زلت هنا يا مولاى .. فوق عرشك .. بكل هيبتك وسطوتك ، وتعلم مثلى أنهم ، حتى وإن نجحوا فى احتلال القصر ، فإنهم لن يظفروا بك قط .

قال الإمبراطور فى غضب :

— ولكنهم سيظفرون بهيبتنا يا حكيم القصر ، وهذا ما لا أسمح به قط ..

ثم ألقى نظرة على شاشة الرصد ، التى نقلت صورة للقتال الدائر ، على أربع محاور ، بين قوات أمن القصر ، ورجال المقاومة ، ثم تراجع فى عرشه ، وقال فى صرامة :

— سأقود المعركة بنفسى ، وسأستدعى المزيد من عيون الحراسة ، وجيشًا كاملا من فرساننا ، وسأستخدم كل وسيلة ممكنة ، لسحق هذا الهجوم ، وإلقاء القبض على (نور) هذا .

ثم مال نحو (أوراكس) ، مستطردًا بلهجة آمرة :

— أرسل فرقة كاملة لقتال (نور) ورفيقه الأرغورانى ، فى الطابق الأرضى ، واتصل بمركز الأبحاث الفضائى ، وافتح قناة الاتصال العامة ، بكل قواتنا على الكوكب .

وبدت عيناه أشبه بكرتين من اللهب ، وهو يتابع فى مقت غاضب :

— لقد أرادوها حربًا .. ليكن إذن .. فلتكن حربًا شعواء ، حتى يعرف الجميع من يمتلك مفاتيح كل الأبواب .

وانتفض جسد الحكيم فى ارتياع ، عندما سمعه يضيف :

ـ أبواب الجحيم .

ومنذ تلك اللحظة ، سجل تاريخ (أرغوران) تحولاً رهيبًا فى مجرى القتال ، وخط سير الحرب ، التى اتخذت منحنى جديدًا ..

منحنى شيطانيًا ..

* * *

« ما رأيك يا (بودان ؟ .. » .

ألقى (محمود) السؤال فى صرامة ، وهو يشير إلى الشاشة ، التى تطلع إليها (بودان) فى توتر ، و (محمود) يتابع :

ـ ألا يبدو لك ما تراه أشبه بهجوم شامل ؟ .. لقد خالف رجال المقاومة كل الأوامر ، وهاجموا القصر الإمبراطورى ، ونسفوا معظم عيون الحراسة ، وفقدوا فى هجومهم هذا أكثر من عشرين رجلا ، وهم يقاتلون الآن حراس القصر ، ولن يمضى وقت طويل ، حتى تصل قوات إضافية ، ومئات من عيون الحراسة ، لسحق المهاجمين ، وإبادتهم عن آخرهم .. ألا يستحق هذا تدخل (أرغوريا) ؟

بقى (بودان) صامتًا لحظات ، ثم أجاب فى حزم :

ـ بل هو يحتم تدخلها ، ودون إبطاء .

قالها واندفع إلى أجهزة الاتصال بالسفينة الإمبراطورية ، مستطردًا :

ـ استدع صورة (أرغوريا) على الشاشة ، وسأعمل على توجيهها ، لتسدد ضربة قاصمة للعدو .

هتف (محمود) فى حماس :

ـ هذا ما كنت أحلم به .

وبسرعة ، ظهرت صورة (أرغوريا) على شاشة رصد خاصة ، وبدأت (سلوى) تضغط الأزرار فى حماس ، وهى تقول :

ـ ستظل (أرغوريا) فى مدارها ، وستطلق أشعة محدودة فى البداية ، لتدمير أحد أبراج القصر الإمبراطورى ، وإعلان دخولها إلى المعركة .. ومن المؤكد أن هذا سيرفع الروح المعنوية للمقاتلين كثيرًا .

هتفت (مشيرة) :

ـ بالطبع .. سيبدو لهم أن السماء تؤازرهم .

أما (نشوى) ، فسألت فى قلق :

ـ ولكن : ألن يؤذى هذا الهجوم أبى ؟

أجابتها (سلوى) ، وهى تبث الإشارة إلى (أرغوريا) فى انفعال :



وبدأت (سلوى) تضغط الأزرار فى حماس ، وهى تقول :

— سنظل (أرغوريا) فى مدارها ..

— لو أن الأمور تسير كما خططنا لها ، فالمفروض أن يكون (نور) الآن فى الطابق الأرضى ، أو فى القبو ، و (أرغوريا) ستهاجم الأبراج فحسب ، حتى لا تؤذى مقاتلينا .

ومع آخر حروف عبارتها ، انطلق من (أرغوريا) دفق من أشعة الليزر ، اخترق الغلاف الجوى لكوكب (أرغوران) ، ونسف البرج الجنوبى للقصر الإمبراطورى .

وفى أرض المعركة ، هتف (ديجنتى) فى حماس :

— هل رأيتم يا رفاق ؟! السماء تقاتل إلى جوارنا .. هيا .. قاتلوا بكل قوتكم .

كان الكثير من رجال المقاومة يتساقطون ، وكذلك العديد من رجال حراسة القصر ، والحرب فى أوجها ، ولكن سقوط البرج أشعل المزيد من حماسة المقاتلين على نحو ملحوظ ، نقلته شاشة الراصد إلى المقر السرى ، فهتف (محمود) :

— هل رأيت يا (بودان) ؟! .. تدخل (أرغوريا) صنع فارقا ضخما ..

ولم يجب (بودان) ..

كان يراقب كل الشاشات فى صمت وتوتر ، والقلق

يملأ نفسه ، ويكاد يسيطر على كيانه كله ، مع عشرات الأسئلة التى يلتهب بها :

ترى هل ينجح هذا الهجوم ؟!

هل يتمكن رجال المقاومة ، لأول مرة ، من دخول القصر الإمبراطورى ، بعد احتلال دام سنوات وسنوات ؟! ..

وماذا لو أنهم فشلوا ! ..

ماذا لو أن الجلورياليين استعادوا توازنهم فى سرعة ، وسيطروا على الموقف مرة ثانية ، وهاجموا كل هذا الحشد من مقاتلى المقاومة ؟!..

إنهم سيخسرون عندئذ الكثير والكثير ..

بل سيخسرون كل ما بنوه عبر السنين تقريبًا ..

معظم جيش المقاومة ، وقادتهم ..

وحتى المنقذ الأسطورى ..

أمل (أرغوران) الأخير ..

لذا كان من الضرورى أن تتدخل (أرغوريا) ..

وبكل قوتها ..

وتداعت أفكاره فى سرعة ، فوجد نفسه يتساءل :

ترى كيف كان وقع هجوم السفينة الإمبراطورية ، على غزاة (جلوريال) ؟..

كيف ؟! ..

ولو أمكنه القفز فى تلك اللحظة ، عبر حاجزى الزمان والمكان ، لأتاه الجواب فى ذلك الخوف الشديد ، الذى ملأ كيان حكيم القصر (أوراكس) ، وهو يرتجف فى شدة ويهتف بالإمبراطور (سيلبا) :

— الموقف يتطوَّر بسرعة يا مولاى .. هناك هجوم فضائى لصالح قوات المقاومة ، من مصدر ما ، ورجالنا يتساقطون مع الهجوم ، وأقترح أن تبادر بتنفيذ خطة الطوارئ القصوى .

هزّ الإمبراطور (سيلبا) رأسه فى عناد ، وهو يقول :

— لا .. ليس بعد .

أتاه صوت يقول فى توتر بالغ :

— متى إذن يا مولاى !

استدار الإمبراطور فى سرعة إلى مصدر الصوت ، وهتف غاضبًا :

— (آجور) ! .. أنت على قيد الحياة إذن ، ولكنك تستحق القتل ، بعد ما حدث هنا .. كيف سمحت بدخول المنقذ إلى القصر ؟

أجابه (آجور) ، وهو يعبر مدخلاً سريًا ، إلى القاعة الإمبراطورية :

— ربما كان هذا لصالحنا يا مولاى ، فرجالى يحاصرونه بالقرب من القبو ، ولن تمضى دقائق معدودة ، حتى يكون فى قبضتنا ، حيًا أو ميتا .

أشار إليه الإمبراطور ، صائحا فى ثورة :

— هذا لا يعفيك من مسئولية ما حدث .

قال (أجور) فى عصبية :

— ربما يا مولاى ، ولكن المهم هو أننى هرعت إلى هنا ، عبر أحد أنفاقنا السرية ، لأقود ، تحت أمر مولاى ، الهجوم المضاد لرجال الـ ..

قاطعه فجأة انفجار عنيف ، سقط على إثره البرج الشمالى ، فهتف الإمبراطور فى غضب ثائر :

— وماذا عن هذا ؟ .. إننا لا نواجه رجال المقاومة فحسب ، وإنما نواجه شيئا ما يمطرنا بأشعة من الفضاء أيضا .

قال (أجور) فى توتر :

— إنها (أرغوريا) حتمًا .

ثم رفع رأسه إلى السماء ، التى تبدو واضحة ، عبر نافذة البهو الإمبراطورى ، وهو يستطرد :

— ولكن أين هى ؟.. من أين تطلق قذائفها الـ ..

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدّق فى السماء ، فهتف به الإمبراطور :

— ماذا أصابك ؟.. هل لمحت مصيبة أخرى !

هتف (أجور) ، وهو يشير إلى السماء :

— بل لمحت أملا يا مولاى .. خمس قذائف نووية تنطلق ، من مركز الدفاع الفضائى نحو السماء . أراهن أنهم قد حددوا موقع تلك السفينة الإمبراطورية الأرغورانية اللعينة ، ويمطرونها بقذائفهم أراهن على هذا بحياتى .

تابع الإمبراطور وحكيم القصر تلك الخيوط الخمسة المضيئة ، التى تكاد تختفى فى السماء ، وغمغم الأول فى توتر :

— لو أن هذا صحيح ، فستتغير كفة المعركة حتمًا .

وعادت عيناه تبرقان كاللهب ، وهو يستطرد :

— ستتغير كثيرا .

وراقب الجميع تلك الخيوط الخمسة فى لهفة وقلق ..

وكلمة الجميع هذه لا تحمل أدنى قدر من المبالغة ، فهناك .. فى المقر السرى للمقاومة ، ارتجفت قلوب أبطالنا كلهم ، وهتفت (سلوى) ، وهى تشير إلى الشاشة الخاصة ، التى تنقل صورة (أرغوريا) :

— ما هذا بالضبط ؟

أجابها (بودان) فى توتر شديد :

— صواريخ نووية .. لقد حددوا موقع (أرغوريا) ، ويهاجمونها فى كثافة .

سأله (محمود) :

— وهل تعتقد أن لديهم فرصة لإصابتها ؟

أجابه (بودان) وقد تعلقت عيناه بالشاشة فى قلق :

— المفروض أن (أرغوريا) تمتلك جهاز رصد خاص ، يتيح لها تحديد اتجاه وموقع القذائف التى تهددها ، ومناورتها بمرونة معقولة ، تتناسب مع حجمها الضخم ، ولكن ..

لم يكمل عبارته ، فسألته (نشوى) متوترة :

— ولكن ماذا ؟

أجابها فى خفوت :

— ولكنهم أطلقوا خمس قذائف نووية دفعة واحدة ، وهذا لن يكون فى صالح (أرغوريا) .

وازدرد لعابه فى صعوبة ، قبل أن يستطرد بصوت مرتجف :

— لن يكون فى صالحها أبدًا .

هوى الجواب على قلوبهم كالصاعقة ، وتعلقت عيونهم بالشاشة الخاصة ، التى نقلت صورة (أرغوريا) ، وهى تتحرك فى مناورة محدودة ، متفادية القذيفة

الأولى ، التى تجاوزتها إلى الفضاء الشاسع ، ثم مالت متفادية القذيفة الثانية أيضًا ، ودارت حول نفسها لتنجو من الثالثة ، ولكن الرابعة احتكت بجانبها ، وأمالتها على نحو بالغ الخطورة ، وإن لم تنفجر فيها ، و ..

ولكن القذيفة الخامسة كانت أسعد حظًا ..

لقد أصابت قلب السفينة الإمبراطورية الأرغورانية بالضبط ..

وكان الانفجار هائلاً فى الفضاء ..

هائلاً إلى حد جعله مرئيًا واضحًا ، بالنسبة للجميع ..

للإمبراطور (سيلبا) وحكيم قصره ، وقائد فرسانه ..

لرجال المقاومة الذين يقاتلون بصدور عارية ..

وللرفاق فى المقر السرى للمقاومة ..

وفى وقت واحد ، أدرك الجميع أن (أرغوران) قد فقد سلاحه ..

سلاحه الأخير .

* * *



٨ ـ الانتحاريون ..

لم يشهد (أكرم) سوى الدقائق الأولى فحسب ، من القتال بين قوات حراسة قصر الإمبراطور الجلوريالى ، ورجال المقاومة الأرغورانية ..

لقد أطلق نيران مسدسه الآلى على عيون الحراسة ، ونسف ثلاثة منها ، ثم صاح بفريق الانتحاريين ، الذى كونه من قلب جيش المقاومة الصغير :

ـ هيا يا رجال حان دورنا .

كانوا تسعة من الأرغورانيين ، وهو عاشرهم ، انطلقوا تحت وابل من النيران المتبادلة ، وشقوا طريقهم فى بسالة ، عبر الساحة الرئيسية للقصر ، ثم التفوا حوله ؛ ليقتحموه من مدخله الخلفى ..

ولم تكن رحلتهم هذه سهلة أو ميسورة ، على الرغم من قصرها ..

لقد واجهوا فريقًا من حراس القصر ، وتجاوزوا عددًا من الأكمنة ، وقاتلوا كالوحوش الكاسرة ، حتى

بلغوا المدخل الخلفى ، وقد انخفض عددهم إلى ستة رجال ، لو أضفنا إليهم (أكرم) ، الذى تجاهل إصاباته وجروحه ، وهو يضع خزانة رصاصات إضافية فى مسدسه ، هاتفًا :

ـ لقد خسرنا أربعة رجال ، ولكننا بلغنا نقطة الانطلاق يا رجال ، ويهمنى أن تعلموا ، قبل أن نقتحم هذا المدخل ، أننا سنواجه خلفه حتمًا مقاومة مستميتة ، لو نجحنا فى تجاوزها ، نكون قد حققنا نصف النصر على الأقل ، ولو أن أحدكم يرغب فى التراجع ، فليعلن هذا الآن ، وإلا فلن تكون هناك فرصة أخرى .

رفع الجميع أسلحتهم فى حزم ، معلنين إصرارهم على الاستمرار ، فجذب مشط مسدسه ، وقال :

ـ فليكن .. سننطلق على بركة الله .

وانهال على رتاج المدخل الخلفى برصاصات مسدسه ، ورأى الرتاج الإليكترونى ينفجر أمامه ، فدفع الباب بقدمه ، وهو يطلق صيحة قتالية رهيبة ..

وعندما انفتح الباب الخلفى للقصر ، انفتحت معه كل أبواب الجحيم الأمامية ، وراحت خيوط الأشعة القاتلة تنطلق من كل مكان ، ولكن (أكرم) لم يتوقف لحظة واحدة ، لقد انطلق بكل سرعته وقوته ، وهو يطلق

رصاصات مسدسه على كل جلوريالى يقع بصره عليه ، ووثب متجاوزًا بعض خيوط الأشعة ، وتدحرج أرضًا ليتفادى خيوطًا أخرى ، وشعر بآلام رهيبة فى ذراعه اليسرى ، وسال الدم من جبهته إلى عينيه ، ولكنه أزاحه بكفه فى سرعة ، وواصل القتال كالليث ، حتى عبر أخطر ممرات المدخل ، وأصبح داخل إحدى القاعات الخلفية ..

وعندئذ فقط ، استدار إلى الرجال الذين تبعوه ، فى هذا الاقتحام الانتحارى ، وأحصى ثلاثة منهم ، قبل أن يسأل :

ــ أين الباقون ؟

أجابه أحد الثلاثة ، والدماء تسيل من جرح فى عنقه ، وتلوّث زيه كله :

ــ لقد ذهبوا .

ولم يسأله (أكرم) أين ذهبوا ، فقد كان يعلم الجواب جيدًا ..

يعلم أن ستة من الرجال قد لقوا حتفهم حتى الآن ، وهو لم يتجاوز بعد القاعات الخلفية للقصر ..

ولكن هذا لم يقلقه ..

ولم يوقفه ..

لقد تجاوز الجواب فى سرعة ، وكأنه يتفهّم تمامًا طبيعة مثل هذه الحروب ، وسأل الرجل :

ــ هل تحفظ خريطة القصر ؟

أجابه الأرغورانى على الفور :

ــ بالطبع لو أنك ترغب فى بلوغ القبو ، الذى يحتفظون فيه بالأسرى ، فسيكون عليك أن تعبر ممرًا آخر ، وتواجه نقطة حراسة ، ثم ..

أشار إليه (أكرم) ، وهو يقاطعه قائلاً :

ــ دع (ثم) هذه لموعدها ، فالوقت لا يكفى للحديث والعمل معًا .

ثم اندفع نحو الممر ، الذى أشار إليه الرجل ، مستطردًا :

ــ دعنا نكتف بالعمل إذن .

ومرة أخرى ، راح يطلق رصاصاته ، ويتفادى خيوط الأشعة القاتلة ، ويشعر بالآلام هنا وهناك ..

كان أشبه بآلة بشرية ، فقدت شعورها بالألم ، ولم يعد لها من غاية سوى تحقيق هدف واحد ، لن يثنيها عنه سوى الموت ..

ولكن فجأة ، انتهى المم ، ووجد (أكرم) نفسه فى مواجهة نقطة الحراسة ، التى يقف عندها حارسان



لقد انبطح أرضًا ، وتدحرج فى مرونة ، متجهًا نحو الحارسين ، وأطلق رصاصة نحو أحدهما ..

جلوربالیان ، ضخما الجثة صارما النظرات ، صوَّب كل منهما سلاحه نحوه ، وهتف أحدهما :

ــ نهاية المطاف يارجل (سيتا ــ ٣) .

كان الموت قاب قوسين أو أدنى ، لا يفصله عنه سوى ضغطة بسيطة على الزناد ، ولكن ..

فجأة ، دوى انفجار عنيف داخل القصر ، وارتج المكان كله ، ففقد الحارسان توازنهما ، وسقط أحدهما أرضا ، ثم هبَّ واقفا بسرعة ، خلال لحظة واحدة ..

ولكن (أكرم) أيضا تحرك بسرعة أكبر ، خلال اللحظة نفسها ..

لقد انبطح أرضا ، وتدحرج فى مرونة ، متجها نحو الحارسين ، وأطلق رصاصة نحو أحدهما ، ثم وثب قائما ، وجندل الثانى بأخرى ..

وهتف مرافقه الأرغورانى فى حماس :

ــ عجبا !.. سلاحك هذا بدائى للغاية ، ولكنك تستخدمه فى مهارة مدهشة يارجل (سيتا ــ ٣) .

أجابه (أكرم) ، وهو يلتفت إليه :

ــ أشكرك .. والآن .. إلى أين نتجه ؟

لاحظ وهو يخاطبه ، أن عددهم قد انخفض إلى ثلاثة ، ولكنه لم يُعلق على هذا أيضا ، والرجل يجيبه :

ــ لقد وصلنا تقريبا ، كل ما علينا هو أن نتجاوز

نقطـة الحراسـة ، وننحرف يمينـا ، وسنجد القبـو فى مواجهتنا .

قال (أكرم) :

ـ هناك قتال يدور عنده إذن .. أسمع صـوت طلقات الليزر فى وضـوح .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى دوى انفجار آخر ، بدا وكأنه داخل القصر ، فهتف (أكرم) :

ـ ما الذى يحدث هنا ؟

أجابه أحد الرجلين المتبقيين فى حماس :

ـ هنـاك قوة ضخمـة تؤازرنـا ، وأعتقد أن قذائفهـا أسقطت البرجين .. الشمالى والجنوبى .

رفع (أكرم) حاجبيه فى دهشة ، وهو يقول :

ـ عجبًا !.. لم أكن أعلم أننا نمتلك مثل هذه القوة !

هتف الأرغورانى فجأة :

ـ ولاهم .

قالها وهو يشير إلى الممر العمودى علـى نقطـة الحراسة ، فالتفت (أكرم) فى سرعة إلى حيث يشير ، وانعقد حاجباه فى شدة ..

لقد كـان هنـاك أربعة من رجـال الفرقـة الخاصـة ، ينقضون عليهم فى شراسة ، وخيوط أشعتهم القاتلة تنطلق فى كل مكان ..

وبلا تردد ، رفع (أكرم) مسدسه البدائى ، و..

وبدأ قتال جديد ..

وعنيف ..

* * *

تهللت أسارير (آجور) فى شدة ، عندما بدا انفجار (أرغوريا) واضحًا فـى الفضـاء ، قبـل أن تتهـاوى كشهب محترقة (*) ، نحو المحيط الأرغورانى العظيم ، وهتف الحكيم (أوراكس) :

ـ انتصرنا .. انتصرنا يا مولاى .. رجالنا نسفوا آخر سفينة أرغورانية مقاتلة .

هزّ الإمبراطور (سيلبا) رأسه فى حزم ، وهو يقول :

ـ هذا لا يصنع نصرًا .. رجال المقاومـة ما زالوا يقاتلون فى شراسة ، ومنقذهم الأسطورى داخل القصر ، يصد مع زميله الأرغورانى هجوم رجال فرقتنا الخاصة ، الذين لم ينجحوا فى اقتناصهما بعد ، وبعض رجال المقاومة نجحوا فى التسلل إلى القصر .. أى نصر هذا ؟

تدخل (آجور) ، قائلاً :

(*) راجع الجزء الثانى (نيران الكون) .. المغامرة رقم ٩٨

ــ مولاى .. اسمح لى بقيادة المعركة ، وسوف ..

قاطعه (سيلبا) فى غضب :

ــ اصمت يا (آجور) .. لقد سمحت لك بهذا ، فحدث كل ما حدث .

هتف (آجور) معترضًا :

ــ إنه ليس خطئى يا مولاى ، فلو ..

قاطعه الإمبراطور مرة أخرى فى غضب صارم :

ــ قلت لك اصمت .. لم يعد من حقك أن تدير أية معارك .

احتقن وجه (آجور) فى شدة ، وابتلع كلماته فى مرارة ، فى حين ، التفت الإمبراطور إلى (أوراكس) ، وسأله :

ــ إلى أين وصل مشروع الليل الصناعى (*) ؟

تنحنح حكيم القصر ، وقال :

ــ قائد الفرسان أقدر منى على الجواب يا مولاى .

بدا الضيق على وجه الإمبراطور ، وهو يسأل (آجور) ، دون أن يلتفت إليه :

ــ إلى أين يا قائد الفرسان ؟

(*) راجع الجزء الثانى (نيران الكون) .. المغامرة رقم ٩٨

أجابه (آجور) فى ضيق :

ــ المفروض أن يكون العمل فى القرص نفسه قد انتهى بالفعل يا مولاى ، فقد كانت لدينا عدسة هائلة ، لمرصد وضع الأرغورانيون مشروع إطلاقه فى الفضاء ، واستولينا عليها مع احتلالنا لكوكبهم ، وكل ما فعلناه هو أن طلينا تلك العدسة بطلاء داكن ، وسنطلقها فى الفضاء فور الـ ..

قاطعه الإمبراطور فى صرامة :

ــ أطلقها الآن .

هتف (آجور) فى دهشة :

ــ الآن ؟! .. ولكن هذا المشروع يا مولاى يحتاج إلى ..

قاطعه (سيلبا) بصرخة هادرة :

ــ قلت لك : أطلقها الآن .

بدا مزيج من الضيق والتوتر على وجه (آجور) ، ولكنه أجاب :

ــ أمر مولاى .

اعتدل الإمبراطور فوق عرشه ، وشمخ بأنفه فى اعتداد ، وهو يراقب شاشات الرصد ، التى تنقل إليه كل ما يدور ، داخل وخارج القصر ، وقال :

ـ دعنا نباغت هؤلاء الأرغوراتيين بشىء لم يروا مثله قط .. بليل طويل .

واكتسى صوته بمزيج من الغضب والصرامة ، وهو يستطرد :

ـ طويل للغاية .

ومن عينيه ، أطلّ ذلك اللهب المخيف .. اللهب الشيطانى ..

* * *

أطلق (هونور) أشعة سلاحه فى توتر بالغ ، ونجح فى إصابة أحد حرّاس القصر ، قبل أن يقول لـ (نور) :

ـ كم رجلاً نقاتل بالضبط ؟.. لقد أسقطت أكثر من ثمانية حتى الآن ، ورأيتك تُسقط عشرة ، وعلى الرغم من ذلك نواجه جيشًا كاملاً منهم .

أجابه (نور) ، وهو يتبادل إطلاق النار مع بعض الحرّاس :

ـ من الواضح أنهم ركّزوا هجومهم علينا .. إنهم يتوافدون من كل صوب .

سأله (هونور) :

ـ هل تعتقد أنه لدينا أمل فى النجاة ؟

قال (نور) فى حزم :

ـ أنا لا أفقد الأمل فى الله (سبحانه وتعالى) قط .

هزّ (هونور) رأسه ، وهو يقول :

ـ لا يدهشنى أنك قائد عظيم .

غمغم (نور) ، وهو يطلق أشعة سلاحه :

ـ أشكرك .

همّ (هونور) بالتعليق ، ولكن صوتًا من خلفه جعله ينتفض ، ويلتفت بسرعة إلى الخلف ، ثم يهتف :

ـ اللعنة !.. إنهم يحاولون شق الجدار من خلفنا .. سيحاصروننا بين المطرقة والسندان .

استدار (نور) بدوره ، يتطلّع فى قلق إلى الجدار ، الذى راحت أشعة ليزر قوية تشقه فى شكل دائرى ، وهتف (هونور) :

ـ ماذا ينبغى أن نفعل أيها القائد ؟

هزّ (نور) رأسه ، وهم بالقول :

ـ لست أدرى .

ولكن الرد اختنق فى حلقه ، وشعر به يحبس أنفاسه ، وعيناه تتابعان أشعة الليزر فى توتر ، ثم لم يلبث أن قال :

ـ سنقاتل على الجانبين :

قال (هونور) :

ـ كيف ؟.. إننا نقاتل معًا فى جانب واحد ، ولا نكاد نبقى على حياتنا ! ، فكيف ننقسم إلى فريقين ، يقاتل كل منهما بمفرده فى جانب واحد ؟!

وهنا أطلق (نور) العبارة الحبيسة فى صدره ، قائلا :

ـ لست أدرى .

لم يكد ينطقها ، حتى انهار ذلك الرسم الدائرى فى الجدار ، واندفع عبره عدد من جنود الفرقة الخاصة للقصر ، فالتفت (نور) إليهم ، وصاح بزميله :

ـ سأتولى أنا هذا الجانب .. قاتل حتى آخر رمق .

وراح يمطر القادمين بأشعة سلاحه ، وهم يطلقون أشعتهم ..

ولكن الموقف كان أضخم من أن يحتمله هذا النوع من القتال ، الذى يحتاج إلى أكثر من الإرادة ..

يحتاج إلى معجزة ..

* * *

« فقدنا (أرغوريا) .. » .

نطق (بودان) فى مرارة بلا حدود ، وهو يحدق فى شاشة الراصد ، التى نقلت مشهد السفينة الإمبراطورية ، وهى تهوى فى المحيط ، وشحب وجه (مشيرة) ، وهى تغمغم فى أسى :

ـ لم يعد لعملنا جدوى .

أما (سلوى) و (نشوى) ، فقد لاذتا بالصمت التام ، ودموعهما تترقرق فى عيونهما ، وقال (محمود) :

ـ لا ينبغى أن نفقد الأمل .

أجابه (بودان) فى حسرة :

ـ ولكننا كنا نعتمد على (أرغوريا) كثيرًا .. كنا نستخدمها كمراقب خفى للكوكب كله ، ونستعد لبث قناتنا الخاصة بوساطتها ، ونستعين بما تحمله من أسلحة ، لتدعيم هجومنا ، و ..

قاطعه (محمود) فى حزم :

ـ وفقدناها .. هذا ما حدث ، وليس كل ما يتمناه المرء يدركه .. لقد فقدنا (أرغوريا) ، ولكننا لم نفقد الأمل فى النصر .

سألته (مشيرة) فى توتر :

ـ أتظننا نستطيع تعويضها ؟

فتح (محمود) فمه ليجيب ، ولكن الجواب أتى على لسان (نشوى) ، التى قالت فى حزم :

ـ ولم لا ؟

التفت إليها الجميع فى تساؤل ، فتابعت فى صلابة ، جعلتها شديدة الشبه بأبيها :

ـ فلنفترض أننا لم نملك (أرغـوريا) هذه أبدًا ، وأننا نقـاتل وحدنـا .. هل كنا سنستسلم ، ونخضع للغزاة ؟.. مستحيل !.. إننا لسنا مجرد أفراد بسطاء ، يمكنهم أن يتكيفوا مع المواقف والهزائم .. إننا مقاتلون .. كلنا كذلك .. أبى ، وأمى ، و (رمزى) ، وأنت يا (محمود) ، وكذلك (مشيرة) و (أكرم) .. و (بودان) مقاتل منذ مولده .

غمغمت (مشيرة) .

ـ أنا مقاتلة ؟!

أجابتها (نشوى) :

ـ بالطبـع .. أنسيـت ما كنـت تفعليـنـه ، من أجل الحصول على خبر واحد ؟. صدقينى يا (مشيرة) .. أنت مقاتلة عظيمة ، وربما كنت أعظم منا جميعًا .

ثم أدارت عينيها فى وجوه الجميع ، مستطردة :

ـ السؤال الآن ليس : ما الذى كان يمكن أن تفعله (أرغوريا) ؟ .. بل هو : مـا الذى يمكن أن نفعله ، فى مواجهة الغزاة ؟

أشار (بودان) إلى شاشة راصد ، وقال :

ـ إننا نقاتل بالفعل ، ولكن هذا لن يستمر طويلاً .

سألته فى حزم :

ـ ولم لا ؟.. رجال المقاومـة يقـاتلون كـالوحوش .. انظر إلى الشاشة ، وستجد أنهم متفوقون على حرّاس القصر ، وأنهم أبادوا كل عيون الحراسة .

قال فى توتر :

ـ وفقدوا أكثر من مائة وخمسين رجلاً أيضًا .

لوّحت بذراعها ، هاتفة :

وماذا فى هذا ؟ كل الحروب لها ضحاياها .

هزّ (بودان) رأسه ، وقال :

ـ لست تفهمين شيئا .. الأمر لن يقتصر على القتـال الدائر الآن .. إنه سيتجاوز هذا بكثير ، وربمـا يتحوّل إلى مجزرة مخيفـة ، عندمـا تصل قوّات الجلوريـاليين الإضافية ، ويستدعون عيون الحراسة الاحتياطية و ..

قاطعته (سلوى) فجأة فى توتر :

ـ كفى يا (بودان) .. لست أحتمل الحديث عن كل هذا الـ ..

بترت عبارتها بغتة ، وهى تضع يدها على فمهـا ، وامتعضت على نحو واضح ، وكأنهـا تقـاوم شعورًا بالغثيان ، ثم اندفعت خارجة ، وهى تقول فى إعياء :

ـ معذرة .

تابعها (بودان) ببصره فى دهشة ، ثم قال فى حيرة :

— ماذا أصابها ؟

ابتسم (محمود) ابتسامة باهتة ، وقال :

— لاشىء .. يبدو فقط أن (نشوى) سيكون لها شقيق ، فى القريب العاجل .

رفعت (نشوى) حاجبيها فى دهشة ، فى حين هتفت (مشيرة) :

— هل تعنى أن (سلوى) حامل ؟

هز كتفيه ، وقال :

— لست طبيبا ، ولكن هذا ما يبدو .

صفقت (مشيرة) بكفيها فى جذل طفولى ، هاتفة :

— ياله من خبر !.. أراهن على أن (نور) سيفرح كثيرا .

قال (بودان) فى أسف :

— لو أنه عاد على قيد الحياة .

التفتت إليه (نشوى) فى حدة ، وقالت :

— سيفعل بإذن الله .

ارتبك مغمغما :

— لم أقصد هذا ، ولكن ..

قبل أن يتم عبارته ، صاحت (مشيرة) فجأة ، وهى تشير إلى الشاشة :

— رباه !.. انظروا ما يحدث .

التفت الجميع إلى الشاشة فى سرعة ، ثم اتسعت عيونهم فى دهشة ، فقد كان ما يرونه أمامهم أمرا مذهلا ..

مذهلا بحق .

* * *



٩ ـ القرص الأسود ..

لم تشعر (ريستا) ، إحدى قادة المقاومة الأرغورانية ، بمثل هذا الحماس ، في حياتها كلها ، وهي تهاجم القصر الإمبراطوري ، على رأس فرقتين كاملتين ..

كانت تحلم ، منذ زمن طويل ، بأن تقود هجومًا كهذا ، وتقاتل الغزاة وجهًا لوجه ، كما يحدث الآن ..

وعندما تهاوت عيون الحراسة ، تحت طلقات أسلحتها وأسلحة فرقتها ، تضاعف حماسها عشر مرات على الأقل ، فصاحت :

ـ تقدموا يا رجال .. قاتلوا .

وفي بسالة مدهشة ، وشجاعة تستحق الإعجاب ، اقتحم رجالها الأسوار ، واشتبكوا مع حراس القصر في قتال شرس رهيب ..

صحيح أنهم فقدوا العشرات من الرجال ، ولكنهم أسقطوا أمام كل رجل منهم رجلين من حراس القصر ، وبدا وكأنهم سيربحون معركتهم لا محالة ، وهم يتقدمون دومًا إلى الأمام ، و ..

وفجأة ، حدثت تلك الظاهرة ..

وبدأ الليل ..

أول ليل يعرفه (أرغوران) في تاريخه كله ..

كان هناك قرص أسود داكن ، يحلق في الفضاء ، ويتحرك في بطء ، بين (أرغوران) وشمسه الكبرى ، في أول كسوف شمس في تاريخ الكوكب ..

وتجمد الأرغورانيون في ذهول ، وهم يشاهدون هذا ..

لم تكن الظاهرة نفسها بغريبة عنهم ؛ فهم يدرسونها في علم الفلك في طفولتهم ، ويرصدون حدوثها على كواكب أخرى ..

ولكن أحدًا منهم لم يرها على كوكبه قط ..

ومع ذلك الذهول الذي أصابهم ، هتف (آجور) ، في قاعة الإمبراطور ، والحماس ينتفض مع خلايا جسده :

ـ أرأيت يا مولاي ؟. لقد أصابهم الذهول ، وتوقفوا عن القتال .

صاح الإمبراطور في حزم :

ـ ماذا تنتظر ؟.. أن يضيع أثر المفاجأة .. هيا يا قائد الفرسان .. مر رجالك بإبادة هؤلاء الحمقى ، قبل أن يفيقوا من الموقف .

قهقه (آجور) ضاحكا ، وقال :

ـ اطمئن يا مولاى .. إنهم يحتاجون إلى دهر كامل ، قبل أن يعتادوا هذا ؛ فعيونهم التى تحيا فى نهار دائم ، مزودة بجفن ثالث ، يجنبهم الإضاءة المستمرة والشديدة ، ولكنها تعجز عن التكيف مع هذا الليل ، أما رجالنا ، فقد اعتادوا ليل كوكبنا ..

أشار الحكيم (أوراكس) إلى شاشة الراصد ، وهو يقول فى قلق :

ـ لماذا لا يطلقون النار إذن ؟

أجابه (آجور) فى بساطة :

ـ لقد أخذتهم المفاجأة أيضا ، ولكن هذا لن يستمر طويلا .

وضغط زر مضخم صوتى خاص ، وقال عبره :

ـ لا تتجمدوا هكذا يا رجال .. هيا .. أبيدوا هؤلاء الحمقى .

دوى صوته فى القصر كله ، وعبر مكبرات ضخمة خارجه ، فانتزع جنوده من ذهولهم ، وهبّ كل منهم إلى سلاحه ..

وبدأ القتال مرة أخرى ..

وفى هذه المرة ، كان الأمر أشبه بالمذبحة بالفعل ..

لقد عجز مقاتلو (أرغوران) عن تمييز خصومهم ، فى هذا الظلام ، ومع توترهم الشديد ، فأصابت أشعة أسلحة الجلورياليين العديد منهم ، فى حين هتفت (ريستا) برجالها :

ـ أطلقوا النار نحو القصر بلا تمييز ، وحاولوا أن تتراجعوا بسرعة .

ارتبك من تبقوا من رجال المقاومة ، واضطربوا ، وراحوا يطلقون النار فى تخبط شديد ، فى حين اتصلت (ريستا) بـ (كالوا) ، عبر جهاز اتصال خاص ، وهى تهتف متزعجة :

ـ (كالوا) .. ماذا نفعل ؟ .. لقد أحاطونا بظلام رهيب مخيف .

أجابها فى توتر شديد :

ـ لست أدرى .. المفروض أن نسأل (ديجنتى) .. لقد فقدت معظم رجالى ، والباقون معرضون لنيران الجلورياليين .

قالت مضطربة :

ـ وأنا أيضا ، ولكننى حاولت الاتصال به فلم يجب .. أخشى أن يكون قد لقى مصرعه .

هتف (كالوا) فى توتر :

ـ ستكون كارثة ، لو أنه لقى مصرعه بالفعل .

قالت (ريستا) :

ـ المهم أن نجد وسيلة للخروج من هذا المأزق ، قبل أن يبيدنا الجلورياليون عن آخرنا .

أجابها فى توتر :

ـ فليكن .. ليس أمامنا سوى حل واحد .. سأصدر أوامرى للجميع بالانسحاب إلى الأطلال ، وهناك قد يمكننا أن ..

قاطعته شهقة قوية منها ، أتته عبر جهاز الاتصال ، فهتف بها :

ـ ماذا حدث ؟

أجابته بصوت ترتجف حروفه ارتجافًا :

ـ يبدو أنه حتى الانسحاب إلى الأطلال لم يعد ممكنًا .

هتف بها :

ـ ماذا تعنين ؟

قالها دون أن ينتظر جوابًا ، واستدار بسرعة يتطلع إلى الأطلال ، ثم اتسعت عيناه فى ذعر وهلع ، وكادت عروقه تنفجر فى ارتياع ..

فهناك ، على بعد كيلو متر واحد من الأطلال ، كانت هناك مئات الكرات الصغيرة ، التى تندفع نحو القصر ..

ولم تكن هذه الكرات سوى أخطر أسلحة الجلورياليين .

العيون ..

عيون الحراسة القاتلة ..

* * *

شعر (نور) بألم شديد فى ذراعه ، التى اخترقها خيط من خيوط الليزر القاتلة ، وسال الدم على ذراعه ، ولكنه لم يتوقف عن إطلاق النار على جنود الفرقة الخاصة ، الذين يقفزون عبر الفجوة فى الجدار ، فى حين استبسل (هونور) فى إطلاق النار على الجانب الآخر ، وهو يقول :

ـ يبدو أننى مضطر لإعلان أمر ، لم أعلنه قط ، فى حياتى كلها .

سأله (نور) :

ـ ما هو ؟ .. هل تفكر فى الاستسلام ؟

هزّ (هونور) رأسه ، وهتف :

ـ مطلقًا .. إننى أفضّل الموت ، ولكننى أعلن يأسى من الانتصار على هؤلاء الأوغاد .. إنهم يتدفقون بالعشرات ، ولم يعد لدى سوى قدر قليل من الطاقة فى سلاحى ، ولو كنت محظوظًا للغاية ، سأنجح فى القضاء على ثلاثة منهم على الأكثر ، ثم تنضب الطاقة ، وتكون نهايتى الحتمية .



وسال الدم على ذراعه ، ولكنه لم يتوقف عن إطلاق النار على جنود الفرقة الخاصة ..

قال (نور) فى مرارة :

ـ كنت أتمنى أن أشد من عضدك يا صديقى ، ولكن الأمر الواقع يؤكد أنك على حق ..

هتف (هونور) :

ـ الوداع إذن أيها المنقذ .. إنه لشرف لى أن أموت وأنا أقاتل إلى جوارك .

قال (نور) فى حزم ، وهو يطلق آخر طلقاته :

ـ الشرف لنا معًا يا رجل .

أدرك خصومهما أن طاقتهما قد نضبت ، فتوقفوا عن إطلاق النار ، واندفعوا نحوهما من الجانبين ، وكبيرهم يهتف :

ـ ألقوا القبض عليهما .. نريد المنقذ حيًا .. هذا أفضل .

ولكن فجأة ، وثب (أكرم) عبر فجوة الجدار ، وهو يهتف :

ـ هذا لو أمكنكم الفوز به .

وانطلقت رصاصات مسدسه تحصدهم حصدًا ، قبل أن يلتفتوا إليه ، وأباد كل الجنود على هذا الجانب ، ثم التقط أسلحتهم ، وألقاها إلى (نور) و (هونور) ، هاتفًا فى حماس :

ـ خذا .. المعركة لم تنته بعد ..

كان لظهوره المباغت فعل السحر ، فى عودة حماس (هونور) إلى ذروته ، فالتقط سلاحين من أسلحة الجنود القتلى ، وراح يطلق أشعتهما على الآخرين ، فى الجانب الآخر ، وهو يصرخ :

ـ تراجعوا أيها الأوغاد .. تراجعوا .

وهتف (نور) بـ (أكرم) :

ـ كيف وصلت إلى هنا ؟

أجابه (أكرم) فى حماس :

ـ لقد اقتحمنا المدخل الخلفى .. كنا عشرة رجال ، ولم يبق منهم إلا أنا .. الباقون لقوا مصرعهم .

شعر (نور) بغصة فى حلقه ، وهو يسمع هذا ، فلطالما كره القتل والتدمير ، على الرغم من أن حياته وعمله يدفعانه دفعًا إلى الخوض فى معارك عنيفة ، تحتم عليه أن يقتل ويدمّر ..

ولهذا يبغض الحروب ..

كل الحروب ..

والآن ، وهو يقف داخل القصر الإمبراطورى ، ويتبادل النيران مع الجلوريالبين ، يتضاعف مقته للقتل والتدمير أكثر وأكثر ، و..

« لقد حاصرونا مرة أخرى .. » .

انتزعه هتاف (هونور) هذا من أفكاره ، وسأل فى توتر :

ـ كيف ؟

أجابه (أكرم) فى عصبية :

ـ لقد أرسلوا قوة إضافية ، ويعدّون جهازًا خاصًا .. أظنه أحد مدافع الليزر شديدة التدمير .

قال (نور) متوترًا :

ـ لا أعتقد أنهم سيحاولون تدميرنا ، فقد سمعتهم يقولون : إنهم يريدوننى حيًا .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع صوت (آجور) ، عبر مكبرات الصوت الداخلية ، وهو يقول :

ـ اقتلوا كل من دخل إلى القصر .. حتى المنقذ الأسطورى .. لم نعد نرغب فى الحصول على أسرى .. اقتلوا الجميع .

انعقد حاجبا (أكرم) فى توتر شديد ، وهتف (هونور) :

ـ اللعنة !

أما (نور) ، فقد حدّق فى مدفع الليزر المخيف ، وأدرك أن ضغطة واحدة على زر إطلاقه ستعنى له النهاية ..

نهاية حياته كلها .

وأمام عينيه مباشرة ، ضغط أحد جنود الفرقة الجلوريالية الخاصة زر إطلاق مدفع الليزر ، و..

وبذلك النهاية .

* * *

انتهى الجزء الثالث بحمد الله

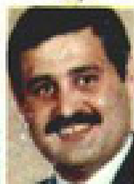
ويليه الجزء الرابع والأخير

(الزمن = صفر)

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف



د. نبيل فاروق

الانفجار

- ما مصير (رمزى) ، بعد أن أسره الجلورياليون فى (أرغوران) ؟!
- كيف يواجه (نور) وفريقه كل جيوش الغزاة ، على بعد ملايين السنوات الضوئية من كوكبهم ؟!
- ترى .. هل يربح أبطالنا هذه المعركة ، أم تنتهى حياتهم وسط (الانفجار) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) وفريقه .. من أجل العدالة .

٩٩



الثمن فى مصر
١٠٠ قرشًا
وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : الزمن صفر

روايات
مصرية للجيب



ملف المستقبل
مصري جداً!!

١٠٠

الزمن = صفر

د. نبيل فاروق

عدد ممتاز

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض مصر ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية .. يدور العمل فيها بهدوء تام وسرّية مطلقة .. من أجل حماية التقدم العلمى فى مصر .. ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية التى هى مقياس تقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف يعمل فريق نادر تم اختياره بدقة بالغة :

ـــ نور الدين : واحد من أكفأ ضباط المخابرات العلمية يقود الفريق .

ـــ سلوى : مهندسة شابة ، وخبيرة فى الاتصالات والتتبع .

ـــ رمزى : طبيب بارع متخصّص فى الطب النفسى .

ـــ محمود : عالم شاب وإخصائى فى علم الأشعة .

فريق نادر يتحدّى الغموض العلمى والألغاز المستقبلية .. إنهم نظرة أمل للمستقبل .. ونخبة من عالم الغد .

د . نبيل فاروق

١ ـ المدفع ..

نهض القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية من خلف مكتبه ، ليستقبل الدكتور (ناظم) فى اهتمام ، وهو يسأله :

ـ ماذا فعلتم بالنسبة للمشكلة التى تواجهكم يا دكتور (ناظم) ؟

تنهّد الدكتور (ناظم) ، ولوّح بيده فى ضيق ، وهو يلقى جسده على أقرب مقعد إليه ، قائلاً :

ـ إنها تزداد تضخمًا يا سيّدى القائد ، على نحو يثير فى نفسى مخاوف لا حصر لها .

انعقد حاجبا القائد الأعلى ، وهو يسأله :

ـ هل تعتقد أنكم تستطيعون السيطرة عليها ؟.. أعنى من الناحية العلمية .

مط الدكتور (ناظم) شفتيه ، وهو يقول :

ـ لقد تجاوز الأمر حدود البحث العلمى ياسيّدى القائد ، وأصبح يحتاج إلى تدخل أمنى ، قبل أن يستفحل الأمر ، ونفقد السيطرة عليه تمامًا .

تراجع القائد الأعلى فى مقعده ، وهو يقول :

ـ فليكن .. سأسند المهمة إلى الجيل الثانى ، الذى يتلهّف لإثبات وجوده .

اعتدل الدكتور (ناظم) ، وقال :

ـ أتقصد فريق الرائد (أيمن) ؟ .

أومأ القائد الأعلى برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم .. لا مفر من هذا .. سأسند إليهم المهمة ، على الرغم من شعورى بأن هذه المهمة كانت تحتاج إلى فريق أكثر خبرة وحنكة ، مثل ...

بتر عبارته قبل أن يكملها ، وتنهّد فى عمق ، فغمغم الدكتور (ناظم) :

ـ مثل فريق (نور) .

قال القائد الأعلى فى اقتضاب :

ـ بالضبط .

ثم رفع عينيه إلى أعلى ، مستطردًا فى أسى :

ـ ولكن الفريق كله الآن يحارب فى كوكب آخر ، على بعد ملايين السنوات الضوئية من هنا .

نظر إليه الدكتور (ناظم) لحظة ، قبل أن يقول :

ـ يحارب ؟!.. كم تروق لى روحك المتفائلة هذه ياسيدى القائد .

سأله القائد الأعلى فى حذر :

ـ ماذا تعنى بقولك هذا ؟

هزّ الدكتور (ناظم) كتفيه ، وغاص فى مقعده ، وهو يقول :

ـ أعنى أن مراصدنا لم تستطع تتبع رحلة (نور) وفريقه ، مع السرعة المذهلة التى انطلقت بها (أرغوريا) تلك السفينة الإمبراطورية ، التى رحلت بهم من هنا ، وكل ما نعرفه هو أنهم رحلوا من هنا ، ولكننا نجهل تمامًا ماحدث لهم بعد هذا .. إننا لا ندرى حتى إذا ما كانوا على قيد الحياة ، أم أنهم ..

لم يجرؤ على إتمام عبارته ، فتوقّف عند هذه النقطة ، وزفر فى حرارة ، جعلت القائد الأعلى يهز رأسه ، ثم يقول فى خفوت :

ـ لا أحد يمكنه التنبؤ بما أصابهم ، ولكن هذا لا يدعونا إلى التشاؤم ، فنحن ـ كما قلت ـ لا نعلم عنهم شيئًا ..

نعم .. لم يكن هناك مخلوق واحد ، فى الأرض كلها ، يعلم شيئًا عما يدور الآن على كوكب (أرغوران) ..

لقد رحل (نور) وفريقه ، على متن السفينة الفضائية (أرغوريا) ، التى انطلقت بهم عبر دروب ومسالك فضائية خاصة . اختصرت ملايين السنوات الضوئية من مدة

السفر ، ولكنهم واجهوا الأهوال ، وقاتلوا قتال الأبطال ، حتى نجحوا في الوصول إلى (أرغوران) ، وهبطوا عليه بخدعة مدهشة ، حافظت على سرية موقعهم ، حتى أعلن قائد المقاومة الأرغورانية (بودان) وصول (نور) ، المنقذ الأسطورى ، إلى الكوكب ..

وجنّ جنون الإمبراطور الجلوريالى (سيليا) ، وقائد فرسانه (آجور) ، وراحا يبحثان عن (نور) فى عصبية شديدة ، وكانت المفاجأة أنهما نجحا فى أسر (رمزى) ، وهدد (آجور) بقتله ، لو لم يسلم (نور) نفسه ..

ووضع (نور) خطة متقنة ، للتسلل إلى القصر الإمبراطورى ، وإنقاذ (رمزى) ..

ولكن الجلورياليين كانت لهم خطتهم أيضًا ..

لقد حاصروا رجال المقاومة ، وأطلقوا قمرًا فضائيًا خاصًا ، حجب شمس (أرغوران) الكبرى ، وواجه الجميع بليل صناعى ، لم يعتادوا مثله قط ، منذ نشأ كوكبهم ..

وفى الوقت نفسه ، نجح أحد ضباط (جلوريال) فى نسف السفينة (أرغوريا) ، ليفقد رجال المقاومة أملاً آخر فى النجاح ..

وداخل القصر الإمبراطورى ، واجه (نور) الموت ،

ممثلاً فى أشعة الأسلحة القاتلة ، التى يمطره بها رجال الفرقة الإمبراطورية الجلوريالية الخاصة ، الذين أعدوا مدفعًا ليزريًا خاصًا ، لسحقه مع (أكرم) و (هو نور) ..

وكانت بداية النهاية ..

نهاية (نور) وفريقه ..

بل نهاية المقاومة الأرغورانية كلها (*) ..

* * *

قهقه المقاتل الجلوريالى فى شماتة عصبية ، وهو ينحنى ليضغط زر إطلاق مدفع الليزر ، وصاح فى سخرية متوترة :

ـ الوداع أيها المنقذ الأسطورى .. بلغ تحياتنا لكل سكان الجحيم .. هذا لو أنه هناك جحيم .

وأطلق ضحكة مجلجلة أخرى ، واندفعت سبابته نحو الزرّ و ..

وفجأة ، شق المكان شعاع قاتل ، أطاح بالرجل ، قبل أن تصل سبابته إلى زرّ الإطلاق ، وارتفع صوت حاسم يهتف :

ـ قاتلا بكل قوتكما .. قاتلا الأعداء .

ارتفع حاجبا (نور) فى دهشة ، عندما وقع بصره على

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الأجزاء الثلاثة الأولى .. (لهيب الكواكب) ، (نيران الكون) ، و (الانفجار) ..
المغامرات أرقام (٩٧) ، (٩٨) ، و (٩٩) .

اثنين من رجال الحرس الجلوريالبين ، وهما ينقضان على زملائهما ، ويتبادلان معهم إطلاق النار فى شراسة ، وغمغم (هو نور) مشدوهًا :

ـ ماهذا بالضبط ؟

أما (أكرم) ، فأبدل خزانة مسدسه التقليدى بسرعة ، وهو يقول :

ـ لن نضيع وقتنا فى فهم ما يحدث .. دعونا نستغل حدوثه أوّلا .

قالها وأطلق رصاصاته على مقاتلى الفرقة الإمبراطورية الخاصة ، الذين وجدوا أنفسهم بين المطرقة والسندان ، والنيران تنصب عليهم من الأمام والخلف ، وأصابهم الذهول لموقف زميليهما ، اللذين يقاتلانهما فى شراسة شديدة ، فى حين ارتفع صوت (آجور) الغاضب الذاهل ، عبر مكبرات الصوت ، وهو يصرخ :

ـ ما الذى يحدث هنا ؟.. إنها خيانة .. خيانة .. (كوراك) و (آريول) يقاتلان إلى جانب المنقذ وزميليه .. إنها خيانة ولا شك .

أدار (أكرم) فوهة مسدسه فى سرعة إلى آلة التصوير ، التى تنقل كل ما يحدث إلى القاعة الإمبراطورية ، وقال :

ـ معذرة أيها الوغد ، ولكننى أكره أن يراقبنى أحد وأنا أقاتل .

وأطلق رصاصاته على آلة التصوير ، فنسفها نسفًا ، ثم عاد يقاتل هاتفًا :

ـ هكذا أفضل .

واحتقن وجه (آجور) وهو يقول للإمبراطور (سيلبا) :

ـ خيانة خاننا رجالنا يامولاى .

صاح به الإمبراطور فى غضب :

ـ لو أنك أحسنت اختيارهم لما فعلوا ياقائد الفرسان .

هتف (آجور) :

ـ ولكنك تعلم يامولاى كيف نختار رجال الفرقة الخاصة .. إننا نخضعهم لاختبارات مختلفة ، ونتأكد من ولائهم تمامًا ، قبل أن نبدأ حتى تدريباتهم .. هناك سبب لهذا حتمًا .. لن يخوننا رجالنا بهذه البساطة .

صرخ الإمبراطور ، وهو يلوّح بسبابته فى وجهه :

ـ أنت قائد فاشل يا (آجور) .. لا تحاول إقناعى بمبرراتك هذه .. لقد فشلت حتى فى اختيار رجالك .

هتف (آجور) :

ـ مولاى .. إننى ...

قاطعه الإمبراطور فى غضب هادر :

ـ كفى .. لا تنطق حرفًا واحدًا .

اندفع الحكيم (أوراكس) يقول :

- ولكنه على حق يا مولاى .. من المستحيل تقريبًا أن يخوننا أحد جنود الفرقة الخاصة .

صاح الإمبراطور :

- ولكننا شاهدنا هذا بأنفسنا أيها الحكيم .. ألديك تبرير لما حدث ؟

هزّ الحكيم رأسه ، وقال :

- ليس بعد ، ولكن من المؤكد أنه هناك سر وراء هذا الأمر .. سر غامض .

لوّح الإمبراطور بذراعه فى حدة ، وهو يصرخ :

- وكم ستستغرق لكشف هذا السر ؟.. عامًا أم عامين ؟!.. وهل ستفعل هذا قبل أم بعد احتلال رجال المقاومة للقصر ؟

أشار (آجور) إلى شاشة الراصد ، وهو يقول :

- انس أمر رجال المقاومة يامولاى الإمبراطور .. لقد وصلت عيون حراستنا ، وستبيدهم فى دقائق معدودة .

مطّ الإمبراطور شفتيه ، وهو يتابع القتال الشرس ، الذى يدور بين رجال المقاومة وعيون الحراسة ، وقال فى عصبية :

- أنت تبالغ كثيرًا يا (آجور) .. هؤلاء الأرغورانيون يقاتلون كالوحوش .

قال (آجور) فى صرامة :

- حتى ولو قاتلوا كشياطين الجحيم يامولاى ، لن يمكنهم الانتصار علينا أبدًا ، فهم يواجهون أوّل ليل فى تاريخهم الطويل ، وعيون حراستنا تهاجمهم من الشرق ، وجنودنا يمطرونهم بأشعتهم القاتلة من الغرب .. اطمئن يامولاى .. إنك تشهد آخر لحظات المقاومة الأرغورانية .. آخرها على الإطلاق ..

* * *

على الرغم من الشراسة الشديدة ، التى يقاتل بها (كوراك) و (آريول) ، إلا أن رفاقهما ، من رجال الفرقة الإمبراطورية الخاصة ، كانوا يقاتلون أيضًا فى استماتة ، فسقط (كوراك) صريعًا تحت وطأة الأشعة القاتلة ، وبدأ رجال الفرقة الخاصة يستعيدون السيطرة على الموقف ، وهتف (هو نور) محنقًا :

- ماذا نفعل أكثر من هذا ؟ .. إننا نسقط العشرات منهم ، فيحل محلهم مئات .. ومئات .. لم أعد أدرى كم يبلغ حجم هذه الفرقة الخاصة .. إنها تبدو لى وكأنها مكوّنة من ألف رجل .

هتف به (نور) :

- توقّف عن العد ، وقاتل فحسب يا رجل .. ليس أمامنا سوى هذا .

قال (أكرم) ، وهو يواصل إطلاق رصاصاته :

ـ إننى أقاتل بكل قوتى ، ولكن هناك سؤال يرفض أن يفارق رأسى مهما حاولت .. من صاحب الصوت ، الذى أمر هذين الجلورياليين بمقاتلة زملائهما ؟ وكيف أمكنه إقناعهما بهذا ؟

هتف (نور) :

ـ فيما بعد يا (أكرم) .. فيما بعد .. سنؤجل كل الأسئلة لما بعد .. إنهم يحاولون تشغيل مدفع الليزر مرة أخرى ، ولو نجحوا فى هذا فسينسفوننا نسفًا .

مع آخر حروف كلماته ، لحق (آريول) بزميله ، ولقى مصرعه بدوره ، وعلى الرغم من هذا ، ظل هناك شخص ثالث ، يقاتل الجلورياليين من الخلف ، فهتف (هو نور) :

ـ يبدو أن لدينا مقاتلاً ثالثًا .

لم يكد يتم عبارته ، حتى ظهر ذلك المقاتل الثالث ، وهو يتفادى طلقة من أشعة الجلورياليين ، ثم أطلق أشعته على الجلوريالى ، وأطاح به ، قبل أن يهتف :

ـ قاتل يا (نور) .. قاتل حتى آخر رمق .

وكانت مفاجأة مذهلة للرجال الثلاثة ، فصاح (أكرم) فى دهشة تمتزج بفرحة غامرة :

ـ (رمزى) .. إنه (رمزى) .. لقد نجا .. رباه !.. إنها معجزة .. معجزة .

وزفر (نور) فى ارتياح ، وهو يقول :

ـ حمدًا لله .. إنه حى .. الآن فهمت لماذا قاتل الحارسان الجلورياليان ضد رفاقهما ؟

هتف (هو نور) ، وهو يطلق النار :

ـ أنا لم أفهم بعد .

أجابه (نور) :

ـ سأشرح لك كل شىء .

ثم صمت لحظة ، قبل أن يستطرد :

ـ لو أننا نجونا من هذا الموقف .

كان الجلورياليون قد نجحوا فى بلوغ مدفع الليزر ، وبدءوا فى إعداده مرة أخرى ، فهتف (رمزى) فى توتر :

ـ لا .. لا ينبغى أن نسمح لهم بهذا .

وغادر مكمنه بحركة لا إرادية ، ليطلق النار على الجلورياليين المحيطين بالمدفع ، فصاح به (نور) :

ـ لا يا (رمزى) .. لا تفعل هذا .

ولكن أحد المقاتلين التفت بسرعة إلى (رمزى) ، وأطلق نحوه أشعته ، فقفز (رمزى) عائدًا إلى مكمنه ، محاولاً تفادى الطلقة ، ولكنه شعر بعمود من النار يخترق

فخذه الأيسر ، واندفعت آلام رهيبة إلى رأسه ، فسقط أرضا قبل أن يبلغ المكان ، ودارت به الدنيا كلها ، وتدفقت الدماء من جرحه غزيرة ، فى نفس الوقت الذى استعاد فيه الجلورياليون سيطرتهم التامة على مدفع الليزر المدمر ، وصوبوه مرة أخرى إلى (نور) و (أكرم) و (هو نور) ، فى حين اندفع زميلهم نحو (رمزى) ، الذى اهتزت الصور كلها أمام عينيه ، ولكن ذهنه نصف المشوش استقبل صوت الجلوريالى ، الذى صوب سلاحه إلى رأسه مباشرة ، وهو يقول فى لهجة تجمع بين السخرية والغضب والشماتة .

ـ فشلت يا رجل (سيتا ـ ٣) .

وتألقت الأشعة القاتلة فى المكان ..

واختطف الموت ضحية جديدة .

★ ★ ★



٢ ـ الباب الخلفى ..

امتقع وجه (سلوى) فى شدة ، داخل المخبأ السرى للمقاومة ، وانكمشت فى مقعدها على نحو عجيب ، وهى تقول فى شحوب :

ـ إنها النهاية .. أردنا أن نمنح الجلورياليين مفاجأة ، فهوت مفاجآتهم على رءوسنا كالسيل .. السماء أظلمت ، و (أرغوريا) انفجرت ، وعيون الحراسة الاحتياطية أحاطت بالقصر .. لقد خسرنا المعركة .

قال (محمود) فى توتر :

ـ الأمر لم ينته بعد .

سألته (مشيرة) فى أسى :

ـ هل تعتقد أن رجال المقاومة يستطيعون الصمود ، فى وجه كل هذا ؟

انفرجت شفتاه ليجيب ، ولكن (بودان) سبقه قائلاً :

ـ كلاً .

التفت إليه الجميع فى ارتياع ، فتابع فى مرارة :

ـ من الواضح أننا لن نربح هذه المعركة .. لقد جازفنا بأفضل مقاتلينا ، وكل قادة المجلس السباعى ، ولكننا سنخسر المعركة .

قالت (نشوى) :

ـ ربما عثروا على وسيلة للنجاة .

قال فى ألم وأسى :

ـ كيف ؟! .. إننا حتى لا نراهم .. ذلك الظلام العجيب أغشى عيون الجميع .. صدقينى يا بنيتى ، ليس من السهل أبدًا أن يستوعب سكان (أرغوران) الظلام .. لقد نشأنا فى كوكب تتعاقب عليه شمسان ، وعشنا دومًا فى نهار دائم ، ولأن المسافة بين كوكبنا وشمسينا تزيد كثيرًا على المسافة بين كوكبكم (سيتا ـ ٣) ، وشمسه ، فقد ساعد النهار الدائم لدينا على تدفئة مناخنا ، وحصولنا على درجة حرارة ملائمة للحياة ، ولو فقدنا شمسنا الكبرى هذه ستنخفض الحرارة على (أرغوران) كثيرًا ، حتى لن يحتمل أرغورانى واحد العيش على سطحه .

قالت (مشيرة) فى قلق :

ـ ولكن الجلورياليين لن يضعوا (أرغوران) حتمًا فى ليل طويل .. فهذا يرهقهم أيضًا .

هزّ رأسه نفيًا فى أسى ، وهو يقول :

ـ كلّا .. إنهم يستطيعون احتمال الليل الطويل ، ودرجات الحرارة المنخفضة ، لأنهم يجدون هذا على كوكبهم عند القطبين ، أما نحن فلم نعهد أمرًا كهذا قط .

ازداد امتقاع وجه (سلوى) ، وهى تغمغم :

ـ يالها من خطة جهنمية ، وضعها شيطان رجيم .

التفتت إليها (نشوى) بحركة حادة ، وردّدت فى ارتياع :

ـ شيطان ؟!

وشحب وجهها بدورها ، وهى تستطرد مرتجفة :

ـ الإمبراطور (سيليا) .. اعكسوا الاسم ، وستجدون أنفسكم أمام اسم مخيف ، يذكرنى بأهوال سابقة ، ذقناها على الأرض .

التقت عيونهم جميعًا فى هلع ، وغمغمت (مشيرة) :

ـ لو عكسنا حروف اسم الإمبراطور ، سنجد أننا أمام اسم ...

ولم تستطع إتمام عبارتها ..

لقد ارتجّ كيانها كله .

ارتجّ حتى النخاع ..

* * *

كل شىء كان يوحى بأنه لا أمل فى النجاة ..

الجلورياليون استعادوا سيطرتهم على مدفع الليزر المدمّر ، وأحدهم يصوّب سلاحه إلى رأس (رمزى) ، ولا ينقصه سوى الضغط على الزناد ، و (أرغوران)

يشاهد أول ليل فى تاريخه ، وعيون الحراسة تهاجم جيش المقاومة فى الخارج ..

كل شىء كان يدعو إلى اليأس ، حتى أن (نور) هتف برفيقيه :

ـ الوداع يا (هو نور) .. الوداع يا (أكرم) .. يشرفنى كثيرًا أن قاتلت إلى جواركما ، حتى اللحظة الأخيرة .

قالها ، وعيناه تتابعان سبابة المقاتل الجلوريالى ، وهى تتجه نحو زر إطلاق مدفع الليزر ، و ..

وفجأة ، انقلبت الأمور كلها رأسًا على عقب .

ضاقت ، فلما استحكمت حلقاتها فُرجت ...

ومن أوسع الأبواب .

لقد انطلق فجأة شعاع من الليزر ، عبر ممر القصر ، وسقط على مدفع الليزر ، فنسفه بانفجار قوى ، أطاح بكل الجلورياليين المحيطين به ، وجعل (هو نور) يهتف فى انفعال جارف :

ـ مستحيل ! .. من يقاتل إلى جوارنا هذه المرة ؟

لم يكد ينطقها حتى تدفق سيل من رجال المقاومة الأرغوارانية داخل القصر، وانطلقت أشعة أسلحتهم تحصد الجلورياليين ، الذين صعقتهم المفاجأة ، فاستداروا

يدافعون عن حياتهم ، ولكن الأسلحة الأرغورانية ، بالإضافة إلى عامل المفاجأة ، منعتهم من إدراك لمحة واحدة من النصر ، فلم تمض ثوان معدودة ، حتى انهارت فرقة الحراسات الإمبراطورية الخاصة أمام جيش المقاومة ، وصرخ (هو نور) .

ـ مرحى يا رفاق .. كيف وصلتم إلى هنا ؟.. لقد أنقذتم حياتنا .

اندفع نحوه (ديجنتى) وعانقه فى حرارة ، قبل أن يشير إلى (أكرم) فى حماس ، قائلًا :

ـ اشكر هذا الرجل ، فهو الذى فتح لنا الطريق .

ردد (أكرم) فى دهشة :

ـ أنا ؟!

أجابه (ديجنتى) فى حماس :

ـ نعم .. أنت يا رجل .. أنت أنقذتنا كلنا ، عندما شققت طريقك عبر الباب الخلفى للقصر ، فعندما تعقدت الأمور ، وأصبحنا محاصرين من كل جانب ، وعيون الحراسة تهاجمنا ، وجدنا أن أفضل مكان يمكننا أن نحتمى فيه ، هو القصر نفسه ، وسرنا على خطاك ، وعبرنا من الباب الخلفى إلى هنا .

وضع (نور) يده على كتف (ديجنتى) فى قوة ، وهو يقول :

ـ ولقد وصلتم فى الوقت المناسب يا رجل .
ثم استعاد روحه القيادية فى سرعة ، وهو يستطرد :
ـ والآن أخبرنى : كم فقدنا من الرجال ؟
أجابه (ديجنتى) :
ـ ما يقرب من مائتى مقاتل، منهم (كالـوا) و (نوفسا) .
قال (نور) فى ألم :
ـ فليرحم الله (سبحانه وتعالى) الجميع .. إنها خسارة فادحة .
هتف (هو نور) :
ـ ولكننا داخل القصر الآن .
وأشار (أكرم) الى (رمزى) الفاقد الوعى ، وهو يسرع إليه ، قائلا :
ـ وأنقذنا (رمزى) .
قال (نور) فى توتر :
ـ إنه يحتاج إلى إسعاف سريع ، فدماؤه تنزف فى غزارة .
التفت (ديجنتى) إلى بعض رجاله ، وقال بسرعة :
ـ حاولا إسعاف المصاب .
أسرع رجلان الى حيث يرقد (رمزى) ، وراحا

يضمدان جراحه فى سرعة ومهارة ؛ فى حين سألت (ريستا) (نور) :
ـ والآن ماذا نفعل أيها القائد ؟
أشار إليها (نور) ، قائلا :
ـ لقد قالها (هو نور) : نحن داخل القصر الآن ، وعلى الرغم من الخسائر الفادحة ، فقد حققنا الهدف الرئيسى ، وسنمضى فى سبيلنا حتى النهاية .
سأله (هو نور) فى حماس :
ـ هل تقترح احتلال القصر ؟
أجابه (نور) :
ـ بل أقترح ماهو أعظم من هذا . أنا نأسر إمبراطور (جلوريال) نفسه .
برقت عيون الجميع فى حماس كبير ، وجذب (أكرم) مشط مسدسه الآلى ، وهو يقول فى جذل ساخر :
ـ هذا هو العمل الذى يروق لى .
التفت (نور) إلى (ديجنتى) ، وسأله :
ـ هل تحفظ دروب القصر ؟
أجابه (ديجنتى) فى سرعة :
ـ عن ظهر قلب .
لوّح (نور) بسبّابته ، قائلا :



ولم تكد آلات الرصد تلتقط هذا المشهد حتى هتف الإمبراطور (سيلبا) فى عصبية : ـ أرأيت ما حدث يا قائد الفرسان ؟!

ـ رائع .. سننقسم إذن إلى ثلاث فرق .. واحدة بقيادتى ، والثانية بقيادة (هو نور) ، والثالثة بقيادة (ديجنتى) ، وسيبقى ثلاثة رجال هنا لحراسة (رمزى) ، وتأمين الباب الخلفى ، وسنهاجم القاعة الإمبراطورية من مداخلها الثلاثة فى آن واحد .

قال (أكرم) فى غضب :

ـ وماذا عنى ؟

أجابه (نور) :

ـ ستصحبنى فى الهجوم الرئيسى .

ثم أشار بيده ، مستطرذا فى حزم :

ـ هيا .. فلنبدأ على بركة الله .

انطلقت الفرق الثلاث تشق طريقها ، عبر دهاليز القصر الإمبراطورى ودروبه ، ولم تكد آلات الرصد تلتقط هذا المشهد ، حتى هتف الإمبراطور (سيلبا) فى عصبية :

ـ أرأيت ما حدث يا قائد الفرسان ؟!.. لقد وصلوا إلى القصر .

هتف الحكيم فى خوف :

ـ لابد أن نتحرك فى سرعة يا مولاى .. دعنا نغادر القصر من مخرج الطوارئ ، قبل أن يصلوا إلى هنا .

قال (سيلبا) غاضبًا :

ـ لا بديل عن هذا أيها الحكيم .. ويا للعار !.. أنا إمبراطور (جلوريال) العظيم ، أفرّ من قصرى كجرذ حقير ، بسبب فشل قائد فرسانى فى حمايتى .

التفت إليه (آجور) ، قائلًا :

ـ مولاى ..

صاح به الإمبراطور :

ـ اخرس .. لا أريد أية أعذار .

شدّ (آجور) قامته ، وهو يقول :

ـ لست أسعى للاعتذار يا مولاى ، بل للنصر .

تطلّع إليه الحكيم (أوراكس) فى دهشة ، فى حين ردّد الإمبراطور :

ـ النصر ؟!.. أى نصر هذا يا (آجور) ؟.. هل أصابتك الهزيمة بالجنون ، فرحت تحلم بنصر مستحيل ؟

أجابه (آجور) فى حزم :

ـ ليس مستحيلاً يا مولاى .. بل الواقع أن النصر قاب قوسين أو أدنى هنا .

قال الإمبراطور فى غضب :

ـ (آجور) .. لست وحدك القائد العسكرى هنا ، أنا أيضًا درست النظم القتالية ، ويمكننى تمييز الهزيمة فور رؤيتها .

أشار (آجور) إلى صدره ، قائلًا :

ـ أما أنا فأجيد انتزاع النصر ، من بين فكى الهزيمة يا مولاى .

تراجع (سيلبا) على عرشه ، وسأله :

ـ وكيف ستفعلها أيها العبقرى ؟

أجابه (آجور) :

ـ سأنسف القصر .

اتسعت عينا (أوراكس) أكثر ، وقال الإمبراطور فى دهشة :

ـ تنسف القصر ؟!

أجابه (آجور) فى حزم :

ـ نعم يا مولاى .. سنغادر القصر بالمركبات الطائرة الاحتياطية ، بعد تشغيل دائرة التدمير الذاتى ، وما هى إلا دقائق ثلاث ، وينفجر القصر كله ، بكل ما فيه ، و ...

وارتسمت على شفتيه ابتسامة شرسة ، قبل أن يضيف :

ـ وكل من فيه .

تطلّع إليه الإمبراطور طويلًا ، فى حين غمغم الحكيم :

ـ فكرة شيطانية .. إنك ستستغل وجود كل قادة المقاومة هنا ، مع المنقذ الأسطورى ، فتنسف بهم القصر كله .

قال (آجور) :

- بالضبط .
ظل الإمبراطور يتطلع إليه لحظات أخرى ، قبل أن يقول :
- رجالنا أيضا سيلقون مصرعهم .
هزّ (آجور) كتفيه ، وقال :
- لم يعد هناك الكثير من رجالنا .
غمغم الإمبراطور :
- صدقت .
ثم نهض عن عرشه ، مضيفًا بلهجة حازمة آمرة :
- نفذ خطتك يا (آجور) .
أجابه (آجور) فى سرعة ولهفة :
- أمر مولاى .
نطقها وعيناه تبرقان فى شدة ..
وفى وحشية ..

* * *

« هاهى ذى القاعة الإمبراطورية .. »
نطقها (نور) فى حماس ، عندما بلغ أحد أبواب القاعة الإمبراطورية الثلاثة ، وأشار إلى (أكرم) ، قائلا :
- هل يمكنك نسف رتاج هذا الباب ؟
أجابه (أكرم)، وهو يصوب مسدسه إلى الرتاج الإليكترونى:

- يمكننى أن أحاول على الأقل .
وقبل أن يطلق رصاصة واحدة ، ارتجّ المكان كله ارتجاجة عنيفة ، فهتف (أكرم) :
- ماهذا بالضبط ؟
ومع آخر حروف كلماته ، صدر أزيز قوى من سقف المكان ، فارتفعت عيون الجميع إلى أعلى ، وقال (نور) فى توتر :
- السقف يتحرّك :
غمغم (أكرم) :
- ما الذى يعنيه هذا ؟
ثم أطلق رصاصات مسدسه على الرتاج ، ولكن الرصاصات ارتدت عنه فى عنف ، جعل (نور) يهتف :
- كفى يا (أكرم) .. الرصاصات المرتدة يمكن أن تصيبنا .
صاح (أكرم) :
- كيف نقتحم المكان إذن ؟ .. إننا لا ندرى لماذا يتحرّك السقف .
كان السقف ينفتح تدريجيًا ، وتبدو من فوقه السماء المظلمة ، بنجوم لم يرها مخلوق أرغورانى ، فى تاريخ الكوكب كله ، فصمت الجميع مبهورين مشدوهين ، وهم

يحدقون فى النجوم اللامعة المتناثرة ، وذلك الليل الذى لم يحلموا حتى برؤيته ، فى أبشع كوابيسهم ، فى حين تمتم (نور) :

ـ رباه !.. يبدو أن ..

قاطعه هدير مباغت ، انبعث من داخل القاعة الإمبراطورية ، وأعقبه انطلاق ثلاث مراكب طائرة من القاعة ، اندفعت مبتعدة وسط السماء المظلمة ، فهتف (أكرم) فى غضب :

ـ لقد هرب ذلك الإمبراطور الوغد .

غمغم (نور) فى ضيق .

ـ هذا أمر طبيعى .. لقد سيطرنا على القصر ، ولن يبقى حتى يقع فى الأسر ، مادامت لديه وسيلة للفرار .

بدأ السقف رحلة العودة إلى موضعه الأوّل ، فى نفس اللحظة التى ارتفع فيها صوت آلى يقول :

ـ تم إشعال دائرة التفجير الذاتى .. التدمير الشامل خلال ثلاث دقائق .. بدأ العد التنازلى ..

اتسعت العيون كلها فى هلع ، وهتف (ديجنتى) ، عبر جهاز اتصال :

ـ سينسفون القصر أيها القائد .. ماذا نفعل ؟

هتف به (نور) :

ـ غادروا القصر جميعًا على الفور ، وبأقصى سرعة ، وابتعدوا لتحتموا بالأطلال .

صاح (هو نور) ، عبر جهاز اتصاله :

ـ وماذا عن عيون الحراسة ، التى تنتظرنا فى الخارج ؟

قال (نور) متوترًا :

ـ رباه !.. كيف نسيت أمرها ؟

ثم هتف :

ـ اتجهوا جميعًا إلى الباب الخلفى للقصر ، وسأتولى أمر عيون الحراسة .

وأنهى الاتصال قائلًا لرجال فرقته :

ـ هيا .. اتبعوا التعليمات . غادروا القصر مع الجميع .

سأله أحدهم :

ـ وهل نتركك وحدك أيها القائد ؟

صاح به (نور) :

ـ أطع الأوامر دون مناقشة .

قال (أكرم) فى حزم :

ـ لن أتركك وحدك .

أجابه (نور) ، وهو يراقب حركة السقف :

ـ بالطبع .. ستبقى معى يا (أكرم) ، ولكن المهم أن نتحرك فى سرعة .

سأله (أكرم) :

ـ ماذا سنفعل ؟

قال (نور) بسرعة :

ـ سنحاول تجاوز جدار القاعة الإمبراطورية ، قبل أن يغلق السقف مرة أخرى .

هتف (أكرم) .

ـ وماذا سنفعل فى القاعة الإمبراطورية الآن ؟.. هل نسجن نفسينا داخلها ، حتى ينفجر القصر .

قال (نور) فى توتر :

ـ الوسيلة الوحيدة لتدمير عيون الحراسة ، هى الضغط على زر خاص ، فى العرش الإمبراطورى ، ولو لم يتم تدمير هذه العيون القاتلة ، سنفقد كل من تبقى من رجالنا تقريبًا .

هتف (أكرم) ، وهو يرفع عينيه بسرعة إلى السقف ، الذى اقترب من حافة الجدار :

ـ يا إلهى !.. هذا صحيح .. أسرع يا (نور) .

ثم ألصق ظهره بالجدار ، وانحنى يشبك أصابع كفيه أمامه ، هاتفًا :

ـ اقفز إلى يدى ، وسأدفعك إلى أعلى ، لتتعلق بحافة الجدار ، وتعبره إلى داخل القاعة الإمبراطورية ، قبل أن

ينطبق عليها سقفها مرة أخرى .

تراجع (نور) بضع خطوات ، ثم اندفع نحو (أكرم) ، ووثب إلى كفيه المتشابكتين ، وهو يهتف :

ـ الآن يا (أكرم) .

استنفر (أكرم) عضلاته كلها ، ودفع ذراعيه إلى أعلى ، وهو يصيح :

ـ الآن يا (نور) .

كانت دفعة قوية ، أوصلت (نور) إلى حافة الجدار ، فتشبثت به أصابعه فى قوة ، وانقبضت عضلاته ليرتفع جسده إلى أعلى ، فى نفس الوقت الذى اقترب فيه السقف منه فى شدة . فهتف (أكرم) :

ـ أسرع يا (نور) .. أسرع .

ولكن السقف كان يقترب أكثر ؛ وأكثر ، ولم يعد يفصله عن جسد (نور) سوى سنتيمترات معدودة ، وبعدها يسحق (نور) ..

يسحقه تمامًا .

* * *

٣ ـ العيون ..

التقت الفرق الثلاث عند الباب الخلفى للقصر ، وهتفت (ريستا) فى توتر بالغ :

ـ عيون الحراسة تتحفز لاستقبالنا فى الخارج .. ماذا سنفعل ؟.. هل نهاجمها كما فعلنا من قبل ، أم ننتظر ما وعدنا به القائد ؟

قال (هو نور) فى صرامة :

ـ إننى أفضل القتال .. دعونا نهاجم هذه العيون الحقيرة ، وما دمتم نجحتم فى هزيمتها مرة ، فما الذى يمنعنا من هزيمتها ثانية ؟

أجابه (ديجنتى) فى حدة :

ـ فى المرة السابقة باغتنا هذه العيون بالهجوم ، وكان من الطبيعى أن نكبدها خسارة فادحة ، أما الآن فهى تتحفز لملاقاتنا ، ولن ننجو منها أبدًا .

قال (هو نور) :

ـ دعونا نحاول على الأقل .

أجابه (ديجنتى) فى حزم :

ـ ليس من حقك إصدار القرارات هنا .. لقد أمرنا القائد بالانتظار هنا ، حتى يتولى أمر عيون الحراسة هذه ، وسننفذ أوامره .

قال (هو نور) فى عصبية :

ـ وهل ستلتزم أجهزة التفجير الذاتى بأوامره أيضًا .. لقد خسرنا دقيقة كاملة حتى الآن ، وبقيت أمامنا دقيقتان فحسب ، ونحن نحتاج إلى نصف دقيقة لبلوغ الأطلال ، حتى نحتمى من الانفجار ، وهذا يعنى أن أمامنا دقيقة ونصف فحسب ، لنغادر هذا القصر .. هذا لو أننا لن نشتبك مع عيون الحراسة فى قتال ، يستنزف دقيقة أخرى على الأقل .

قال (ديجنتى) فى توتر :

ـ ماذا تعنى يا (هو نور) ؟.. هل ترفض تنفيذ أوامر القائد ؟

أجابه (هو نور) :

ـ كلا .. لست أرفض تنفيذ أوامر القائد ، ولكننى أتساءل : هل سنخضع لهذه الأوامر ، حتى ولو لم ينجح القائد فى التخلص من عيون الحراسة ؟

بدا مزيج من التساؤل والقلق فى عيون الجميع ، فتابع (هو نور) :

- إننى أقترح حلا وسطًا .. سنطيع أوامر القائد لنصف دقيقة أخرى ، وبعدها نندفع لقتال عيون الحراسة ، حتى تكون لدينا فرصة كافية لبلوغ الأطلال .

قال (ديجنتى) فى حزم :

- مستحيل !

اندفعت (ريستا) ، قائلة :

- ولكن (هو نور) على حق يا (ديجنتى) .. ماذا لو أن القائد لم يفلح فى إيقاف عمل عيون الحراسة ، أو السيطرة عليها ؟.. هل نلقى مصرعنا جميعًا هنا ؟

ارتفعت بعض الأصوات تؤيد (ريستا) ، وبدا وكأن المقاومة تواجه نوعًا من الانشقاق والتمرد ، فقال (ديجنتى) فى صرامة :

- فليكن .. سنأخذ الأصوات .

كان الاقتراع مباشرًا وسريعًا ، وربح المؤيدون لمنطق (هو نور) ، فقال (ديجنتى) :

- حسن يا سادة .. سننفذ اقتراح (هو نور) ، ولكننا سننتظر حتى تتبقى أمامنا دقيقة واحدة ، فلو لم يؤد القائد مهمته ، سنقاتل عيون الحراسة ، وليكن ما يكون .

قالها خضوعًا لرأى الأغلبية ، على الرغم من شعوره بأن هذه الخطوة ستؤدى إلى مذبحة ..

مذبحة دموية رهيبة ..

★ ★ ★

جزء من الثانية ، كان الفيصل بين حياة (نور) وموته ..

لقد انقبضت كل عضلة فى جسده ، ودفعته إلى أعلى ، والسقف يكاد ينطبق عليه ، ثم وثب إلى القاعة ، فى نفس اللحظة التى التقى فيها السقف بالجدران ، وتدحرج على أرضية القاعة لحظة ، ثم نهض يلهث فى انفعال وتوتر ، ودارت عيناه فى المكان فى سرعة ، حتى استقرَّتا على العرش الإمبراطورى ، فاندفع نحوه ، وهو يقول لنفسه فى توتر شديد :

- المفروض أن يكون زر تدمير عيون الحراسة فى مكان ما هنا ، فى العرش الإمبراطورى .

وفى نفس الوقت ، الذى انهمك فيه (نور) فى البحث عن الزر المنشود ، راح (أكرم) يتحرك فى عصبية خارج القاعة ، وهو يحمل مسدسه ، قائلًا :

- آه من هذا الرتاج اللعين .. لماذا لا يستجيب لرصاصاتى ؟!

كان يشعر بتوتر شديد ، لأنه يقف خارج القاعة عاجزًا ، و (نور) يبحث عن الزر وحده داخلها ، مما دفعه إلى إطلاق النار مرة أخرى على الرتاج ..

وفى هذه المرة أيضًا ارتدت الرصاصات فى عنف ، ولكن الرتاج تزحزح قليلًا فهتف (أكرم) :

ـ آه .. الآن فهمت ما يحدث .. كنت فقط أصوّب إلى الاتجاه الخاطئ .

ثم مال جانبًا ، وعاد يطلق رصاصاته على الرتاج ، حتى انهار بغتة ، وانفتح باب القاعة ، فاندفع (أكرم) داخل القاعة ، وهتف بـ (نور) :

ـ هل عثرت عليه ؟

أجابه (نور) فى توتر :

ـ كلا .. أنا واثق من أنه فى مكان ما هنا ، ولكن أين ؟.. لست أدرى .

اشترك معه (أكرم) فى البحث عن الزر ، وهو يقول فى عصبية :

ـ اللعنة !.. أين يخفون هذا الزرّ السخيف ؟.. أين ؟

ثم تطلع إلى ساعة يده ، واستطرد :

ـ ولكن الوقت يمضى فى سرعة يا (نور) .. لم يعد أمامنا الكثير .

ومع آخر حروف كلماته ، انبعث الصوت الآلى يقول :

ـ دقيقة واحدة قبل التدمير الشامل .. يستمر العد التنازلى .

بُهت (نور) وهو يغمغم :

ـ دقيقة واحدة !!

قالها وعيناه ملتصقتان بالعرش ، وقلبه يخفق فى عنف ..

فى عنف شديد ..

وفى اللحظة نفسها ، كان (هو نور) يقول فى صرامة :

ـ دقيقة واحدة يا (ديجنتى) .. هيا يا رفاق .

ومع صيحته ، انطلق مقاتلو المقاومة الأرغورانية لمواجهة عيون الحراسة ، التى اندفعت بدورها للقتال .. أو للمذبحة ..

لقد صدق (ديجنتى) هذه المرة ، وكانت عيون الحراسة كلها متأهبة للقتال ، فانطلقت أشعتها تحصد الرجال بلا رحمة ..

ولقى (آرون) مصرعه مع الموجة الأولى ، وأصيبت (ريستا) إصابة بالغة ، وسقط أكثر من عشرين رجلاً ، وهتف (ديجنتى) :

- تراجعوا .. تراجعوا يا رفاق .

ولكن قوله لم يكن مفيدًا ، فى هذا الموقف ..

لقد سبق السيف العذل ، وأحاطت عيون الحراسة بالجميع ، واستعدت للإبادة الكاملة ، و ...

وفجأة ، توقفت عيون الحراسة فى الهواء ، وترنحت لحظة ، فهتف (هو نور) فى انفعال :

- لقد فعلها .. فعلها القائد .

وتحت أبصار الجميع ، انهارت عيون الحراسة القاتلة ، وصاح (ديجنتى) :

- إلى الأطلال يا رفاق .. أسرعوا إلى الأطلال .

انطلق الجميع يجرون بكل قوتهم نحو الأطلال ، وهتف (هونور) يسأل (ديجنتى) :

- وماذا عن القائد ؟.. إنه ما يزال داخل القصر .

أجابه (ديجنتى) لاهثًا :

- لا يمكننا العودة إليه .. لم يعد أمامنا سوى عشرين ثانية .

هتف (هو نور) فى أسف :

- فليحفظه الله إذن .

وفى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كان (أكرم) يقول لـ (نور) :

- عظيم أنك عثرت على الزر أخيرًا يا (نور) ، ولكن الوقت المتبقى لن يسمح لنا بالنجاة من الانفجار .

دارت عينا (نور) فى المكان مرة أخرى ، وهو يقول :

- من يدرى .. ربما لو ..

قاطعه (أكرم) فى لهفة :

- لو ماذا ؟

أجابه (نور) ، وهو يتجه إلى باب كبير ، خلف العرش الإمبراطورى :

- لو أن الإمبراطور قد نجح فى الفرار مع رجلين من رجاله ، بوساطة مركبات طائرة ، فمن المحتمل أن نجد نحن أيضًا وسيلة للفرار .

فتح الباب فى سرعة ، فبدت أمامه مركبة طائرة صغيرة ، وهتف (أكرم) :

- كنت على حق هذه المرة أيضًا يا (نور) .

انبعث الصوت الآلى يقول :

- خمس عشرة ثانية قبل التدمير الشامل .. أربع عشرة .. ثلاث عشرة ..

وهتف (أكرم) ، وهو يضغط زر فتح السقف .

- أسرع يا (نور).. أسرع .

كانت المركبة تتسع لرجل واحد ، ولكن (أكرم) حشر جسده إلى جوار (نور) ، والصوت الآلى يواصل :

- تسع ثوان .. ثمان .. سبع .

وأشعل (نور) المحرك ، والسقف ينفرج فى بطء ، فهتف (أكرم) فى عصبية :

- لن نفلح يا (نور) .. هذا السقف يتحرك فى بطء مستفز .

ولكن (نور) انطلق بالمركبة ، والصوت الآلى يتابع :

- ست ثوان .. خمس ثوان ..

كانت الفتحة صغيرة بالفعل ، ولكن (نور) مال بالمركبة فى براعة مدهشة ، حتى كاد يلامس جدار القاعة ، ثم اندفع بها عبر الجزء المفتوح من السقف ، فاحتك باطنها به ، ولكنها تجاوزته ، وانطلقت مبتعدة بأقصى سرعة ، و (أكرم) يهتف :

- رائع .. أنت معجزة يا (نور) ..

ومن خلفهما دوى الانفجار ..

انفجار رهيب ، أطاح بالقصر الإمبراطورى كله ، وأضاء أول ليل يشهده كوكب (أرغوران) ، وولد موجة تضاغطية هائلة ، دفعت المركبة معها بعيدًا ، وأخلت بتوازنها فى شدة ، حتى كادت تسقط وتتحطم ، لولا أن بذل (نور) قصارى جهده للسيطرة عليها ، وهى ترتج فى قوة ، ثم صاح :



كانت الفتحة صغيرة بالفعل ، ولكن (نور) مال بالمركبة في براعة مدهشة ، حتى كاد يلامس جدار القاعة ..

ـ تشبث بى جيدًا يا (أكرم) .

ودار بالمركبة رأسيًا ، فى شكل حلزونى ، فى محاولة لامتصاص موجة التضاغط القوية ، قبل أن يستقر الموقف ، ويستعيد السيطرة على المقاتلة ، فأطلق زفرة حارة من أعماق صدره ، وهو يقول :

ـ حمدًا لله .. لقد نجونا .

لم يجب (أكرم) هذه المرة ، وهو يتطلع إلى الأمام ، فسأله (نور) :

ـ هل تأثرت بالموقف إلى هذا الحد ؟

أشار (أكرم) أمامه ، وهو يقول :

ـ ليس بالموقف ، ولكن بهذا .

قالها وهو يشير إلى مقاتلة جلوريالية ، انقضت فى شراسة على مركبتهما ، فهتف (نور) ، وهو ينخفض بالمركبة فى سرعة :

ـ يا إلهى !.. إنهم يهاجموننا بأسرع مما توقعت .

جاء هذا الانخفاض المباغت لينقذ المركبة ، من خيط أشعة قاتل ، أطلقته نحوها المقاتلة ، فتجاوزها ببضعة سنتيمترات ، ودار (نور) بالمركبة ، محاولاً مناورة المقاتلة ، وهو يقول :

ـ لست أعتقد أننا سننجح فى هذا .

سأله (أكرم) :

ـ لماذا ؟

أجابه (نور) :

ـ إننى أتحرك فى صعوبة ، بسبب وجودنا معًا فى مساحة صغيرة ، ولهذا السبب أيضًا يزداد وزن المركبة ، وتصبح المناورة بها عسيرة .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يقول :

ـ هكذا .

وفى نفس اللحظة ، أطلقت المقاتلة أشعتها مرة أخرى نحو المركبة ، ولكن الأشعة ارتطمت ببقايا بعض الأطلال ، التى عبر (نور) خلفها ، فنسفتها فى عنف ، واصطدمت الشظايا بجسم مركبة (نور) ، وقال (أكرم) فى حزم :

ـ انخفض أكثر يا (نور) ، وافتح باب كابينة القيادة .

انخفض (نور) أكثر بالفعل ، حتى صار ينطلق على ارتفاع ثلاثة أمتار من الأرض ، وهو يسأل (أكرم) :

ـ ماذا تخطط بالضبط ؟

أجابه (أكرم) ، وهو يزيح باب كابينة القيادة الزجاجى :

ـ سأغادر المركبة .

هتف به (نور) فى جزع :

ـ هل جننت ؟

قال (أكرم) فى حزم :

ـ أعلم أنه من المحتمل أن ألقى مصرعى لو قفزت ، ولكن من المؤكد أننا سنلقى مصرعنا معًا لو بقيت .

كانت المقاتلة الجلوريالية تنقضّ مرة أخرى على مركبة (نور) ، عندما وثب منها (أكرم) ، على ارتفاع ثلاثة أمتار ، وارتطمت قدماه بالأرض ، ثم وثب جسده إلى الأمام ، وراح يتدحرج بسرعة وعنف ، فى حين هتف (نور) ، وهو يرتفع بالمركبة فى سرعة :

ـ أنت مجنون حقًا .

ولكن ارتفاعه هذا أنقذه من طلقة أشعة أخرى ، أصابت الأرض ، على مسافة متر واحد من (أكرم) ، الذى هتف :

ـ حذار أيها الوغد .. ليس من السهل إصابتى .

ثم قفز واقفًا على قدميه ، على الرغم من ملابسه الممزّقة ، والسحجات والكدمات التى تملأ جسده ، وأطلق رصاصات مسدسه نحو المقاتلة ، التى تجاوزته بلا مبالاة ، وهى تطارد مركبة (نور) ، وقائدها يتجاهل تلك الرصاصات ، التى ارتطمت بجسم مقاتلته ، وارتدت عنها ، دون أن تصيبها بأكثر من خدوش بسيطة ، ويقول بلغته الجلوريالية الغليظة :

ـ سأعود لأسحقك سحقًا أيها المغرور ، ولكن بعد أن أنسف المنقذ الأسطورى .

ثم ضغط زر جهاز اتصال فى المقاتلة ، مستطردًا :

ـ من المقاتل الفضائى إلى القيادة .. أنا أطارد المركبة الإمبراطورية رقم أربعة ، وهى فى مجال الرماية .

أتاه صوت (آجور) ، وهو يقول :

ـ تعامل معها ، وانسفها بلا تردد .

قالها (آجور) ، والتفت إلى الإمبراطور (سينبا) ، قائلًا :

ـ أرأيت يا مولاى .. كانت فكرة عبقرية أن أترك آلة الرصد تعمل ، داخل مخزن المركبات الطائرة ، فبوساطتها علمنا أن المنقذ القادم من (سينا ـ ٣) ينطلق بمركبتنا الرابعة ، وأرسلنا مقاتلة لتدميره .

قال الإمبراطور فى حدة :

ـ كان المفروض أن ترسل سربًا كاملًا .

بدا الضيق على وجه (آجور) ، ولكنه قال :

ـ لم يكن الوقت يسمح بهذا يا مولاى .. لقد أرسلنا إليه أقرب مقاتلة أمنية إلى موقعه ، ولكن اطمئن .. المركبة التى يقودها هو لا تحمل أية أسلحة ، ولن يصعب على مقاتلتنا تدميرها .

غمغم الإمبراطور فى عصبية :

ـ أتعشم هذا ، فمستقبلك كله يتوقف على هذا يا (آجور) .

التفت إليه (آجور) فى دهشة وتساؤل ، فتابع فى صرامة :

ـ فلو لم ينجح ذلك المقاتل فى تدمير مركبة المنقذ ، سيكون هذا آخر عهدك بقيادة الفرسان .

ثم اكتسى صوته بغضب هادر ، وهو يستطرد :

ـ بل بالحياة كلها ..

سرت قشعريرة باردة كالثلج فى جسد (آجور) ، ولكنه لم ينبس ببنت شفة ، وإنما استدار يتابع المطاردة على شاشة راصد خاص ، داخل مخبأ إمبراطورى للطوارئ ، وتمنى لحظتها لو أنه هو الذى يقود المقاتلة الجلوريالية ، حتى يحافظ على مستقبله ..

وعلى حياته ..

وأمام عينيه ، وعيون الإمبراطور والحكيم (أوراكس) ، كانت المقاتلة الجلوريالية تطارد مركبة (نور) فى إصرار ، وقائدها يقول ساخرًا :

ـ لن تنجح أيها المنقذ الأسطورى .. إنك تواجه محترفًا .

وعلى شاشته ، أصبحت مركبة (نور) فى موضع الهدف تماما ، على الرغم من محاولاتها المستمرة للمناورة والفرار ، فابتسم المقاتل الجلوريالى فى سخرية

أكثر ، وأمسك عصا الإطلاق ، واستعد للضغط على زر الأشعة الساحقة ، وهو يقول متهكمًا :

ـ هيا .. قل وداعًا للحياة أيها المنقذ .

وانتفض جسد (أكرم) ، عندما شاهد هذا المشهد ، وهتف من أعماقه فى حرارة :

ـ لا تسمح له بهذا يا (نور) .. لا تسمح له ..

ولكن المقاتل الجلوريالى ضغط الزر ..

وانطلقت الأشعة الساحقة ..

وأصابت الهدف ..

وفى سماء (أرغوران) ، انفجرت المركبة ..

مركبة (نور) .

* * *



٤ ـ مرارة الهزيمة ..

ارتفع أزيز جهاز التحذير الخاص ، فى مخبأ المقاومة السرى ، فانتفض جسد (سلوى) فى شدة ، وهى تقول فى انفعال :

ـ لقد عادوا .

التفتت (نشوى) و (مشيرة) فى حركة سريعة إلى باب المخبأ ، فى حين اندفع (محمود) و (بودان) إلى شاشة المراقبة ، وهتف الثانى :

ـ إنه (ديجنتى) بصحبة زميلكم الطبيب .

هتفت (نشوى) :

ـ (رمزى) .. يا إلهى !.. (رمزى) .

قالتها ، واندفعت بكيانها كله نحو الباب ، الذى فتحه (بودان) بضغطة زر ، لتستقبل (ديجنتى) ، الذى حمل (رمزى) على كتفيه ، وهتفت فى لهفة وقلق :

ـ أهو بخير ؟.. أخبرنى بالله عليك .. أهو بخير ؟

أجابها (ديجنتى) ، وهو يضع (رمزى) فوق منضدة قريبة :

ـ اطمئنى يا سيدتى .. إنه حى .. لقد فقد بعض الدماء ، وبذل جهدًا كبيرًا فى القتال ، ولكنه لن يلبث أن يستعيد وعيه .. لقد حقنه أحد أطبائنا بعقار خاص ، سيعوِّض بعض ما فقده من الطاقة .

قالت متوترة :

ـ وهل يفلح هذا العقار معه ؟.. أعنى هل تصلح عقاقيركم لأجسادنا نحن الأرضيين ؟ .

غمغم :

ـ أعتقد هذا يا سيدتى .. أطباؤنا يعتقدون هذا . فتكوين أجسادنا لا يختلف كثيرًا ، بالنسبة للأجهزة الحيوية .

التف الجميع حول (رمزى) ، يفحصونه فى قلق ، فى حين صافح (بودان) (ديجنتى) ، وسأله :

ـ كيف الأحوال ؟

تنهَّد (ديجنتى) فى عمق ، وقال :

ـ لو أردت رأيًا صريحًا ، فالأمر كله أشبه بالكارثة يا سيدى .. لقد فقدنا أكثر من ثلاثمائة مقاتل ، ولم يتبق من المجلس السُّباعى للمقاومة سواى و (هو نور) ، و (ريستا) المصابة بإصابات بالغة ، أعتقد أنها ستمنعها من القتال لفترة طويلة وانفجرت (أرغوريا) أمام أعين

الجميع ، ثم هناك ذلك الليل الرهيب .. إنه يثير الخوف والفزع في قلوب الجميع ، وبخاصة الأطفال ، الذين لم يشهدوا شيئًا كهذا قط .

هز (بودان) رأسه ، وقال :

ـ هذا أمر متوقع .. لقد أطلق هؤلاء الجلوريااليون قمرًا فضائيًا خاصًا ، عبارة عن عدسة هائلة داكنة ، حجبت ضوء الشمس الكبرى ، وصنعت هذا الليل ، ولكن لن تلبث شمس (أرغوران) الصغرى أن تشرق ، وتبدّد مع ضوئها كل الخوف والفزع .

قال (ديجنتى) فى مرارة :

ـ إلى حين يا سيّدى .. سيتبدّد الخوف مع مشرق الشمس الصغرى ، ثم يعود ليتجدّد مع مغيبها .. ليس من السهل أبدًا أن يستوعب شعبنا هذه الظاهرة الجديدة ، أو يتكيف معها .. ثم إنه هناك من يردّدون أن ..

بتر عبارته بغتة ، فالتفت إليه (محمود) ، يسأله :

ـ ماذا هناك يارجل ؟

بدا الحرج على وجه (ديجنتى) ، فقال له (بودان) فى حزم :

ـ أفصح عما لديك يا رجل .. الظروف تحتم أن نواجه كل شيء بمنتهى الوضوح والصراحة .

تردد (ديجنتى) لحظة أخرى ، ثم اندفع قائلًا :

ـ البعض يحاول نشر فكرة سخيفة ، تقول : إن المنقذ الأسطورى هو المسئول عن هذا الليل ، وأن قدومه إلى (أرغوران) كان نذير شؤم .

انعقد حاجبا (محمود) فى غضب ، وهو يقول :

ـ يا للأوغاد .. لقد لجئوا لأساليب الحرب النفسية القذرة .

غمغم (بودان) :

ـ هذا أمر طبيعي .. سيحاولون استغلال كل الوسائل الممكنة ، لتحطيم أسطورة المنقذ ، القادم من (سيتا ـ ٣) .

قال (محمود) فى حزم :

ـ هذا صحيح ، ولكن يمكننا أن ..

قاطعته فجأة صيحة (نشوى) ، وهى تهتف :

ـ (رمزى) استعاد وعيه .

أسرع (محمود) إلى حيث يرقد (رمزى) ، وأمسك كتفيه فى حرارة ، وهو يقول :

ـ مرحى يا (رمزى) .. حمدًا لله على سلامتك يا صديقى ..

قال (رمزى) فى إعياء :

ـ مهلًا يا صديقى .. جسدى لا يحتمل أصابعك .

ترك (محمود) كتفيه ، وهو يغمغم :

ـ فلنحمد الله (سبحانه وتعالى) ، لأننا رأيناك بيننا مرة أخرى يا رجل .

أما (نشوى) ، فانخرطت فى بكاء حار ، واحتضنتها أمها فى حنان ، وتركتها تفرغ انفعالاتها على صدرها ، فى حين سألت (مشيرة) (رمزى) فى لهفة وفضول :

ـ ولكنك كيف نجوت يا (رمزى) ؟ .. ألم يحتجزوك داخل ذلك القفص الإليكترونى ؟

حاول أن يبتسم فى تهالك ، وهو يجيبها :

ـ بلى .. لقد فعلوا ، ولكنهم أخطئوا عندما تركوا رجلين لحراستى ، فقد أقنعت كليهما بالاقتراب منى ، ثم أخضعتهما للتنويم المغنطيسى (*) دون أن ينتبها إلى ما أفعله ، وعندما أصبحا تحت سيطرتى ، جعلتهما يطلقان سراحى ، ثم دفعتهما لقتال رفاقهما ، دفاعًا عن (نور) ومن معه .

(*) التنويم المغنطيسى : حالة شبيهة بالنوم الطبيعى ، يمكن إحداثها بتكرار بعض الكلمات أو الإيحاءات ، أو التحديق فى نقطة لامعة ، مع حركات تنفسية بطيئة ، ولا يفقد النائم شعوره أو انتباهه ، ولكنه يخضع لإيحاءات المنوم وأوامره ، بشرط ألا تتعارض مع أخلاقياته .

سأله (محمود) فى دهشة :

ـ ولكن كيف أقنعتهما بهذا ؟ .. المفروض علميًا أن الشخص الذى يخضع للتنويم المغنطيسى لا يمكن إقناعه بأداء عمل ما ، يرفض إتيانه فى يقظته (*) .

أجابه (رمزى) فى خفوت :

ـ هذا صحيح ؛ ولكن ماذا لو جعلته يرى الأمور بشكل مختلف ؟

سألته (مشيرة) :

ـ ماذا تعنى ؟

أجاب وصوته يزداد خفوتًا :

ـ لقد أقنعتهما أننى قائدهما (آجور) ، وأن (نور) ورفاقه هم زملاء سلاحهما ، فى حين رأوا رفاقهما من الجلوريالبين فى هيئة أرغورانية .. إنها واحدة من عجائب التنويم المغنطيسى .. إنك تستطيعين إقناع عين الخاضع له برؤية أمور وأشياء ، لا توجد أمامها فى الحقيقة ، و...

تخاذل صوته بسرعة ، ثم عاد بغتة إلى غيبوبته ، فهتفت (نشوى) مذعورة :

(*) حقيقة علمية .

- (رمزى) .. ماذا أصابك ؟

أجابها (ديجنتى) فى هدوء :

- اتركيه يا سيّدتى الصغيرة ، فجسده لم يستعد كل قوته بعد .. اتركيه يستغرق فى نوم عميق ، حتى يستعيد نشاطه وحيويته .

تراجعت (نشوى) فى توتر ، وعيناها لا تفارقان وجه (رمزى) ، فى حين التفتت (سلوى) إلى (ديجنتى) ، وسألته :

- وماذا عن (نور) ؟!.. أين هو ؟.. ولماذا لم يعد معكم ؟

هزّ (ديجنتى) رأسه فى بطء ، وهو يقول :

- لست أدرى .

سألته فى حدة :

- ماذا تعنى بأنك لا تدرى ؟.. لقد كنتما معًا .

أجابها فى حذر :

- هذا صحيح يا سيدتى ، ولكننا غادرنا القصر قبله ، وتولّى هو والسيد (أكرم) مهمة تدمير عيون الحراسة ، ولقد رأينا مركبة جلوريالية تغادر القصر ، قبل انفجاره بثوان معدودة ، وبعدها لا ندرى ما حدث ، فربما كانت هذه

المركبة تحمل السيّد (أكرم) ، أو القائد (نور) ، و ...

قاطعته (مشيرة) فى عصبية :

- أو تحملهما معًا .

صمت (ديجنتى) لحظة ، قبل أن يجيب :

- أخشى أن هذا احتمال ضئيل يا سيّدتى ، فالمركبة من طراز لا يتسع إلا لراكب واحد .

اندفعت (سلوى) ، قائلة :

- أحدهما نجا على الأقل إذن .

صمت (ديجنتى) لحظة أخرى ، قبل أن يقول فى خفوت :

- ربما يا سيّدتى ، ربما .

نطقها بلهجة لم تنجح حتى فى إقناعه هو .

لهجة كانت تحمل معها مرارة خاصة ، تذوّقتها آذان الجميع ..

مرارة الهزيمة ..

الهزيمة الفادحة ..

* * *

« انتصرنا يا مولاى ... » .

هتف (آجور) بالعبارة فى سعادة جمة ، وهو يلوّح

بذراعيه أمام الإمبراطور (سيلبا) ، داخل مركز قيادة الجيوش الجلوريالية ، قبل أن يستطرد فى حماس :

- سحقنا مئات من رجال المقاومة الأرغورانية ، ونسفنا (أرغوريا) ، وأطلقنا قمرنا الخاص ، الذى صنع أوّل ليل فى تاريخ (أرغوران) ، ثم توّجنا كل هذا بالضربة الكبرى ، عندما نسفنا مركبة المنقذ الأسطورى ، وقضينا عليه قضاءً مبرمًا .

أجابه الإمبراطور فى انفعال :

- لم يكن النصر سهلًا أو رخيصًا يا (آجور) .. لقد خسرنا نحن أيضًا أكثر من مائتى رجل ، واضطررنا لنسف القصر الإمبراطورى ، وفسدت كل عيون الحراسة ، ولكن ..

تطلّع إليه (آجور) و (أوراكس) فى لهفة ، فتابع فى ارتياح :

- ولكن هذا لا يمنع انتصارنا الساحق على المنقذ الأسطورى ورجال المقاومة .. لقد حطمناهم فى يسر ، حتى أننى أتساءل فى دهشة : كيف نجح هذا المنقذ ورجاله فى هزيمة جيوشنا ، التى احتلت كوكبهم ، منذ بضع سنوات ؟!(*) .

(*) راجع قصة (الاحتلال) ... المغامرة رقم (٧٦) .

قال (آجور) فى انفعال :

- لم يهزمونا بقوتهم يا مولاى ، وإنما بفضل ذلك الآلى الرهيب ، الذى لا تؤثر فيه أسلحتنا قط .

لوّح الإمبراطور بكفه ، وهو يقول :

- هذا صحيح .. لقد قرأت تقارير رجالنا ، الذين عادوا من هناك ، وكلها تؤكد أن ذلك الآلى دحر وحده معظم قواتنا ، وحقّق النصر لمقاتلى (سيتا - ٣) ، حتى أننى أتساءل : كيف لم يحملوه معهم إلى هنا ، ماداموا قد قطعوا ملايين السنوات الضوئية لقتالنا ؟!

بدا اهتمام مباغت على وجه (آجور) ، وهو يقول :

- نعم .. كيف اتفق أنهم لم يفعلوا هذا ؟

بقى سؤاله بلا جواب لحظات ، قبل أن يطلق الإمبراطور ضحكة تموج بالانفعال ، وهو يقول :

- هل تعلم يا (آجور) ؟.. لقد أنقذت منصبك وحياتك ، عندما تحقق لنا هذا النصر .. والواقع أنك تستحق مكافأة كبرى على عبقريتك النادرة ، التى جعلتك تعثر على (أرغوريا) ، وتأمر بنسفها .. سأمنحك وسامًا من أجل هذا .

صمت (آجور) لحظة ، ثم تنحنح مغمغمًا :

ـ هذا لا يقارن بعبقريتك الفذة يا مولاى .

أطلق الإمبراطور ضحكة أخرى ، وقال فى زهو :

ـ بالطبع يا (آجور) .. بالطبع .

ثم لوَّح بيده ، مستطردًا فى فخر واضح :

ـ أريد أن أحتفل بهذا يا (آجور) .. سنقيم احتفال نصر هائلًا ؛ ليعلم شعب (أرغوران) كله أننا انتصرنا على منقذهم الأسطورى ، القادم إليهم من (سيتا ـ ٣) .

تنحنح الحكيم (أوراكس) ، وقال :

ـ معذرة يا مولاى ، ولكننى أعتقد أن وقت الاحتفال لم يحن بعد .

التفت إليه الإمبراطور فى غضب ، قائلًا :

ـ ولم لا أيها الحكيم ؟!.. ألم ننتصر بالفعل ؟

أجابه الحكيم فى هدوء :

ـ بلى يا مولاى ، ولكن انتصارنا لا يبدو ظاهريًا انتصارًا كاملًا ، فأنت بلا عرش ، وبلا قصر ، ولم نعثر بعد على جثة أو أشلاء المنقذ الأسطورى ، وهذا سيمنح الأرغوارنيين فرصة السخرية منا ، ويفقد النصر قوته .

تطلَّع إليه الإمبراطور لحظات فى حنق ، ثم لم تلبث ملامحه أن لانت ، وهو يغمغم فى تفكير :

ـ يبدو أنك على حق يا (أوراكس) .

والتفت إلى (آجور) ، قائلًا :

ـ ماقولك فى هذا يا قائد الفرسان ؟

أجابه (آجور) فى سرعة ، وكأنما أعدَّ الجواب مسبقًا :

ـ لكل مشكلة حل يا مولاى .. سأرسل على الفور فرقة من رجالنا ، لفحص شظايا وحطام المركبة الفضائية ، واستخراج كل ما يمكن استخراجه من أشلاء جثة ذلك المنقذ الأسطورى ، وسنحرقها فى احتفال مهيب .. أما بالنسبة للقصر الإمبراطورى والعرش ، فلدىَّ اقتراح مدهش .

سأله الإمبراطور فى شغف :

ـ وماهو ؟

لوَّح (آجور) بذراعيه فى حماس ، وهو يقول :

ـ سأستعين بأحدث مبتكرات مركز أبحاث الفضاء .. بمضادات الجاذبية الفائقة ، وسنصنع قصرًا إمبراطوريًا منيفًا ، من سفن فضاء ضخمة ، خلال ثمان وأربعين ساعة فحسب ، ثم نطلقه فى سماء (أرغوران) ، ونبقيه معلقًا فيها إلى الأبد ، بوساطة مضادات الجاذبية الفائقة .. هل

يمكنك أن تتخيل عظمة هذا المشهد يا مولاى ؟ .. قصر إمبراطور (جلوريال) فى سماء (أرغوران) ؟

برقت عينا الإمبراطور فى انبهار ، وهو يغمغم :

ـ سيكون مشهدًا رائعًا بالفعل .

أجابه (آجور) فى حماس أكبر :

ـ ليس المشهد وحده يا مولاى ، وإنما عامل الأمن أيضًا ، فالقصر الطائر آمن تمامًا من الهجمات المباغتة ، والحصار ، وكل المفاجآت الأخرى ، كما أننا سنحيطه بنطاق من الطاقة الكهرومغنطيسية ، فلا تبلغه الصواريخ أو القذائف .. بل ولا تصل إليه مركبة واحدة ، دون علمنا وموافقتنا .

انتقل حماسه إلى الإمبراطور ، الذى هتف :

ـ بكل تأكيد .. هذا أعظم ما يمكننا صنعه .

ثم أشار إلى (آجور) ، مستطردًا :

ـ ابدأ التنفيذ فورًا يا (آجور) .. أريد الانتقال إلى القصر الإمبراطورى الجديد ، فى غضون ثمان وأربعين ساعة كما قلت ، واعملوا على إعادة تشغيل عيون الحراسة .. أريد أن يشعر كل مواطن أرغوارنى بأننا أصبحنا أكثر قوة ، بعد قتالنا مع رجال المقاومة ومنقذهم الأسطورى ، وسنعاقب الأرغوارنيين على فرحتهم بقدوم ذلك المنقذ .

قال (أهراكس) فى خفوت :

ـ لقد عاقبناهم بالفعل يا مولاى ، بذلك الليل الصناعى ، الذى أنزل فى قلوبهم الرعب ، وجعلهم يرتجفون ذعرًا وهلعًا .

قال الإمبراطور (سيلبا) فى شراسة :

ـ هذا لا يكفى ، فما إن تشرق شمس (أرغوران) الصغرى ، حتى يتبدد خوفهم ، وتعاودهم الرغبة فى قتالنا واعتراض أوامرنا .

اندفع (آجور) قائلًا :

ـ ولماذا تشرق شمس (أرغوران) الصغرى يا مولاى ؟

أجابه الإمبراطور فى حدة :

ـ لأن قوانين الطبيعة تحتم هذا .

قال (آجور) فى اهتمام :

ـ ولكننا خالفنا هذه القوانين بالفعل ، عندما أطفأنا شمس (أرغوران) الكبرى .

سأله الإمبراطور :

ـ ماذا تعنى يا (آجور) ؟

أجابه (آجور) فى حزم :

ـ أعنى أننا نستطيع تكرار التجربة ، مع الشمس

الصغرى أيضا ، بحيث يحيا (أرغوران) فى ليل دائم بلا نهاية .. وصدقنى يا مولاى .. هذا سيحطم ما تبقى من معنويات الشعب هنا تمامًا ، ولن ترتفع رءوسهم بعد هذا قط .

غمغم الحكيم فى رهبة :

ـ يالها من فكرة !

أما الإمبراطور ، فقد تطلّع إلى (آجور) طويلاً قبل أن يقول :

ـ من الواضح أن طموحك يتزايد فى سرعة يا (آجور) .

شدّ (آجور) قامته ، وهو يقول :

ـ طموحى يبلغ أكثر مما تتصوّر يا مولاى .. إنه لا يتوقّف عن السيطرة الكاملة على (أرغوران) ، وإنما يتجاوز هذا بكثير .

سأله الإمبراطور فى حذر :

ـ يتجاوزه إلى أى مدى ؟

قال (آجور) :

ـ إلى مدى كبير يا مولاى ، فأنا أتساءل حقًا .. لماذا لم يحضر المنقذ معه ذلك الآلى ، الذى حقّق له النصر على كوكبه ؟.. لست أجد تفسيرًا منطقيًا لهذا ، سوى أن طاقة

ذلك الآلى قد نضبت كلها ، بعد قتاله مع قواتنا ، أو أنه لم يعد له وجود على الإطلاق ، وهذا يعنى أن الطريق إلى (سيتا ـ ٣) لم يعد مغلقًا .

اعتدل الإمبراطور ، يسأله فى اهتمام بالغ :

ـ فيمَ تفكر بالضبط يا (آجور) ؟

اعتدل (آجور) ، وقال فى حزم :

ـ فى تكرار التجربة يا مولاى .. سنشن حملة جديدة لاحتلال كوكب المنقذ الأسطورى مرة أخرى .. حملة بلا رحمة أو هوادة .

وبرقت عينا الإمبراطور (سيليا) فى شدة ، حتى بدتا أشبه بالنيران المتقدة ..

بل بالأعماق ..

أعماق الجحيم .

* * *



٥ ـ المنقـذ ..

أطلق (محمود) زفرة متوترة ، بدت أشبه بحمم ملتهبة ، تفجرت من بركان ثائر فى أعماقه ، وهو يقول فى مرارة :

ـ لا يوجد أدنى أثر لهما .

تشبثت به (سلوى) فى عصبية ، وهى تشير إلى شاشات الرصد ، قائلة :

ـ ابحث مرة أخرى يا (محمود) .. مستحيل أن يكون (نور) و (أكرم) قد اختفيا تمامًا .. لقد سمعت (ديجنتى) بنفسك يقول : إنه رأى مركبة تنطلق من القصر الإمبراطورى ، قبيل نسفه بثوان معدودة .

هزّ (محمود) رأسه ، هو يكرّر آسفًا :

ـ لا يوجد أدنى أثر ، فى نطاق الرصد على الأقل .

تراجعت (سلوى) كالمصعوقة ، وهى تقول فى شحوب :

ـ لا يا (محمود) .. لا تقل هذا .. مستحيل أن يكون (نور) و (أكرم) قد لقيا مصرعهما .!.. مستحيل !

خفض (محمود) عينيه فى مرارة ، وهو يكتم دموعًا



لا تقل هذا .. مستحيل أن يكون (نور) و (أكرم) قد لقيا مصرعهما .!.. مستحيل !..

ساخنة ، جاهدت لتفرّ من مقلتيه ، فى حين تمتم (ديجنتى) فى أسى :

- هكذا الحروب يا سيّدتى .

هتفت به (نشوى) :

- ماذا تعنى يا (ديجنتى) ؟ .. ماذا لديك ؟

تردّد (ديجنتى) لحظة ، ثم قال فى حزن :

- الواقع يا سيّدتى الصغيرة ، أننى رأيت المركبة ، التى فرّت من القصر ، وهى تحاول الفرار من مقاتلة جلوريالية .. ولكن .. ولكن ..

صاحت (نشوى) :

- ولكن ماذا ؟.. أجب بالله عليك يا (ديجنتى) .

ازدرد (ديجنتى) لعابه فى صعوبة ، وأجاب :

- ولكن المقاتلة الجلوريالية لحقت بها ، وأطلقت نحوها أشعتها ، و ...

وعندما بتر عبارته هذه المرة ، لم يحاول أحدهم استعجاله ، أو حثّه على الكلام ، وإنما تطلّعوا إليه جميعًا فى وجوم مذعور ، فأكمل :

- ونسفتها .

شهقت (سلوى) فى ارتياع ، فى حين أطلقت (نشوى) صرخة ذعر ، كتمتها بكفها فى سرعة ، وامتقع

وجه (مشيرة) ، حتى كاد يحاكى وجوه الموتى ، وهى تقول :

- إذن فكلاهما لقى مصرعه .. كلاهما قضى نحبه فى ذلك الهجوم الفاشل .

قال (بودان) فى خفوت :

- إنه لم يكن فاشلًا تمامًا .

صرخت (مشيرة) :

- بل فاشل .. فاشل وألف فاشل .. صحيح أننا نجحنا فى استعادة (رمزى) ، ولكن الثمن كان فادحًا .. فادحًا للغاية .. يكفى أننا خسرنا (أكرم) و (نور) .

انفجرت (سلوى) باكية ، وانتحبت (نشوى) فى صوت مكتوم ، ولكن فجأة ، هتف (محمود) فى حماس :

- هناك رجلان يقتربان من هنا .

تجمّدت الدموع فى عينى (سلوى) ، واستدارت فى سرعة إلى شاشة الراصد ، التى يراقبها (محمود) ، والتفتت إليه عينا (نشوى) فى لهفة ، وهتف (بوادن) :

- حقًا ؟!

أما (مشيرة) و (ديجنتى) ، فقد تعلّقت عيونهما بالشاشة ، التى نقلت الظل الحرارى لرجلين ، يقتربان من مدخل المخبأ السرى ، فخفق قلب (سلوى) فى شدة ، وهى تقول :

- أهما أرضيان أم أرغورانيان ؟

غمغم (محمود) فى لهفة :

- لا يمكننى الحسم ، فالتوزيع الحرارى متساو فى الحالتين .

كان الرجلان قد توقفا أمام المدخل ، ثم ضغط أحدهما زرّ الفتح ، وصدر أزيز خافت داخل المخبأ ، فالتفتت كل العيون إلى بابه ، الذى انزاح فى بطء ، ليكشف عن رجلين ، قال أحدهما فى مرح :

- ماهذا الصمت ؟.. كنت أتوقع استقبالاً حافلاً :

فجّرت عبارته فرحة طاغية فى قلوب الجميع ، وقفزت (مشيرة) إلى صاحب الصوت ، هاتفة :

- وستحصل عليه يا (أكرم) .. حمدًا لله على عودتك سالمًا .

أما (سلوى) ، فقد ألقت بنفسها بين ذراعى زوجها (نور) ، الذى ربّت عليها فى حنان ، وتركها تسكب دموع الفرح على صدره ، وضم إليه ابنته بذراعه الأخرى ، وهو يقول :

- مرحبًا يارفاق .. تصوّرت لحظة أننى لن أراكم ثانية .

اندفع إليه (بودان) و (ديجنتى) و (محمود)، يصافحونه فى حرارة ، وهتف (محمود) :

- حمدًا لله على عودتك سالمًا يا (نور) .. كيف نجوت من الجلورياليين ؟

أجابه (نور) :

- لقد نسفت المقاتلة الجلوريالية مركبتى بالفعل ، ولكننى كنت قد نجحت ، قبل ثانية واحدة ، فى القفز منها ، بنفس الوسيلة التى فعلها (رمزى) ، دون أن يدرك قائد المقاتلة الجلوريالى هذا ، ووسط الأطلال التقيت بـ (أكرم) ، وأسرعنا نشق طريقنا إلى هنا ، مستترين بالظلام ، الذى صنعه أوغاد (جلوريال) .

هزّ (بودان) رأسه ، قائلاً :

- إنها كارثة أيها المنقذ .. كارثة بحق .

قال (أكرم) ساخرًا :

- أتقصد عودتنا سالمين ؟

هتف (بودان) فى سرعة :

- بل الظلام بالطبع .. لقد ضاعف من الإحباط والخوف ، فى أعماق شعب (أرغوارن) ، وسيدفعهم إلى أن يقبعوا فى بيوتهم ، والرعب يملأ نفوسهم ، كما سيعتقد بعضهم أن هؤلاء الجلورياليين عمالقة ، من المستحيل هزيمتهم .

اعتدل (نور) ، وقال فى حزم :

- هذا غير صحيح يا (بودان) .. مازلت أعتقد أننا نمتلك القدرة على هزيمة الجلورياليين .

غمغمت (نشوى) :

ـ بدون (س ـ ١٨) ؟ (*)

أجابها بسرعة :

ـ نعم .. بدون (س ـ ١٨) .

هتف (محمود) فى حماس :

ـ هذا صحيح يا (نور) .. أنا أؤيدك فى هذا القول .

قال (أكرم) ساخرًا :

ـ من السهل أن تقول هذا ، مادمت تجلس هنا فى مخبأ آمن ، ونحن نقاتل الجميع .

شحب وجه (محمود) ، وهو يقول :

ـ أجلس هنا ؟!.. ولكننى أؤدى عملاً هامًا .

قال (أكرم) متهكمًا :

ـ آه .. كيف نسيت هذا ؟.. إنك تجلس أمام الشاشة الكبيرة ، وتعبث فى الأزرار .. ياله من قتال !

كانت كلماته قاسية للغاية ، وبدا أثرها على وجه (محمود) ، الذى امتعض فى مرارة وأسى ، فهتفت (مشيرة) :

ـ (أكرم) .. ماذا تقول ؟

(*) راجع قصة (النصر) .. المغامرة رقم (٨٠) .

وقالت (نشوى) فى حدة :

ـ هذه أسخف سخرية سمعتها .

أما (سلوى) ، فاندفعت قائلة :

ـ (محمود) عالم فى مجاله ، وبدون عمله هذا لن يكتمل دورنا قط .

لوّح (أكرم) بذراعيه ، هاتفًا :

ـ الحزب النسائى كله يهاجمنى .. آه .. كلا .. أنا أتراجع وأعتذر .. أعتذر ألف مرة .

خفض (محمود) عينيه فى أسى ، وارتجفت شفتاه تأثرًا ، فأسرع إليه (نور) ، وربّت على كتفه ، قائلًا :

ـ أنت تؤدى دورًا عظيمًا يا رجل ، وكلنا شديدو الفخر بك .

هزّ (محمود) رأسه ، وغمغم :

ـ أشكرك يا (نور) .. أشكرك يا صديقى ، ولكن اعذرنى ، فأنا أرغب فى البقاء بعض الوقت فى حجرتى .. حمدًا لله على نجاتكما أنت و (أكرم) ..

قالها ، واندفع نحو حجرته ، فتبعه الجميع بأبصارهم فى صمت ، ثم التفت (نور) إلى (أكرم) ، وقال فى حدة :

ـ من القول ما يفضل المرء أن يقطع لسانه ، قبل أن ينطقه .

لوّح (أكرم) بذراعه ، وقال فى عصبية :

ـ لقد اعتذرت .. هل تريدون أن أعتذر ألف مرة ؟

ثم اندفع بدوره نحو الحجرات الخاصة ، فغمغم (بودان) :

ـ صديقكم (أكرم) متهوّر للغاية ، وصديقكم (محمود) شديد الحاسية ، والموقف لا يحتمل هذا ولا ذاك .

قال (نور) :

ـ أنت على حق .. الموقف لم يعد يحتمل سوى أمر واحد .. أن نعيد تنظيم صفوفنا بسرعة ، ونضع خطة جديدة ومتقنة ، لمهاجمة الجلورياليين ، قبل أن يستعيدوا سيطرتهم الكاملة على الكوكب .

تبادلت (سلوى) نظرة متوترة مع (نشوى) ، وقالت :

ـ ولكنك لا تعرف من هو إمبراطورهم يا (نور) .

أجابها (نور) :

ـ أتقصدين الإمبراطور (سيلبا) ؟.. أنا أيضًا لاحظت أن اسمه هو مقلوب (إبليس) ، ولكن هذا لا يعنى أنه من نسل (ابن الشيطان) ، الذى قاتلناه على الأرض(*) ، ثم عاد ليقاتلنا فى صورة جلوريالية (**) ؛ فتاريخ

(*) راجع قصة (ابن الشيطان) .. المغامرة رقم (٧٢) .

(**) راجع قصة (الاحتلال) .. المغامرة رقم (٧٦) .

(جلوريال) ، الذى أعرفه ، يؤكد أن (سيلبا) هذا كان وليًا لعهد (جلوريال) ، من قبل أن يتقمص (ابن الشيطان) جسد إمبراطور الكوكب السابق ، ولكنه لم يكن يحمل هذا الاسم ، والصلة الوحيدة بينه وبين (ابن الشيطان) ، هو أنه منحه اسمه الحالى (سيلبا) ، ولكنه لم يمنحه شيئًا من قدراته .. اطمئنوا جميعًا من هذه الناحية .

سألته (سلوى) :

ـ أأنت واثق يا (نور) :

ابتسم وهو يومئ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ تمام الثقة .

تنفست الصعداء ، وهى تقول :

ـ حمدًا لله .. هذا يُشعرنى بارتياح حقيقى .

شدّ (نور) قامته ، وقال :

ـ عظيم .. والآن أيها السادة وعلى الرغم مما حققه الجلورياليون فى هذه الجولة ، دعونا نضع خطتنا الجديدة .

واكتسى صوته برنة حزم ، وهو يستطرد :

ـ خطة تحرير (أرغوران) .

* * *

« لم نجد أدنى أثر .. » .
انتقلت تلك العبارة ، عبر جهاز الاتصال ، إلى حجرة (آجور) ، فانتفض فى حدة ، وهو يقول :
ـ ماذا تعنى بأنه لا يوجد أدنى أثر ؟.. هل فحصتم الحطام جيدًا ؟
أجابه قائد فرقة البحث :
ـ نعم يا سيدى .. فحصنا كل شظية منه ، ولكنها كلها مجرد شظايا معدنية ، لا توجد بها آثار دماء ، أو عظام ، أو أسنان ، أو حتى ثياب ممزقة .
صاح به (آجور) ، عبر جهاز الاتصال :
ـ مستحيل !.. هناك خطأ حتمًا .. ربما ليس هو نفس الحطام ؟
أجابه الرجل :
ـ بل إنه هو يا سيدى .. أنا واثق ، ولكن ..
صرخ (آجور) فى صرامة :
ـ ابحث مرة أخرى ..
قال الرجل :
ـ لقد بحثنا مرتين بالفعل ، و ..
صرخ (آجور) :
ـ قلت : ابحث مرة أخرى .

وأنهى الاتصال فى غضب ، مستطردًا :
ـ هؤلاء الحمقى الأوغاد .. كيف يقتنعون بأن ذلك المنقذ يمكن أن ينجو ، من انفجار كهذا ؟.. لقد لقى حتفه حتمًا ، ولكنهم لا يبصرون .
لم يكد ينتهى من عبارته ، حتى دخل حارسه الخاص إليه ، وهتف :
ـ المجد لـ (جلوريال) .
سأله (آجور) فى عصبية :
ـ ماذا وراءك يا هذا ؟
أجابه فى احترام تام :
ـ أحد الضباط يطلب مقابلتك على وجه السرعة يا سيدى .
سأله فى حدة :
ـ أى ضابط هذا ؟
أجاب الجندى :
ـ الضابط المسئول عن المراقبة الفضائية يا سيدى .. يقول إنه هنا بسبب نسف (أرغوريا) .
بدا التوتر على وجه (آجور) لحظات ، ثم لوح بيده قائلًا :
ـ دعه يدخل ، ولا تجعل أحدًا يقاطعنا .
هتف الجندى :

- أمر سيدى .

وغادر الحجرة على الفور ، وما هى إلا ثانية أو ثانيتان ، حتى دخل ضابط المراقبة الفضائية ، وعيناه تبرقان فى ظفر جذل ، وأدى التحية أمام (آجور) فى حرارة ، فسأله هذا الأخير فى حزم :

- ماذا تريد أيها الضابط ؟

فرك الضابط كفيه ، وهو يتقدّم منه ، قائلاً :

- أنا المنقذ .

انتفض (آجور) فى عنف ، وتراجع هاتفًا :

- من ؟!

لوّح الضابط بكفيه ، وقال :

- آه .. معذرة يا سيّدى .. لقد أخطأت تقديم نفسى .. كنت أعنى أننى الرجل الذى أنقذ الإمبراطور .

نظر إليه (آجور) فى توتر متسائل ، فاستدرك فى سرعة :

- أعنى أننى أنا الذى نسف (أرغوريا) .

هتف (آجور) :

- أنت ؟!

أجابه الضابط فى لهفة :

- نعم يا سيّدى .. أنا نسفت آخر سفن إمبراطورية

(أرغوران) .. لقد رصدتها بالصدفة ، ولكن الصدفة لا تأتى إلا لمن يستحقها ، لذا فقد ..

واندفع يروى له القصة كلها فى حماس ، ملوحًا بذراعيه ورأسه ولسانه ، حتى أتى إلى نهايتها ، فسأله (آجور) فى توتر :

- وماالذى تريده الآن ؟ مكافأة ؟

هتف الضابط :

- بل أعظم من هذا يا سيّدى .. أريد مقابلة مولانا الإمبراطور ، لأقص عليه هذا .

بدا التوتر على وجه (آجور) ، وهو يتخيل هذا الضابط ، يهدم صورته أمام الإمبراطور ، الذى خفّ غضبه عليه ، لمجرّد أنه تصوّره صاحب فكرة نسف (أرغوريا) ، وأحنقه أن يظهر صاحب الفضل الحقيقى ، ليسلبه مجده الزائف ، فشدّ قامته فى شىء من التعالى ، وقال :

- الإمبراطور لا يقابل ضباط الجيش .

قال الضابط فى لهفة :

- ولكنه سيقابلنى حتمًا يا سيّدى ، عندما يعلم بالخدمة ، التى قدّمتها للإمبراطورية كلها .

قال (آجور) :

ـ اطمئن يارجل .. ستحصل على مكافأة سخية ، دون داع لمقابلة الإمبراطور ، فأنا سأمنحك مائة ألف ...

قاطعه الضابط :

ـ كلا يا سيِّدى .. أريد مقابلة الإمبراطور .

صمت (آجور) لحظات ، وهو يتطلَّع إليه ، ثم أجاب :

ـ لا بأس يا رجل .. ستحظى بمقابلة مولانا الإمبراطور ، ولكن بعد أن تحصل على مكافأتك .

تهلَّلت أسارير الضابط ، وهو يقول :

ـ أشكرك يا سيِّدى .. أشكرك كثيرًا .

انتزع (آجور) سلاحه فجأة ، وهو يقول :

ـ لا شكر على واجب أيها الغبى .

وانطلقت أشعته القاتلة ، لتخترق صدر الضابط ، الذى جحظت عيناه فى ألم وذهول ، وربَّد والدماء تتدفَّق من صدره وظهره فى غزارة :

ـ ولكن .. ولكن لماذا ؟

أعاد (آجور) مسدسه إلى جرابه ، دون أن يهتمَّ بإجابة سؤال الضابط ، الذى هوى عند قدميه جثة هامدة ، واندفع الحارس الخاص إلى الداخل ، وهو يشهر سلاحه ، هاتفًا :



أعاد (آجور) مسدسه إلى جرابه ، دون أن يهتمَّ بإجابة سؤال الضابط ، الذى هوى عند قدميه جثة هامدة ..

ـ سيِّدى .. ماذا حدث ؟

أشار (آجور) إلى الضابط الصريع ، وهو يقول :

ـ إنه خائن .. لقد حاول اغتيالى .

تطلَّع الحارس إلى الجثة ، وغمغم :

ـ لا ريب أن هذا ما حدث يا سيِّدى .

أشار إليه (آجور) ، قائلًا فى صرامة :

ـ ألقوا جثته خارجًا ، وابعث من ينظف هذا المكان ، فأنا أكره رائحة دماء الخونة .

انحنى الحارس ، قائلًا :

ـ أمر سيِّدى .

أما (آجور) ، فقد التفت إلى جهاز الاتصال ، وضغط زره ، قائلًا فى حدة عصبية :

ـ ألم تعثروا على جثة المنقذ بعد ؟

أجابه صوت رئيس فريق البحث :

ـ ولا حتى قطعة منها .. إما أن الانفجار قد نسفه تمامًا ، أو .. أو أنه لم يمت بعد .

أغلق (آجور) الاتصال فى حدة ، وهو يقول :

ـ إن لم يكن قد لقى مصرعه بعد ، فلن يطول الوقت قبل أن يحدث هذا .. سأنبش (أرغوران) شبرًا شبرًا ،

وسأعثر عليه ، حتى ولو كان فى أعمق أعماق الجحيم .. لقد بدأت الجولة الثانية من الحرب أيها المنقذ الأسطورى ، وسنرى من منا سيبقى حتى الجولة الأخيرة .. أنت أم أنا .. إمبراطور (جلوريال) القادم .

قالها ، ودق على المائدة بقبضته فى قوة ، وعيناه تقدحان شررًا ..

وشرًا .

★ ★ ★



٦ ـ الخـطة ..

كانت الأيام الثلاثة التالية من أكثر الأيام سوادًا ، فى تاريخ (أرغوارن) كله ..

درجات الحرارة انخفضت إلى حد كبير ، وانكمش الأرغورانيون على أنفسهم ، وقبعوا فى بيوتهم ، وهم يتطلعون إلى شمسهم الكبرى ، التى تحوّلت إلى قرص مظلم كبير ، يحلّق فى ليلهم الذى لم يشهدوا مثله قط ..

وعادت عيون الحراسة تعمل ، ولكن فى شراسة أكبر ، ووحشية آلية مخيفة ، فأصبحت تطلق النار مباشرة ، وتقتل بلا رحمة ، كل من لا يحمل شارة الأمن الإليكترونية الجديدة ، التى وزّعها الجلورياليون على رجالهم ، دون تحذير أو إنذار .

وفى (أرغوران) كله ، انتشرت شائعة تقول : إن المنقذ الأسطورى ، القادم من الأرض ، قد لقى مصرعه فى الهجوم على القصر الإمبراطورى ، وأن الجلورياليين يستعدون لإطلاق قمر آخر ، يطفئ شمس (أرغوران) الصغرى ، ليتحوّل الليل إلى ظلام دائم ، لا تشرق فوقه شمس قط ..

ووسط كل هذا ، انطلق القصر الإمبراطورى الجديد ، وتعلّق فى سماء (أرغوران) ، رمزًا للسيطرة والهيمنة والطغيان ..

وانخفضت معنويات شعب (أرغوران) إلى حد كبير .. بل إلى أدنى حد ..

وفى المخبأ السرى للمقاومة ، قال (هو نور) غاضبًا :

ـ لو أننى أمتلك الشجاعة الكافية ، لأعلنت أن الجلورياليين قد انتصروا عن جدارة .

أجابه (نور) فى هدوء :

ـ هذا غير صحيح .

هتف (هو نور) :

ـ من أية ناحية ؟.. ألم تروا هذا القصر الإمبراطورى الطائر الجديد ؟.. إننى لم أر شيئًا كهذا قط .. إنه يضىء فى الليل كألف نجم ، ويبهر الجميع ويرهبهم فى آن واحد .

قال (نور) :

ـ هذا القصر نقطة ضد الجلورياليين ، وليس لصالحهم كما تتصوّر .

سأله فى حدة :

ـ وكيف ؟

قال (نور) فى هدوء :

- ستعرف الجواب فى الوقت المناسب .

انتفض (هو نور) فى حدة ، وقال :

- أنا أكره الغموض .

ابتسم (رمزى) ، الذى استعاد الكثير من عافيته ، وقال :

- حاول أن تروّض نفسك على التعايش معه إذن ، مادمت تعمل تحت إمرة (نور) .

قال (هو نور) فى عصبية :

- لقد عملت تحت إمرته من قبل ، وها هى ذى النتائج .

صاح (بودان) فى غضب :

- كفى يا (هو نور) .. لقد تجاوزت الخط الأحمر .. اعتذر للقائد (نور) فورًا ، أو أطلق النار عليك بتهمة الخيانة .

هتف (هو نور) :

- ليس من الخيانة أن أعبر عن رأيى الشخصى .

قال (بودان) فى صرامة :

- قلت لك : اعتذر ، أو ...

قاطعه (نور) بسرعة :

- ولكنه على حق يا (بودان) .. ليس من الخيانة أن يعبّر عن رأيه الشخصى .. إنها طبيعة الأمور .. أن يدلى

كل برأيه ، وأن نحترم آراء الجميع ، مهما بلغ أسلوب التعبير عنها .

غمغمت (سلوى) :

- مثلما فعل (أكرم) مع (محمود) .

عقد (أكرم) حاجبيه فى ضيق ، فى حين أشاح (محمود) بوجهه ، وقال (نور) فى صرامة :

- إننا لن نعود لمناقشة هذا الأمر .

ثم التفت إلى (هو نور) ، وسأله :

- هل تعتقد أنه من المستحيل أن ننتصر على الجلورياليين ؟

زمجر (هو نور) ، قبل أن يجيب :

- فى الظروف الحالية .. نعم .

ابتسم (نور) فى هدوء ، وقال :

- وماذا لو أخبرتك أن خطتنا ستفلح بإذن الله ، فى هذه الظروف الحالية ؟.. هل تعتبرنى كاذبًا ؟

أجابه (هو نور) فى حدة :

- بل حالمًا .

هزّ (نور) كتفيه فى بساطة ، وقال :

- لست فى هواة أحلام اليقظة يا (هو نور) .. أنا رجل عسكرى ، أفكر وأخطط من منطلق واقعى صلب فحسب ..

ربما أكره القتل والتدمير فى الظروف العادية ، ولكن للحرب ضرورياتها وأساليبها ، وأفضل ما تفعله فيها ، هو أن تستفيد مما يفعله العدو .. دعه يخطط لتدميرك ، ثم اسحب فتيل قنبلته ، وضعه فوق رأسه ، واتركه ينسف نفسه بنفسه .

قال (هو نور) فى حيرة :

ـ لست أفهم شيئًا .. ماذا تعنى بقولك هذا ؟

أجابه (نور) :

ـ أن تستغل ما يتصوره العدو نقاط قوته ، لتصنع منها أضعف دروعه .

تلفت (هو نور) إلى المحيطين به فى حيرة أشد ، فربت (نور) على كتفه ، وقال :

ـ امنحنى بعض ثقتك يا صديقى ، وستفهم فى الوقت المناسب كل ما أعنيه ، بقولى هذا .

ثم اعتدل ، واكتسب صوته لهجة القائد ، وهو يستطرد :

ـ أما الآن ، فلدى مهمة لك .

انتفض (هو نور) فى حماس ، وهو يقول :

ـ أمرك أيها القائد .

عقد (نور) كفيه خلف ظهره ، وهو يقول فى حزم :

ـ أريد أحد جنود (جلوريال) .

حدّق (هو نور) فى وجهه بدهشة ، قائلًا :

ـ جندى واحد ؟

أجابه (نور) :

ـ لست أريد الجندى نفسه .. فقط أريد زيه العسكرى ، بكل ما يحويه .. وأريد منه أن يستعيد هذا الزى ، بعد أن نفحصه جيدًا ، دون أن يدرى أننا حصلنا على زيه وفحصناه .

بدت الحيرة على وجوه الجميع ، وسأل (محمود) :

ـ وماذا سنفعل بهذا الزى يا (نور) ؟

أجابه فى هدوء :

ـ لقد سمعتنى .. سنفحصه .

ثم استدار إلى (هو نور) ، مستطردًا فى حزم :

ـ هل يمكنك تنفيذ هذا ؟

أجابه (هو نور) :

ـ بالطبع .. سأفعل كل ما يمكننى .

واندفع ليغادر المخبأ ، فقال له (بودان) :

ـ خذ حذرك جيدًا ، وأنت تغادر المكان ، فالجلورياليون ينبشون الأرض بحثًا عن هذا المخبأ ، ودوريات بحثهم لا تنقطع قط .

تمتم (هو نور) :

ـ اطمئن .. إنها ليست أوّل مرة .

واختفى داخل ممر الخروج ، ومع اختفائه ، سألت (نشوى) والدها :

ـ ماذا ستفعل حقًا بثياب الجندى يا أبى ؟

لوّح (نور) بكفه ، وقال :

ـ لا تجعلوا هذا يشغلكم الآن ، وأخبرونى أوّلًا ، ماذا فعلتم بصورة (آجور) وصوته ؟

أجابته (نشوى) فى حماس :

ـ لقد حققنا إنجازًا رائعًا .. سجّلنا كل البيانات التى ألقاها (آجور) بنفسه ، وغذينا الكمبيوتر بها ، وتركناه يعمل على تحليل صورته وصوته ، إلى أقصى درجة ممكنة من الدقة ، والآن يمكننا أن نصنع صورة تصفيه لقائد الفرسان الجلوريالبين هذا ، تفعل كل ما نريدها أن تفعله ، بحيث تبدو للجميع وكأنها (آجور) بنفسه ، وبدقة تعجز عن كشفها أفضل وسائلهم ، أما عن الصوت ، فكل ما ننتظره هو النص الذى تريد أن ينطقه ، وسنواصل إتقانه ، حتى تتماثل الذبذبة الصوتية التى سنصنعها ، مع ذبذبة صوت (آجور)، بالنسبة لجهاز كشف أصوات ، من الطراز القادر على تحديد الخطأ ، ولو بنسبة واحد فى المليون .

أومأ (نور) برأسه ، وقال :

ـ إنه إنجاز رائع بالفعل يا (نشوى) .. ومتى تصبح الصورة الزائفة جاهزة للبث ؟

هزّت كتفيها ، وقالت :

ـ أعطنا النص المطلوب ، وأمهلنا بعدها يومًا واحدًا .

أشار (نور) إلى (رمزى) ، وقال :

ـ إنها مهمتك يا صديقى ، امنحهم نصًا يناسب الموقف المطلوب ، وحاول أن تضمن التأثير النفسى المناسب .

قال (رمزى) ، وهو يفرد ساقه المصابة أمامه :

ـ التأثير النفسى يعتمد على اللحظة المناسبة للبث أيضًا .

أجابه (نور) :

ـ اترك لى هذه المهمة يا صديقى .

هتفت (مشيرة) :

ـ ولكن كيف يا (نور) ؟.. لقد كنا نعتمد على (أرغوريا)، والآن ماذا نفعل؟

اتجه (نور) إلى شاشة الراصد ، وضغط أزرارها فى هدوء ، فارتسمت فوقها صورة لفضاء (أرغوران) ، الذى تسبح فيه أربعة أقمار صناعية للمراقبة ، تابعة لقوات الاحتلال الجلوريالى ، وقال :

- يمكننا اختيار أحد هذه الأقمار .

قالت (مشيرة) فى دهشة :

- ولكنها أقمار جلوريالية .

أجاب (نور) فى هدوء :

- هذا صحيح ، ولكل منها مركز مراقبة وتحكم منفصل ، وعلينا أن نحتل أحد هذه المراكز ، ونسيطر عليه ، ثم نبث منه الرسالة المطلوبة إلى القمر المختار ، الذى سيعيد بثها إلى كل شبكة الاتصالات المرئية والمسموعة ، فى (أرغوران) كله .

سأله (محمود) :

- وماذا عن شبكة البث الحالية الجديدة ؟

هزَّ (نور) كتفيه ، وقال :

- سنشل فاعليتها قبل بدء البث بالطبع ، وإلا حطم الجلورياليون خطتنا .

قالت (سلوى) فى قلق :

- هل تعتقد أن احتلال شبكة البث الجديدة سهل يا (نور) ؟

هزَّ رأسه نفيًا ، وقال :

- بل هو مستحيل تقريبًا ، مع الحراسة المكثفة حولها ، وتأهب الجلورياليين لملاقاتنا عندها ، ونسفنا نسفًا ، لو

حاولنا حتى الاقتراب منها ، لذا فلن نحاول مهاجمتها قط .

سألته (نشوى) :

- ماذا سنفعل إذن ؟

أجابها بسرعة :

- كما أخبرتكم .. سنشل فاعليتها بأسلوب علمى محض ، وكل ما نحتاج إليه هو تعطيل قدرتها على البث لساعة واحدة .

والتفت إلى زوجته ، مستطردًا :

- وستكون هذه مهمتك يا (سلوى) .. أنت خبيرة الاتصالات هنا .. ابحثى عن وسيلة لتنفيذ ما أقول ، بحيث يصاب البث فى المحطة الرئيسية بالخلل ، فى نفس اللحظة التى يبدأ فيها بث رسالتنا من مركز التحكم فى القمر الجيولوجى .

سأله (أكرم) :

- ولماذا القمر الجيولوجى بالذات ؟

أجابه (نور) :

- لأنه أقل الأقمار أهمية ، بالنسبة للمتابعة اليومية ، وستكون الحراسة حول مركز التحكم فيه قليلة ويمكن السيطرة عليها .

رفع (أكرم) مسدسه ، وهو يقول :

- يُسعدنى دائمًا السيطرة على مراكز العدو .

تطلّع إليه (نور) لحظة ، قبل أن يقول :

- معذرة يا (أكرم) ، ولكننى لن أسند إليك هذه المهمة ، بل سيتولّى أمرها (محمود) و (مشيرة) ، مع عدد من مقاتلى المقاومة الأرغورانيين .

هتف (أكرم) :

- ولكن (محمود) لا يجيد القتال ، ولن يمكنه حماية (مشيرة) .

استدار إليه (محمود) فى حدة ، وصاح فى وجهه :

- ومن أدراك أننى لا أجيده ؟.. هل رأيتنى أقاتل من قبل ؟

ابتسم (أكرم) فى سخرية ، وهو يتطلّع إلى جسد (محمود) الضئيل ، وقال :

- لا .. لم أرك تقاتل ، ولكن الكتاب يبدو من عنوانه .

صاح (نور) :

- كفى .

ثم انعقد حاجباه فى غضب ، وهو يستطرد :

- لقد سئمت هذه المشاجرات السخيفة ، والأوامر التى ستسمعونها هنا ، غير قابلة للمناقشة .. (محمود) و (مشيرة) هما اللذان أسند إليهما مهمة احتلال مركز التحكم ، وبث الرسالة المطلوبة فى الوقت المناسب .

لوّح (أكرم) بمسدسه ، وقال :

- كما يحلو لك .. أنت القائد هنا .

قال (نور) فى حزم :

- أرجو ألا تنسى هذا قط .

ثم ضغط أحد أزرار الشاشة مرة أخرى ، مستطردًا :

- والآن دعونا ننتقل إلى جزء آخر من الخطة .

اختفت صورة الفضاء الأرغورانى من الشاشة ، وظهرت بدلًا منها خريطة لموقع عسكرى (جلوريالى) ، وقال (نور) :

- وهذا أصعب أجزاء الخطة ، ولهذا سنحشد له أفضل رجالنا .. نريد احتلال هذا الموقع .

هتف (بودان) :

- ولكن هذا شبه مستحيل يا (نور) .. إنه مركز الدفاع الفضائى ، وهم يحيطونه بحراسة رهيبة .

قال (نور) ، وهو يشير إلى الشاشة :

- لدينا هنا كل الخرائط المطلوبة .. سندرس الأمر من كل الوجوه ، ولابد أن نجد وسيلة بإذن الله ، للتحكم فى صواريخ المركز .

هتف (أكرم) فى دهشة :

- هل تفكّر فى نسف القصر الإمبراطورى الطائر الجديد ؟

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلا يا (أكرم) ، فلو فعلت سأسقطه على رءوس الأبرياء ، والله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، كم يبلغ عدد ضحايا كارثة كهذه .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يستطرد :

ـ ولكننى سأستخدم الصواريخ لنسف القمر الأسود ، الذى يحجب شمس (أرغوران) الكبرى ، وسيكون لهذا الأمر تأثير نفسى رهيب ، عندما يتم فى الوقت المناسب أيضًا .

غمغم (بودان) فى قلق :

ـ خطتك كلها تعتمد على الأوقات المناسبة يا (نور) .

أجابه (نور) :

ـ هكذا أفضل الخطط يا (بودان) .. وبالمناسبة .. ستصحب (محمود) و (مشيرة) فى مركز التحكّم ، فمن المحتم أن تبث رسالتك على الهواء مباشرة من هناك ، طبقًا لمقتضيات الظروف .

قال (بودان) فى دهشة :

ـ عجبًا !.. كنت أظنك ستسند إلىّ مهمة احتلال مركز الدفاع الفضائى .

هتف (أكرم) فى حماس :

ـ كلا .. من الواضح أنه يدخرها لى .

ابتسم (نور) ، قائلًا :

ـ للأسف يا (أكرم) .. ليست هذه مهمتك أيضًا .. سيقوم بها (ديجنتى) و (هو نور) معًا بإذن الله ، وستنضمّ إليهما (نشوى) فيما بعد ، لأنها أفضل من يمكنه سبر أغوار شفرات الكمبيوتر ، التى تتحكم فى إطلاق الصواريخ وتوجيهها ، أما (سلوى) و (رمزى) ، فسيعملان من هنا على شل فاعلية الشبكة الرئيسية للبث .

لوّح (أكرم) بذراعيه فى حدة ، وهو يقول :

ـ عظيم .. أحسنت توزيع الأدوار على الجميع ، فيما عداى .

أشار إليه (نور) ، قائلًا :

ـ لأننى أدخرك لأقوى دور يا (أكرم) .. الدور الذى يستحق قدراتك الخاصة .

ثم اعتدل ، والتقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يضيف فى حزم :

ـ ستقاتل معى داخل القصر نفسه .

هتف (أكرم) :

ـ آه .. هذا ما يناسبنى بالفعل .

تردّد (بودان) لحظة ، قبل أن يقول :

- خطتك تبدو نظريًا متقنة ورائعة يا (نوز) ، ولكنك أهملت نقاطًا بالغة الأهمية ، فكيف تصل إلى القصر الإمبراطورى الطائر ؟ وكيف يفعل رجالنا كل هذا فى الظلام ، ومع وجود عيون الحراسة ببرنامجها الوحشىّ الجديد ، الذى لا يُبقى ولا يرحم ؟

أجابه (نور) فى ثقة :

- لم أهمل هذا كما تصوَّرت يا (بودان) ؛ فلقد طلبت من (هو نور) إحضار أحد الجنود الجلورياليين للسبب نفسه ، فالبطاقات الإليكترونية الحديثة ، التى زوَّد بها (آجور) رجاله ، لينجوا من العيون القاتلة ، ستوجد حتمًا وسط ثياب الجندى ، وسنترك للكمبيوتر مهمة فحصها ، وتحليلها ، وصنع نسخة متقنة منها ، وبعدها سننتج عشرات النسخ من هذه البطاقات ، وسيحمل كل مقاتل من مقاتلينا نسخة من البطاقة الإليكترونية ، فتخطئهم عيون الحراسة ، حتى يتموا مهمتهم بنجاح بإذن الله .

سأله (أكرم) :

- وماذا عن أخطر نقطة فى العملية كلها ؟.. الوصول إلى القصر الطائر .

لم يكد (أكرم) يلقى سؤاله ، حتى ظهرت صورة (ديجنتى) على الشاشة ، وهو يقول :

- أنا (ديجنتى) .. كلمة السر اليوم (عزيمة) .. أطلب الإذن بالدخول .

فابتسم (نور) ، وقال :

- دعوه يدخل يا رفاق ، فهو يحمل جواب السؤال .

مضت لحظات ، قبل أن يستقر (ديجنتى) داخل المخبأ السرى ، فسأله (نور) فى اهتمام واضح :

- هل تحمل لى أخبارًا جديدة ، بخصوص القصر الطائر ؟

أجابه (ديجنتى) :

- نعم ، ولكنها ليست أخبارًا سارة .

سألت (سلوى) فى قلق :

- ماذا تعنى ؟

زفر فى حرارة ، قبل أن يجيب :

- يبدو لى أن دخول هذا القصر مستحيل تمامًا .. إنهم يحيطونه بنطاق كهرومغنطيسى ، لا تخترقه حتى الصواريخ ، والوصول إليه يحتاج إلى مركبات طائرة خاصة ، يقوم على حراستها مائة مقاتل ، من أشد مقاتلى (جلوريال) ، وأى مركبة أخرى تقترب ، لمسافة مائتى متر من القصر ، يتم نسفها دون إنذار ، أما فى حالة وقوع هجوم على موقع المركبات الأصلية ، أو حتى تدمير نقطة

مراقبتها ، فسيتم نسف كل المركبات دفعة واحدة ، وعلى الرغم من كل هذا ، فهم يفحصون كل شخص يدخل إلى القصر ، وكأنهم يرغبون فى إحصاء خلاياه .

هتفت (نشوى) :

ـ إلى هذا الحد ؟

وقال (أكرم) :

ـ يبدو أن هذا يخالف توقعاتك كثيرًا يا (نور) .

هزّ (نور) كتفيه ، وقال :

ـ لقد تعلمنا فى أثناء تدريباتنا ، قبل الالتحاق بالمخابرات العلمية ، ألا تثير فينا وسائل الأمن المعقّدة اليأس ؛ فما من جهاز أمنى ، مهما بلغت دقته ، يخلو من الثغرات ، وهذا ينطبق على نظمنا الأمنية أيضًا ، وكل ما علينا هو أن نبحث ونفكّر جيدًا ، حتى نتوصّل إلى الثغرة في نظام تأمين القصر ، ثم ننفذ منها إلى الإمبراطور .. صدقونى .. إنها مسألة وقت فحسب ، والوقت فى صالحنا .. لقد بقي (أرغوران) طويلًا تحت نير الاحتلال ، ولن يضيره أن ينتظر أسبوعًا أو أسبوعين آخرين .

قال (ديجنتى) :

ـ ربما كان هذا صحيحًا ، بالنسبة لـ(أرغوران) أيها القائد ، ولكنه ليس كذلك بالنسبة لكوكبكم (سيتا ـ ٣) ، الذى تطلقون عليه اسم (الأرض) .

سأله (نور) فى قلق :

ـ وما شأن كوكبنا بالأمر ؟

لوّح (ديجنتى) بيده ، قبل أن يجيب :

ـ عندما أطلقنا جواسيسنا ، لمعرفة سر تلك التجهيزات الحربية الفضائية الضخمة ، التى يقوم بها الجلورياليون ، كنا نتصوّر أنها موجّهة إلى المقاومة ، ولكن الجواسيس عادوا إلينا بمفاجأة مذهلة ، فالحملة التى يعدّها الجلورياليون هى محاولة ثانية لاحتلال كوكبكم ، وستنطلق فى غضون أربعة أيام إلى (سيتا ـ ٣) .

ولم يكن (ديجنتى) مبالغًا فيما قاله ..

لقد كانت هذه مفاجأة للجميع ..

مفاجأة مذهلة .

* * *



٧ ـ العقبة الأخيرة ..

«أين الجثة يا (آجور) ؟..» ..

أطلق الإمبراطور (سيلبا) هذا الهتاف فى غضب ، فى وجه (آجور) ، الذى لوّح بكفيه ، مجيبًا:

ـ احترقت يا مولاى .. الانفجار مزّق الجثة إلى أشلاء صغيرة والنيران التهمتها عن آخرها .

هتف الإمبراطور :

ـ وهل كانت النيران قاسية إلى هذا الحد ، حتى أنها لم تترك شعرة واحدة من الجثة ؟!

قال (آجور) :

ـ إنها النيران يا مولاى .. النيران .. ألا تعرف ما هى النيران ؟

تراجع الإمبراطور (سيلبا) ، والكلمة تدوى فى أذنيه ..

«ألا تعرف ما هى النيران ؟» ..

وكيف ؟..

كيف لا يعرفها ؟

إنه يراها فى كل ليلة ، فى أحلام بشعة رهيبة ..

يرى النيران تحيط به من كل جانب ، وهو يعدو وسطها فزعًا مذعورًا ، وحرارتها تلفحه فى قسوة ، فيصرخ :

ـ النجدة .. النجدة .. أنقذونى .. إننى أحترق .

وفجأة ، يبرز والده من بين ألسنة اللهب ..

لا .. إنه ليس والده ..

إنه مخلوق آخر بشع ، يبرز من جسد والده ..

مخلوق يبدو وكأن كل هذه النيران تندلع من عينيه وأصابعه ، وهو يشير إليه قائلًا بصوت عميق ، يأتى من أغوار سحيقة :

ـ أنا وأنت تحرقنا النيران ، على الرغم من أن كلا منا من منبت مختلف .

ويهتف هو فى ارتياع :

ـ من أنت ؟ وماذا تريد منى ؟

يجيب ذلك المخلوق الرهيب :

ـ أريد الانتقام .. انتقم لأبيك .

يصيح هو مستنكرًا :

ـ لست أبى ، ولم تكن أبدًا أبى .. أنت أسميتنى (سيلبا) ولكن ..

وهنا تتسع عينا المخلوق الرهيب ، وهو يقول :

ـ نعم .. لست أباك ، ولكنك ستنتقم لى .. لقد زرعت داخلك جزءًا من نفسى ، ولن يهنأ نومك حتى تأخذ ثأرى ،



وفجأة ، يبرز والده من بين ألسنة اللهب .. لا .. إنه ليس والده .. إنه مخلوق آخر بشع ..

وتنتقم لى .. هل فهمت ؟.. حتى تنتقم لى ... تنتقم لى .. تنتقم لى .. تنتقم .. تنتقم ..

«مولاى .. أين ذهبت ؟... » .

انتزعه صوت (آجور) من ذكرياته ، فانتفض انتفاضة عنيفة ، وحدّق فى وجه هذا الأخير ، ووجه الحكيم (أوراكس) ، قبل أن يعتدل على عرشه الجديد فى حزم ، ويقول :

- أعلن عن مكافأة لمن يدلنا على جثة المنقذ .. أضخم مكافأة في تاريخ الكوكب .

قال (آجور) فى دهشة :

- مكافأة ؟!.. ولكن يا مولاى ..

قاطعه الإمبراطور فى قسوة :

- نفذ الأوامر فحسب .

تنهّد (آجور) ، وقال :

- أمر مولاى .

وغادر المكان لتنفيذ الأوامر وإعلان المكافأة ، فاقترب (أوراكس) من الإمبراطور ، وقال فى حذر :

- مولاى .. إننى أتراجع .

سأله فى حيرة :

- عن ماذا ؟

أجابه الحكيم فى ندم :

ـ عن ضرورة إحضار جثة المنقذ .. عندما اقترحت هذا ، كنت أتصور أننا سنعثر على الجثة فى سهولة ، وليس أن تحرقها النيران تمامًا .

قال الإمبراطور فى حزم :

ـ الجثة لم تحترق يا (أوراكس) ، ولو أنها احترقت لعرفت على الفور .

سأله (أوراكس) فى دهشة :

ـ كيف يا مولاى ؟

لوّح الإمبراطور بكفه ، وقال :

ـ لدىّ أساليبى .

تطلّع إليه الحكيم لحظات فى حيرة ، ثم قال :

ـ ما رأيك فى أن نبدأ احتفالات النصر يا مولاى ؟

لوّح الإمبراطور بيده ، وقال :

ـ لا .. ليس بعد .

قال الحكيم :

ـ ولكنك تحتاج إليها الآن يا مولاى ، حتى تستعيد إحساسك بالقوة والسيطرة ، وبعد أن تم صنع قصرك الطائر ، و ...

قاطعه فى صرامة :

قلت : ليس بعد .

ثم أضاف فى قسوة غاضبة :

ـ سنحتفل بالنصر ، عندما نستعيد جثة ذلك المنقذ ، القادمة من (سيتا ـ ٣) ، ونحرقها أمام أعيننا .. عندئذ فقط نستطيع أن نحتفل بالنصر .. النصر الحقيقى ..

★ ★ ★

انهمك (ديجنتى) طويلًا ، فى دراسة خريطة مركز الدفاع الفضائى ، وهو يقول لـ (نور) :

ـ أنت على حق أيها القائد .. ربما تبدو استحكامات الأمن حول هذا المركز قوية للغاية ، ولكننا نستطيع التسلل إليه من هنا .. إنها فتحة تهوية رئيسية ، والمفترض أن أحدًا لا يستطيع رؤيتها من الخارج ، ولهذا يتركونها بلا حراسة تقريبًا .

قال (نور) :

ـ هذا صحيح ، سنعتمد على تسلل فرد أو فردين منها ، ثم ..

قبل أن يتم عبارته ، هتفت (نشوى) :

ـ (هو نور) وصل ، ومعه ثياب الجندى .

أسرعوا يفتحون باب المخبأ السرى ، ويستقبلون (هو نور) ، الذى ألقى إليهم الثياب ، وهو يهتف فى حنق :

ـ خذوا .. إنها أسخف مهمة قمت بها ، فى حياتى كلها .
سأله (نور) :
ـ كيف حصلت عليها ؟
أجابه ساخطًا :
ـ لم يكن الأمر بطوليًا .. لقد باغتت هذا الجلوريالى السخيف ، وأفقدته الوعى ، ونزعنا عنه ثيابه ، ثم تركته بصحبة اثنين من رجالى ، سيفقدونه الوعى كلما استيقظ ، حتى تنتهوا من فحص ثيابه ، فنعيدها إليه ، ونلبسه إياها ، ونتركه للرحل .
ثم هتفت فجأة :
ـ ولكن أخبرنى بالله عليك ، ما الحكمة فى عدم معرفته ما حدث ؟.. كان يمكننا أن نكتفى بقتله .
قال (نور) فى صرامة :
ـ كلا .. أولا لأننى أكره القتل بلا مبرر ، وثانية حتى لا نزرع ذرة واحدة من الشك ، فى نفوس الجلوريالبين فى أننا حصلنا على سر بطاقات الأمن الإليكترونية ، فلو استبدلوها ، ستفشل خطتنا كلها .
ثم التقط البطاقة من أحد جيوب الزى ، وفحصها بسرعة ، ثم ناولها لابنته (نشوى) ، قائلًا :

ـ ها هى ذى .
التقطتها (نشوى) ، ودسّتها فى فراغ خاص فى جهاز الكمبيوتر ، فظهرت صورتها على الشاشة ، وقالت (نشوى) للكمبيوتر :
ـ تخزين .
تحرّكت عشرات البيانات على الشاشة فى سرعة ، ثم قال الكمبيوتر بصوته الآلى :
ـ تمّ التخزين .
سألته (نشوى) ، والكل يتابعونها فى اهتمام :
ـ هل يوجد مفتاح شفرى خاص ؟
أجابها الكمبيوتر :
ـ نعم .. يوجد مفتاح شفرى من ثمان خانات .
هتفت :
ـ يا إلهى !.. ثمان خانات ؟! .. هذا يحتاج إلى مليارات المحاولات ، للتوصل إلى الشفرة الصحيحة .
سألها (هو نور) فى لهفة :
إذن ، فلن نعيد الزى للرجل .
أجابته (نشوى) ، وهى تضغط أحد أزرار الجهاز :
ـ بل يمكنك إعادته على الفور ، فلم أعد بحاجة للبطاقة

الأصلية ... الكمبيوتر اختزن كل البيانات والمعلومات الخاصة فى ذاكرته .

قفزت البطاقة خارج الكمبيوتر ، فتناولها (هو نور) ، وقال له (نور) :

ـ هيا .. أعد البطاقة والزى للجندى الجلوريالى ، ولا تدعه يشك فيما فعلته به .. اسرقوا منه بعض النقود فحسب ، وسيتصوّر أنكم مجرّد لصوص .

غمغم (هو نور) :

ـ كنت أظنك تكره السرقة أيضًا .

قال (نور) فى صرامة :

ـ إننا نفعل هذا لنخفى الهدف الأصلى .. هيا .. أنه مهمتك وعد إلى هنا .

انصرف (هو نور) على الفور ، فى حين عاد (نور) إلى (نشوى) ، قائلًا :

ـ وكم يستغرق فك هذه الشفرة الثمانية ؟

قالت فى حيرة :

ـ لست أدرى .. ربما عدة ساعات ، أو عدة سنوات .. هذا يتوقّف على الرموز الداخلة فى تركيبها .

سألها :

ـ وماذا عن خامات تصنيع البطاقة ؟

أجابته ، وهى تقرأ البيانات على الشاشة :

ـ البلاستيك بنسبة أربعة وثلاثين فى المائة ، والخشب بنسبة واحد وعشرين فى المائة ، وعجينة مغنطيسية بنسبة أربعين فى المائة ، والباقى من برادة الحديد .

سألها (نور) فى اهتمام :

ـ هل يمكننا إنتاج مثلها ؟

أدارت رأسها إلى (بودان) ، قائلة :

ـ هذا يتوقّف على ما لدينا من الخامات ووسائل التصنيع .

أجاب (بودان) :

ـ خاماتنا ووسائلنا محدودة ، ولا نكاد نصنع إلا مائتى قطعة بصعوبة .

قال (أكرم) فى قلق :

ـ وهل تكفى هذه الكمية ؟

أجابه (نور) :

ـ المهم أن نبدأ فى تصنيعها فورًا ، وبعدها سندرس من سيحصل عليها .

وسأل ابنته فى اهتمام :

ـ ولكن ماذا عن الشفرة الثمانية ؟

هزت كتفيها ، وقالت :

ـ سأبدأ محاولة فكها على الفور ، وعليكم أنتم البدء فى تصنيع البطاقات ، وعندما تنتهوا منها ، يمكننا أن نطبع الشفرة على العجينة المغنطيسية .

تنهد (نور) ، وقال :

ـ المهم أن تنجح فى هذا قبل فوات الأوان ، فأمامنا ثلاثة أيام فحسب ، ثم تنطلق الحملة الجلوريالية الثانية لغزو الأرض ، وعندئذ يصبح كل ما نفعله بلا طائل .

قال (رمزى) .

ـ لقد انتهينا من عملنا تقريبًا ، و (سلوى) تدرس وسيلة شل فاعلية شبكة البث الرئيسية .

سأل (نور) زوجته :

ـ هل عثرت على وسيلة مناسبة ؟

أجابته فى حماس :

ـ أعتقد هذا ، فالذبذبة التى يتم البث عليها تبدأ من الـ ...

بترت عبارتها بغتة ، ورفعت كفها إلى شفتيها فى امتعاض ، ثم هتفت وهى تسرع إلى حجرتها :

ـ معذرة .

تابعها (نور) فى دهشة ، وقال :

ـ ماذا أصابها ؟

ابتسم الجميع فى هدوء ، وهتفت (نشوى) فى جذل :

ـ إنه أخى الصغير ، يعبث داخلها قليلًا .

اتسعت عينا (نور) ، وهتف فى فرحة غامرة :

ـ ماذا تعنين ؟.. (سلوى) حامل .

واندفع خلف زوجته إلى حجرتها ، واحتواها بين ذراعيه ، وهو يقول فى حنان :

ـ لماذا أخفيت الأمر عنى ؟

دفنت رأسها فى صدره ، وهمست :

ـ لم أعتقد أن الوقت يناسب هذا .

ضحك وهو يداعب شعرها ، قائلًا :

ـ أى قول هذا ؟.. كل الأوقات تناسب الحمل .. لقد اشتقت لطفلة أخرى ، تعوضنى طفولة ابنتنا (نشوى) .

قالت فى أسى .

ـ ابنتنا لم تنعم قط بسنوات طفولتها يا (نور) ، وأنت تعلم كم أحزنتنى تلك القفزة الخارقة للطبيعة لعمرها ، والتى حوّلتها فى غمضة عين ، من طفلة بسيطة ، إلى شابة ناضجة(*) .

ضمَّها إليه فى حنان ، وهو يقول :

ـ ولكنها الآن تنعم بشبابها ، وتحب ، و ..

(*) راجع قصة (المحيط الملتهب) .. المغامرة رقم (٦٣).

قاطعته فجأة :

ـ أريد طفلًا ذكرًا هذه المرة .

ابتسم قائلًا :

ـ ولماذا ذكر بالذات ؟

أجابته ، وهى تدفن رأسها فى صدره أكثر :

ـ لقد عانيت الكثير من خوفى على ابنتنا طيلة عمرى ، ولست مستعدة للخوف على طفلة أخرى .

تنهد ، قائلًا :

ـ انفضى عنك مخاوفك يا عزيزتى ، واستسلمى لمشيئة الله (عزَّ وجلَّ) ، وليس لرغباتك الخاصة ، وهو سيمنحنا الخير حتمًا ، سواء أكان المولود ذكرًا أم أنثى .

قالت فى حزن :

ـ ولكن هل سيرى ابنتنا النور حقًّا يا (نور) ؟.. هل سيحيا (يومًا) فى كوكبه ، أم سيبقى مثلنا سجينًا فى كوكب (أرغوران) ؟

عقد حاجبيه ، وهو يقول :

ـ ستكون مشيئة الله (سبحانه وتعالى) أيضًا يا (سلوى) ، ووسيلته سبحانه هى نحن .. سنبذل قصارى جهدنا ، ونفعل كل ما بوسعنا ، ونقاتل ، ونغامر ، ونصارع ، حتى يتحقق لنا النصر .

سألته فى أسى :

ـ وماذا بعد النصر ؟

قال فى حيرة :

ـ وما الذى نريده بعده ؟

قالت فى توتر :

ـ وسيلة للعودة إلى (الأرض) .. هل نسيت أننا فقدنا (أرغوريا) ، وفقدنا معها وسيلة العودة ؟

خفق قلبه فى قوة ، عندما ذكرته بهذا ، ولكنه أجاب فى حزم :

ـ المهم أن ننتصر أولًا يا (سلوى) ، وبعدها سنجد حتمًا وسيلة ما للعودة .. صدقينى يا حبيبتى .. النصر يمنحك كل شىء ، والهزيمة لا تمنح سوى المرارة واليأس .. سنقاتل يا (سلوى) .. سنقاتل حتى النهاية .

ثم خفض عينيه إلى بطنها ، مستطردًا :

ـ وهذا كل ما نملك فعله ..

وكان على حق تمامًا هذه المرة :

هذا كل ما يملكون فعله ..

* * *

٨ ـ القصـــر ..

تابع (آجور) شاشاته فى اهتمام بالغ ، وراح يلقى تعليماته إلى مراكز المراقبة المختلفة ، وقال لقائد البرنامج الفضائى :

ـ هل انتهيت من إعداد القمر الثانى ؟

أجابه الرجل فى حماس :

ـ نعم يا سيادة القائد .. نحن مستعدون لإطلاقه فى أية لحظة ، مع شروق شمس (أرغوران) الصغرى .

ابتسم (آجور) ، وقال فى سخرية :

ـ فليكن .. دعنا نجعله آخر شروق يراه (أرغوران) يا رجل .

ثم لوّح بكفه ، مستطردًا :

ـ هيا .. ابدأ العد التنازلى ، وسأبشر مولاى الإمبراطور بقرب المرحلة الثانية من ليل (أرغوران) الدائم .

لم يكد ينهى الاتصال ، حتى ظهر أحد رجاله ، وهو يؤدى التحية العسكرية فى حماس :

ـ المجد لـ (جلوريال) .

التفت إليه (آجور) ، يسأله فى لهجة جافة :

ـ ماذا هناك أيها الضابط ؟

أعاد الضابط ذراعه إلى جواره ، وهو يقول :

ـ مولاى الإمبراطور يطلب مقابلتك على الفور يا سيِّدى القائد .

مطّ (آجور) شفتيه ، وقال :

ـ ولماذا لم يستخدم جهاز الاتصال المباشر ؟

أجابه الضابط :

ـ ليست لدى أية فكرة يا سيِّدى .

عاد يمط شفتيه ، قائلًا :

ـ فليكن .. سأذهب إليه على الفور .

ولم تمض دقائق ، حتى كان يؤدى التحية العسكرية أمام الإمبراطور (سيلبا) ، الذى ابتدره فى غضب عصبى :

ـ لماذا لم تعلن أمر الجائزة الخاصة بإحضار جثة المنقذ ؟

ازدرد (آجور) لعابه ، وشدّ قامته ، وهو يجيب :

ـ لم يبد لى الوقت مناسبًا .

هتف (سيلبا) فى غضب :

ـ لم يبد لك الوقت ماذا ؟

أجاب (آجور) فى سرعة :

ـ لم يبد لى مناسبًا يا مولاى ، فنحن نستعد لإطلاق قمر الليل الثانى ، بعد ساعات من الآن ، وحملة إعادة احتلال الأرض تحتاج إلى يومين فحسب ، وبعدها يمكننا ..

قاطعه (سيلبا) فى ثورة :

ـ يمكنك ماذا ؟.. هل خالفت أوامرى ؟ لأن مزاجك الشخصى رأى هذا ؟

قال (آجور) فى ضيق :

ـ لم أخالف الأوامر يا سيدى ، ولكننى ..

صرخ الإمبراطور :

ـ ولكنك ماذا ؟!.. أى عذر هذا الذى ستبرر به عدم طاعتك لأوامرى ؟!.. من منا سيقود هذه الإمبراطورية ؟.. أنت أم أنا ؟..

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى حدة :

ـ أم أنك ما زلت تحلم باحتلال عرشى ومكانتى ؟

اتسعت عينا الحكيم (أوراكس) ، وهتفت (آجور) :

ـ مولاى !. ماذا تقول ؟

هبّ (سيلبا) من عرشه ، وهتف :

ـ أقول ما سمعته يا قائد الفرسان .. لا تتصور أبدًا أننى لا أدرك حجم طموحك ، ولا رغباتك الدفينة .. أنت تحلم دومًا بأن تصبح إمبراطور (جلوريال) المتوّج .. أعلم

هذا .. أعلم هذا .. أعلمه وأتجاهله ، مادامت رغباتك لم تتعد مرحلة الحلم والأمل .

ثم ضاقت عيناه ، واكتسى صوته بصرامة مخيفة ، وهو يستطرد :

ـ ولكن إياك أن تتجاوز هذه الرغبات مرحلة الأحلام ، إلى حيز التفكير أو المحاولة .. عندئذ لن أكتفى بمراقبتك يا (آجور) ، بل سأذبحك على الفور .. سأذبحك بلا رحمة .

هتف (آجور) :

ـ مولاى .. أنت إمبراطور (جلوريال) مدى الحياة ، ولا أحد يمكنه مجرّد التفكير فى احتلال عرشك .. أكل هذا لمجرّد أننى رأيت تأجيل إعلان الأمر لعدة أيام ؟!

صرخ الإمبراطور فى وجهه :

ـ ليس هذا من حقك .. عندما آمرك بالتنفيذ تنفذ على الفور ، بدون تفكير أو مراجعة .. هل تفهم ؟

تنهّد (آجور) ، وقال :

ـ أفهم يا مولاى .. أفهم .. سأذيع الأمر على الفور .

عاد (سيلبا) يجلس على عرشه ، وهو يقول :

ـ هذا أفضل ، فأنا أريد جثة ذلك المنقذ بأى ثمن .. هل تفهمنى ؟.. بأى ثمن ؟

انحنى (آجور) أمامه ، وقال :

ـ أمر مولاى .



أجابه (بودان) :

ـ الوقت ضيق ، وقدراتنا محدودة ..

وغادر القاعة الإمبراطورية فى خطوات سريعة ، فالتفت الحكيم إلى الإمبراطور ، وسأله :

ـ لماذا هذا الإصرار على جثة المنقذ يا مولاى ؟

أطلق (سيلبا) زفرة تحترق بنيران الجحيم ، وهو يقول :

ـ حتى يمكننى النوم أيها الحكيم .. أريد أن أحرق جثة المنقذ القادم من (سيتا ـ ٣) ، حتى أنام يا (أوراكس) .. أنام ..

وتطلّع إليه الحكيم فى حيرة ، وهو يتساءل عن الصلة بين حرق جثة المنقذ ، ونوم إمبراطور (جلوريال) ..

ولم يجد بينهما صلة مفهومة ..

لم يجد أية صلة ..

★ ★ ★

فرك (نور) عينيه فى إرهاق شديد ، وهو يراجع البطاقات الإليكترونية ، التى تم إنتاجها ، ثم لوّح بكفه ، وقال فى ضيق :

ـ مائة وسبع بطاقات صالحة فحسب .. أهذا كل ما أمكننا أن ننتجه ؟!

أجابه (بودان) :

ـ الوقت ضيق ، وقدراتنا محدودة .

قال (نور) فى توتر) :

ـ ولكن هذا العدد لا يكفى قط .. لن نقاتل قوات (جلوريال) كلها بمائة وسبعة مقاتلين فحسب .. سنحتاج إلى آلاف البطاقات الأخرى .

قال (أكرم) :

ـ لا يوجد سوى حل واحد .. سنسرق البطاقات الأخرى .

هتف (نور) :

ـ هذا لا يفلح ، فلو أدرك الجلورياليون أننا حصلنا على البطاقات ، فقد يفسدون مفعولها بوسيلة ما ، ويشلون فاعلية قواتنا تمامًا .

قال (محمود) :

ـ يمكننا أن نتحرك على عدة مراحل إذن .

سأله (بودان) :

ـ ماذا تعنى ؟

أجابه فى اهتمام :

ـ نحتل مركز التحكم فى القمر الجيولوجى مثلًا ، ثم نستولى على بطاقات طاقم الحراسة والعاملين فيه ، ونرسل بطاقاتنا وبطاقاتهم إلى هنا ، فيستخدمها غيرنا ، وهكذا .

هتف (أكرم) :

ـ فكرة رائعة .. أنت عبقرى يا رجل .

رمقه (محمود) بنظرة جانبية ، وهو يقول :

ـ عجبًا !.. كنت أظنني لا أصلح للقتال .

عقد (أكرم) حاجبيه ، وأشاح بوجهه متجاهلاً هذا ، فى حين قال (نور) :

ـ إنها فكرة رائعة بالفعل ، ولكنها ستدفعنا لتغيير خطتنا بشكل جذرى .. سنبدأ باحتلال مركز التحكم فى القمر الجيولوجى ، وستبقون داخل المركز ، وتواصلون العمل فيه بالشكل الطبيعى ، وكأنكم من رجال (جلوريال) ، حتى تحين لحظة التنفيذ .

ثم اعتدل مستطردًا :

ـ ولكن كل هذا سابق لأوانه ، فلم نتمكن من حل شفرة البطاقات بعد .

رفعت (نشوى) رأسها عن جهاز الكمبيوتر ، وقالت :

ـ مازال الكمبيوتر يحاول ، ولكن يبدو أن هذا يستغرق وقتًا أطول مما كنت أتوقع .

قال (نور) فى توتر :

ـ ولكننا لا نمتلك الوقت يا (نشوى) ، فلو لم نبدأ معركتنا الكبرى غدًا ، سيبدأ الجلورياليون حملتهم الثانية لاحتلال الأرض ، والله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، ما الذى يمكن أن تعانيه الأرض هذه المرة ؟

غمغمت فى أسى :

ـ إننى أفعل كل ما بوسعى .

التفت إليها (رمزى) ، وداعب قدمه المصابة ، وهو يقول :

ـ أمن الضرورى أن نحل شفرة البطاقات ؟

سألته فى دهشة :

ـ ماذا تعنى ؟

لوّح بكفه ، قائلًا :

ـ أعنى ماذا لو أننا نسخنا الشفرة كما هى ؟

عقدت حاجبيها مغمغمة :

ـ أتقصد عملية نسخ سلبية ؟.. أن أنقل شفرة البطاقة ، التى نقلنا بياناتها ، إلى البطاقات الأخرى مباشرة ، بدون حل رموزها ؟

هزّ كتفيه ، قائلًا :

ـ إنه مجرّد اقتراح .

قال (محمود) فى حماس :

ـ أنا أجدة اقتراحًا رائعًا .. سيعاوننا على بدء الهجوم على الأقل .

قالت (نشوى) فى توتر :

ـ ولكنه ينطوى على بعض الخطر ، فنحن نجهل طبيعة البيانات التى تحملها هذه الشفرة .

مطّ (نور) شفتيه ، وقال :

ـ لو أننا لم نتوصّل إلى حل الشفرة ، فلن يكون أمامنا سوى أن نخاطر بهذا .

تنهّدت مغمغمة :

ـ سأبذل قصارى جهدى .

اندفع إليهم (ديجنتى) فجأة ، يهتف :

ـ تابعوا البث الجلوريالى .. إنهم يعلنون أمرًا جديدًا .

أسرع الجميع إلى شاشة الراصد ورأوا وجه (آجور) يملؤها ، وهو يقول فى قسوة وشماتة :

ـ ولقد عانيتم الكثير من غياب شمسكم الكبرى .. إننا نعلم هذا ، ولكنه عقاب عادل ، على تأييدكم لذلك المنقذ ، القادم من (سيتا ـ ٣) .. والواقع أنه لم يبد لنا عقابًا كافيًا .

قال (أكرم) فى حنق :

ـ هذا الحقير يعلن شماتته علانية .

أشار إليه (نور) بالصمت ، وهو يتابع حديث (آجور) فى اهتمام ، فى حين تابع هذا الأخير متهكمًا :

ـ ولهذا رأينا أن نرفع العقاب درجة أخرى .

وأشار إلى المشاهدين ، مستطردًا فى شراسة :

ـ سنطفئ الشمس الصغرى أيضًا .

شهقت (سلوى) ، وهتفت (مشيرة) :
ـ ياله من لعين !
وامتقع وجه (بودان) ، وهو يقول :
ـ سيطفئون الشمس الصغرى أيضًا .. لقد حكموا على (أرغوران) بليل دائم .
ومع كلماته ، ظهر القمر الأسود الثانى على شاشة الراصد ، مصحوبًا بصوت (آجور) ، وهو يقول :
ـ لقد بلغنا نهاية العد التنازلى تقريبًا .. سبعة .. ستة .. خمسة .. ثلاثة .. اثنان ، واحد .. صفر .. انطلق .
وأمام أعين الجميع ، انطلق القمر الثانى ، وراح يشق طريقه فى السماء ، فى شكل قرص أسود مخيف ، حتى اختفى فى الفضاء ، فهتفت (نشوى) :
ـ ماذا سنفعل الآن ؟
لم يجب أحدهم ، وهم يراقبون على الشاشة ذلك الليل الجديد ، الذى انتشر بسرعة مدهشة ، حتى اختفت شمس (أرغوران) الصغرى ، خلف القرص الفضائى الداكن ، ولحقت بشقيقتها الكبرى ، وغرق الكوكب فى ليل جديد ..
ليل سرمدى مخيف هذه المرة ..
وفى عصبية شديدة ، قال (هو نور) :
ـ لابد أن نبدأ خطتنا الآن .. سينهار الشعب لو دام هذا الليل طويلًا .

قال (نور) فى حدة :
ـ سنتحرك بأسرع ما يمكننا ، ولكننا نحتاج إلى حل لمشكلة عويصة ..
ـ كيف نصل إلى القصر ؟
هتف (أكرم) ، فى هذه اللحظة :
ـ (نور) .. من الواضح أنهم يعتبرون أنك قد لقيت مصرعك .. إنهم يعلنون عن مكافأة لمن يسلمهم جثتك .
برقت عينا (نور) ، وهو يقول :
ـ جثتى ؟!
ثم التفت إلى رفاقه ، واستطرد فى حماس :
ـ رائع .. هذه هى الوسيلة أيها السادة .
قالت (سلوى) فى قلق بالغ :
ـ (نور) .. فيم تفكر بالضبط ؟
أجابها مبتسمًا :
ـ فى تسليمهم جثتى يا عزيزتى .
قال (ديجنتى) متوترًا :
ـ هل تظن أن هذا يخدعهم أيها القائد ؟
هز (نور) كتفيه ، وقال :
ـ لو أننا سلمناهم الجثة ، فسيشكون فى الأمر بالطبع .
سأله (بودان) :

- فيم تفكر إذن ؟

ابتسم (نور) ابتسامة غامضة ، وهو يقول :

- فى أن تتشبثوا بجثتى ، وتصروا على عدم تسليمها لهم يا رجل .

تبادل الجميع نظرة حائرة ، ثم غمغم (هو نور) :

- لست أفهم شيئًا .

اعتدل (نور) ، وقال :

- استمعوا إلىّ جيدًا إذن يارفاق ، وسندرس معًا خطة الوصول إلى أرض العدو .

وأشار إلى أعلى ، مستطردًا :

- إلى القصر .

وارتفعت عيون الجميع بحركة آلية إلى حيث يشير ، وخفقت القلوب كلها ..

خفقت فى شدة .

* * *



٩ - وبدأت المعركة ..

أطلق الإمبراطور (سيلبا) ضحكة عالية مجلجلة ، ردّدتها جدران القاعة الإمبراطورية ، فى صدى مخيف ، قبل أن يقول :

- الآن غرق (أرغوران) في ليل دائم .. نعم .. هذا هو العقاب الذى يستحقه شعبه ، لأنه جرؤ على تحدى قوات (جلوريال) العظيمة .

قال الحكيم (أوراكس) :

- كانت ضربة فى الصميم يا مولاى . وقبل أن يستوعب شعب (أرغوران) ليله الطويل ، الذى يستغرق كل فترة شروق شمسه الكبرى ، جاء إخماد شمسه الصغرى ، ليحطّم ما تبقى من الأمل والإرادة ، فى نفوس الجميع .

مال الإمبراطور نحوه ، يسأله فى شغف :

- هل تعتقد هذا حقًا ؟

أومأ (أوراكس) برأسه ، وأجاب :

- بكل تأكيد يا مولاى .

أمسك الإمبراطور ذقنه بسبّابته وإبهامه ، وهو يسأله :

- إذن فأنت لا تعتقد أن ذلك الشعب يمكن أن يقاتل الآن .

هزَّ (أوراكس) رأسه ، وقال :

ـ ليس فى القريب العاجل يا مولاى .. إنهم يحتاجون بعض الوقت ، لامتصاص الصدمات على الأقل .

تراجع الإمبراطور على عرشه ، وزفر فى حرارة ، قبل أن يقول :

ـ وآه لو عثرنا على جثة ذلك المنقذ أيضًا ..

قاطعه صوت (آجور) ، وهو يقول فى حزم :

ـ لقد عثرنا عليها يا مولاى .

انتفض (سيلبا) فى عنف ، وهو يلتفت إليه بكيانه كله ، هاتفًا :

ـ ماذا تقول يا (آجور) ؟!.. هل عثرنا على الجثة ؟

اتجه إليه (آجور) ، وهو يومئ برأسه ، قائلًا :

ـ نعم .. عثرنا عليها يا مولاى .

سأله الإمبراطور فى لهفة :

ـ وأين هى ؟.. أين جثة المنقذ ؟

لوَّح (آجور) بيده ، وهو يجيب :

ـ مع الأرغورانيين يا مولاى .

تراجع الإمبراطور فى حدة ، وهو يقول فى غضب :

ـ أى قول سخيف هذا ؟.. كيف تقول إننا عثرنا على الجثة ، وهى ما زالت فى قبضة الأرغورانيين .

أجاب (آجور) :

ـ المهم أن يخرجوها من مكمنها يا مولاى ، وسيفعلون هذا بعد ساعة واحدة من الآن .

أشار الحكيم بيده ، وهو يقول :

ـ قولك يحتاج إلى تفسير يا قائد الفرسان .

أجابه (آجور) دون إبطاء :

ـ بالطبع أيها الحكيم .. الواقع أن جواسيسى أخبرونى أن الأرغورانيين قد عثروا على جثة المنقذ وأخفوها فى مكان سرى ، وقرَّروا دفنها فى احتفال خاص ، بعد ساعة من الآن .. ولقد نشط رجالى لجمع المعلومات والتفاصيل ، وأبلغونى بالموقع ، الذى سيتم دفن جثة المنقذ فيه .

سأله الإمبراطور فى لهفة :

ـ وما هذا الموقع ؟

مال (آجور) نحوه ، وقال :

عند النصب التذكارى القديم .

انتفض جسد الإمبراطور ، وهو يقول :

ـ لا تسمح لهم بهذا يا (آجور) .. أريد هذه الجثة .. أريدها هنا .

انحنى (آجور) ، وقال :

ـ سمعًا وطاعة يامولاى .. ما إن تظهر جثة المنقذ ، حتى نقوم باختطافها ، ونحملها فورًا إلى هنا .

هتف (أوراكس) :

ـ مهلًا يا (آجور) .. معذرة يا مولاى ، ولكن ما أدرانا أنها ليست خدعة .

ابتسم (آجور) ، وقال :

ـ لقد جال هذا الاحتمال بخاطرى أيها الحكيم ، وقمت بدراسته جيدًا ، قبل أن أحضر إلى هنا ، ووجدت أن الاحتمال الأعظم هو أنها ليست خدعة ، فهؤلاء الأرغوراتيون يكتمون الأمر فى شدة ، ويتحركون فى سرية تامة ، ولولا براعة جواسيسى وذكاؤهم ، لما علمنا بما سيفعلونه .. ولكن دعنا نفترض أيضًا أنها خدعة متقنة ، وأن السرية مجرد فخ للإيقاع بنا ، وسنجد أنفسنا أمام سؤال آخر : ما الذى يستفيده المنقذ ، من وقوعه فى قبضتنا ؟

قال الإمبراطور ، وهو يحك ذقنه فى تفكير :

ـ أن يصل إلى القصر الطائر .

لوّح (آجور) بيده ، وقال :

ـ هذا لو أنه سيصل إليه حيًا ، ولكننا زوّدنا المركبة المتأهبة لاختطاف الجثمان بجهاز فحص خاص ، يمكنه التقاط أية علامة من علامات الحياة ، من الجثة ، ولو ثبت أن المنقذ حى ، سيتم إطلاق جرعة ضخمة من الأشعة على جمجمته ، بحيث يلقى مصرعه بالفعل ، قبل أن يصل إلى هنا .

غمغم الإمبراطور :

ـ فكرة رائعة .

ثم استغرق فى التفكير بضع لحظات ، قبل أن يرفع يده ، مستطردًا فى لهجة آمرة :

ـ فليكن يا (آجور) .. ابدأ التنفيذ ، وأريد منك أن تحضر ذلك المنقذ هنا .. أو بمعنى أدق .. أريد جثة المنقذ .. أريدها هنا ، فى قلب القاعة الإمبراطورية .

شدّ (آجور) قامته ، وهو يقول فى قوة :

ـ السمع والطاعة يا مولاى .. قبل مرور ساعتين من الآن ، سيكون المنقذ أمامك هنا ، خاليًا من أى أثر للحياة .. وهذا وعد ..

* * *

اعتدل رئيس طاقم الحراسة ، فى مركز التحكم فى القمر الجيولوجى ، وقال فى صرامة ، وهو يستقبل الجنود الذين توقفوا نحوه .

ـ قف .. أثبت هويتك .

رفع رئيس الجنود يده ، وقال بصوت جهورى :

ـ المجد لـ (جلوريال) .

أجابه رئيس الحرّاس :

ـ المجد له ، ولكن من أنتم ؟.. ولماذا أتيتم إلى هنا ؟

قال رئيس الجنود ، وهو يبرز بطاقته :

ـ لدينا أوامر بتكثيف الحراسة على المركز ، فقد وردت بعض المعلومات ، التى تؤكد أن المقاومة الأرغورانية ستحاول احتلاله .

قال رئيس الحرّاس فى دهشة :

ـ احتلال هذا المركز ؟!.. ولكن لماذا ؟.. القمر الجيولوجى لا يفيدهم على الإطلاق !

هزّ رئيس الجنود كتفيه ، وقال :

ـ أنت لا تعرف كيف يفكرون .

مطّ رئيس أمن المركز شفتيه ، وغمغم :

ـ أنت على حق .. لا أحد يعلم كيف يفكرون .

ثم تابع فى صرامة :

ـ ولكننى لم أتلق أوامر بقدومكم .

ناوله رئيس الجنود بطاقته ، وهو يقول :

ـ لقد صدرت الأوامر بصفة عاجلة ، وهاهى ذى بطاقتى ، لتؤكد لك أننا نعمل لحساب الجهة نفسها .

قلب رئيس أمن المركز البطاقة بين أصابعه ، وغمغم وهو يدسها فى فراغ خاص بها :

ـ يقولون إن هذه البطاقات الجديدة غير قابلة للتزوير .

ابتسم رئيس الجنود ، مغمغمًا :

ـ هذا صحيح .

تابع رئيس الأمن تلك البيانات ، التى تراصت على الشاشة أمامه ، وقال :

ـ إنها صحيحة .

ثم أشار إلى الجنود الآخرين ، قائلًا :

ـ هيا .. أبرزوا هوياتكم أيضًا :

أبرز كل منهم بطاقته ، وتناولها جنود الأمن ، ودسوها فى الفراغات ، فأطلقت كل منها سلسلة من البيانات ، مطابقة تمامًا للبيانات الأولى ، وراقب رئيس الأمن هذا فى اهتمام بالغ ، قبل أن يعيد البطاقات إلى الجنود ، قائلًا :

ـ حسن .. تقدّموا إلى الداخل .

زفر (محمود) و (مشيرة) من أعماقهما فى ارتياح ، وهما يرتديان زى الجنود الجلورياليين ، وعبروا مع رجال المقاومة الأرغورانية المتنكرين إلى الداخل ، وعلى رأسهم (بودان) ، ولكن ما إن أصبحوا داخل المركز ، حتى توقّف رئيس أمن المكان بغتة ، وهتف فى رجاله :

ـ استعد .

توقّف رجال الأمن كلهم دفعة واحدة ، ثم ارتفعت فوهات أسلحتهم نحو رجال المقاومة المتنكرين ، فهتف (بودان) :

ـ ماهذا بالضبط ؟

ابتسم رئيس الأمن ، وهو يقول :

ـ انتهى الأمر .. يارجل .. أنتم الآن فى قبضتنا .

هتف (بودان) فى عصبية ، بلغة جلوريالية سليمة :

ـ ما الذى يعنيه هذا ؟.. نحن رفاقكم :

أطلق رئيس الأمن ضحكة عالية ، قبل أن يقول :

ـ آه .. صحيح أن تنكركم متقن للغاية ، ولغتكم لا تدع مجالاً للشك ، فى أنكم من جنود (جلوريال) ، وكان من الممكن أن تنطلى علينا خدعتكم البارعة هذه ، لولا البطاقات .

هوى قلب (مشيرة) بين قدميها ، وهى تحدق فى وجه رئيس الأمن فى ارتياع ، فى حين سأله (محمود) فى شحوب :

ـ وما عيب البطاقات ؟

لوّح رئيس الأمن بيده ، وهو يقول :

ـ ليس بها أى عيب ... الواقع أنها مصنوعة بدقة مذهلة ، حتى أننى سأرفع تقريرًا أمنيًا خاصًا بهذا ، حتى يعلم صانعوها أن تزويرها ليس مستحيلاً .

ثم اتسعت ابتسامته فى سخرية شامتة ، مع استطرادته :

ـ ولكنكم لم تنجحوا فى حل شفرتها ، وإلا لأدركتم الخطأ الفادح ، الذى وقعتم فيه .

ومال نحو (محمود) ، مستطردًا فى سخرية :

ـ فالمفروض ، طبقًا لهذه البطاقات ، أنكم جميعًا شخص واحد ، بنفس البيانات الشخصية ، حتى الاسم والرقم العام .

انعقد حاجبا (محمود) فى شدة ، عندما واجهه رئيس الأمن بهذه المعلومة ، وهتفت (مشيرة) فى حنق :

ـ يا للسخافة !

وهنا تراجع رئيس الأمن ، وقال :

ـ بل قولى يا للأسف !

ثم رفع يده لرجاله ، هاتفًا :

ـ أطلقوا النار .

وسطعت خيوط الأشعة فى المكان ..

الأشعة القاتلة ..

* * *

تحرّك (هو نور) فى خفة ، بالقرب من فتحة التهوية الخاصة بمركز الدفاع الفضائى ، وغمغم متحدثًا مع أحد رجاله :

ـ افحص المكان أولاً ، وبمنتهى الدقة ، قبل أن نعبر هذه الفتحة .

أخرج الرجل من جيبه جهازًا صغيرًا ، راح يفحص به جدران الفتحة وأطرافها ، ثم غمغم :

- هناك خيوط إشعاعية تغلق الفتحة ، فى شكل شبكة عنكبوت .

تمتم (هو نور) :

- كنا نتوقع هذا إلى حد ما .

ثم أشار إلى بعض رجاله ، فزحفوا فى خفة إلى جدران الفتحة ، وراحوا يعالجونها بأجهزة خاصة ، حتى تلاشت الخيوط الإشعاعية ، فتنفس (هو نور) الصعداء ، وقال :

- عظيم .. هكذا يمكننا عبور الفتحة .

سأله أحد رجاله فى قلق :

- وماذا لو أنه توجد وسائل دفاعية أخرى بالداخل ؟

ابتسم (هو نور) فى سخرية ، وهو يقول :

- لو لم توجد وسائل دفاعية أخرى فى الداخل ، لكان هؤلاء الجلورياليون هم أغبى قوم عرفتهم فى حياتى كلها .

قالها ، وهو ينزلق عبر الفتحة ، فسأله الرجل فى دهشة :

- وعلى الرغم من هذا نخاطر بالعبور ؟!

هز (هو نور) كتفيه ، وقال :

- بالطبع .. ولماذا نخيب أمل أصدقائنا الجلورياليين ؟.. هيا يا رجل .. هيا ، ولا تقلق نفسك بتفكير عميق .. هيا .

حدق الرجل فيه بدهشة ، ولكنه لم يملك الاعتراض . وإنما أشار إلى الباقين ، وانزلق عبر الفتحة ليتبع قائده ..

حتى ولو كان إلى أعماق الجحيم ..

وفى نفس اللحظة ، التى عبر فيها (هو نور) ورجاله فتحة التهوية ، كان حارس مركز الدفاع الفضائى يهب واقفا ، ويؤدى التحية العسكرية فى قوة ، عندما توقفت أمامه دورية من دوريات التفتيش ، وغادر قائدها مركبته ، واتجه نحوه بزيه العسكرى الجلوريالى ، الذى يحمل رتبة ضابط عظيم ، استقبل تحية الجندى بحركة ضجرة ، قبل أن يسأله :

- أين القائد ؟

أجابه الحارس فى عسكرية صرفة :

- من يطلب رؤيته يا سيدى ؟

قال الضابط فى صرامة :

- قل له : إن قائد الدورية التاسعة يطلب مقابلته على الفور ، لأمر عاجل للغاية .

ولم تمض لحظات ، حتى كان قائد مركز الدفاع الفضائى يقف أمام رئيس الدورية ، وتبادل الاثنان تحية عسكرية صارمة ، قبل أن يقول رئيس الدورية :

- قل لى أيها القائد .. هل تحمى دفاعاتك جيدًا ؟



حدّق الرجل فيه بدهشة ، ولكنه لم يملك الاعتراض ، وإنما أشار إلى الباقين ، وانزلق عبر الفتحة ..

أجابه القائد فى حذر :

ـ بالتأكيد يا سيّدى .. نحن ندرك أهمية وخطورة هذا المركز .

ابتسم رئيس الدورية فى سخرية ، وقال :

ـ حقًّا ؟!.. لماذا يبدو لى وكأنكم لا تدركون هذا إذن ؟

سأله القائد فى توتر :

ـ ما الذى تعنيه بالضبط يا سيّدى ؟.. إننا نقوم بواجبنا على خير ما يرام .

قال رئيس الدورية فى صرامة :

ـ هذا لا يبدو واضحًا .

ثم مال نحوه ، مستطردًا فى حدة :

ـ قل لى يا هذا : كم رجلاً تركت ، لحراسة فتحة التهوية الخلفية .

ارتبك القائد ، وهو يجيب :

ـ إننا لا نترك أحدًا لحراستها يا سيّدى الضابط العظيم ، فالمفروض أنها فتحة سرية ، ووجود جنود لحراستها يكشف أمرها .. ولكنها مزوّدة بنظم دفاعية إليكترونية خاصة ، تمنع أى مخلوق من ..

قاطعه الضابط العظيم فى سخرية :

ـ يا للسخافة !.. كيف نجح بعضهم فى اختراقها إذن ؟

هتف القائد مصعوقًا :

ـ اختراقها ؟!.. ماذا تقول يا سيِّدى الضابط ؟

صاح الضابط فى وجهه :

ـ أقول : إننا كنا نقوم بدوريتنا المعتادة ، عندما رأينا بعضهم يعبر فتحة التهوية الخلفية ، ثم يغلقها خلفه .. لقد رصدنا ستة أشخاص ، ولسنا ندرى كم من الرجال سبقهم عبرها .

امتقع قائد المركز ، وهو يهتف :

ـ ولكن هذا مستحيل يا سيِّدى الضابط .. لو عبرها أحدهم لكشفنا أمره ، قبل أن يقطع ثلاثة أمتار ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، اندفع إليه أحد رجاله من الداخل ، هاتفًا :

ـ سيدى القائد .. هناك عدد من الرجال يعبرون فتحة التهوية الخارجية .

ازداد شحوب وامتقاع قائد المركز ، فى حين قال رئيس الدورية فى صرامة :

ـ أرأيت ؟!

ثم أزاح القائد عن طريقه ، واندفع داخل المركز ، مستطردًا فى غضب :

ـ دعنا نشاهد ما حدث .

تبعه القائد مرتبكًا ، حتى بلغوا حجرة المراقبة ، وأشار رئيس الدورية إلى الشاشة ، التى تنقل مشهد (هو نور) ورجاله ، وهم يزحفون داخل نفق التهوية الخلفى ، وقال فى حدة :

ـ عظيم .. أكثر من ثلاثين رجلًا يزحفون إلى هنا .. رائع .. وتقول إنكم تؤدون عملكم على ما يرام أيها القائد !

أجابه القائد فى اضطراب :

ـ إننا لم نخطئ يا سيدى الضابط .. لقد رأيت بنفسك أننا كشفنا أمرهم ، قبل أن يبلغوا منتصف الطريق ، ويمكننا إبادتهم جميعًا بضغطة زر واحدة ، هكذا .

ومال نحو أحد الأزرار ، ولكن الضابط استوقفه فى حدة ، قائلًا :

ـ وترتكب خطأ ثانيًا سخيفًا ، لمداراة الخطأ الأوَّل .. أليس كذلك ؟.. كيف تبيدهم يا هذا ، قبل أن تعرف ماذا وراءهم ؟!.. أليس من المحتمل أنهم طليعة هجوم شامل ؟.. هل تعتقد أن رجال المقاومة الأرغورانية يخاطرون بمهاجمة مركز الدفاع الفضائى ، دون تغطية مناسبة ؟!.. قل لى ، هل تعتقد هذا ؟

هزَّ القائد رأسه نفيًا فى توتر ، وهو يقول :

ـ كلا يا سيِّدى .. من المحتم أن لديهم تخطيطًا آخر .

لوّح الضابط بذراعه كله ، هاتفًا :

ـ بلا شك .. أراهنك أنهم مجرّد فريق استطلاع ، وستتبعه فرق أخرى ، أو محاولة خداع كبرى .. المهم أنهم ليسوا كل من نواجههم .. ألا توافقنى على هذا الرأى ؟

أجابه القائد فى حماس :

ـ أوافقك على هذا .

أومأ الضابط برأسه ، ثم ابتسم وقال :

ـ ولكن هذا لا يمنع كون وسائل الأمن لديكم جيدة.. لقد كشفتم وجودهم بالفعل .

بدا الارتياح على وجه القائد ، وهو يقول :

ـ بالطبع يا سيِّدى الضابط ، فالممر كله مزوَّد بمجسات حسيَّة خاصة ، ما إن يلمسها حتى جرذ صغير ، حتى تبدأ عملها على الفور ، وتنذر رجال المراقبة هنا ، وتنقل إليهم صورة لما يحدث هناك .

مطَّ الضابط شفتيه . وقال :

ـ عظيم .. عظيم .. ومن حسن الحظ أننا كشفنا أمرهم ، حتى يمكننا مباغتتهم ، فور وصولهم إلى هنا .

ثم أشار إلى أحد رجال المركز ، مستطردًا فى حزم :

ـ ادخل رجال الدورية ، فهم خبراء فى مكافحة رجال المقاومة الأرغورانية .. واعمل على توزيعهم عند فتحات الدخول جيدًا ، واجمع كل رجالك هنا .

قال القائد فى حماس :

ـ نفذ أوامر الضابط العظيم .

هزَّ الضابط رأسه متفهمًا وراضيًا ، وبرقت عيناه وهو يقول :

ـ وعندما يصل هؤلاء الدخلاء إلى هنا ، ستكون فى انتظارهم مفاجأة .

وانتزع سلاحه ، وهو يستطرد فى صرامة :

ـ مفاجأة قاتلة .

وصوَّب سلاحه إلى فتحة التهوية ، فى انتظار وصول (هو نور) ورجاله ، وهو يبتسم ابتسامة غامضة .. ومخيفة .

* * *



١٠ ـ الجثـة ..

انتشر ظلام رهيب فى كوكب (أرغوران) ، الذى لم يشهد تاريخه مثل هذا الليل قط ، وعلى الرغم من الرهبة ودوريات الحراسة المنتشرة ، فى قارته الواحدة الضخمة ، التى تحتل ثلث مساحة مسطحه تقريبًا ، تحرك ركب من الأرغورانيين فى حذر ، وهم يحملون نعشًا ضخمًا ، رفعته اكتاف عشرة رجال ، ساروا به فى حزن واضح ، متجهين إلى النصب التذكارى القديم ..

كان من الواضح أن هذا النعش يمثل لهم أهمية بالغة ، وهم يحيطون به على هذا النحو ، ويسرعون به إلى هدفهم ، متسترين بالظلام ..

وعند النصب التذكارى القديم ، وضع الرجال النعش الضخم ، وأحاطوا به فى صمت وخشوع ، وكأنهم يتلون صلاة أخيرة ، ثم اقترب أربعة منهم من النعش ، ورفعوا غطاءه الثقيل فى حذر ، وكأنهم يرغبون فى إلقاء نظرة أخيرة على ذلك الجثمان المسجى داخله ..

ومن بعيد ، خفق قلب (آجور) ، قائد فرسان الإمبراطورية الجلوريالية ، وهو يراقب المشهد على شاشته ..

وبضغطة زر ، اقترب المشهد فى سرعة من وجه الجثة ، وأطلق (آجور) زفرة ارتياح حارة ، وهو يغمغم :

ـ إنه هو .

ثم التقط بوق جهاز اتصال داخلى ، واستطرد :

ـ أحضروه .

كان الرجال المحيطون بالنعش قد انتهوا تقريبًا من صلاتهم ، واستعدوا لإعادة الغطاء إلى النعش ، عندما وقع الهجوم ..

مركبة طائرة جلوريالية ضخمة ، انقضت على النعش ، وأطلقت نحوه أشعة مضادة للجاذبية ، جعلته يرتج فى قوة ، ثم يرتفع متجهًا إلى باطنها ..

وثارت ثائرة الأرغورانيين ، وراحوا يصرخون ، ويلوحون بقبضاتهم ، وحاول بعضهم التعلق بالنعش ، ولكن المركبة الجلوريالية أطلقت أشعتها ، ففرقتهم مذعورين ، وراحت ترتفع بالنعش مبتعدة ..

وفى حجرته ، ابتسم (آجور) فى سخرية ، وقال :

ـ هذا هو التأكيد ، الذى كنت أنتظره ، فهم لن يجازفوا بأرواحهم من أجل خدعة .

وضغط زر اتصال داخلى ، وهو يستطرد :

ـ الجثة فى قبضتنا الآن يا مولاى .

ظهرت صورة الإمبراطور (سيلبا) ، فوق شاشة أخرى ، وهو يهتف فى لهفة وحماس :

ـ حقًا ؟!.. هل حصلت عليها ؟

ضغط (آجور) أحد الأزرار ، وهو يقول :

ـ شاهد بنفسك يا مولاى .

انتقلت الصورة على الفور إلى شاشة الإمبراطور ، الذى راح جسده ينتفض على عرشه من فرط الانفعال ، وهو يراقب المشهد ، وغمغم :

ـ أخيرًا .

تدخل الحكيم (أوراكس) ، قائلًا :

ـ مازلت أخشى أن تكون خدعة .

ابتسم (آجور) ، وهو يقول :

اطمئن أيها الحكيم .. لقد اتخذت احتياطاتى لهذا الأمر .

راقب الثلاثة المركبة ، وهى تحمل النعش إلى القصر الطائر ، وبدا لهم جثمان (نور) داخله صامتًا ساكنًا ، حتى استقر النعش داخل حجرة الفحص ، وقال (آجور) :

ـ هل نبدأ الفحص يا مولاى ؟

أجابه الإمبراطور فى لهفة :

ـ بالطبع .. بالطبع يا (آجور) .

وهنا انبعث شعاع وردى من سقف حجرة الفحص ، وراح يجوب الجثة عدة مرات ، ثم ظهرت على الشاشة كلمات تقول :

ـ النبض = صفر .. ضغط الدم = صفر .. معدلات التنفس منعدمة .. إشارات المخ سلبية .. لا يوجد أدنى أثر للحياة ..

تنهد الإمبراطور (سيلبا) فى قوة ، وغمغم :

ـ هذا عظيم .

ولكن (آجور) قال :

ـ وعلى الرغم من هذا ، لن أكتفى بنتائج الفحص التقليدى يا مولاى .. انظر .

وانبعث شعاع أحمر آخر ، استقرّ على جبهة الجثة بالضبط ، وقال (آجور) :

ـ هذه الأشعة من نوع خاص ، تعمل على تدمير خلايا المخ وإذابتها ، بحيث تقتل صاحب الجثة ، لو أنه يخدعنا ، وتحيل مخه إلى كتلة محترقة عديمة الفائدة ، خلال دقيقة واحدة .

حبس الإمبراطور أنفاسه ، وراح يراقب تلك الأشعة الحمراء ، وهى تجوب جبهة الجثة ، و (آجور) يقول :

ـ قل : وداعًا للمنقذ يا مولاى .. إنها نهايته .. نهايته ولا شك .

ارتجف جسد الإمبراطور من فرط الانفعال ، وهو يقول :

ـ أحضر الجثة إلى هنا يا (آجور) ..

قال (آجور) فى ظفر :

ـ أمر مولاى .

وبضغطة زر ، حملت الأشعة المضادة للجاذبية النعش ، وحلقت به عبر طرقات القصر ، حتى بلغت القاعة الإمبراطورية ، فاستقرت به فى منتصفها تمامًا ، وراح (سيلبا) يتطلع إليه بأنفاس مبهورة ، حتى وصل (آجور) ، وأشار إلى النعش ، قائلًا :

ـ هاهو ذا المنقذ فى قبضتك يا مولاى .

أمسك (سيلبا) مسندى عرشه فى قوة ، وانتزع نفسه منه فى انفعال جارف ، وهبط فى صعوبة ، وسار نحو النعش ، ووقف يتطلع إلى جثة (نور) ، وهو يقول :

ـ أخيرًا .. أخيرًا التقينا أيها المنقذ ، القادم من (سيتا ـ ٣) .. أخيرًا وقفنا وجهًا لوجه ، ولكن أحدنا فقط يتمتع بالحياة ، والظفر ، وفرحة الانتصار ..أخيرًا سيمكنني النوم ، وستفارقنى تلك الكوابيس البشعة .. أخيرًا أيها المنقذ ..

ارتفع فى هذه اللحظة أزيز خاص ، من ساعة معصم (آجور) فرفعها إلى أذنيه ، هو يقول :

ـ هنا القائد .. ماذا هناك ؟

واستمع إلى محدثه فى اهتمام ، ثم برقت عيناه ، وهو يقول فى ظفر :

ـ عظيم .. أحضرهم على الفور .

سأله الحكيم (أوراكس) فى لهفة :

ـ ماذا هناك ؟

ابتسم (آجور) ابتسامة ظافرة ، وهو يغمغم :

ـ مفاجأة مدهشة ، لن أفصح عنها الآن .

ثم انحنى مستطردًا :

ـ اسمح لى بالانصراف يا مولاى ، وسأعود بمفاجأة مدهشة .

أشار إليه الإمبراطور ، قائلًا وهو يشير إلى النعش :

ـ اذهب يا (آجور) .. اذهب .. لدى هنا كل ما أريد .

غادر (آجور) المكان فى خطوات سريعة ، والتفت الحكيم إلى الإمبراطور ، قائلًا :

ـ أخيرًا يا مولاى .

أطلق الإمبراطور زفرة كاللهيب ، وهو يقول :

ـ أخيرًا يا (أوراكس) .

ثم رفع ذراعيه ، واستطرد فى حماس :

ـ أعلنوا الخبر على الجميع .. أعلنوا أننا ظفرنا بجثة

المنقذ الأسطورى ، وأننا سنعمل على حرقها فى احتفال عام .. أعلنوا انتصارنا .

وخفض عينيه إلى الجثة ، مضيفًا فى مقت :

ـ لقد انتصرت عليك أيها المنقذ الأسطورى .

وبكل الغضب والمقت والكراهية فى أعماقه ، لكم أنف الجثة ، و ..

وتراجع مصعوقًا ..

لقد حملت إليه تلك اللكمة مفاجأة ..

مفاجأة مذهلة ..

★ ★ ★

لم يكد رجال أمن مركز التحكم فى القمر الجيولوجى يرفعون أسلحتهم ، حتى تحرك (محمود) ..

لقد انتزع سلاحه بسرعة مدهشة ، وصوبه ، و ... وأطلقه ..

وانتزعت طلقته رئيس الأمن من مكانه ، وضربت به الحائط ، ثم أسقطته جثة هامدة ..

وفى اللحظة التالية ، تحوّل المكان كله إلى قطعة من الجحيم ، تبادل فيها الطرفان طلقات الأشعة القاتلة ، فى غزارة تثير الرعب ..

وصرخت (مشيرة) فى ارتياع ، ولكن (محمود) دفعها جانبًا ، وهو يهتف فى حزم وحماس :

ـ ابتعدى .

قالها وعاد يطلق أشعته فى سخاء ، ورجال المقاومة الأرغورانية يشاركونه القتال ، أمام طاقم أمن المركز ..

وفى توتر بالغ ، هتفت (بودان) :

ـ لابد أن نبلّغ الآخرين بما حدث ، حتى لا يقعوا فى الخطأ نفسه .

هتف (محمود) :

ـ المهم أن ننجوا من هذا المأزق أولًا .

أطلق (بودان) أشعته مرة ومرة ، وثالثة ، ثم وثب من مكانه ، هاتفًا :

ـ آه لو أمكننى بلوغ هذا الـ ..

قبل أن يتم عبارته ، اخترقت أشعة قاتلة صدره ، من الجانب الأيمن ، ودفعته إلى الخلف فى عنف ، وهو يطلق صرخة ألم رهيبة ، فصاح (محمود) :

ـ أيها الأوغاد .

ووثب من مكانه ، وراح يطلق النار فى شراسة ، فى حين أسرعت (مشيرة) إلى (بودان) ، وهى تقول :

ـ ماذا أصابك ؟

لهث (بودان) فى ألم ، وهو يقول :

ـ من الواضح أنها إصابة فادحة .

غمغمت :

ـ دعنى أفحصها .

ولكنها لم تكد تلقى نظرة على إصابته ، حتى شهقت فى ارتياع ، فغمغم هو فى تهالك .

ـ قلت لك : إنها إصابة فادحة .

كان الجلورياليون يتراجعون أمام ضربات الأرغورانيين ، و (مشيرة) تقول لـ (بودان) ، فى لهجة مشفقة :

ـ دعنى أعاونك .. أعتقد أننا نستطيع إيقاف النزيف ، و ..

قاطعها فى ألم :

ـ لا تحاولى .. أنا أشعر أنها النهاية .

غمغمت وهى تقاوم دموعها :

ـ ربما أمكننا أن ...

قاطعها مرة أخرى .

ـ دعينا لا نضع الوقت .. أنت تعلمين أن دورى شديد الأهمية ، فى خطة التحرير .

قالت ودموعها تنهمر على وجهها :

ـ يمكننا تعديل الخطة .

هتف وهو يمسك ذراعها فى ألم :

ـ لا .. هذا أمر عسير .. عندى اقتراح آخر .. يمكننا أن ...



و (مشيرة) تقول لـ (بودان) ، فى لهجة مشفقة :

ـ دعنى أعاونك .. أعتقد أننا نستطيع إيقاف النزيف ..

ولم يستطع إكمال عبارته ، فسعل فى شدة ، وتناثرت قطرات دمه من بين شفتيه ، وهو يغلق عينيه ، فهتفت (مشيرة) :

ـ لا يا (بودان) .. لا .

سمعها (محمود) وقلبه يتمزق ألمًا ، ورأى أحد الجلوريالبين يتراجع إلى حيث أجهزة الاتصال ، وهو يهتف بزملائه :

ـ سأتصل بالقيادة .. سأطلب نجدة عاجلة .

ولكن هذا كان آخر ما يريده (محمود) ..

أن يطلب الجلوريالى نجدة من القيادة ..

كان هذا كفيلاً بإفساد الخطة كلها ..

وكان من المحتم ألا يتصل الرجل بالقيادة ..

وبلا تردد ، غادر (محمود) مكمنه ، حتى يمكنه إصابة أجهزة الاتصال ، وقفز يطلق أشعته نحوها ، وهو يصرخ :

ـ قاتلوا يا رجال ... لا تسمحوا لهم بالإفلات .

مرقت أشعة جلوريالية ، على مسافة سنتيمتر واحد من أذنه اليسرى ، وأصابت أخرى الجدار المجاور له ، واحتكت ثالثة بعنقه وأدمته ، ولكنه لم يتزحزح عن مكانه قيد أنملة ، وراح يطلق أشعة سلاحه على أجهزة الاتصال ..

وأخيرًا انفجر جهاز الاتصال ، وأطاح انفجاره بالجلوريالى ، الذى كان يحاول التقاطه ..

ومع الانفجار ، انقضّ الأرغوراتيون ..

وكانت انقضاضتهم هذه المرة حاسمة ..

وانتصروا فى هذه المعركة ..

وفى لهفة حقيقية ، ودون أن يبالى بالدماء ، التى تغرق عنقه ، اندفع (محمود) نحو (بودان) ، يسأله :

ـ أنت بخير ؟

ابتسم (بودان) فى تهالك ، وهو يغمغم :

ـ هل تعلم ؟!.. أعتقد أن السيد (أكرم) مخطئ تمامًا ، فيما يختص بك .. إنك مقاتل رائع .

لم يبد (محمود) اهتمامًا لهذا القول ، وهو يسأله :

ـ كيف حال إصابتك ؟

هزّ (بودان) رأسه فى هدوء ، وأجاب :

ـ هذا لا يقلقنى كثيرًا .. المهم أن تنفذ الخطة ..

مدّ (محمود) أصابعه ، يمسح العرق الغزير ، المتصبب على وجه (بودان) ، وهو يقول مشفقًا :

ـ دعك من الخطة الآن .

أزاح (بودان) يده فى حزم ، قائلاً :

ـ مستحيل !.. هذه الخطة هى مستقبل (أرغوران) ..

حريته .. تاريخه .. هذه الخطة هي الأهم يا صديقي .. إنها أكثر أهمية من أي فرد .. حتى أنا .

ثم لوّح بأصابعه المرتجفة ، مستطردًا :

ـ (نور) كان يريد مني أن أدلي ببيان النصر ، على الهواء مباشرة ، ولكن هذا لم يعد ممكنًا .. هل يمكنكما تسجيل البيان ؟

قالت (مشيرة) باكية :

ـ وأنت في هذه الحالة ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال بابتسامة باهتة :

ـ نعم .. كلما أسرعنا كان هذا أفضل ، فليس من الظريف أن يدلي إمبراطور ببيان النصر ، وهو يحتضر .

تبادلت (مشيرة) نظرة متوترة مع (محمود) ، وهي تقول :

ـ ولكنك تحتاج إلى الراحة ، و ...

قاطعها (بودان) في حدة :

ـ دعك من هذا .. المهم أن نسجل البيان .

تردّدت طويلاً ، فقال في لهجة أقرب إلى الضراعة :

ـ أعلم أن هذا قد يعجّل بنهايتي ، ولكن صدقوني .. هذا لا يقلقني كثيرًا .. أنا أبذل حياتي في سبيل وطني وأحبائي ، وهذا أعظم ما يناله المرء ... إن أحدنا لن يخلد في هذه

الدنيا ، وما دام الموت آت لا ريب ، فلأمت في سبيل من أحب .. هيا بالله عليكم .. دعونا نسجل البيان ، قبل فوات الأوان .

انتحبت (مشيرة) ، وهي تبكي في حرارة ، ولكن (محمود) ربّت على كتف (بودان) ، وهو يتمتم في تأثر :

ـ صدقت يا رجل .

ثم التفت إلى (مشيرة) ، وقال :

ـ هيا .. سنعمل على تسجيل البيان .

ارتسمت ابتسامة ارتياح على شفتي (بودان) ، وهو يغمغم :

ـ أشكرك يا صديقي .. أشكرك كثيرًا .

مسحت (مشيرة) دموعها ، وقالت :

حسن يا رجال .. أنا أحتاج إلى تعاونكم .

تآزر الجميع في سرعة ، وأجلسوا (بوادن) أمام آلات التصوير وبدأت عملية تسجيل البيان ..

كان (بوادن) يلفظ أنفاسه الأخيرة بالفعل ، ولكنه تماسك على نحو مدهش ، وهو يلقي بيان نصر افتراضي ، ويذيعه على شعب (أرغوران) ..

واستغرق تسجيل البيان نصف الساعة ، على الرغم من

أن كلماته لا تتعدى دقيقة واحدة ، وعندما أطمأنت (مشيرة) إلى أنها قد حصلت على تسجيل جيد ، هتفت بالمحيطين بها :

ـ هذا كل شيء يا رجال .

وهنا ربت (محمود) على كتف (بودان) ، وغمغم :

ـ الآن يا رجل ، يمكنك أن تستريح .

ولكن نظرة واحدة منه إلى وجه (بودان) ، جعلته يدرك أنه قد استراح بالفعل ..

استراح إلى الأبد .

* * *



١١ ـ قلب الخطر ..

انزلق (هو نور) فى خفة ، عبر ممرات التهوية الخلفية ، على الرغم من ضخامة جسده ، حتى بلغ الفتحة السفلى للممر ، فقال لرجاله :

ـ استعدوا يا رجال .. لقد وصلنا إلى مركز الدفاع الفضائى .

سأله أحد رجاله فى قلق :

ـ هل تعتقد أننا سنصل إليه بنجاح ؟

أجابه (هو نور) :

ـ نعم .

ثم رفع سبابته ، مستدركًا فى سرعة :

ـ ولكن ليس بسهولة .

قال الرجل ، وقلقه يتضاعف :

ـ سيدهشنى كثيرًا أنهم لم يشعروا بدخولنا .

هزّ (هو نور) كتفيه ، وقال فى هدوء :

ـ أراهنك أنهم شعروا بنا ، بل وربما رصدوا دخولنا أيضًا .

هتف الرجل منزعجًا :

- وماذا سنفعل إذن ؟
صمت (هو نور) لحظات مفكرًا ، ثم ابتسم قائلًا :
- ما رأيك في اقتحام المكان ؟
ثم دفع فتحة التهوية الداخلية بقدميه ، ووثب داخل المركز ، هاتفًا :
- هيا بنا .
تبعه رجاله في سرعة ، ولم تمض دقيقة واحدة ، حتى كان جميعهم داخل المركز ، وهتف (هو نور) :
- عجبًا !.. أين الرجال الذين ينتظروننا ؟
أتاه صوت صارم يقول :
- هنا .
وعلى الفور ، برز أكثر من ثلاثين رجلًا من الجلورياليين ، يصوبون أسلحتهم إلى (هو نور) ورجاله ، وخلفهم قائد المركز ، يقول في شماتة :
- لقد كشفنا أمركم ، وكنا ننتظركم .
بدا الإحباط على وجوه رجال (هو نور) ، في حين بدا هو نفسه هادئًا متماسكًا ، وهو يقول في سخرية :
- حقًا ؟!.. يا للعبقرية !
ظهر رئيس الدورية من خلف القائد ، وهو يقول له :
- إنها عبقرية بالفعل .. من كان يتصوّر أن يحدث هذا ، وبمثل هذه السهولة ؟

رفع (هو نور) سبابته ، وقال :
- هذا يعني أننا نعمل تحت إمرة قائد عبقري بالفعل .
ابتسم رئيس الدورية ، قائلًا :
- نعم .. القائد (نور) .
اتسعت عينا قائد المركز ، وهو يقول في ذهول :
- القائد (نور) ؟!.. ما الذي يعنيه هذا ؟
وفجأة ، رفع رجال الدورية أسلحتهم ، في وجه قائد المركز ورجاله ، في حين انتزع رئيس الدورية قناعًا مطاطيًا عن وجهه ، وهو يقول :
- يعني أن هزيمتكم كانت أمرًا محتمًا يا هذا .
ومن خلف قناع رئيس الدورية الجلوريالي ، ظهر وجه (ديجنتي) ، وهو يبتسم في سخرية ، فاحتقن وجه قائد المركز ، وهو يقول :
- اللعنة !.. كيف فعلتم هذا ؟
لوّح (ديجنتي) بيده ، وقال :
- ألم أقل لك : إننا نعمل تحت إمرة قائد عبقري ؟.. لقد استنتج أنه ستوجد داخل الفتحة حتمًا وسائل كشف ومراقبة أخرى ، ولما كنا نجهل كل شيء عنها ، فقد رأى أن يترككم تستخدمونها ، ثم نظهر نحن في شكل دورية إنقاذ ، وكان من الطبيعي أن تمنحونا ثقتكم على الفور ، عندما تكشف

لكم أمر من يتسللون إليكم ، حتى أنكم ستسمحون لنا بدخول المركز ، لنتعاون معكم فى اصطياد القادمين .

قال قائد المركز فى حنق :

ـ خطة سخيفة .

ضحك (هونور) ، وقال :

ـ ولكن العجيب أنها نجحت ، وباكتساح كامل ، وهأنتم أولاء فى قبضتنا .

انتفض القائد صارخًا :

ـ هيهات .

ثم صاح فى رجاله :

ـ قاتلوا يا رجال .

ولكن الأسلحة المصوبة إلى رءوس الرجال وصدورهم كتمت آذانهم ، وحجبت عنها أوامر قائدهم ، فابتسم (ديجنتى) ، وقال :

ـ هأنتذا ترى رد الفعل الطبيعى يا صديقى .. لا أحد سيخاطر بحياته من أجلك ، وخاصة بعد ما حدث .. ما رأيك ؟.. هل تستسلم ، أم تصبح الضحية الوحيدة للعملية ؟

احتقن وجه القائد فى شدة ، ثم قال فى عصبية :

ـ ومن يضمن لنا أنكم ستبقون علينا ؟

هزّ (هو نور) كتفيه ، وقال :

ـ من حسن حظكم أن قائدنا يرفض إراقة الدماء دون مبرر واضح .

وقال (ديجنتى) :

ـ ثم ما الذى يمنعنا من قتلكم الآن ؟

ازداد احتقان وجه القائد ، ثم لم يلبث أن هتف برجاله :

ـ استسلموا وألقوا أسلحتكم .

تنفس الرجال الصعداء ، وكأنهم كانوا يتمنون سماع هذا الأمر ، فألقوا أسلحتهم على الفور ، وقال (ديجنتى) لرجاله :

ـ قيدوهم واحتفظوا بهم ، وليحتل كل منكم موقعه ، أمام أجهزة توجيه الصواريخ .

بدأ الرجال تنفيذ أوامره على الفور ، واتجه إليه (هو نور) ، وهو يمط شفتيه فى ضجر ، قائلًا :

ـ أشعر بخيبة أمل .

سأله (ديجنتى) مبتسمًا :

ـ ألأننا لم نقاتل ؟

قال (هو نور) فى حدة :

ـ بالطبع .. لقد احتللنا مركز الدفاع الفضائى .. أكثر مراكز القتال الجلوريالية خطورة ، دون أن نطلق طلقة أشعة واحدة .

ضحك (ديجنتى) ، وقال :
ـ ولماذا يحنقك هذا ؟
لوّح (هو نور) بذراعيه ، وقال فى حدة :
ـ إننى أفتقد الإثارة والحماس ، وأشعر وكأننا قد نجحنا فى احتلال دار عرض هولوجرافية لرسوم الأطفال ، وليس مركزًا قتاليًا فضائيًا ، له كل هذه الخطورة .
ربّت (ديجنتى) على كتفه ، وقال :
ـ فلتشكر خالقك ، لأن هذا ما حدث يا صديقى .. المهم الآن أننا نجحنا فى احتلال المواقع ، التى حدّدها القائد (نور) فى مهمته ، وأرجو أن يكون الآخرون قد نجحوا مثلنا .
ثم تسلل بعض التوتر إلى صوته ، وهو يرفع رأسه إلى أعلى ، مستطردًا :
ـ كل ما أمامنا الآن هو أن ننتظر إشارة القائد ، لو أنه نجح فى الوصول إلى القصر الإمبراطورى الطائر .
وتضاعف التوتر فى صوته ، وامتزج بالكثير من القلق ، وهو يضيف :
ـ على قيد الحياة .
وكان على حق ..
هذه هى المشكلة الفعلية ..

أن يصل (نور) إلى هناك ، و ..
وعلى قيد الحياة ..

★ ★ ★

هوت قبضة (سيلبا) على أنف الجثة ، ثم تراجع كالمصعوق ، وهو يحدق فيها فى ذهول وارتياع ، فهتف به الحكيم (أوراكس) ، وهو يندفع إليه :
ـ ماذا حدث يا مولاى ؟
اتسعت عينا الإمبراطور ، وارتجفت سبّابته وهو يشير إلى الجثة ، قائلًا :
ـ هذه .. هذه الجثة .
تطلّع الحكيم إلى الجثة فى حيرة ، مغمغمًا :
ـ ماذا عنها ؟
ارتجفت شفتا الإمبراطور لحظة ، قبل أن يصرخ :
ـ إنها ليست جثة حقيقية .. إنها دمية مطاطية .
اتسعت عينا الحكيم فى ذهول ، وهو يقول :
ـ دمية مطاطية ؟!
لم يكد يلقى عبارته المذعورة ، حتى انفتح جانب النعش بغتة ، وتدحرج منه جسد (نور) ، الذى هبّ واقفًا ، وصوّب سلاحه إلى الإمبراطور ، قائلًا :
ـ بالطبع .. إنها كذلك .

شهق (أوراكس) فى ارتياع ، وتراجع الإمبراطور مصعوقًا ، ولكن (نور) وثب نحوه بحركة مرنة ، وأحاط عنقه بذراعه اليسرى ، ثم ألصق فوهة سلاحه بصدغه ، مستطردًا :

ـ كانت خدعة متقنة .. أليس كذلك ؟

ارتجف (أوراكس) هاتفًا :

ـ مولاى ؟!

أما الإمبراطور (سيلبا) ، فغمغم فى مرارة :

ـ اللعنة .

ضغط (نور) على عنقه فى قسوة ، وهو يقول :

ـ كنا نعلم أنكم ستفحصون الجثة ، للتأكد من عدم وجود آثار للحياة فيها ، ولهذا وضعنا هذه الجثة المطاطية ، وتركناكم تفحصونها بأشعتكم ، بل وتدمرون عقلها الوهمى أيضًا ، وبعدها أتيتم بالنعش إلى هنا فى ثقة ، وسمحتم لنا بدخول قصركم الطائر .

قال الإمبراطور فى مقت وغضب :

ـ سأقتل (آجور) هذا .

قال (نور) فى سخرية :

ـ فكرة لا بأس بها .

أما (أوراكس) ، فقد لوّح بكفه ، وهو يقول لـ (نور) مستعطفًا :

ـ أرجوك .. اترك الإمبراطور .. أرجوك .

أجابه (نور) فى صرامة :

ـ ليس قبل أن يدلى ببيان لقوات الاحتلال ، يعلن فيه هزيمة قوات (جلوريال) .

صاح الإمبراطور :

ـ هيهات .. إننى أفضل الموت .

قال (نور) فى صرامة :

ـ لا تتسرّع أيها الإمبراطور ، فالموت ينتظرك بالفعل لو لم تنفذ أوامرى حرفيًا ، و ..

قاطعته صيحة عنيفة ، عند مدخل القاعة الإمبراطورية :

ـ اللعنة !

استدار (نور) فى سرعة إلى مصدر الصوت ، ورأى (آجور) يحدّق فيه بذهول ، وهو يهتف :

ـ كيف عدت إلى الحياة ؟.. لقد فحصت جثتك بنفسى !

صرخ فيه الإمبراطور :

ـ كانت خدعة أيها الغبى .. خدعة وقعت فيها كالغرّ الساذج .. ما فحصته لم يكن سوى دمية مطاطية .

هتف (آجور) فى ذهول :

ـ دمية مطاطية ؟!

قال (نور) ساخرًا :

ـ نعم .. دمية مطاطية يا قائد فرسان (جلوريال) .. دمية خدعتك ، على الرغم من كل ما اتخذته من احتياطات .

قال (آجور) فى حدة :

ـ حسن .. لقد أصبحت داخل القصر الإمبراطورى .. وماذا بعد ؟

قال (نور) :

ـ الخطوة التالية هى إعلان الاستسلام .

أطلق (آجور) ضحكة عصبية مجلجلة ، قبل أن يقول :

ـ إعلان الاستسلام .. يالك من غرّ ساذج !.. هل تصوّرت أن سيطرتك على الإمبراطور تكفى وحدها لنعلن استسلامنا ؟!.. لو أن هذه خطتك فأنت واهم أيها المنقذ .. دستور وقوانين (جلوريال) لن تمنحك قط ما تتمناه .. هل تعلم ما الذى ينص عليه الدستور ، فى مثل هذه الحالة ؟.. إنه يضحى بالإمبراطور نفسه ، فى سبيل مجد الإمبراطورية الجلوريالية .

قال (نور) :

ـ هراء .. إنك لن تضحى بالإمبراطور ، بمثل هذه السهولة .

أجابه (آجور) فى سخرية :

ـ دعنا نختبر هذا إذن .

ثم انتزع سلاحه ، وصوّبه إلى الإمبراطور ، فهتف (أوراكس) :

ـ إياك أن تفعلها .

هتف (آجور) :

ـ بل سأفعلها لو اقتضى الأمر .

قال الإمبراطور فى غضب :

ـ أنت تتحيّن الفرصة دائمًا لتفعلها .

صاح (آجور) :

ـ إنه يهدّد أمن وسلامة الإمبراطورية ، والدستور صريح فى هذا الشأن .. سأطلق النار على الإمبراطور ، وعلى المنقذ الأسطورى معًا ، وينتهى الأمر كله فى لحظة واحدة .. أليس هذا هو الحل الأفضل ؟

قال (نور) فى حزم :

ـ خطأ يا (آجور) .. إننى لن أخاطر بالقدوم إلى هنا لأواجهكم وحدى .. أنا جزء من خطة متكاملة ، تبدأ كلها عندما أطلق هذه الإشارة .

قالها وضغط زناد سلاحه ، وهو يدير فوهته إلى النافذة ، فانطلقت منه حزمة من الأشعة ، عبرت زجاج

النافذة ، وأضاءت جزءًا من ليل (أرغوران) ، فهتف (آجور) :

- وما الذى ستفعله إشارتك يا رجل ؟.. هل ستتهزم عيون حراستنا القاتلة ؟.. هل ستمنع رجالنا من قتالكم بكل قوة وشراسة ؟. هل ستزيل رعب سكان (أرغوران) من ذلك الليل المخيف ، الذى أحطنا به مشاعرهم ؟

قال (نور) مبتسمًا :

- من يدرى ؟.. ربما فعلت كل هذا .. تابع شاشة الراصد ، وربما حملت لك مفاجأة مدهشة .

استدار الجميع إلى شاشة الراصد ، فى نفس اللحظة التى هتفت فيها (محمود) ، داخل مركز متابعة القمر الجيولوجى :

- الآن يا (مشيرة) :

وضغطت (مشيرة) زر البث ، وانطلقت الإشارة إلى القمر الجيولوجى ، ثم انعكست عنه إلى كل شاشات البث المنتشرة فى (أرغوران) ، والتى ظهرت عليها كلها صورة (بودان) ، وهو يقول :

- أبناء وشعب (أرغوران) .. هنا إمبراطوركم (بودون) يتحدث .

ولم يكد ينطق هذا المقطع ، حتى ضغط (ديجنتى) زر إطلاق الصاروخ الفضائى الأوّل ، وهو يقول فى حماس :

- الآن .

وانطلق الصاروخ ، فى الوقت الذى تابعت فيه صورة (بودان) المسجّلة بيانها :

- عانى شعبنا كثيرًا من الاحتلال ، على يد القوات الجلوريالية ، والآن ، وبعد سنوات طوال ، تحقّق لنا النصر ، ودحرنا القوات الجلوريالية .

صاح (آجور) :

- كذب .. هذا بيان كاذب .

ابتسم (نور) فى سخرية ، وقال :

- حاول أن تقنع الجميع بهذا .

قالها وتسجيل (بودان) يتابع فى حزم :

- اليوم تشرق شمس (أرغوران) من جديد :

ومع نطقه للعبارة ، بلغ الصاروخ الأوّل هدفه ، وأصاب القمر الداكن ، الذى يخفى شمس (أرغوران) الكبرى ...

وانفجر القمر ..

نسفه الصاروخ عن آخره ، وأزال الحجاب الذى يعترض ضوء الشمس ، فانطلقت الأشعة الدافئة تغمر (أرغوران) من جديد ..

وخفقت قلوب الجميع ، مع صوت (بودان) ، الذى ارتجف فى حماس ، وهو يواصل بيانه :



قالها وتسجيل (بودان) يتابع في حزم :

ـ اليوم تشرق شمس (أرغوران) من جديد :

ـ هبوا يا شعب (أرغوران) .. هبوا للاحتفال بالنصر .. إنه يومكم .. عاش (أرغوران) حرًا .

انتهى البيان ، وهتف الإمبراطور فى غضب :

ـ إنها خدعة .. خدعة سخيفة ، ولكن أحدًا من رجالنا لن يصدِّقها ، ما دامت عيون الحراسة تجوب كل مكان ، ورجالنا يقاتلون بكل شراسة .

قال (نور) فى حزم :

ـ عيون الحراسة تحتاج إلى هذا .

وأدار سلاحه إلى العرش الإمبراطورى ، وأطلق أشعته عليه مرة ، ومرة ، ومرة ..

وانفجر العرش بدوى عنيف ، وصرخ (أوراكس) :

ـ لقد حطَّم العرش .. إنه فأل سيىء .

قال (نور) فى حزم :

ـ لو أن تقديرى سليمًا ، فأنتم تحتفظون بزر إيقاف عيون الحراسة فى المكان نفسه ، فى قلب العرش الإمبراطورى ، لأن الإمبراطور لن يثق فى أحد سوى نفسه .. أليس كذلك ؟

هتف (سيلبا) فى غضب :

ـ اللعنة ! .. اللعنة !

أما (آجور) ، فصاح :

ـ ولكن رجالنا لن يتوقفوا عن القتال ، حتى يتلقوا بذلك أمرًا شخصيًا منى .

قال (نور) :

ـ أعلم هذا ، ولقد صنعنا مثل هذا الأمر .

لم يكد يتم عبارته ، حتى ظهرت صورة (آجور) على الشاشة ، وهو يقول :

ـ لقد سمعتم بيان إمبراطور (أرغوران) .

هتف (آجور) فى ذهول :

ـ إنها خدعة .. خدعة سخيفة .

قال (نور) ساخرًا :

ـ أعترف بهذا ، ولكنها خدعة نافعة .

ولكن فجأة ، تداخلت موجة أخرى مع البيان ، فاهتزت صورة (آجور) ، وتلاشى صوته تدريجيًا ، فانعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول :

ـ عجبًا ! .. كان المفروض أن ...

قاطعته ضحكة مجلجلة من (آجور) ، وهو يقول :

ـ كان المفروض أن تتم الشوشرة على محطة البث الرئيسية .. أليس كذلك ؟

تطلّع (نور) فى صمت إلى شاشة الراصد ، وشعر قلبه بقلق لا حدود له ، وهو يتابع تلك الشوشرة الواضحة ،

التى حجبت صورة (آجور) وصوته ، اللذين بذلت ابنته وزوجته جهدًا خارقًا لصنعهما ، وسمع (آجور) يقول فى سخرية :

ـ لو أن هذا ما تنتظره ، فيسعدنى أن أخبرك أن خطتك قد فشلت يا هذا .. هل تعلم لماذا ؟

تطلّع إليه (نور) فى صمت ، فتابع فى شماتة :

ـ لأن رجالنا نجحوا أخيرًا فيما كلفتهم إياه .. وهذه هى المفاجأة ، التى كنت أدخرها للإمبراطور .

وبرقت عيناه فى وحشية ، وهو يضيف :

ـ لقد كشفنا مخبأ المقاومة السرى .

انتفض قلب (نور) فى صدره بعنف ، وقال فى حدة :

ـ أنت كاذب .

قهقه (آجور) ضاحكًا مرة أخرى ، قبل أن يقول :

ـ هل تعتقد هذا ؟.. دعنى إذن أصف لك مخبأ المقاومة السرى ، أيها المنقذ الأسطورى .. إنه عبارة عن قاعة واسعة ، تحوى ثلاث شاشات للمراقبة ، ملحق بها بضع حجرات للنوم ، و كان يحرس هذا المخبأ سبعة من رجال المقاومة ، تم سحقهم عن آخرهم ، وفى المخبأ عثرنا على شخصين من (سيتا ـ ٣) .. رجل مصاب فى ساقه ، وامرأة .. هل تعرفهما ؟

ثم رفع جهاز الاتصال الدقيق فى ساعته إلى شفتيه ، وقال :

ـ أحضروا الأسيرين .

وعادت عيناه تبرقان فى وحشية ، وهو يستطرد :

ـ هل أدركت الآن أنك لم تربح المعركة أيها العبقرى ؟

ومع آخر حروف كلماته ، دخل اثنان من رجاله القاعة ، وهما يدفعان أمامهما الأسيرين ..

(رمزى) و (سلوى) ..

وعندئذ ..

عندئذ فقط ، أدرك (نور) أن (آجور) على حق .. على حق تمامًا ..

★ ★ ★



١٢ ـ الانفجار ..

تطلع (هو نور) فى قلق إلى شاشة الراصد ، وهو يقول لزميله (ديجنتى) :

ـ هناك خلل ما فى الخطة .. لقد سار كل شيء على ما يرام ، ونجحنا فى نسف القمر الأسود ، الذى يحجب شمسنا الكبرى ، وسمعنا رسالة (بودان) ، وهذا يعنى أن الزملاء فى مركز التحكم فى القمر الجيولوجى قاموا بعملهم .. لماذا إذن يحدث تشويش ، على رسالة (آجور) ؟.. إنها فى رأيى أكثر الرسائل أهمية ، فهى ستجعل رجال (جلوريال) يلقون أسلحتهم ، وهذا يعنى النصر لنا .

قال (ديجنتى) ، وهو يشاركه قلقه :

ـ المفروض أن تقوم السيِّدة (سلوى) مع الدكتور (رمزى) بعملية شل شبكة البث الرئيسية ، وعدم نجاحهما فى هذا يعنى أنهما فى خطر ..

تبادلا نظرة مفعمة بالقلق والتوتر ، ثم قال (هو نور) :

ـ دعنا نتصل بالمخبأ .

راحا يجريان عدة محاولات سريعة ، للاتصال بالمخبأ

السرى ، ولكن كل المحاولات باءت بالفشل ، فقال (ديجنتى) فى حدة :

ـ اللعنة ! .. يبدو أن الجلوريالليين قد كشفوا مخبأنا .

قال (هو نور) منزعجًا :

ـ وما الذى يعنيه هذا ؟.. هل ستفشل الخطة ، بعد أن بلغنا هذا الحد ؟

قال (ديجنتى) فى مرارة :

ـ يبدو هذا ، فبدون رسالة (آجور) ، لن يتوقف الجنود الجلوريااليون عن القتال قط ، وقواتنا لن تكفى لمواجهة كل هذا العدد ، من الرجال والعتاد .

قال (هو نور) فى صرامة :

ـ من الضرورى إذن أن تتم إذاعة رسالة (آجور) الزائفة .

وانتقل فى حدة إلى أجهزة التوجيه ، فسأله (ديجنتى) فى دهشة :

ـ ماذا ستفعل ؟

أجابه فى حزم :

ـ لدينا هنا عشرات الصواريخ بلا فائدة .. سأطلق بعضها على شبكة البث الرئيسية .

هتف (ديجنتى) مذعورًا :

ـ هل جننت يارجل ؟.. هذا يمكن أن يقتلنا ، فتلك الصورايخ مجهزة للانطلاق بزاوية خاصة إلى الفضاء ، ومن العسير إطلاقها بمثل هذه الزاوية الحادة ، لتصيب هدفًا أرضيًا .

قال (هو نور) فى صرامة ، وهو يعد أجهزة التوجيه :

ـ دعنا نحاول .

هتف (ديجنتى) :

ـ المحاولة قد تعنى مصرعنا جميعًا .

قال (هو نور) فى حدة :

ـ وقد تعنى أيضًا حياة (أرغوران) .

كان يضبط أجهزة التوجيه بدقة ، وشبكة البث تبدو واضحة على الشاشة ، عندما قال (ديجنتى) فى توتر :

ـ دعنى أخلِ المكان من الرجال إذن .

هتف (هو نور) فى حزم :

ـ لا وقت لهذا .. نحن نخاطر بحياتنا ، وهم ليسوا أفضل حظًا منا .

صاح (ديجنتى) :

ـ ولكن يا (هو نور) ...

قاطعه (هو نور) ، وهو يضغط زر الإطلاق :

ـ ادخر حديثك يا صديقى ، لم أعد أسمع شيئًا .

وضغط الزر ..

وانطلق الصاروخ ..

وارتج مركز الدفاع الفضائى كله فى عنف ، مع تلك الزاوية الحادة ، وسقط أحد جدرانه بدوى هائل ، وتناثرت الشظايا فى كل مكان ، وقذفت موجة التضاغط الناشئة الرجال فى كل مكان ، وسقط (هو نور) ، وسقطت فوقه عشرات الصخور والأحجار الصغيرة ، واحتمى (ديجنتى) ببعض الأجهزة ..

ولكن المهم أن الصاروخ قد انطلق ..

وأصاب هدفه ..

وكان الانفجار هائلًا ..

شبكة البث الرئيسية انفجرت بدوى هائل ، حرّر شبكة البث الصغيرة ، التى أقامها (محمود) و (مشيرة) ، وهتفت الأخيرة فى حماس ، وهى تعيد تشغيل رسالة (آجور) الزائفة :

ـ لقد تحرّرنا .

وفى لحظة واحدة ، كانت صورة (آجور) تملأ كل شاشات البث ، وهو يقول فى أسى :

ـ لقد سمعتم رسالة إمبراطور (أرغوران) ، وأنا أعلن أن كل ما نطق به صحيح .. لقد انتصر

الأرغورانيون ، وخسر (جلوريال) معركته .. لم يعد هناك مبرر للقتال .. فليلق كل المقاتلين الجلورياليين أسلحتهم ، ويسلموا أنفسهم لرجال المقاومة الأرغورانية .. أكرّر .. كل المقاتلين عليهم بإلقاء أسلحتهم والاستسلام .

امتقع وجه الإمبراطور (سيلبا) ، عندما سمع هذا النداء فى قاعته ، وهتف فى غضب مرير :

ـ اللعنة ! .. لن يجرؤ جندى جلوريالى واحد على عدم طاعة أوامرك يا (آجور) ، بعد أن شاهدوك تلقى هذا البيان .. لقد خسرنا المعركة .. خسرناها دون أن نطلق طلقة واحدة .

هتف (آجور) فى ثورة :

ـ مستحيل ! .. إننا نسيطر على الأمر .. زوجة المنقذ وصديقه فى قبضتنا .. كيف أذاعوا البيان ؟

شدّد (نور) ضغط ساعده على عنق الإمبراطور ، وهو يقول :

ـ أطلق سراحهما يا (آجور) .. لقد خسرت كل شىء .. انظر إلى شاشة الراصد ، وستعلم أننى على حق .

صرخ (آجور) :

ـ مستحيل !.. مستحيل !.. لقد حافظنا على احتلالنا لهذا الكوكب طويلاً ، ولن نخسره دون قتال .

قال (نور) :

هذه هى البراعة يا رجل .. أن تربح معركتك دون خسائر .. إنها استراتيجية جديدة (*) لم تعهدها من قبل .. استراتيجية أن تربح ، دون أن تريق قطرة واحدة من الدماء .. وهذا ما سعيت إليه يا رجل .. الجميع الآن .. شعب (أرغوران) وجنود (جلوريال) ، يتصوّرون أن (أرغوران) قد انتصر ، ولا أحد يدرى كيف تم هذا ، ولا أى تكتيك (**) اتبعناه للنصر ، ولكن كل ما حولهم يؤكد هذا .. من يجرؤ إذن على القتال ؟.. انظر إلى الشاشة ، وسترى أننى على حق .

كانت الشاشة تنقل صورة واضحة لجنود الاحتلال ، وهم يستسلمون بالآلاف ، ويسلمون أسلحتهم لرجال المقاومة الجلوريالية ، وقال الحكيم (أوراكس) فى مرارة :

ـ انهزمنا يا مولاى .. هزمتنا خدعة بارعة .

صرخ (آجور) :

(*) الإستراتيجية : فن القيادة فى الحرب الشاملة ، على مستوى الدولة ، حيث يتم تنسيق الخطط العسكرية مع الخطط الاقتصادية والإعلامية والسياسية ، وتستهدف تحقيق هدف قومى ، وتوصف بأنها الخطة العامة لحملة عسكرية كاملة .

(**) التكتيك : هو فن القيادة فى ميدان القتال ، حيث توضع خطة الهجوم أو الدفاع أو الوقاية ، ويتم تنفيذها فى أرض المعركة .

ـ بل خدعة حقيرة .. إننا لن نستسلم أبدًا .

ثم التفت إلى (نور) ، وتابع فى قسوة :

ـ ربما خسر (جلوريال) أيها القادم من (سيتا ـ ٣) ، ولكنك لم تربح .. ستخسر أيضًا .. سأقتل زوجتك وصديقك أمام عينيك .

صرخت (سلوى) فى رعب :

ـ لا .. أنقذنى يا (نور) .. أنقذ طفلنا .

هتف (آجور) :

ـ طفلكما ؟!.. إذن فزوجتك حبلى يا هذا .. شاهد إذن مصرعها ومصرع طفلك .. اقتلوها يا رجال .. اقتلوا الرجل والفتاة أمام عينيه .. اقتـ ...

ولم يتم عبارته ..

ففجأة ، ووسط صياحه الجنونى ، انفتح الجانب الآخر للنعش ، وتدحرج منه (أكرم) ، وهو يهتف :

ـ أراهنك أنهما لن يجدا الوقت لهذا .

وقبل أن يقف ، كان قد أطلق من مسدسه القديم رصاصتين ، اخترقت كل منهما رأس أحد الرجلين ، اللذين يمسكان (رمزى) و (سلوى) ، فسقطا جثة هامدة ، وتراجع (آجور) صارخًا :

- لا .. لا .. مستحيل !

ثم انطلق يعدو خارج القاعة ، فهتف (نور) ، وهو يتخلى عن الإمبراطور ، ويعدو خلفه :

- سيطر على الموقف يا (أكرم) ، واهبط بالقصر .

حاول الإمبراطور أن يلتقط سلاحه ، ولكن (أكرم) صوّب إليه مسدسه ، هاتفًا :

- هيا افعلها .. افعلها يا رجل ، وامنحنى مبررًا كافيًا لأنسف رأسك الحقير هذا .

تجمّد الإمبراطور فى مكانه ، وهتف :

- اللعنة !

وهنا أشار (أكرم) إلى (رمزى) ، وقال فى لهفة :

- التقط سلاحى الرجلين ، وحاول أن تسيطر أنت على الإمبراطور وهذا البلياتشو المصاحب له ، وأنت يا (سلوى) .. ابحثى عن وسيلة للهبوط بهذا القصر السخيف .

سألته (سلوى) ، وهو يعدو مغادرًا القاعة :

- إلى أين ؟

هتف :

- (نور) يحتاج إلى حماية .

وفى تلك اللحظة ، كان (نور) يعدو بكل قوته ، عبر

أروقة القصر ، خلف (آجور) ، الذى انتابته نوبة الجنون ، وراح يصرخ :

- مستحيل ! .. مستحيل أن نخسر دون أن نطلق طلقة واحدة .! هذا لا يحدث إلا فى الكوابيس .. نعم .. هذا ليس واقعًا .. إنه كابوس .

صاح به (نور) :

- استسلم يا (آجور) .. لم يعد هناك مبرّر للقتال .. استسلم .

صرخ (آجور) :

- مستحيل !.. مستحيل !

ثم تجاوز بوابة كبيرة ، وصاح فى حارسيها :

- أوقفا ذلك الرجل .. إنه يطاردنى .

استلّ الحارسان سلاحيهما ، وانقضا على (نور) ، ولكن دوى الرصاصات تردّد فى المكان ، وسقط الحارسان مضرجان فى دمائهما ، مع صوت (أكرم) يهتف :

- لا تقلق نفسك بشأنهما ، وواصل المطاردة يا رجل .

صاح (نور) فى غضب :

- كف عن إراقة الدماء يا (أكرم) .

هتف (أكرم) فى حدة :

ـ أهذا كل ما لديك لى ؟.. كنت أتوقع عبارة شكر .

صاح به (نور) :

ـ عندما تكف عن إهدار الدماء بلا مبرر .

قفز (آجور) إلى شرفة خارجية للقصر ، ولحق به (نور) ، فى نفس اللحظة التى برز فيها ستة من جنود (جلوريال) ، من ممر جانبى ، فاستدار (أكرم) يواجههم ، وهو يقول :

ـ بلا مبرر ؟!.. وما هو المبرر فى رأيك ، يا رجل البر والتقوى ؟ أن ينجوا فى قتلى أولًا ؟

وقفز أرضًا ، وهو يطلق رصاصته على أحد الجنود ، ثم تدحرج مطلقًا النار على جنديين آخرين ، ووثب جانبًا ، متفاديًا طلقة أشعة من الثالث ، وأسقطه مع زميلين بثلاث رصاصات متتابعة ، وعاد يتدحرج بسرعة ، وشعر بألم فى ذراعه ، قبل أن يطلق رصاصته الأخيرة ، ويسقط آخر الجنود ، ثم نهض يمسك إصابة ذراعه ، وهو يقول فى حنق :

ـ هل رأيت .. هم أيضًا أراقوا دمى .. هل يرضيك هذا ؟

لم يسمعه (نور) ، وهو يندفع داخل الشرفة الخارجية ، ورأى أمامه (آجور) ، وهو يقف عند حافة الشرفة

التى تطل على (أرغوران) ، من ارتفاع مائة متر فى الهواء ، وقد غمرتها أشعة الشمس الكبرى ، واستل (آجور) سيفًا من الليزر المتألق من حزامه ، وهو يقول فى حدة :

ـ إذن فقد لحقت بى أيها المنقذ القادم من (سيتا ـ ٣) .. فليكن .. دعنا ننهِ الأمر بالأسلوب القديم .. سنتقاتل بطريقة الأجداد .

قال له (نور) فى صرامة ، وهو يصوِّب إليه سلاحه :

ـ استسلم يا (آجور) ..

وثب (آجور) إلى الأمام ، وطوَّح سيفه الليزرى ، فأطاح بسلاح (نور) ، ثم تراجع مطلقًا ضحكة ساخرة مجنونة ، وهو يهتف :

ـ الآن أصبحت بلا سلاح أيها المنقذ .. أصبحت تحت رحمتى .

ثم انقضَّ على (نور) مرة أخرى ، مستطردًا :

ـ فلتمت إذن .

انحنى (نور) متفاديًا نصل السيف الليزرى القاتل ، ثم وثب جانبًا ، وهو يقول فى حدة :

ـ أهذا هو أسلوب الأجداد ؟!.. الخسة والنذالة ؟!

تراجع (آجور) ، وهو يستعد لانقضاضة أخرى ، هاتفًا :

- بل الانتصار .. الانتصار بكل وسيلة ممكنة .. والآن استعد للموت يا بطل الأبطال .. قل وداعًا لكوكب (أرغوران) ، وللحياة كلها .

كان يستعد لطعن (نور) بسيفه الليزرى ، وصعقه حتى الموت ، ولكن (نور) سمع (أكرم) يهتف فجأة :

- خذ يا (نور) .

استدار (نور) إليه فى سرعة ، ورآه يلقى نحوه بسيف من سيوف الليزر ، فوثب يلتقطه فى الهواء ، ثم استدار يواجه به (آجور) ، الذى صرخ فى ثورة جنون :

- لا !!!.. ستموت أيها القادم من (سيتا - ٣) .. ستموت .

وانقضَّ بكل غضبه وثورته على (نور) ، وهوى بسيفه الليزرى على رأسه ، ولكن (نور) استقبل السيف الليزرى على نصل سيفه ، وتألق السيفان مع التقاء نصليهما ، وصدر عنهما صوت أشبه بالفحيح ، وتطايرت شرارات صغيرة ، قبل أن ينفصل السيفان مرة أخرى ، ثم يعودان للقاء ..

وفى شغف ، راح (أكرم) يتابع المبارزة ، التى بدت بالنسبة إليه كأغرب المشاهد التى رآها ، فى حياته كلها ..

رجلان من كوكبين مختلفين ، يتبارزان بسيفين من

الليزر ، على نحو يشبه مبارزات القرون الوسطى ، على ارتفاع مائة متر من سطح الأرض ، وتحت شمس (أرغوران) الكبرى ..

•

وفى قوة وصرامة ، راح (نور) يقاتل ، وهو يقول :

- استسلم يا (آجور) .. لا فائدة ..

صرخ (آجور) :

- لا أيها المنقذ .. إننى أفضل الموت ..

هتف (نور) :

- انظر جيدًا يا (آجور) .. القصر يهبط ، وهناك آلاف من رجال المقاومة الأرغورانية ينتظرون فى أسفل .. لقد انتهت المعركة يا (آجور) .. انتهت على الرغم من أن جيشك لم يقاتل .

ألقى (آجور) نظرة سريعة على المشهد بأسفل ، ورأى جموع الأرغورانيين تنتظر هبوطه ، فصرخ وهو ينقض مرة أخرى على (نور) :

- فليكن .. دع القصر يهبط ، وسأهديهم جثتك .. جثة بطلهم الحقيقية ، وليست تلك الجثة المطاطية الزائفة .

كان المفروض أن يتراجع (نور) أمامه ، ليصد هجومه على الأقل ، ولكن (نور) قابل انقضاضته بمثلها ، واستجمع كل قوته ، وهوى بسيفه الليزرى على سيف (آجور) الليزرى ، وهو يصيح :

- حاول يا (آجور) ، وسنرى من يربح فى النهاية .

هوى سيف (نور) على سيف (آجور) كالصاعقة ، ودوى صوتهما كالرعد ، وتطايرت لالتقاء السيفين شرارات كالبرق ، تناثرت فى كل مكان ، قبل أن تنتزع الضربة سيف (آجور) من قبضته ، وتلقى به بعيدًا ..

وشحب وجه (آجور) فى شدة ، وهو يتراجع أمام سيف (نور) الليزرى ، وهتف :

- هل ستقتلنى ؟

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وخفض سيفه ، وهو يقول :

- كلاً يا (آجور) .. لن أقتلك .. لقد حدثت هنا سابقة ، لا مثيل لها فى الكون كله .. انتهت معركة دون قتال ، وزال احتلال طويل ، دون أن تراق دماء ، وأنا حريص على أن يستمر الأمر كهذا .. لن أقتلك .. ستحاكم محاكمة عادلة ، و ..

قاطعه (آجور) بضحكة مجنونة ، وهو يقول :

- تحاكموننى محاكمة عادلة ؟!.. يا للسخرية !.. هل تصوّرت أننى سأقبل وضعًا كهذا ، وأقف أمام شعب (أرغوران) الحقير كمتهم فى قفص ؟!.. لا أيها المنقذ ، القادم من (سيتا - ٣) .. لدىّ نهاية أفضل لحياتى . نهاية أضعها أنا .

ووثب إلى حافة الشرفة ، مستطردًا :

- تمتعوا بالحرية ، واتركوا ، لى حريتى .

صاح به (نور) :

- لا .. لا تفعلها .

ولكن (آجور) أطلق ضحكة ساخرة مجنونة ، وهو يلقى نفسه من الشرفة ، وتردّدت ضحكته على نحو عجيب ، وهو يهوى فى الفراغ ، ولم تنقطع حتى ارتطم جسده بالأرض فى عنف ، فمطّ (أكرم) شفتيه ، وغمغم :

- يا للخسارة !.. كنت أفضل رؤيته وهم يشنقونه .

تطلّع إليه (نور) فى دهشة ، ثم تمتم :

- يا لرقة مشاعرك !

وغادر الشرفة فى صمت ، ليستقبل شعب (أرغوران) ، عندما يهبط القصر أرضًا ..

لقد انتصر فى آخر معاركه على (أرغوران) .. معركة الحرية ..

وبقيت أمامه مشكلة أخرى أكثر صعوبة .. مشكلة العودة إلى كوكبه .. إلى الأرض .

* * *

١٣ ـ النصر ..

لا أحد يمكنه أن يصف فرحة شعب (أرغوران) بالحرية ..

فرحة شعب استعاد شمسية ، وكرامته ، ووطنه ..

فرحة شعب منتصر ..

حتى مصرع (بودان) ، لم ينجح فى التخفيف من فرحة الشعب ، وخصوصًا بعد أن تكشفت كل الحقائق ، وعلم الجميع أنه ليس إمبراطورهم الراحل (بودون) ، الذى قطع ملايين السنوات الضوئية ، ليطلب معاونة (نور)(*) ، الذى قاد معركة الحرية ..

وفى كل مكان ، راح الأرغورانيون يرقصون ويمرحون ويحتفلون ، ويعلقون صور (نور) ، بطل الحرية والاستقلال ..

كل مكان كان يصرخ بالسعادة والفرح ..

فيما عدا مكان واحد ..

القصر الإمبراطورى نفسه ..

(*) راجع قصة (الصراع) .. المغامرة رقم (٧٨) .

هناك فقط كان الجميع يشعرون بالقلق ، وتدور فى أعماقهم فكرة واحدة ، وسؤال واحد ..

« كيف نعود إلى (الأرض) يا (نور) ؟ .. » .

ألقت (سلوى) السؤال فى توتر ، فأجابها (نور) :

ـ أعتقد أن الوسيلة الوحيدة أمامنا هى أن نستقل واحدة من سفن الحملة الجلوريالية ، التى كانت تستعد لإعادة احتلال الأرض .

سأله (محمود) :

ـ وهل تعتقد أنها تكفى لوصولنا إلى الأرض ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ بالتأكيد ، لأنها كانت معدة لذلك بالفعل .

تبادل (هو نور) و (ديجنتى) نظرة حزينة ، قبل أن يغمغم الأخير فى حرج :

ـ أمن الضرورى أن تعودوا إلى الأرض ؟

أجابته (نشوى) فى سرعة :

ـ بالطبع .. نحن أيضًا نشتاق لوطننا .

هزّ (هو نور) رأسه فى أسى ، وقال :

ـ ولكن الجميع هنا يطلبون بقاءكم .. ابقوا أيها السادة ، وستصبحون أعظم سكان (أرغوران) .

ابتسم (رمزى) ، وقال :
ـ صدقنا يارجل ، نحن نفضل أن نكون مواطنين عاديين على (الأرض) .
اتجه (ديجنتى) إلى (نور) ، وقال :
ـ وماذا عنك أيها الإمبراطور ؟
رفع (نور) حاجبيه فى دهشة ، وهو يقول :
ـ الإمبراطور ؟!
أجابه (هو نور) :
ـ نعم يا سيدى .. أنت الآن إمبراطورنا بحكم القانون ، و ..
قاطعه (نور) فى توتر :
ـ لا .. أرجوك .. أنا أمقت هذه الألقاب .
ثم ابتسم ، وهو ينقل بصره بين (هو نور) و (ديجنتى) ، قائلًا :
ـ ثم إن شعبكما لن يحتاج إلى إمبراطور فى وجودكما .
قال (هو نور) فى دهشة :
فى وجودنا ؟!
أجابه (نور) فى حماس :
ـ بالطبع .. إنها تجربة جديدة .. أكملوها حتى النهاية .. تقاسما حكم كوكبكما .. فلنعلنكما إمبراطورين على (أرغوران) .. (هو نور) و (ديجنتى) .

هتف (رمزى) :
ـ باللمفارقة !!
سألته (نشوى) مبتسمة :
ـ أتقصد اسميهما ؟
أجاب فى حماس :
ـ نعم .. (هو نور) و (ديجنتى) .. اسماكما يعنيان (الشرف) و (الكرامة) ، فى اللغة الإنجليزية ، المستخدمة على الأرض ، وربما كان هذا فألا حسنا .. أن يتم حكم (أرغوران) بالشرف والكرامة .
ابتسم (نور) ، وهو يقول :
ـ نعم يا (رمزى) .. إنه فأل حسن .. الشرف والكرامة لكوكب (أرغوران) .
تبادل (هو نور) و (ديجنتى) نظرة حازمة ، ثم التقى كفاهما ، ورفعا قبضتيهما المضمومتين ، وهما يقولان فى آن واحد :
ـ الشرف والكرامة لـ (أرغوران) .
وكان هذا إيذانا بعهد جديد على (أرغوران) .. عهد الشرف والكرامة ..
والحرية .

★ ★ ★

تنفست (نشوى) الصعداء ، وهى تستقر داخل السفينة الفضائية الجلوريالية ، التى بدأ العد التنازلى لرحلتها الأرضية ، وأدار (نور) عينيه فى المكان ، وهو يقول :

- هل استقرّ الجميع فى أماكنهم ؟

أجابه رفاقه :

- الجميع على ما يرام .

ابتسم فى ارتياح ، واستدار يصافح (هو نور) و (ديجنتى) ، وهو يقول :

إلى اللقاء يا صديقىّ .. أتمنى أن نلتقى بخير فى المرة القادمة .

غمغم (ديجنتى) ، ودموعه تتألق فى عينيه :

- لا يمكنك أن تتصوّر كم أتمنى هذا أيها القائد .

أما (هو نور) ، فقد أخفى دموعه فى قوة ، وهو يقول :

- هيا يارجل .. دعنا نغادر السفينة ، لو لم تكن لديك نية الرحيل معهم إلى الأرض . . .

تصافح الجميع مرة أخرى ، وأسرع (هو نور) و (ديجنتى) يغادران السفينة ، وانضما إلى الإمبراطور (سيلبا) ، فى منصة الوداع ، وغمغم (هو نور) ، وهو يجلس إلى جوار الإمبراطور الجلوريالى :

- لوّح بكفك فى حرارة ، عندما تنطلق السفينة أيها الإمبراطور الجلوريالى ، فأنت تدين بحياتك وبقاء عرشك الجلوريالى للقائد (نور) ، ولولاه لخلعناك من عرش (جلوريال) أيضًا ، وأعدمناك هنا .

زفر (سيلبا) ، وغمغم :

- لن تتصوّر كم سيسعدنى رحيلهم .

مطّ (هو نور) شفتيه ، مغمغمًا فى ازدراء :

- يمكننى فهم مشاعرك .

ثم لاذ بالصمت ، وراح يتابع مع شعب (أرغوران) العد التنازلى ، حتى انطلقت السفينة الجلوريالية متجهة إلى الأرض ، وهى تحمل (نور) وفريقه .

وانطلق هتاف شعب (أرغوران) ، وهو يودّع قائده ، ولم يستطع (هو نور) كتمان مشاعره هذه المرة ، فترك دموعه تسيل على خديه ، وتبلّل لحيته ، وهو يتمتم فى عصبية :

- آه من ذرة الرمال اللعينة هذه .. لقد أدمعت عينى ، و ...

لاحت منه التفاتة إلى الإمبراطور (سيلبا) ، قبل أن يكمل عبارته ، فأدهشه أن يراه باسم الثغر ، متألق العينين ، على نحو لا يتفق مع رجل مهزوم ، فالتفت إليه يسأله فى توتر :

- لماذا تبتسم ؟

تجاهله (سيليا) ، تمامًا ، وهو يتابع السفينة الفضائية ، حتى اختفت فى الفضاء ، فاتسعت ابتسامته ، وتضاعف تألق عينيه ، مما أثار المزيد من قلق (هو نور) وتوتره ، فسأله فى حدة :

- لماذا تبتسم ؟.. ما الذى يسعدك إلى هذا الحد ؟

التفت إليه (سيليا) ، واتسعت ابتسامته أكثر ، ثم لم تلبث أن استحالت إلى ضحكة مجلجلة ، وهو يقول :

- لقد رحلوا .. أليس كذلك ؟

التفت (ديجنتى) إلى (سيليا) فى دهشة ، وأمسك به (هو نور) فى عنف ، وهو يقول :

- ما الذى يسعدك إلى هذا الحد ؟.. ما الذى تخفيه أيها الوغد ؟

قهقه (سيليا) ضاحكًا ، وهو يلوّح بذراعيه فى جنون ، هاتفًا :

- لقد رحلوا .. لقد رحلوا .

صرخ فيه (هو نور) :

- ما الذى تخفيه ؟.. قل أو أقطع رقبتك بلا رحمة .

أشار (سيليا) إلى أعلى ، وقال :

- السفينة .. السفينة التى رحلوا بها .

صاح به (ديجنتى) مذعورًا :

- ماذا بها ؟

قهقه (سيليا) ضاحكًا ، وهو يقول :

- عندما تصل بهم إلى كوكبهم ، سيشتعل فتيل قنبلة الزمن ، التى أخفيناها فيها بمهارة .. وعندما تنفجر هذه القنبلة ، التى لا مثيل لها فى الكون كله ، سيسقط (سيتا ــ ٣) كله فى شرك زمنى رهيب .

صرخ فيه (هو نور) ، وهو يستل سلاحه فى غضب :

- أى شرك زمنى هذا ؟ أفصح أيها الوغد .

راح (سيليا) يضحك فى جنون ، وهو يجيب :

- سيتوقف الزمن هناك إلى الأبد .. سيغرق الكوكب كله فى نهر الزمن .. لا ماضٍ ، ولا مستقبل .. الحاضر فقط .. وكل الحاضر سينحصر فى لحظة واحدة .. لحظة لن يغادرها (سيتا ــ ٣) قط .. لحظة من الزمن ، تساوى صفرًا إلى الأبد .. هاهاها .. إلى الأبد .. إلى الأبد .

صرخ (هو نور) فى غضب :

- أيها الحقير .. أنت تستحق القتل .

وبدون وعى منه ، ضغط زناد سلاحه ، ورأى رأس

الإمبراطور الجلوريالى ينفجر أمامه كثمرة زائدة النضج ، ولكنه لم يبال به ، وإنما دفعه بعيدًا عنه ، وهو يرفع عينيه إلى أعلى ، حيث الفضاء الممتد بلا نهاية ، وصرخ فى لوعة :

ـ لا .. لا .. ليس هم .. ليس (سيتا ـ ٣) ..

ولكن السفينة الجلوريالية كانت قد بدأت رحلتها بالفعل ، نحو الشرك ..

شرك الزمن ، عندما يساوى صفرًا ..

وإلى الأبد ..

* * *



١٤ ـ رحلة العودة ..

تحرّك الدكتور (ناظم) ، رئيس قسم الأبحاث ، التابع للمخابرات العلمية المصرية ، فى خفة وسرعة ، عبر ممرات وحدة الطب الجنائى ، ولم يكد يصل إلى صالة التشريح ، حتى سأل أحد المساعدين :

ـ هل انتهى الدكتور (حجازى) من عمله ؟

أشار المساعد بيده ، وهو يجيب :

ـ تقريبًا يا سيِّدى ، ولكنه طلب رؤيتك فور وصولك .

سأله الدكتور (ناظم) :

ـ هل أنتظره فى مكتبه ، أم ألحق به فى صالة التشريح ؟

ابتسم المساعد ، وهو يقول :

ـ هذا يتوقَّف عليك يا سيِّدى .

أومأ الدكتور (ناظم) برأسه متفهمًا ، واتجه مباشرة إلى صالة التشريح ، وتردَّد لحظة عند بابها ، قبل أن يدفعه فى رفق ، ويدلف إلى الداخل ..

وكان الدكتور (محمد حجازى) ،كبير الأطباء الشرعيين ،

قد انتهى من عمله حينذاك ، وانهمك فى غسل يديه فى عناية ، عندما استقبله قائلًا :

ـ صباح الخير يا دكتور (ناظم) .. كنت أنتظرك .

سأله الدكتور (ناظم) فى اهتمام :

ـ هل انتهيت من عملك ؟

أجابه الدكتور (حجازى) ، وهو يجفف يديه :

ـ نعم .. انتهيت الآن فقط .

سأله فى قلق :

ـ وماذا عن النتائج ؟

هز الدكتور (حجازى) رأسه ، وقال بصوت متهدج :

ـ مؤسفة .

ثم قاده إلى مكتبه وجلس فى مكانه ، وهو يكمل :

ـ الضحية ممزقة فى شدة ، ومن الواضح أنها تعرضت لهجوم وحشي .. صدقنى يا رجل .. هذا أبشع مشهد رأيته ، فى الآونة الأخيرة .

مط الدكتور (ناظم) شفتيه فى أسف ، وقال :

ـ هذا ما كنت أخشاه .

ثم رفع عينيه إليه ، يسأله فى قلق :

ـ وماذا عن القاتل ؟!.. ألديك أية فكرة ؟

أجابه وهو يشير إلى تقريره :

ـ ستجد كل التفاصيل هنا .. لقد فحصت آثار الأنياب والمخالب ، وأكاد أجزم بأنه وحش رهيب .

ثم مال نحو الدكتور (ناظم) ، مستطردًا :

ـ ولكن ما يقلقنى بالفعل هو الوسيلة ، التى اتبعها لحصار ضحيته ، ومناورتها ، حتى تمكن من الإيقاع بها .. ألا يبدو لك هذا أكثر ذكاء من أن يفعله حيوان ما ، مهما بلغت رتبته أو فصيلته ؟

أشار الدكتور (ناظم) بسبابته ، قائلًا :

ـ هنا تكمن المشكلة الحقيقية .

ثم تراجع فى مقعده ، وأطلق زفرة حارة ، قبل أن يستطرد :

ـ ولكن تقريرك هذا سيحسم الأمر تمامًا ، فلقد أصبح من الواضح أن هذا الأمر يحتاج إلى فريق من نوع خاص .

فريق من نوع خاص .....!!..

أيقظت العبارة مشاعر وعواطف الدكتور (حجازى) ، فترقرق الدمع فى عينيه ، وهو يغمغم فى صوت متهدج :

ـ مثل فريق (نور) .

أومأ الدكتور (ناظم) برأسه ، وقال :

ـ نعم .. فريق مثل فريق (نور) ... سنسند المهمة إلى فريق جديد ، ينتظر الفرصة لإثبات ذاته .

ونقر بأصابعه على سطح مكتب الدكتور (حجازى) ، قبل أن يضيف :

ـ فريق الرائد (أيمن) .

صمت الدكتور (حجازى) لحظات ، ثم قال فى حذر :

ـ إنهم مجموعة شباب رائعة ، ولقد شاهدت بعض تدريباتهم ، ولكنهم ـ فى رأيى ـ مازالوا يفتقرون إلى الخبرة اللازمة ، لمواجهة أمر كهذا .

هزّ الدكتور ، (ناظم) رأسه ، وقال :

ـ لن يكتسبوا الخبرة إلا بمواجهة حقيقية .. ثم إننا نجهل تمامًا متى يعود (نور) ورفاقه .

وانخفض صوته بشدة ، قبل أن يضيف :

ـ هذا لو عادوا .

وخفق قلب الدكتور (حجازى) فى شدة :

ـ نعم .. هذه هى النقطة التى تؤرقه ، وتقلق مضجعه ، منذ رحل (نور) وفريقه ..

هل يُكتب لهم النصر ؟..

هل يعودون ؟..

وفى صدره ، تنامى السؤال وتعاظم ، وراح قلبه يرتجف ..

ويرتجف ..

ويرتجف ..

★ ★ ★

« لست أصدّق هذا .. »

هتفت (نشوى) بالعبارة فى سعادة جمة ، داخل سفينة الفضاء الجلوريالية ، التى تشق طريقها إلى الأرض ، وأكملت وهى تلوّح بذراعيها :

ـ لقد حققنا معجزة على أى مقياس .. انتصرنا فى (أرغوران) ، وربحنا حرب التحرير بأقل خسائر ممكنة ، وهزمنا جيوش (جلوريال) كلها ، دون أن يعاوننا (س ـ ١٨) ، ثم عدنا إلى أرضنا .

ضحك (رمزى) ، وقال :

ـ مهلًا يا عزيزتى .. إننا لم نصل إلى الأرض بعد .. ما زال أمامنا يوم كامل ، من السفر بسرعة تفوق سرعة الضوء .

قالت (سلوى) ضاحكة :

ولكننا قطعنا شهرًا كاملاً من السفر بالسرعة نفسها .. ألا يكفى هذا ؟

نهض (أكرم) ، قائلًا :

ـ المفروض أن نبدأ استعداداتنا للوصول ، فبعد يوم واحد (بإذن الله) ، سنعود إلى أرضنا .

ثم سأل (نور) فى اهتمام :

- ترى كم مرّ على غيابنا عنها يا (نور) ؟

أجابه (نور) :

- من الصعب الجزم بهذا ؛ لأننا ننطلق طوال الوقت بسرعات تفوق سرعة الضوء ، وهذا يكسر كل القواعد العلمية ، والحسابات المنطقية المعروفة ، فلو كنا نسير أقل من سرعة الضوء ، لحدث قصر نسبي فى الزمن لدينا ، بحيث لو سافرنا لشهر واحد ، لوجدنا الأرض وقد تجاوزت قرنًا من الزمان ، عند عودتنا إليها (*) ، أما ونحن نسافر بسرعة تفوق سرعة الضوء (**) ، فمن العسير استنتاج الفارق الزمنى ، ولكنه - نظريًا - سيتساوى ، أو يقل عن الزمن الطبيعى ، أى أننا قد نسافر لشهر من الزمان ، ثم نعود لنجد أن الأرض قد قطعت فى زمنها شهرًا أيضًا ، وربما أقل .

هتفت (سلوى) :

- هذا مستحيل !

قال (محمود) :

(*) نظرية صحيحة .

(**) سرعة الضوء : ١٨٦٠٠٠ ميل / ثانية .

- إنه مستحيل بالنسبة للمعادلات التقليدية ، ولكننا نواجه بالفعل أمرًا غير تقليدى .

هتفت (مشيرة) فى حماس :

- دعونا من كل هذا .. المهم أننا سنصل أخيرًا إلى الأرض .. ألا يمكننا إرسال برقية تعلن قدومنا .

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

- للأسف .. الأجهزة هنا لا تصلح لإرسال أو استقبال أية رسائل ، والسفينة تنطلق بهذه السرعة .

قالت فى أسف :

- يا للخسارة !

ثم استعادت حماسها فى سرعة ، مستدركة :

- ولكننى حصلت على أضخم سبق صحفى فى التاريخ الكونى كله .. لقد غطيت حربًا كونية .. تصوّروا معى العناوين الضخمة .. « كنت هناك .. بقلم (مشيرة محفوظ) .. » .. « لحظة بلحظة من (أرغوران) .. من «راسلتنا الكونية (مشيرة محفوظ) .. » إنه أفضل سب ..

بترت عبارتها عندما ارتطمت بساق (رمزى) المصابة ، وتأوّه هو فى شدة ، فهتفت فى حرج :

- آه .. معذرة يا (رمزى) .. لم أقصد هذا .

غمغم فى ألم :

- لا عليك .

ربت (أكرم) على كتفه ، وقال :

- أما زالت ساقك تؤلمك ؟

هزّ (رمزى) كتفيه ، وابتسم قائلًا :

- اطمئن .. لن ألتحق بمراكز التأهيل .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى أصدرت سفينة الفضاء فرقعة عجيبة ، مصحوبة برنين مزعج ، فهتفت (سلوى) :

- ماهذا بالضبط ؟

اعتدل (أكرم) ، وهو يقول :

- إنه صوت يصدر من أسفل .

وقالت (نشوى) فى شحوب :

- من المحركات .

أسرع (نور) إلى شاشة الفحص ، وراجع كل البيانات فى سرعة ، ثم قال فى ارتياح :

- اطمئنوا .. كل شيء يسير على ما يرام .

قالت (مشيرة) فى قلق :

- ولكن هذا الصوت يعنى وجود شيء ما .

هبّ (أكرم) ، قائلًا :

- سأفحص حجرة المحركات .

قال له (نور) :

- كن على حذر .

ابتسم (أكرم) ، قائلًا :

- اطمئن .. لا تنس أننى عملت طويلًا فى أماكن أكثر خطورة .

قالها ، وانزلق فى خفة إلى أسفل ، واختفى فى قلب السفينة ، فسأل (رمزى) (نور) :

- ما مصدر هذا الصوت فى رأيك ؟

أشار (نور) إلى شاشة الفحص ، وقال :

- المفروض طبقًا لهذا ، أن كل شيء على ما يرام .

قال (محمود) :

- دعنا نفحص السفينة كلها بالأجهزة الحرارية .

جلس الاثنان أمام شاشة الفحص ، وراحا يفحصان أجهزة وآلات السفينة بالكاشف الحرارى ، وابتسم (محمود) ، وهو يشير إلى ظل أحمر متحرك على الشاشة ، وقال :

- إنه (أكرم) .. جسده يبعث طاقة إشعاعية كبيرة ، عندما يتحرك بهذا النشاط ، و ..

هتف (نور) فجأة :

- ما هذا ؟

كان يشير إلى كرة حمراء داكنة ، استقرت خلف مصدر

الطاقة الرئيسى للسفينة ، فتطلع إليها (محمود) فى دهشة ، وقال :

ـ عجبًا !.. أنا لم أشاهد فى حياتى كلها شيئًا يحوى كل هذه الطاقة .

قال (نور) :

ـ ويبدو أنها مختفية عن الأنظار تمامًا ، فلقد عبر (أكرم) على مقربة منها ، دون أن يلمحها .

التقط (محمود) جهاز الاتصال ، وهو يقول :

ـ دعنا نرشده إليها .. (أكرم) .. عد إلى الخلف قليلًا .

نقل جهاز الاتصال صوت (أكرم) ، وهو يقول :

ـ لماذا ؟.. ماذا هناك ؟

قال له (نور) :

ـ ابحث خلف مصدر الطاقة الرئيسى .. هل تجد شيئًا ؟

امتزج ظل (أكرم) على الشاشة بظل الكرة ، قبل أن ينقل جهاز الاتصال صوته ، وهو يقول فى دهشة :

ـ نعم .. هناك كرة عجيبة للغاية ... إنها ليست معدنية ، وإنما مصنوعة من مادة أشبه بالمخمل ، وهى باردة كالثلج .

قال (محمود) فى دهشة :

ـ باردة كالثلج ؟!.. عجبًا !.. إنها تبعث طاقة هائلة .

أتاه صوت (أكرم) ، وهو يقول :

ـ ولكنها باردة كالثلج بالفعل ، حتى أن أناملى تؤلمنى لو تحسستها .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـ قل لى يا (أكرم) : هل تحمل تلك الكرة أية أرقام أو علامات ؟

مضت لحظات من الصمت ، ثم قال (أكرم) :

ـ نعم .. إنها تحمل رموزًا جلوريالية ، هى (ق ـ ز ـ أ ٣) ..

قال (نور) :

ـ حسن .. عد إلى هنا ، وسنبحث هذا الأمر .

سأله (محمود) فى قلق :

ـ ما الذى سنبحثه بالضبط ؟

أجابه (نور) ، وهو يضغط أزرار الشاشة :

ـ كمبيوتر السفينة يحوى كل بيانات التسليح الجلوريالية ، وكل خرائط الصيانة والفحص ، وما دامت تلك الكرة تحمل رمزًا واضحًا ، فربما عثرنا عليها هنا .

وضغط زرًا أخيرًا ، وهو يستطرد :

ـ وربما وجدنا تفاصيلها ، ضمن أجهزة توليد الطاقة .

وراح يفحص الأجزاء بسرعة على الشاشة ، ثم لم يلبث أن غمغم :



ثم قال (أكرم) :

ـ نعم .. إنها تحمل رموزًا جلوريالية ، هى (ق ـ ز ـ ٣٠٠٠)

ـ كلاً .. لا وجود لقطعة بهذا الاسم ، ضمن أجهزة توليد الطاقة .

سألته (نشوى) :

ـ وماذا عن بيانات التسليح ؟

وصل (أكرم) فى تلك اللحظة ، وهم يراجعون بيانات التسليح ، ثم قال فى اهتمام :

ـ أخبرونى أيها السادة .. لماذا لا نطرح سؤالاً مباشرًا على هذا الكمبيوتر اللعين .. ما الذى تعرفه عن (ق ـ ز ـ ٣٠٠٠) ؟

قال (نور) :

ـ نعم ... ولم لا ؟

وضغط الأزرار فى سرعة ، ليطرح السؤال على الكمبيوتر مباشرة ، وأتاه الجواب على الشاشة على الفور :

ـ هذه المعلومات مدرجة تحت بند (سرى للغاية) ، ونحتاج إلى الشفرة الخاصة لفتحها .

وهنا قالت (نشوى) :

ـ مادام الأمر يحتاج إلى شفرة خاصة ، فهذا عملى .

وتحرّكت أصابعها على شاشة الكمبيوتر فى خفة ، ثم قالت :

ـ إنها شفرة رباعية .. عظيم .. أعتقد أن التوصّل إليها

لن يكون عسيرًا للغاية .. ربما استغرق بضع ساعات فحسب ، ولكنني سأحاول اختصار الزمن ، عن طريق برنامج أكثر سرعة ، يتحرّك بالحسابات العشوائية .

تركت الكمبيوتر يبحث عن الشفرة ، وسألت والدها :

ـ ولكن ما الذى يمكن أن تكونه هذه الكرة بالضبط ؟

هزّ (نور) رأسه ، وقال :

ـ لست أدرى .. لقد وضعها أحدهم فى مكان خفى ، بحيث لا يمكن أن يلمحها أحد فى الظروف العادية ، وهى ذات ملمس بارد كالثلج ، وعلى الرغم من هذا تبعث قدرًا هائلاً من الطاقة ، وكأنها تحوى مصدرًا من مصادر الطاقة الكونية .. ماالذى يمكن أن تكونه فى رأيك ؟

قالت (مشيرة) مرتجفة :

ـ قنبلة .

تفجّر قولها فى المكان ، وخفقت له قلوب الجميع ، وهتف (رمزى) :

ـ يا إلهى !.. هذا محتمل .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ أتعنى أن الجلورياليين وضعوا قنبلة فى السفينة لنسفنا ؟

قال (رمزى) :

ـ إنه احتمال وارد ، وإلا فلماذا أخفوها ، ولماذا تندرج معلوماتها تحت بند (سرى للغاية) .

هتفت (سلوى) مذعورة :

ـ ولكن لو أنها قنبلة ، فلماذا لم تنفجر حتى الآن ؟

أجابها (نور) فى توتر :

ـ ربما وضعوا خطتهم بحيث تنفجر عند وصولنا إلى (الأرض) .

قال (أكرم) :

ـ نعم .. هذا منطقى .. إنهم يريدون تدميرنا و (الأرض) معًا .

هبط الوجوم على الجميع ، وراحوا يتبادلون نظرات قلقة متوترة ، ثم قال (أكرم) فى حزم :

ـ هناك وسيلة واحدة لتفادى هذا .

سأله (محمود) :

ـ ماهى ؟

أجابه بسرعة :

ـ أن نلقى هذه القنبلة خارج السفينة .

قال (نور) :

ـ ليس قبل أن نتيقّن من أنها قنبلة .

سألته (مشيرة) :

ـ ماذا تعنى ؟.. أليست كذلك ؟

أجابها فى حزم :

ـ هذا احتمال وارد ، ولكن هناك احتمال آخر أن تكون أحد التطويرات الجديدة لجهاز توليد الطاقة الرئيسىّ ، ولو انتزعناها من مكانها ، فمن المحتمل أن يؤدى هذا إلى خلل فى أجهزة الطاقة بالسفينة ، مما قد يترتب عليه ضياعنا فى الفضاء إلى الأبد .

قالت (سلوى) مرتجفة :

ـ (نور) .. إنك تضعنا أمام احتمالين ، كلاهما أسوأ من الآخر .

أشار إلى شاشة الكمبيوتر ، وهو يقول :

ـ الواقع يا عزيزتى أننا لا نملك اتخاذ القرار ، إلا بعد أن يفصح الكمبيوتر عما لديه .

قالها ، فتعلقت عيون الجميع بالكمبيوتر وشاشته ، وراحت القلوب تخفق ..

تخفق فى رعب .

* * *

١٥ ـ الخطـر ..

انبعث ضوء بنفسجى هادئ ، يملأ أركان الحجرة المربعة الصغيرة ، وسقط شعاع وردى على وجه شاب وسيم ، يمتلئ بالقوة والحماس ، يقف فى وسط الحجرة ، وراح الشعاع الوردى يفحصه جيدًا ، قبل أن يرتفع صوت آلىّ ، قائلًا :

ـ الرائد (أيمن) .. تم التحقق من الهوية .. القائد الأعلى فى انتظارك .

اعتدل الرائد (أيمن) فى وقفة عسكرية صارمة ، وانزاح الجدار المقابل له ، فى هدوء ، ليكشف حجرة القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ، ودلف الرائد (أيمن) إلى الحجرة فى خطوات سريعة ، وتوقف ليؤدى التحية أمام القائد الأعلى ، وهو يقول :

ـ الرائد (أيمن) فى خدمتك يا سيدى .

رد القائد الأعلى تحيته ، وسأله فى اهتمام :

ـ هل فريقك مستعد أيها الرائد ؟

أجابه (أيمن) فى حماس :

- نحن على أتم استعداد يا سيدى ، ونتطلع فى شوق إلى اليوم ، الذى نثبت فيه جدارتنا .

تنهد القائد الأعلى ، وقال :

- أعتقد أنكم لن تجدوا فرصة أفضل من هذه .. قل لى .. هل قرأت ملف القضية جيدًا .

أجابه (أيمن) :

- راجعت مع فريقى كل حرف فيه يا سيدى .

مال القائد الأعلى إلى الأمام ، يسأله :

- ومارأيكم ؟

هز (أيمن) كتفيه ، وقال :

- إنها ليست بالمهمة السهلة .

تراجع القائد الأعلى ، مغمغمًا :

- حقًا ؟!

استدرك (أيمن) فى سرعة :

- ولكننا نستطيع القيام بها .

التقى حاجبا القائد الأعلى ، وهو يتطلع إليه فى صمت ، ثم قال فى بطء :

- انتبه جيدًا أيها الرائد ، فعلى الرغم مما قد توحى به هذه المهمة ، من أنها عملية تقليدية ، إلا أنها ليست كذلك أبدًا .. هل تعلم ما الذى تواجهه ؟

أومأ (أيمن) برأسه فى حزم ، وقال :

- لدينا فكرة كاملة عن الموقف يا سيدى .

التقط القائد الأعلى نفسًا عميقًا ، وقال :

- فليكن .. يبدو أنه لا مفر من وجود فريق جديد ، يواجه هذا النوع من المهام غير التقليدية .

بدا الضيق على وجه الرائد (أيمن) ، وقال :

- معذرة يا سيدى ، ولكن يبدو لى أنك تتأسف ، لأنك لا تستطيع إسناد هذه المهمة لفريق (نور) .

تطلع إليه القائد الأعلى لحظة ، ثم قال :

- ليس من السهل أن أنسى المقدم (نور) وفريقه أيها الرائد ، فهم - والحق يقال - فريق نادر ، من العسير أن ينجب التاريخ مثله .

قال (أيمن) فى حزم :

- ولكننا لا نقل عنهم كفاءة يا سيدى ، فبيننا خبراء فى الاتصالات ، والطاقة ، وخبير خاص يصلح لهذه المهمة .

أومأ القائد الأعلى برأسه ، وقال :

- أعلم هذا يا (أيمن) ، ولست أحاول التقليل من كفاءاتكم ، ولولا ثقتى التامة بقدراتكم ، لما أسندت إليكم هذه المهمة .

قال (أيمن) فى حماس :

ـ وسنثبت أننا جديرون بها يا سيدى .. اسمح لى بالانصراف ، لبدء المهمة .

أشار إليه القائد الأعلى ، قائلا :

ـ انصرف يا ولدى .. انصرف على بركة الله .

وتابعه ببصره ، وهو يغادر حجرته ، ثم تنهّد فى عمق ، وقال :

ـ نعم .. لا مفر من هذا .. لابد من وجود فريق بديل .. ثم من يدرى ، ربما لا نرى (نور) وفريقه بعد اليوم قط .. من يدرى ؟

نعم أيها القائد الأعلى ..

من يدرى ؟!..

★ ★ ★

مضت الساعات ثقيلة على (نور) ورفاقه ، وهم ينتظرون توصل الكمبيوتر إلى الشفرة المطلوبة ، وأعلن جهاز الطيران بصوته المعدنى :

ـ ست ساعات للوصول إلى (سيتا ـ ٣) .

هتفت (سلوى) :

ـ يا إلهى !.. ست ساعت فقط لنصل إلى الأرض ، ولم نحسم هذه المشكلة بعد .

وغمغم (رمزى) :

ـ لم أتصوّر قط أننى سأشعر بمثل هذا القلق ، عندما نقترب من الأرض .

قال (أكرم) فى حدة :

ـ هذه الكرة اللعينة هى المسئولة عن كل هذا .

وارتجف صوت (مشيرة) ، وهى تقول :

ـ كم أتمنى لو كشفنا أنها مجرّد تعديل فى جهاز توليد الطاقة .

وسألت (نشوى) والدها :

ـ وماذا لو لم يتوصّل الكمبيوتر إلى حل الشفرة فى الوقت المناسب ؟

أجابها بسرعة وحسم :

ـ سنتخذ القرار الأكثر أمنا ، ونلقى الكرة خارج السفينة .

شهقت (سلوى) فى رعب ، ولكنها لم تنبس ببنت شفة ، وانعقد حاجبا (نشوى) فى توتر ، وهتفت (مشيرة) فى ارتياع :

ـ ونضيع فى الفضاء إلى الأبد .

أجابها (أكرم) فى إشفاق ، وهو يحيط كتفها بذراعه :

ـ إنه مجرّد احتمال .

أسندت رأسها على كتفه ، مغمغمة فى رعب :

ـ احتمال مخيف .

لم تكد تتم عبارتها ، حتى انطلق أزيز من الكمبيوتر ، فصرخت (نشوى) فى انفعال :

ـ تم حل الشفرة .

اندفع الجميع إلى الكمبيوتر ، وضغطت هى أزراره ، قائلة :

ـ هيا .. افصح عما لديك ، وأخبرنا ما هى (ق ـ ز ـ ٣٠٠٠) .

مضت لحظة من الصمت ، بدت للجميع أشبه بدهر كامل ، قبل أن تحمل شاشة الكمبيوتر البيانات التالية :

ـ (ق ـ ز ـ ٣٠٠٠) ، هى قنبلة زمنية ، تطلق طاقة غير محدودة ، تؤدى إلى فتح فجوة فى نهر الزمن ، عند نقطة محدودة ، بحيث يتوقف الزمن تمامًا ، وتستقر الأجسام التى تأثرت بالانفجار فى المنطقة (صفر) ، و ...

اتسعت عيون الجميع فى ارتياع ، وهم يقرءون هذه البيانات ، ثم انهارت (مشيرة) على أقرب مقعد إليها ، هاتفة :

ـ يا إلهى !.. قنبلة زمن ؟!

وشحب وجه (نشوى) فى شدة ، وتراجعت (سلوى) كالمصعوقة ، في حين هتف (أكرم) فى عصبية :

ـ ماالذى يعنيهُ هذا ؟.. لست أفهم شيئًا .

أجابه (نور) :

ـ إنه أمر أخطر مما تتصوَّر يا رجل ، فلو انفجرت هذه القنبلة ، سنفقد الصلة بيننا وبين الزمن .

قال (أكرم) فى حدة :

ـ هل تعتقد أننى فهمت ؟

أجابه (محمود) :

ـ أنا سأشرح الأمر لك .. دعنا نفترض أن الزمن عبارة عن خط مستقيم ، ففى كل لحظة نكون فى نقطة من نقاط هذا الخط المستقيم ، والطبيعى أن نتحرَّك فيه إلى الأمام باستمرار ، وفى ظروف خاصة ، قد يمكننا أن نتحرَّك فيه إلى الخلف ، وفى كل الأحوال ، تكون النقطة التى نقف فيها هى الحاضر ، وكل النقاط التى أمامها هى المستقبل ، وكل النقاط التى خلفها هى الماضى .. ولو انفجرت هذه القنبلة ، سيصبح الزمن بالنسبة إلينا هو النقطة التى نقف فيها فقط ، وسيتلاشى الخط المستقيم كله .. لن يصبح هناك ماض أو مستقبل .. فقط نقطة حاضر واحدة .. باختصار .. سيصبح الزمن بالنسبة إلينا يساوي صفرًا .

قال فى توتر :

ـ وما الذى يضيرنا فى هذا ؟

أجابته (نشوى) فى ذعر :

ـ ستتجمّد كل الأحداث بالنسبة لنا ، وسنصبح كمن يتحرّك فى صورة ثابتة .. انظر إلى ساعتك مثلًا .. لن يتحرّك عقرب الثوانى فيها أبدًا .. ستقضى عمرك كله فى لحظة واحدة ، لا يتحرّك الزمن فيها قط .. أى أنك ستحيا وتتلاشى فى نقطة واحدة من الزمن .. نقطة الصفر ..

أمسك صدغيه براحتيه ، وهو يقول :

ـ لست أفهم شيئًا .. هذا يفوق إدراكى .

قالت له (سلوى) :

ـ قل لى يا (أكرم) .. كيف تشعر بمرور الزمن ؟

أجابها حائرًا :

ـ إنه أمر طبيعى .. إننى أشعر به لأنه يمر .

قالت :

ـ حسن .. أنت تشعر بالزمن من حولك ، لأن كل شىء يتحرّك ، ويمضى فى الزمن .. لو ألقيت ورقة شجر من يدك ، فتسقط وتتطاير أمام عينيك ، حتى تستقر على الأرض .. هذا لأن الزمن يمضى بها .. ولكن ماذا لو تصوّرت أن الزمن توقّف فجأة ؟!.. فى هذه الحالة ستتجمّد ورقة الشجر فى موضعها ، ولن تواصل سقوطها ، لأن الزمن بالنسبة إليها أصبح صفرًا .. تمامًا كما توقفت صورة

متحرّكة فجأة .. إنها تتحوّل إلى صورة ثابتة لأن الزمن توقّف بالنسبة لها .. وببساطة شديدة ، فالفارق بين الزمن العادى وتوقف الزمن ، هو الفارق بين صورة متحرّكة وأخرى ثابتة .

لوّح بذراعيه ، هاتفًا :

ـ فليكن .. أيًا كان التفسير ، فالأمر فى النهاية يعنى كارثة .

أجابه (نور) :

ـ بل يعنى الضياع إلى الأبد فى مجرى الزمن .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يستطرد :

ـ وهذا هو المصير ، الذى ينتظر الأرض كلها .

قال (أكرم) فى توتر :

ـ أتعنى أنه لو انفجرت هذه القنبلة ، عند وصولنا إلى الأرض ، فسيتوقّف الزمن فيها تمامًا ، وتصبح أشبه بصورة ثابتة ؟

أجابه (نور) :

ـ نعم .. هذا ما سيحدث .. سيتجمّد الزمن تمامًا ، وتصبح الأرض أشبه بمتحف للتماثيل الجامدة .. حتى ذرات الغبار ستتعلّق فى الهواء ، ولا تتحرّك قط .. بل والأدهى من هذا ، قد تنهار الأرض كلها فى مجرى الزمن ، ويتلاشى وجودها تمامًا .

هتف (أكرم) :

ـ لا يمكننا أن نسمح بحدوث هذا .

أجاب (رمزى) فى حزم :

ـ دعونا ننفذ ما عزمنا عليه إذن .

قال (نور) :

ـ هذا هو الحل الوحيد ..

ثم رفع رأسه فى اعتداد ، وأضاف :

ـ سنلقى هذه القنبلة خارج السفينة .

شهقت (سلوى) مرة أخرى ، وهتفت (نشوى) :

ـ أتعتقدون أن هذا ممكن .

قال (محمود) فى حزم :

ـ سنفحصها مرة أخرى .

اندفع (أكرم) نحو الفتحة ، التى تقود إلى قلب السفينة ، هاتفًا :

ـ هيا بنا .

هبط (نور) و (محمود) و (أكرم) إلى قلب السفينة ، وأحاطوا بالقنبلة فى حذر ، ولمسها (محمود) بأصابعه ، وهو يقول :

ـ إنها باردة كالثلج بالفعل .

قال (نور) :

ـ يمكننا أن نرتدى الزى الفضائى الواقى .. المهم أن نتأكد من استطاعتنا تحريكها .

دفعها (أكرم) فى رفق ، وغمغم :

ـ العجيب أنها ليست صلبة ، بل رخوة إلى حد مدهش ؟.. كيف يمكن دفعها ؟

أجابه (نور) :

ـ يمكننا أن نحملها معًا .

انحنى (أكرم) ، ودفع كفيه أسفل الكرة ، وهو يقول :

ـ ترى أهى ثقيلة الوزن ؟

دفعها فى حذر ، من أسفل إلى أعلى ، فارتفعت معه فى خفة ، وهتف :

ـ يا إلهى !.. إنها خفيفة للغاية .. انظرا .

ولكن (نور) صاح به :

ـ احترس .. هناك أسلاك تتصل بها .

أفلت (أكرم) الكرة بحركة غريزية ، فسقطت منه ، وارتطمت بالأرض ، ثم انطبقت على بعضها البعض على نحو عجيب ، كما لو كانت فقاعة من الصابون ، وقفزت من موضعها ، وتدحرجت وسط الآلات ، حتى انحشرت فى موضع يصعب الوصول إليه ، وانقطع السلك الذى كان يصلها بجهاز توليد الطاقة ، فهتف (نور) :



دفعها فى حذر ، من أسفل إلى أعلى ، فارتفعت معه فى خفة ..

ـ رباه !.. لقد أشعلت فتيلها .

تألقت الكرة فى شدة ، وحاول (نور) الوصول إليها ، ثم صاح فى يأس :

ـ ابتعدوا .. ستنفجر القنبلة .

وانطلق الثلاثة يعدون إلى حجرة القيادة ، وصاح (نور) بالباقين :

ـ لقد اشتعل فتيل القنبلة .. إنها ستنفجر .

صرخت (سلوى) :

ـ لا يا (نور) .. لا .

وألقت نفسها بين ذراعى زوجها ، فى حين تشبَّثت (نشوى) بذراع (رمزى) ، وهتفت :

ـ القنبلة ستنفجر .. ستنفجر يا (رمزى) .

أما (أكرم) ، فقد اندفع نحو (مشيرة) وكأنه يحاول حمايتها بجسده ، من خطر مازال يجهل كنهه ، وأسرع (محمود) إلى شاشة التوجيه ، و ...

وفجأة ، انفجرت القنبلة ..

لم يصدر عن انفجارها أدنى صوت ، وإنما انطلقت من أعماقها طاقة هائلة ، على هيئة أضواء مختلفة الألوان ، سطعت فى المكان كله كألف شمس ، وأغشت أعين الجميع ..

وصرخت (سلوى) ، وهى تسقط فى دوامة عميقة :

ـ النجدة .. النجدة يا (نور) .

ودارت الأرض بـ (مشيرة) ، فتشبثت بكل قوتها بذراع (أكرم) ، وهوت (نشوى) فى بئر بلا قرار ، وحاول (رمزى) أن يتشبث بأى شىء بلا طائل ..

أما (محمود) ، فقد ارتطم بالشاشة ، وخيل إليه أنه يخترقها بلا ألم ، وأن النجوم قد عبرت جدران السفينة ، واستقرت داخلها ، ورأى (نور) يقاوم فى استماتة ، والأضواء تحيط بكل شىء ، ثم اختفى كل هذا دفعة واحدة ..

وفجأة ، ساد المكان شعور عجيب ..

شعور بالعدم ..

وفى اللحظة التالية ، وعلى الرغم من أن شيئًا من حولهم لم يتبدل ، شعر الجميع بالضياع ..

الضياع فى مجرى الزمن ..

وفى نقطة الصفر .

★ ★ ★

١٦ ـ الزمن يساوى صفرًا ..

شد الرائد (أيمن) قامته ، واعتدل فى اعتداد ، وهو يواجه فريقه ، قائلاً فى حزم صارم :

ـ هل درستم المهمة جيدًا ؟

أجابه خبير الاتصالات :

ـ نعم أيها القائد ، وهى ليست بالمهمة السهلة .

قال (أيمن) :

ـ أعلم هذا .. إنها مهمة عسيرة ، ولقد فشل فيها رجال الأمن التقليديون من قبل ، وهذا سبب إسناد المهمة إلينا .

قال خبير الطاقة فى قلق :

ـ ولكننا لا نمتلك الخبرة الكافية ، لمواجهة مثل هذه الأمور ، وسنحتاج إلى أسلحة وأجهزة خاصة .

أشار (أيمن) بيده ، قائلاً :

ـ لقد منحنا القائد الأعلى اعتمادًا مفتوحًا ، بالنسبة لهذه المهمة ، فالشىء الذى نبحث عنه بالغ الخطورة ، ويجيد المناورة والتخفى إلى أقصى حد ، والمطلوب منا هو العثور عليه وتدميره بأى ثمن .

تنهّدت الخبيرة البيولوجية (*) ، وقالت :

ـ أعتقد أننا نستطيع هذا ، لو أمكننا دراسة عاداته وسلوكه ، فبهذا يمكننا استنتاج البيئة الملائمة لحياته ، وهذه هي الخطوة الأولى .

انعقد حاجبا الرائد (أيمن) ، وهو يقول :

ـ كل هذا عظيم ، ولكنني لا أريد مجرّد تحقيق الهدف الرسمي .

سأله خبير الاتصالات في حيرة :

ـ ماذا تعني ؟

أجابه الرائد (أيمن) في حزم :

ـ أعني أنه المطلوب منا ، على النطاق الرسمي ، هو أن نصل إلى ذلك الشيء وندمره ، أما ما أطلبه أنا منكم ، على نحو شخصيّ بحت ، هو أن تتم المهمة بأقصى قدر ممكن من الاستعراض والإبهار .

قال خبير الطاقة في دهشة :

(*) البيولوجيا : علم الأحياء ، وينقسم إلى علمي الحيوان والنبات ، ويتضمن كل منهما علوم الخلية ، والأنسجة ، والتشريح ، والمورفولوجيا (علم التركيب) ، والفسيولوجيا (علم وظائف الأعضاء) ، والامبريولوجيا (علم الأجنة) ، وعلم البيئة ، وعلم الوراثة ، والتطور ، والحفريات ، وعلم التصنيف ، والميكروبيولوجيا (علم الكائنات الدقيقة) ، وهو لفظ مستحدث ، يطلق على الدراسة العلمية للكائنات المجهرية .

ـ استعراض وإبهار ؟!.. ما الذي سنفعله بالضبط ؟

قال (أيمن) في شيء من العصبية :

ـ حاولوا أن تفهموا الأمر جيدًا .. إنها مهمتنا الأولى ، والجميع يستدونها إلينا في حذر وشك ، وعقولهم وقلوبهم ترتبط بفريق المقدّم (نور) .. ذلك الفريق القديم ، الذي يتعاملون معه وكأنه أسطورة في عالم المخابرات العلمية ، لمجرّد أن الحظ ساعده على الظهور ، في وقت لم تكن المشكلات العلمية قد بلغت فيه قدرًا مناسبًا .. ومجرّد نجاحنا في مهمتنا هذه ، لن يكفي لنحتل تلك المكانة ، التي كان يحتلها (نور) وفريقه .. سيظل الجميع يقول إننا نشبههم ، أو أننا مجرّد امتداد لهم .

قال خبير الاتصالات في حذر :

ـ لقد قرأت شيئًا عن تاريخهم ، وهم عظماء بحق .

لوّح (أيمن) بيده ، وهتف :

ـ لو ظللت تتحدّث عنهم كهذا ، فلن نفوقهم أبدًا .

قالت الخبيرة البيولوجية في حماس :

ـ أنا أوافقك على هذا .. لابد أن نبذل قصارى جهدنا لنربح مهمتنا الأولى ، ونحقق فيها انتصارًا مبهرًا ، حتى يتألّق فريقنا على القمة .

ارتجف صوت الرائد (أيمن) من فرط الانفعال ، وهو يقول :

ـ ليس هذا فحسب .. إننى أريد أن يبهر نجاحنا الجميع ، بحيث نمحو (نور) وفريقه من تاريخ المخابرات العلمية .. نمحوهم تمامًا .

قالها ، دون أن يدرى أن (نور) وفريقه قد امحوا بالفعل من التاريخ .

بل ومن الزمن ..

الزمن كله ..

★ ★ ★

مضت لحظات طويلة من الصمت ، والجميع يتطلع بعضهم إلى البعض ، داخل السفينة الجلوريالية ، ثم قالت (مشيرة) فى دهشة :

ـ عجبًا !.. هل الجميع بخير ؟

أجابها (رمزى) فى حيرة :

ـ هذا مايبدو ، فكل شيء على ما يرام .

نهض (نور) واقفًا ، وقال :

ـ ولكن هذا مستحيل !.. لقد انفجرت القنبلة بالفعل .

غمغمت (سلوى) :

ـ لم أسمع أية انفجارات .

قالت (نشوى) :

ـ ولكن تلك الأضواء ، و ...

قاطعتها صيحة (محمود) المذعورة :

ـ يا إلهى .. انظروا! .

تطلّع الجميع إلى شاشة الفحص ، التى يشير إليها ، وهتف (أكرم) :

ـ ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟.. الشاشة بيضاء تمامًا .

قال (نور) فى توتر شديد :

ـ والبيانات كلها تساوى صفرًا .. ما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟.. هل توقفت كل أجهزة السفينة ؟

غمغم (محمود) :

ـ هذا ما يبدو .. ولكن البيانات تشير إلى الصفر ، حتى بالنسبة للضغط والحرارة والطاقة ، إلا أننا نشعر أن كل شيء حولنا على ما يرام .

بقى الجميع صامتين لحظات ، ثم أشار (نور) إلى (محمود) ، قائلًا :

ـ ارفع النوافذ .

ضغط (محمود) زر فتح النوافذ ، وهو يقول فى شك :

ـ لست أدرى ما إذا كان هذا سيفلح أم لا ، ولكن نضوب الطاقة قد يؤدى إلى ..

ولم يجد داعيًا لإتمام عبارته ، عندما استجابت النوافذ فى هدوء ، وانفتحت فى بطء ، على الرغم من المؤشرات ، التى تشير إلى نضوب الطاقة ، و ..

واتسعت عيون الجميع فى ذهول ..

لقد اختفى الفضاء المحيط بالسفينة تمامًا ..

لم تعد تسبح وسط النجوم والفراغ المظلم المعروف ، وإنما صارت تسبح وسط دوامة عجيبة ، من مختلف الألوان ..

كانت تسبح فى نهر الزمن ..

وفى نقطة الصفر ..

ولثوان ، احتبست الأنفاس مشدوهة مبهورة ، ثم هتفت (نشوى) :

- أين نحن بالضبط ؟

أجابها (نور) فى توتر شديد :

- فى نهر الزمن .. أنا أعرفه جيدًا ، فقد سبق أن خضته فى ظروف مختلفة (*) .

قالت (مشيرة) مرتجفة :

- ماذا تعنى ؟.. هل ضعنا فى مجرى الزمن ؟.. هل انتهينا ؟.. ألا توجد وسيلة للخروج من هذا .

ألقى (نور) جسده على أقرب مقعد إليه ، وهو يقول :

- الخروج يحتاج إلى طاقة هائلة ، لا قبل لنا بها .

شحب وجه (سلوى) ، وهى تردد :

(*) راجع قصة (الرحلة الرهيبة) .. المغامرة رقم (٩٢) .

يا إلهى !.. يا إلهى !

وقفزت (نشوى) إلى الكمبيوتر ، صائحة :

- لابد أنه هناك وسيلة .. لابد .

جرت أصابعها فى عصبية على أزرار الكمبيوتر ، والجميع يتابعونها فى صمت ، حتى حملت شاشة الكمبيوتر عبارة محبطة ، تقول :

- الطاقة المطلوبة غير محدودة .

انهارت (نشوى) ، وهى تهتف :

- مستحيل !.. مستحيل أن تكون هذه هى النهاية .

وتراجع (أكرم) فى مرارة ، مغمغمًا :

- أنا المسئول .. أنا المسئول عن انفجار القنبلة .

لوّح (نور) بيده ، وهو يقول :

- لا أحد مسئول عن هذا يا رجل .. لقد وضع الجلورياليون هذه القنبلة ، بحيث تنفجر حتمًا ، مهما اتخذنا من احتياطات .. عزاؤنا الوحيد هو أنها لم تنفجر على الأرض .

قالت (مشيرة) فى انهيار :

- وما الفارق بالنسبة لنا ؟. لقد ضعنا فى الحالتين .

ثم تشبثت بـ (نور) ، وقالت فى توتر :

- قل لى يا (نور) .. ما مصيرنا هنا ؟

تطلع إليها لحظة مشفقًا ، ثم أشاح بوجهه ، مغمغمًا :

ـ سنبقى هنا إلى الأبد .

صاحت به :

ـ وما المقصود بالأبد .

صمت لحظة أخرى ، وتنهد فى حرارة ، ثم قال :

ـ سنبقى حتى ينفد مخزوننا من الطعام والأكسجين ، ثم ..

لم يستطع إتمام عبارته ، ولكنها فهمت ما يعنيه ، وأطلقت شهقة ارتياع ، وهى تتراجع كالمصعوقة ، فانفجرت (سلوى) باكية ، وقالت :

ـ كنت أعلم هذا .. كنت أعلم أن ابننا لن يولد أبدًا يا (نور) .

استدار إليها (نور) ، وهمّ بقول شىء ما ، عندما ارتفع صوت (محمود) ، قائلًا :

ـ إنه هو .

استدار إليه الجميع فى دهشة ، واتسعت عيونهم فى آن واحد ، عندما وقع بصرهم على ذلك الجسم شبه البشرى ، الذى يسبح فى مجرى الزمن ، على مقربة من السفينة ، وصرخت (نشوى) فى فرح جنونى :

ـ (س ـ ١٨) .

اندفعوا جميعًا نحو النافذة ، وحدقوا فى جسم ذلك الآلى الأسطورى ، وهو يسبح فى بطء ، فى نهر الزمن ، على مقربة من السفينة ، وقال (نور) :

ـ إنه هو .. لقد فقدته فى مجرى الزمن ، وهاهو ذا يظهر مرة أخرى(*) .

هتفت (نشوى) :

ـ إنه يستطيع إنقاذنا .. لقد أرسله القدر إلينا .

أشار (نور) إلى جسم الآلى ، الذى يسبح ساكنًا ، وغمغم :

ـ لست أعتقد هذا .. لقد نضبت طاقته تمامًا فى المرة الأخيرة .. إنه هنا ، ولكنه لا يستطيع إنقاذنا .

فجّرت عبارة (نور) كل ما تبقى من اليأس ، فى قلوب الجميع ، فالتصقوا بالنافذة ، يتطلعون فى أسى إلى (س ـ ١٨) ، الذى بدأ جسده يبتعد عن السفينة فى بطء شديد ، ليغوص مرة أخرى فى مجرى الزمن ..

الجميع وقفوا يتابعون المشهد ، فيما عدا (محمود) .. هو وحده انتحى جانبًا ، وراحت العبارة التى سمعها من (بودان) قبل مصرعه تدوى فى رأسه ..

(*) راجع قصة (نقطة الصفر) .. المغامرة رقم (٩٣) .

« ما دام الموت آت لا ريب ، فلأمت فى سبيل من أحب .. »

ترددت العبارة فى رأسه مرات ومرات ، حتى حسم أمره ، وقال فى حزم :

- نعم .. فلأمت فى سبيل من أحب ..

كان الجميع يقفون عند النافذة ، ويتابعون جسم (س - ١٨) وهو يبتعد ، عندما صرخت (نشوى) فجأة :

- انظروا .

استدار الجميع إلى حيث تشير ، واتسعت عيونهم فى ارتياع ..

لقد رأوا أمامهم (محمود) ، وهو يسبح فى مجرى الزمن ، ممسكًا طرف سلك قوى ، ويتجه نحو (س - ١٨) ..

وفى ارتياع ، هتف (نور) :

- ما الذى يفعله هذا المجنون ؟

فوجئ بصوت (محمود) ، يأتيه عبر جهاز الاتصال الداخلى ، وهو يقول :

- يمكنك أن تعتبره جنونًا يا (نور) ، ولكنه الحل الوحيد .

صاح به (نور) :

- الحل الوحيد لماذا ؟.. عد إلى السفينة يا (محمود) .. عد بسرعة ، قبل أن يلتهمك نهر الزمن .

أجابه (محمود) ، وهو يبذل جهدًا خرافيًا ، للوصول إلى (س - ١٨) .

- وما الفارق يا (نور) ؟.. سيلتهمنى نهر الزمن إن آجلًا أو عاجلًا .. أنت تعلم هذا .. جميعنا يعلم هذا .. وكلنا نعلم أيضًا أن (س - ١٨) هو أملنا الوحيد فى النجاة ، ولكنه يحتاج إلى طاقة .

وصمت لحظة ليزدرد لعابه ، قبل أن يكمل :

- وأنا سأمنحه الطاقة .

هتف (أكرم) :

- عد يا (محمود) .. لا تخاطر بنفسك .

تجاهل (محمود) القول تمامًا ، وهو يتابع :

- هذا السلك الذى أحمله ، يمتد إلى مولد الطاقة الرئيسى للسفينة .. سأشحن (س - ١٨) بالطاقة .. سأمنحه كمية هائلة منها ، وبعدها سيطيع أوامرك يا (نور) .

قال (نور) فى هلع :

- ولكن جسدك لن يحتمل هذا يا (محمود) .. اترك كل ما بيدك وعد إلى السفينة .

أجابه (محمود) :

- مستحيل يا (نور) .. مستحيل !.. لقد اتخذت

قرارى ، وما من قوة فى الكون كله ، فيما عدا الله (سبحانه وتعالى) ، يمكنها دفعى للتراجع عنه .

بكت (سلوى) فى حرارة ، وهى تقول :

ـ فليكن يا (محمود) .. صل الأسلاك بجسم (س ـ ١٨) ، ثم عد إلى هنا ، وسنمده نحن بالطاقة .

أجابها فى هدوء عجيب :

ـ سأحاول يا (سلوى) .. سأحاول .

التفت (نور) إلى (سلوى) ، وسألها فى قلق بالغ :

ـ هل يمكنك تحديد النتائج المتوقعة ، لو فعل هذا ؟

هزت رأسها نفيًا ، وهى تقول :

ـ ليس بسهولة ، فالقواعد العلمية كلها تختلف هنا .

وهنا قال (أكرم) فى حزم :

ـ سأخرج إليه .

قال (نور) :

ـ فكرة جيدة .. سنخرج إليه معًا ، ونحاول إعادته إلى هنا .

أسرع الاثنان يرتديان ثيابًا فضائية ، شبيهة بالثوب الذى يرتديه (محمود) ، فى حين أمسك (رمزى) جهاز الاتصال ، وقال :

ـ (محمود) يا صديقى .. لماذا تجازف بنفسك ؟

أجابه (محمود) فى هدوء :

ـ من أجلكم يا صديقى .. من أجل من أحب .

قاوم (رمزى) دموعه ، وهو يسأله :

ـ أأنت واثق من أن تضحيتك ستكون مجدية ؟

أجابه (محمود) :

ـ إلى حد كبير .

هتف (رمزى) :

ـ ولكنك لست مؤهلاً لهذا .

ضحك (محمود) ، وقال :

ـ لست مؤهلاً لهذا ؟!.. أى قول هذا يا صديقى ؟.. هل تغالط نفسك ؟!.. أنسيت أننى خبير الطاقة الوحيد بينكم .. إننى أكثر الجميع قدرة على التعامل مع الطاقة ، ومع (س ـ ١٨) .

قال (رمزى) :

ـ ولكن المؤشرات هنا تشير إلى نضوب الطاقة .

أجابه (محمود) :

ـ المؤشرات كلها زائفة الآن يا صديقى ، فنحن فى مجرى الزمن ، ولسنا فى كون عادى .. لن توجد أية أقطاب .. لا معنى للسالب والموجب .. إننا فى نقطة الصفر .. لا تنس هذا .

انحدرت الدموع على وجنتى (رمزى) ، وهو يقول :
ـ عد يا (محمود) .. أرجوك .
أجابه (محمود) فى أسى :
ـ لماذا يا صديقى ؟.. لنموت معًا ؟ إننى أقوم بالمحاولة الوحيدة ، التى قد تمنحنا الأمل يا صديقى .. أو على الأقل تمنحكم إياه .
رفعت (سلوى) رأسها عن جهاز الكمبيوتر ، فى هذه اللحظة ، وقالت فى ذعر وانزعاج :
ـ لقد درست الاحتمال تقديريًا ، وهو يؤكد أن جسد (محمود) لن يحتمل هذا القدر من الطاقة أبدًا .
هتف (رمزى) :
ـ هل سمعت يا صديقى ؟!.. جسدك لن يحتمل هذه الطاقة .. عد بالله عليك .. عد .
أجابه (محمود) :
ـ لا فائدة يا صديقى .. لا فائدة .
ظهر (نور) و (أكرم) فى هذه اللحظة ، وهما يغادران السفينة ، ويسبحان فى نهر الزمن ، فى محاولة لبلوغ (محمود) ، ولكن هذا الأخير ألقى نظرة خاوية عليهما ، وقال :
ـ لا تحاولا .. لن أتراجع قط .

كانت المسافة التى تفصله عن (س ـ ١٨) تنكمش فى سرعة ، حتى أصبح أمامه تمامًا ، فابتسم مغمغمًا :
ـ كيف حالك يا (س ـ ١٨) ؟
بدا الآلى صامتًا ساكنًا ، أشبه بتمثال مخيف ، وهو يسبح إلى جواره ، وسط دوامة من مختلف الألوان ، ومدّ (محمود) يده ، يفتح صدر (س ـ ١٨) ، حيث مصدر الشحن ، وألقى نظرة على الثقبين الصغيرين فيه ، وهو يغمغم :
ـ مدخل الطاقة لديك لا يناسب السلك الذى أحمله يا (س ـ ١٨) .. ما رأيك ؟
حاول بكافة الوسائل دفع طرفى السلك ، فى الثقبين الموجودين فى مصدر شحن الأطلنطى الآلى ، ولكن الطرفين كانا أكبر مما ينبغى ، فغمغم (محمود) :
ـ يبدو أنك لم تضع أمامى خيارًا يا (س ـ ١٨) .
هتف (نور) ، وهو يحاول بلوغ (محمود) :
ـ اتركه يا (محمود) .. اتركه وعد إلى السفينة .
تطلّع (محمود) بنظرة خاوية إلى (نور) و (أكرم) ، اللذين يقتربان منه ، وغمغم :
ـ إنه الأمل الوحيد يا (نور) .. الأمل لكم جميعًا .
وتطلّع إلى الثقبين فى صدر (س ـ ١٨) ، مرتدًا :



(محمود) يدس سبابته ووسطاه في الثقبين الصغيرين ، في صدر (س ـ ١٨) ، ثم يمسك السلك بيده الأخرى ..

ـ آخر أمل فى الخروج من نهر الزمن .

ثم انتزع قفاز زيه الفضائى ، وأضاف :

ـ لا تخذلنى يا (س ـ ١٨) .. إننى أراهن عليك بحياتى .

اتسعت عينا (نور) و (أكرم) فى ارتياع ، عندما رأيا (محمود) يدس سبابته ووسطاه فى الثقبين الصغيرين ، فى صدر (س ـ ١٨) ، ثم يمسك السلك بيده الأخرى ، وصرخ (نور) :

ـ لا يا (محمود) .. لا تفعلها .

ولكن (محمود) ابتسم فى أسى ، وقال :

ـ اذكرونى دائمًا يا رفاق ، وتذكَّروا عبارة (بودان) ، التى لم تفارق ذهنى قط .. ، مادام الموت آت لا ريب ، فلأمت فى سبيل من أحب .. ، .. وأنتم كل من أحب .

وضغط طرفى السلك ، هاتفًا :

ـ الوداع يارفاق .. الوداع .

صرخ (نور) :

ـ لا يا (محمود) .. لا .. لا .

ولكن فات الأوان ، وسبق السيف العذل ، وتدفقت شحنة هائلة من الطاقة ، عبر جسد (محمود) ، إلى (س ـ ١٨) ..

وتراجعت (سلوى) ، وهى تطلق شهقة ارتياع ..

وانهارت (نشوى) فاقدة الوعى ..

وصرخ (رمزى) ..

وتألق جسد (محمود) ..

تألق وهو ينتفض فى شدة ، والطاقة تمر عبر جسده البشرى إلى جسم (س ـ ١٨) ..

ثم انهار جسد (محمود) ..

انهار وهو يندفع مبتعدًا ، ويغوص ويغوص فى نهر الزمن ..

وأمام أعين الجميع ، تلاشى جسد (محمود) فى مجرى الزمن ، فى نفس الوقت الذى تماسك فيه جسم (س ـ ١٨) ونطق العبارة الوحيدة المسجّلة فى برنامجه :

ـ (س ـ ١٨) فى خدمتك يا سيّدى ..

لقد رحل (محمود) إلى الأبد ، ومنح رفاقه الأمل .. آخر أمل .

* * *

١٧ ـ الختام ..

سجّلت أجهزة (س ـ ١٨) كل ما يحدث حوله ، واختزنت ذاكرته الجبارة كل التفاصيل ، ولكنه لم يستطع فهم الموقف أو تحليله ، لأن الأمور كانت تتعلق بشىء لا يدخل ضمن برنامجه الشديد التعقيد ..

بالمشاعر ..

المشاعر البشرية ..

لقد وقف (س ـ ١٨) جامدًا صامتًا ، فى أحد أركان قاعة القيادة ، فى السفينة الفضائية الجلوريالية ، على مسافة عدة أمتار من (نور) ورفاقه ، الذين التفوا حول مائدة كبيرة ، وراحت (سلوى) تبكى فى حرارة ، وهى تقول :

ـ لقد ضحى بحياته ليمنحنا الأمل .. لن ننساه أبدًا .

انهمرت دموع (نشوى) ، وهتفت :

ـ كان أفضلنا جميعًا .

وصرخت (مشيرة) :

ـ ولكن أحدًا لم يقدّره حق قدره .

غمغم (أكرم) فى حزن :

ـ كلنا كنا نعرف قدره .

صرخت فى وجهه :

ـ لا تنطق بكلمة واحدة .. أنت بالذات كنت تهينه وتستفزه ، ولكنه أثبت فى النهاية أنه أفضل منك .. أفضل منا جميعًا .

هتف (أكرم) :

ـ أنا .. أنا أهينه وأستفزه .

صاحت به :

ـ هل نسيت ما فعلته معه ، عندما كنا هناك ، فى المخبأ السرى ؟.. ألم تتهمه بالتخاذل والتهاون ؟

قال (أكرم) مصدومًا :

ـ ولكننى اعتذرت له .

صرخت (مشيرة) :

ـ وما الفائدة ؟!.. لقد اعتذرت بعد أن جرحت مشاعره .. ما الفائدة من هذا ؟

اقترب منها (أكرم) ، وهو يقول :

ـ (مشيرة) .. أرجوك .. إننى أشعر بالحزن من أجله ، حتى أننى لا أحتمل تأنيبًا إضافيًا .

ضربت صدره بقبضتيها ، وهى تصرخ :

ـ ابتعد عنى .. ابتعد عنى .

ثم انهارت بين ذراعيه ، مستطردة :

ـ لن يمكننى أنّ أنساه أبدًا .. أبدًا .

مسح (رمزى) دموعه ، وهو يقول :

ـ لن ينساه أحدنا قط .. لقد بذل حياته من أجلنا ، وأفضل ما نفعله هو ألا نضيع تضحيته هباءً .

قال (نور) فى حزن :

ـ أنت على حق .

ثم نهض ، والتفت إلى (س ـ ١٨) ، قائلًا :

ـ (س ـ ١٨) .. نحن نحتاج إليك .

أجابه (س ـ ١٨) فى حزم :

ـ (س ـ ١٨) فى خدمتك يا سيِّدى .

هتفت (نشوى) :

ـ أعد إلينا (محمود) :

التفت إليها (نور) فى دهشة ، فتابعت فى حدة :

ـ نعم .. ربما لم يمت .. ربما أصابه ما أصابنى قديمًا ، وانتقل جسده إلى بُعد آخر .. من يدرى ؟ (*)

عقد (نور) حاجبيه ، ثم عاد يتطلّع إلى (س ـ ١٨) ، وقال :

ـ أسمعنى جيدًا يا (س ـ ١٨) .

(*) راجع قصة (أرض العدم) .. المغامرة رقم (٨٢) .

وراح يقص عليه كل ما حدث ، منذ كشفوا أمر قنبلة الزمن ، ثم أشار إلى شاشة الكمبيوتر ، وقال :

ـ كل المعلومات الخاصة بالقنبلة ستجدها هنا يا (س ـ ١٨) .. وربما كانت هناك معلومات أكثر ، تحتاج إلى حل عدد آخر من الشفرات .. ابحث عنها يا (س ـ ١٨) ، وابحث لنا عن مخرج من هنا .

استدار (س ـ ١٨) فى آلية إلى شاشة الكمبيوتر ، ثم ألصق أصابع يده اليمنى بها ، وتوقف جامدًا كالتمثال ..

وعبر الخلايا الكريستالية للشاشة ، راحت ملايين المعلومات تتدفق إلى ذاكرة (س ـ ١٨) ، وأجهزته الداخلية تعمل على دراستها وتحليلها بسرعة تفوق سرعة البرق ..

كانت هناك عشرات الحواجز ، وأربع شفرات شديدة التعقيد ، ولكن (س ـ ١٨) اخترق كل هذا ..

كانت برامجه أكثر تطورًا من كل ما يواجهه ، ولم يكن الاختراق عسيرًا بالنسبة له ..

وفى قلق ، سألت (نشوى) :

ـ أتعتقد أنه سيعثر على حل يا أبى ؟

هزّ (نور) رأسه ، وقال :

ـ لست أدرى ، ولكنه استغرق فترة طويلة لفحص المعلومات ، وهذا يبشر بالخير .

قال (أكرم) :

ـ ولماذا يبشر بالخير ؟

أجابه (نور) :

ـ لأنه يعنى أنه يمتص كمًا هائلًا من المعلومات ، يفوق بكثير كل ما أمكننا الحصول عليه .

وكان (نور) على حق ..

لقد استخلصت أجهزة (س ـ ١٨) ملايين التفاصيل والمعلومات ، التى تحتشد فى ذاكرة الكمبيوتر الهائلة ، ووضعتها موضع التحليل والدراسة ، حتى بلغت نهايتها ، فرفع (س ـ ١٨) أصابعه عن الشاشة ، وقال فى صوت معدنى جاف :

ـ (س ـ ١٨) فى خدمتك يا سيّدى .

هتفت (سلوى) :

ـ حمدًا لله .

فسألها (أكرم) فى حيرة :

ـ ما الذى أسعدك إلى هذا الحد ؟.. هذا الآلى يردد العبارة نفسها فى كل الأحوال !

قالت فى حماس :

ـ عندما ينطق (س ـ ١٨) هذه العبارة ، فهو يعنى أنه توصّل إلى المطلوب .

وهنا تطلع (نور) إلى (س ـ ١٨) ، وسأله :

ـ هل وجدت وسيلة لإخراجنا من هنا يا (س ـ ١٨) ؟

أجابه الآلى فى جمود :

ـ (س ـ ١٨) فى خدمتك يا سيدى .

أغلق (نور) عينيه ، وتنهد فى ارتياح ، وهتفت (مشيرة) :

ـ هل تعنى أننا نجونا ؟.. هل تعنى هذا يا (نور) ؟

غمغم (نور) :

ـ إلى حد ما .

ترقرق الدمع فى عينيها ، وهتفت :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .

ثم انهارت باكية فى حرارة ، على أقرب مقعد إليها ، فى حين تطلع (نور) إلى (س ـ ١٨) ، وقال :

ـ اسمعنى جيدًا يا (س ـ ١٨) .. سأسند إليك مهمتين .. الأولى هى أن تخرجنا من هنا .

ردد الآلى :

ـ (س ـ ١٨) فى خدمتك يا سيدى .

خفض (نور) عينيه ، وقال :

ـ المهمة الثانية هى أن تبحث عن (محمود) ..

ران صمت رهيب على المكان ، و (نور) يتابع :

ـ أنا أعلم أنه لقى مصرعه .. كلنا رأينا الطاقة الهائلة تعبر جسده ، وكلنا نعلم أنه مامن جسد بشرى ، يمكن أن يحتمل كل هذا .. ولكن (نشوى) أثارت احتمالاً أقلقنى .. صحيح أنه احتمال واه ، ولكنه يستحق أن نبحثه .. أخرجنا من هنا يا (س ـ ١٨) ، ثم ابحث عن (محمود) .. أو حتى عن جثته .. ابحث عنه من أجلى يا (س ـ ١٨) .

كرر الآلى :

ـ (س ـ ١٨) فى خدمتك يا سيدى .

قاوم (نور) تأثره ، ولكن صوته تهدج على نحو ملحوظ ، وهو يقول :

ـ هيا .. انطلق يا (س ـ ١٨) .

استدار (س ـ ١٨) فى هدوء وغادر السفينة كلها ، ثم راح يسبح حولها فى مجرى الزمن ، فغمغم (أكرم) :

ـ ما الذى يفعله بالضبط ؟

غمغم (نور) :

ـ اتركه يؤدى عمله يا (أكرم) .

وفى بطء أولاً ، راحت سرعة دوران (س ـ ١٨) حول السفينة تتزايد وتتزايد ، ثم بلغت حدًا مدهشًا ، وصاحت (نشوى) :

ـ جسده يتألق بآلاف الألوان .

صاح (نور) :

ـ احترسوا .. إنه رد فعل عكسى .

وهنا بلغت سرعة دوران (س ـ ١٨) حول السفينة حدًا مذهلًا ، حتى صار أشبه بقوس من النور ، ودارت الأرض بالجميع ، وتألقت مختلف الألوان فى كل مكان ، وصرخت (سلوى) :

ـ النجدة يا (نور) .. أنا أهوى .

كانت تشعر ، وكأنها تسقط بالفعل فى هوة عميقة ، فتشبثت بزوجها فى هلع ، وسقطت (نشوى) أرضًا ، وفقد (رمزى) وعيه ، وانهارت (مشيرة) بين ذراعى (أكرم) ، و ...

وفجأة ، هدأ كل شىء ..

فجأة ، اختفت دوامات الزمن من حول السفينة ، وبدا بدلًا منها الفضاء السرمدى ، بنجومه اللانهائية ..

واستعاد الجميع وعيهم فى بطء ..

وفى لهفة ، هتفت (مشيرة) :

ـ لقد نجونا .

غمغم (نور) :

ـ يبدو هذا .

أطلقت (سلوى) زفرة ارتياح ، وقالت :

ـ حمدًا لله .. لن يلقى ولدى مصرعه ، قبل أن يولد .

تطلع (نور) إلى الجميع ، واتجه إلى أجهزة التوجيه ، وغمغم وهو يعيد تشغيل محركات السفينة :

ترى هل بقيت لدينا طاقة كافية ؟

دارت المحركات على الفور ، وقال (أكرم) فى ارتياح :

ـ أعتقد أن لدينا ما يكفينا .

أعاد (نور) توجيه السفينة ، ثم ضغط زر الانطلاق ، وهو يقول فى خفوت :

ـ فلننطلق على بركة الله .

ارتفع صوت الموجه الآلى للسفينة ، وهو يقول :

ـ الاتجاه إلى (سيتا ـ ٣) .. خمس ساعات ونبلغ الهدف .

اتجهت (نشوى) إلى النافذة ، ووقفت تتطلع عبرها فى صمت ، فاقترب منها (رمزى) ، وسألها فى حنان :

ـ فيم تفكرين ؟

صمتت لحظة ، قبل أن تجيب فى حزن :

ـ فيه .

أدرك (رمزى) ما تعنيه ، فأطلق زفرة حارة ، وغمغم :

ـ وأنا أيضًا .
سألته والدموع تسيل على وجنتيها :
ـ هل تعتقد أنه سيعود ؟
لم يجب (رمزى) ، فكرّرت :
ـ هل تعتقد أن (س ـ ١٨) سينجح فى العثور عليه ؟
تمتم (رمزى) :
ـ لقد رأينا جميعًا ماحدث .
التفتت إليه فى حدة ، وقالت :
ـ ماذا تعنى ؟.. هل تعنى أنه مات ؟
اقترب منها (نور) ، ووضع يده على كتفها ، قائلًا :
ـ هذا هو الاحتمال الأرجح يا بنيتى ، ولكن موت جسده لا يعنى فناء روحه .. إنه سيبقى فى قلوبنا ما حيينا ، حتى ولو لم يعثر عليه (س ـ ١٨) .. إننا لن ننساه أبدًا .
بكت وهى تقول :
ـ لقد تصوّرت أننا حققنا المعجزة ، ونجحنا فى تحرير (أرغوران) ، دون أن نفقد أحدنا .
ضمّها (نور) إليه فى حنان ، وهو يقول :
ـ أنا أشاء وأنت تشائين ، والله (سبحانه وتعالى) يفعل ما يشاء يا بنيتى .
التصقت به زوجته ، وهى تتطلّع إلى الفضاء ، قائلة :

ـ ولكن هل تعلم يا (نور) ؟.. لقد تضاعفت رغبتى فى إنجاب صبى ..
سألها ، وهو يداعب شعرها فى حنان :
ـ ولماذا صبى بالذات ؟
أسندت رأسها على كتفه ، وامتلأت عيناها بالدموع ، وهى تجيب :
ـ حتى أطلق عليه اسم (محمود) .
قالتها ، فران على المكان صمت رهيب ، وضمّها (نور) إليه ، وهو يحتوى ابنته بيده الأخرى ، وراح الجميع يجترون مشاعرهم وذكرياتهم ، والسفينة تنطلق بهم عائدة إلى كوكب الأرض ..
إلى حيث الوطن ..
والأمل ..
الأمل فى أن تفتح الحياة أمامهم ملفًا جديدًا ..
ملف المستقبل .

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف



د. نبيل فاروق

الزمن = صفر

- كيف يواجه (نور) وفريقه طغاة (جلوريال)، على سطح (أرغوران) ؟
- لمن يكون النصر في المعركة الأخيرة لتحرير كوكب (بودون) ؟
- ترى .. هل ينجح (نور) وفريقه في العودة إلى الأرض، أم يلتهمهم نهر الزمن ؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة، وقاتل مع (نور) وفريقه معركتهم الأخيرة، على كوكب (أرغوران) ...

الثمن في مصر



وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع